

التَّسْبِيحُ الْمَضْرِيُّ

الْفَقَاهِيُّ

إِسْتِعَارَةٌ حَيْثُ وَحَضَارَةٌ

مِثْلَانِ وَعَشْرَ سَنَوَاتٍ  
مِنَ الْإِبْدَاعِ الْإِنْسَانِيِّ

تَأْلِيفُ: الدُّكْتُورِ حَسَنِ مُحَمَّدٍ صَالِحٍ  
أَسْتَاذِ مُحَاضِرِي الْجَامِعَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ

٤

حَضَارَةٌ مِصْرِيَّةٌ ظَلَّ الْإِسْلَامُ الشَّيْعِيَّ  
بِقَلَمِ الْأَدْبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ الْمِصْرِيِّينَ

دارُ المِجْدِ البِيضَاءِ

الكتاب المسمى بـ

التاريخ المسمى بـ

تاريخ

٤

تاريخ  
تسعة  
٢٥

## التَّشِيعُ المِصرِيّ الفاطميّ

٣

مناخ الحرية وتجلياته  
في عمل المؤسسات

دارالعلم للبيضاء

## التَّشِيعُ المِصرِيّ الفاطميّ

٢

المؤسسات الإدارية والقانونية  
في ظل التشيع المصري الفاطمي

دارالعلم للبيضاء

## التَّشِيعُ المِصرِيّ الفاطميّ

١

المرتكزات الدينية والتاريخية

دارالعلم للبيضاء

## التَّشِيعُ المِصرِيّ الفاطميّ

٦

القهارس

دارالعلم للبيضاء

## التَّشِيعُ المِصرِيّ الفاطميّ

٥

الكتابة الثرية والخصائص الفنية  
تلادب المصري الشيعي الفاطمي

دارالعلم للبيضاء

الرئيس - خلف محفوظ ستورز بناية رمال

هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - تليفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧ - ٠١/٥٤١٢١١

ص.ب، ٥٤٧٩ / ١٤ - E-mail:almahajja@terra.net.lb

www.daralmahaja.com / info@daralmahaja.com



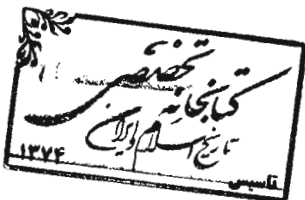
# التَّشْيِيعُ الْمِصْرِيّ

## الْفَاطِمِيّ

إِسْتِعَاذَةٌ حَيْثُ وَحَضَارَةٌ

مِئَتَانِ وَعَشْرَ سَنَوَاتٍ  
مِنَ الْإِبْدَاعِ الْإِنْسَانِيّ

تَأْلِيْفُ: الدُّكْتُورِ حَسَنِ مُحَمَّدٍ صَالِحٍ  
أُسْتَاذِ مُحَاضِرِيّ فِي الْجَامِعَةِ اللَّيْثِيَّةِ



٤

حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي  
بقلم الأدباء والشعراء المصريين

دار المطبعة البيضاء

حقوق الطبع محفوظة  
الطبعة الأولى  
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م



الرئيس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٢/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تليفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

دار المحجة للنشر والتوزيع  
بيروت - لبنان

E-mail: [almahajja@terra.net.lb](mailto:almahajja@terra.net.lb)

[www.daralmahaja.com](http://www.daralmahaja.com)

[info@daralmahaja.com](mailto:info@daralmahaja.com)



## الكتاب الرابع

- حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي بقلم الأدياء  
والشعراء المصريين.

### الباب الأول:

- الخلفاء الشعراء.

- الوزراء الشعراء.

### الباب الثاني:

- المجتمع المصري الفاطمي بقلم الشعراء المصريين.

- الشعر العسكري.

- شعر المواكب الاستعراضية.

- شعر المجون والخمرة.

- الفخر والحماسة.

- الغزل. - الهجاء. - المديح. - العتاب. - الرثاء.

- رثاء الدولة الفاطمية.

- مقتل الشاعر عمارة اليمني.

- شعر الزهد.

- الشعر الحكمي.

- الشعر الفلسفي والديني.

- فن التوشيح.

- شعر الألباز والأحاجي.

## الباب الأول

### حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي بقلم الشعراء والأدباء المصريين

كان عهدي بالأدب والشعر في مصر الفاطمية، يتصل بزمن الصبا والدراسة الثانوية، وكنت لا أملك من الكتب التي تحدثت عن هذه الجماعة إلا الخطط المقرزية. والخطط بحد ذاتها كتاب يتحدث عن حضارة مصر في مختلف الأزمنة والشعوب، من قبل طوفان نوح حتى نهاية الدولة المملوكية. وكانت الخطط رغم شمولها وشموليتها، تضيق بأخبار أدب مصر الفاطمية، ولا يظهر فيها إلا فلتات صغيرة، لبعض الشعراء، استعملها المقرزي دعماً لرأي أو تأكيداً لحادثة تاريخية.

وأكثر ما شدني لشعر مصر الفاطمية فائية الفقيه عمارة اليمني رداً على الشاعر ابن أبي حصيبة، ولاميته التي رثى بها هذه الدولة. ورغم سطحية قدرتي التحليلية والنقدية أيام الدراسة الثانوية، كنت أرى في قصيدته اللامية الكبرى، سمو فكر وصفاء سريرة وقوة عقيدة.



ولما اشتد عودي، وقوي ساعدي وربت مكتبتني، وكثرت مراجعي ومصادري عن أدب مصر الفاطمية، كتبت.

وستجد بعد مطالعة النصوص الشعرية والنثرية العائدة لشعراء وأدباء مصر الفاطمية أنها لا تختلف كثيراً عن أدب القرن الرابع الهجري خارج مصر، ولكنها كانت تمتاز بميزتين: الأولى، ظاهرة التشييع الذي كان طاغياً على المراثي والمدائح والشعر الفلسفي والزهدي والحكمي، والميزة الثانية، انعكاس التطور الحضاري والاقتصادي والاجتماعي، على هذه القصائد والمنظومات، فأثر الترف ورفاهية العيش، كانت بادية تماماً في شعرهم.

وسيرى المتعمق في ثنايا القصائد والمقطوعات، أنها جاءت جزلة اللفظ، محكمة النسيج، رصينة العبارة، صادقة الأداء. كما كانت صورة ناطقة لنفوس أبناء مصر ولعواطفهم، وسجلاً خالداً لحياتهم وعقائدهم. كما صوّرت مصائب الشعب المصري، تصويراً رائعاً، مسلطة الضوء على المحن والنكبات التي حلت بهم وبخلفائهم.

وسنجد أن مصادر إلهام شعرهم وشعرائهم، أتت نتيجة تاجيع عاطفي، من حزن أو غضب أو فرح أو ترح، الحزن على ما أصاب أئمتهم من ظلم وقسوة، والغضب من الظلم التاريخي المصاحب لسيرة أئمتهم وخلفائهم، وقصيدة الشاعر عمارة اليمني اللامية، أنصح دليل على ما حل بهم من نكبات ونزل بهم من مصائب.

وسنرى أن هذا الأدب جاء نتاج وخلاصة ثقافات مختلفة، عربية وأعجمية، امتزجت بروحية الإسلام الشيعي الإمامي الأصيل، فجاء أصدق ما تمثلت به الثقافات التي عرفتها مصر الفاطمية، خاصة أن

الحزب الشيعي في مصر، كان أكبر حزب استطاع جمع كل هذه العناصر، فأغنى بذلك الإنتاج الأدبي والشعري، فكان نتاجاً غزيراً قوياً، يصدر عن عاطفة وقلب وعقل<sup>(١)</sup>.

«كانت الحياة المصرية، حياة ترف، وكان سكان مصر على حظ من الثراء والغنى يحسدهم عليه العباسيون، حتى في أوج مجدهم وسعة سلطانهم. وكان الخلفاء الفاطميون يسرفون في الإغداق على الشعب بما يملكون، من مال ومتاع ورقيق، مما كان يُحْمَلُ إليهم من أموال الخمس وأموال النجوى، ومن هدايا الأمراء في المشرق والمغرب. وتشبه وزراءهم بهم، فأنفقوا عن سعة، وافتتن الشعب المصري في التشبه بأمرائه وحكامه، فظهروا بمظهر أصحاب الثروات، واتخذوا من الحياة أبهجها، ومن الزينة واللباس أزهاها، وأكثروا من اقتناء الرقيق والقيان وإقامة المآدب، ومجالس اللهو والشراب، واستدعاء الخلان لهذه المجالس. حتى يُخَيَّلُ للقارئ أن حياة المصريين في هذه الحقبة، كانت حياة لهو وقصف وسماع وغناء وألحان، فكان ذلك كله مصدر وحي للشعراء بالقريض».

كما أن من أهم عوامل ازدهار الشعر في العصر الفاطمي أن القائمين على شؤون البلاد، اتخذوا من الشعر وسيلة من وسائل دعوتهم السياسية، خاصة أنهم عرفوا قدر الدعاية، فاهتموا بها أيما اهتمام، وقربوا كل من يفيدهم في دعوتهم من علماء وأدباء وشعراء وفلاسفة.

---

(١) راجع: أدب الشيعة في مصر إلى نهاية القرن الثاني الهجري، عبد الحسيب طه حميدة، ط ١، القاهرة، م السعادة بمصر، سنة ١٩٥٦، ص ١١٢.

وجعلوا للشعراء رواتب شهرية غير ما يطلق لهم في المواسم  
والأعياد<sup>(١)</sup>.

### الخلفاء الشعراء:

أجمع مؤرّخو الأدب والشعر وعلماء اللغة والنحو أن القرآن  
الكريم كان ولا يزال الحامي والحارس الأول للغة العربية، فتمسك  
العربي بقرآنه أدى إلى تمسكه بلغته وحفظها من العجمة والضياع.

ولكن تألق اللغة وإبداعها لا يتم إلا برعاية وتشجيع، ومتى كان  
الراعي والمشجع غريباً عن اللغة، تفقد الرعاية أهميتها ودورها،  
ويحل محلها الإهمال واللامبالاة، أما متى كان الراعي والحاكم  
والخليفة نفسه شاعراً، يفتح أمام اللغة والشعر آفاقاً إبداعية مميزة  
ويدفعها نحو التألق والسمو أكثر بكثير هذا إذا لم يكن كردياً أو  
تركياً أو مملوكاً لا أصل له ولا فصل، ولا يعرف من اللغة إلا اسمها.

ولما كان الخلفاء الفاطميون، هم أبناء قريش وأبناء بنت نبي  
الإسلام، فلا عجب أن يكونوا هم أنفسهم شعراء، إلى جانب حفظهم  
للشعر وتقديمهم له وتشجيعهم للشعراء وحمايتهم لهم.

كانت محاولات الخلفاء الفاطميين للسيطرة على مصر والإطالة  
منها على المشرق العربي وبغداد ومكة واليمن والشام، لا تنفك  
تتوالى. وقد حاول الخليفة الثالث القائم بالله عدة محاولات فوصل  
قائد عسكره حباسة بن يوسف الكتامي إلى الإسكندرية، واستقرّ  
فيها برهة، ثم أخرجها منها العباسيون.

(١) أدب مصر الفاطمية، ص ١٥٨.

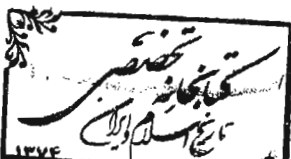
## شعر الخليفة المهدي بالله:

ويروي لنا مؤرخو الأدب القصيدة التي أرسلها الخليفة المهدي للعباسيين يذكرهم بجدّه محمد(ص) وأبيه أمير المؤمنين علي(ع)، وأنه سوف يعود وسيطر على الشرق الإسلامي لا محالة:

أيا أهل شرق الله زالت حلومكم  
صلاتكم مع من؟ وحجّكم بمن  
الم ترني بعث الرفاهة بالسرى  
صبرت وفي الصبر النجاح وربما  
إلى أن أراد الله إعزاز دينه  
وناديت أهل الغرب دعوة واثق  
فجاءوا اسراعاً نحو أضيّد ماجد  
وسرت بخيل الله تلقاء أرضكم  
وأردفتها خيلاً عتاقاً يقودها  
شعارهم جدّي ودعوتهم أبي  
فكان بحمد الله ما قد عرفتم  
وذلك دأبى ما بقيت ودأبكم  
وقصيدة الخليفة واضحة المعاني والمقصد. يعبر فيها عن أمله بحفظ رسالة جدّه وأبيه في مشارق الأرض ومغاربها.

## شعر الخليفة القائم بأمر الله ابن المهدي:

وكتب القائم بأمر الله، ولي عهد المسلمين إلى الخليفة المهدي يعبر له عن اشتياقه بكتاب وأرسل إليه هذه الأبيات في الكتاب:



أتصبح في كتامة ذا انفراد  
 إذا ما وقعت دارت رحاها  
 أنت أخرى تطمّ وتعتليها  
 وكم من لذة في خفض عيش  
 ولكنّ التجلّدي خدين  
 عسى الرحمن يجمعنا وشيكاً  
 فأنقع غلّتي بك واشتياقي  
 وقال الخليفة القائم بأمر الله أيضاً يفتخر بحسبه ونسبه ويصف  
 معاركة في سبيل نشر راية الإسلام الأصيل<sup>(١)</sup>:

سلام على آل النبي ورهطه  
 تحية من أمسى بتاهرت قائماً  
 قبائل من تيم وقيس وخندف  
 ومن كلّ حيّ قد أتانا زعيمهم  
 وفتيان صدق من ذوآبة هاشم  
 يقدّون هامات العدى دون حقّهم  
 أنا ابن رسول الله جدّي وجدّهم  
 ومفخرنا العالي على كل مفخر  
 وجبريل منّا حين قمنا وعصبة  
 وإن كان من مجد وفخر فإننا  
 أنا ابن رسول الله والبيت والوصفا  
 وشيعته أهل النهى والفضائل  
 بحقّهم بين الملا والقبائل  
 ومن يمن في عزّها المتطاول  
 وفارسهم عند اختلاف الذوايل  
 أتوني ببيض مرهفات فواصل  
 ويحمون دين الله فعل الأوائل  
 إذا ذكر الأقوام عند التفاضل  
 عليه سلام بالضحي والأصائل  
 إلى الله ندعو عند ذكر التباهل  
 حويناه قسراً بالقنا والمناصل  
 أنا ابن علي ذي التقى والفضائل

(١) عيون الأخبار وفتون الآثار، السبع الخامس، ص ١٤٨.

سموت إلى العلياء أعلى المنازل  
ينجّيهم من كل إفك وباطل  
أقيم بها من دينهم كل مائل  
وإن يعدلوا عني فليست بعادل  
وطهّرتها من كل غاو وجاهل  
وفي الوعر إلا في أسى وبلايل  
قبائل تهوي كالليوث البواسل  
موارد موت عاجل غير أجل  
وخلالنا عن داره والحلائل  
وكل جواد في السوابق صاهل  
وحبّهم فينا كثير التواصل  
وتأتوا سراعاً بين حاف وناعل  
لأحميكم من كل خوف وغائل  
إلي سراعاً كأنقضاض الأجادل  
تجوب بلاد الله ذات المراحل  
فبغداد همّي من جميع المنازل  
وفيه أناس كالسوام الهوامل  
وكم جرّعوناً من مرارة ثاكل  
إلى بابل حتى تحلّي ببابل  
فإنّ بها يوم شديد الزلازل  
يكون لهم فيها اهتياج البلايل  
ونلحقهم فيها بكل الطوائل

وفاطمة الزهراء أمّي ومن بها  
وقد قمت ادعو الناس حقاً إلى الذي  
إلى منهل فيه الهدى وشرائع  
فإن يستقيموا استقم لصلاحهم  
عمرت بلاد الغرب بعد فساده  
فلم يبق في سهل من الغرب فاسق  
ففرّ لكي ينجو وهيئات خلفه  
كما فرّ ابن الأغلبى وقد رأى  
فمرّ بحث الركض في كلّ مهمه  
وعن كل خود ذات حسن وبهجة  
فيا شيعة الحق الذين نحبّهم  
أما حان أن تزجوا إلي مطيّكم  
فتحظون عندي بالذي تأملونه  
إذا ما حللناها وبالله عصمتي  
فقد أزمعت خيلي إليكم سريعة  
إلى أرض مصر والعراق وبعدها  
فإنّ بها جوراً شديداً وفتنة  
يعادوننا ظلماً ويهوون قتلنا  
فسيري على اسم الله خيلي وشمّري  
إذا ما حللناها وبالله عصمتي  
ويوم لنا في الرقتين وبالس  
فتُشفي نفوساً من لذيذ مائهم

إذا أجمعوا من كل غاب وأقبلوا  
 ذكرت حسيناً فاستهلت مدامعي  
 فاقتل منهم كل رأس وتابع  
 وتسري خيولي من ورا النيل تبتغي  
 ولو أنني صنفت كل وقائعي  
 وكم بدمشق من صريع مجندل  
 وحمص وسلم والثغور ومن بها  
 وثار إينا عصابة خزرية  
 فمن كان يبغي السلم في الأمن سادر  
 وكتب القائم إلى والده المهدي  
 النبوية الطاهرة<sup>(١)</sup>:

أنا سيف الإله وابن رسول الله  
 وإذا ما الغمام أشجم جدواه  
 يقصر القتل دون بغداد حتى  
 يا إمام الهدى ومن طيب الله  
 تفخر الأرض حين تعلقوا ثراها  
 يا ابن من أسدلت عليه ستور  
 بك ظل الفخار يفخر والجود  
 ثم أنهضتني لمصر وشام  
 فأنا سيفك الذي يفلق  
 قطب الهدى وللناس قبله  
 يكون الإمام للناس مثله  
 يظهر الله بالعراقيين عدله  
 له فرعه وطيب أصله  
 ثم تغدو حزونها وهي سهله  
 الوحي أثوابها ولم تكس مثله  
 والبستني من الفخر حله  
 وخراسان والعراقيين جملة  
 بلا نبوة له أن تسأل

(١) عيون الأخبار وفتون الآثار، السبع الخامس، ص ١٢٨.

وتكلّ الجموع من أن تقلّه  
 لام لماعصاك بددت شمله  
 بك أرديته وأقنيت أهله  
 مدرك للعدو من غير مهله  
 ولجيش في حين القاه كلّه  
 كثير العدوّ عندي أقلّه  
 وعد الله فيك من قبل رسله  
 لدى النيل والفرات ودجله

يغرق الغرب والمشارك منه  
 كم مطيع قد كان طود عزّ  
 وكفور مناصب ذي عناد  
 وأناس همك السريع إليهم  
 لا أرى هائباً لسهلٍ ووعرٍ  
 فحسن اليقين والحزم والعزم  
 فانتظري يا خليفة الله ما قد  
 من فتوح تلقاك بالعزّ والنصر  
 وقال أيضاً يفتخر<sup>(١)</sup>:

وأبلغ من رجع الرسائل والكُتُب  
 وأحرى برد الحقّ يوماً لذي الطلُب  
 وقمتُ بدين الله حقاً كما يجبُ؟  
 إلى الله منكم، دائب الفكر والنصبُ  
 وفي دُونِ مَا عَايَنْتُهُ أَعْجَبُ الْعَجْبُ  
 وسبطيه والهادين والسادة النُجُبُ  
 وقيّم دين الله في أرضه شغَبُ  
 تعجّل ذو أمر فأخطأ ولم يُصِبُ  
 فقامتُ بدين الله قومة محتسِبُ  
 كريم العطايا، من تولاّه لم يخبُ  
 ينادونني بالسمع طوراً وبالرحبُ

ألا أنّ حدّ السيف أشفى الوصبُ  
 وأقصى لجاج النفس في كلّ موطن  
 ألم ترني بعث الرفاهة بالسُرى  
 وحالفتُ جنّان الفلاة تبرؤاً  
 أفكرُ في أفعالكم وأموركم  
 أبعد نبيّ الله ثمّ ابن عمّه  
 يكون إمام المسلمين ورأسهم  
 صبرت، وفي الصبر النجاح، وربما  
 إلى أن أراد الله إعرّاز دينه  
 وناديتُ أهل الغرب دعوةً واثقٍ  
 فجاؤوا سراعا نحو أضيّد ماجدٍ

(١) كتاب العقفي الكبير، المقرئزي، م.س. ص ١٢٦.



فلما أتى الأمر الذي كنت مُوعِداً به جاء نصرُ الله بالفتح عن كُتُب  
 وكتب إلى المهدي بالله في وقت عودته إلى المغرب سنة اثنتين  
 وثلاثمائة:

|                         |                            |
|-------------------------|----------------------------|
| الله لي ثمَّ إمام الهدى | ماضِع من كان له الله       |
| الله جلَّ اللهُ لي صاحب | سقيال مَنْ صاحِبَه اللهُ   |
| الله لي في وجهتي ناصر   | قد عزَّ من ينصره اللهُ     |
| الله لي في شقوتي حافظ   | طوبى لمن يحفظه اللهُ       |
| الله فتَّاح لنا شرقه    | والغربَ طرّاً فتح اللهُ    |
| الله أعطانا الذي قد ترى | عطيةً منَّ بها اللهُ       |
| الله قد أرسل خير الورى  | محمداً أرسله اللهُ         |
| الله قد أخرج مهديّه     | وحجّةً أظهرها اللهُ        |
| الله لي في كل حال كما   | كان لأبائى كذا اللهُ       |
| الله ربُّى والاهى، ومَن | مثلى إذا قلتُ: لى اللهُ؟   |
| الله حسبى بعد ذلك       | ياحبُّذا مَنْ حسبُه اللهُ! |

### شعر الخليفة المنصور أبو الطاهر إسماعيل:

وأبو الطاهر إسماعيل هو الخليفة الفاطمي الثالث كان شاعراً  
 كأبائه وأجداده، رضع حليب الفصاحة من زرع أهل بيت النبوة  
 والعترة الطاهرة.

وفي أيامه خرج مخلد بن كيداد الخارجي السفيفاني على أبيه  
 القائم. حيث أمضى الخليفة القائم حياته في حرب هذا السفيفاني،  
 وكانت أغلب المعارك بين السفيفاني والفاطميين يقودها إما الخليفة

القائم أو ولده أبو الطاهر إسماعيل، المنصور بالله.

كتب أبو الطاهر إسماعيل إلى والده القائم يخبره ما جرى بينه وبين مخلد بن كيداد فقال<sup>(١)</sup>:

تبدلت بعد الزعفران وطيبه  
الم ترني بعثت المقامة بالسرى  
وفتيان صدق لا ضغائن بينهم  
أروني فتى يغنى غنائي ومشهدي  
أنا الطاهر المنصور من نسل أحمد  
وبعد انتصاره على صاحب الحمار، أرسل له أيضاً يبشّره بها:

كتابي إليك من أقصى الغروب  
أجوب القفار وأطوى الرمال  
أريد بذلك رضاء الإله  
إلى أن يرى السير أجسامنا  
فواغربتاه وواوحشتاه  
وماضقت ذراعاً ولكنتني  
وفي كل يوم من الله لي  
فلله حمد على ما قضى

ومن شعر الخليفة المنصور أيضاً<sup>(٢)</sup>:

من كان يرضى بحصن يستجيره  
فإنني رجل لم ترض همته  
وقلعة ذات أجراس وحراس  
الأببيض وأرماع وأفراس

(١) سيرة الاستاذ جؤذر، م.س. ص ٥١.

(٢) المقفى الكبير، المقرئزي، ص ١٢٥.

مسؤمات جعلناها معاقلنا      دون المعاقل في الضراء والباس  
 ترى الغبار عليها في سنابكها      مثل الذريرة فوق النحر والراس  
 وقائلٍ قال لي والسيف في يده      لا تتعدنّ قعود الطاعم الكاسي  
 لعزيوم ومأتى الموت في غده      خير من العيش في ذلّ وإنكاس  
 ومن نثر الخليفة المنصور بالله ابن القائم خطبته التي رثى بها  
 والده القائم حيث قال:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين، والصلوات الغاديات  
 الرائحات الزاكيات الناميات الباقيات على محمد وعلى آله الطيبين،  
 الأئمة المهديين، السادة الأكرمين، حمداً حمداً وشكراً شكراً. أنجزت  
 وعدك ونصرت عبدك على كره الكافرين، وصغار المارقين الأخرسين  
 الأفجرين، أصحاب الدجال اللعين، والمغضوب عليه وعليهم الضالين،  
 الأرجاس الأنجاس، أولى النذل والإتعاس، الأشقياء الأخرزياء،  
 ملعونين في الأرض والسماء.

حمداً حمداً، شكراً شكراً، عوداً بدءاً، وسعاً طولاً، لا مكافياً  
 نعمائك ولا مجازياً آلائك. معترفاً بالعجز عن الشكر، ولو بكل لسان  
 طول الدهر.

سلام الله وصلواته ورحمته وبركاته وتحياته عليكما يا أميري  
 المؤمنين (المهدي والقائم). يا ابني الهداة المهديين. يا أبتاه... يا  
 جدّاه... يا ابني محمد رسول الله. سلام مسلّم لله فيما قضاه. صابر  
 على ما امتحنني من بعدكما. أوان الحسرة وشرق العبرة عليك يا  
 أبتاه! يا محمداه! يا أبا القاسماه! يا سيّده! يا جبلاه! واشوقاه!  
 والماه!.

«وخالق الأرض والسماء، باعث الموتى مميت الأحياء! ما أنا في ريب من اختيار الله لك، ونقله إياك إلى دار كرامته، ومستقر رحمة التي بواها محمداً رسوله، صلى الله عليه - جدك - وأمير المؤمنين، علي بن أبي طالب - أبك - وفاطمة الزهراء البتول - أمك - وآباءك المهيئين الأبرار. لكنّ لوعة المحزون باعثة للشجون ومبكية للعيون، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون وله مسلمون، ولنعمائه شاكرون»<sup>(١)</sup>.

هذا ما رثى به الخليفة المنصور بالله الفاطمي والده الخليفة القائم بالله فلا يعقل أن يصدر من ابن بنت نبي الله إلا هذه الإشراقات الروحية وهذه الموجدة وهذا الكلام المعبر عن حزنه لفقد والده وقبوله بقضاء الله الذي لا مردّ له واعترافه بفضل ربه عليه وعلى الإنسانية جمعاء.

أما الخليفة الأموي الوليد بن يزيد، عندما سمع بكاء بنات عمه الخليفة هشام بن عبد الملك، وعلم أنّ عمه قد مات رثاه بالأبيات التالية<sup>(٢)</sup>:

|                    |                   |
|--------------------|-------------------|
| إنّي سمعت خليلي    | نحو الرصافة رنة   |
| خرجت أسحب ذيلي     | أقول ما شأنه ننة  |
| إذا بنات هشام      | يندبن والده ننة   |
| يندبن شيخاً كريماً | وكان يُكرّمه ننة  |
| يقلن ويولي وعولي   | والويل حلّ به ننة |
| أنا المخبئُ حقاً   | إن لم أن...ه ننة  |

(١) سيرة الاستاذ جؤذر، ص ٥٧.

(٢) ديوان الوليد بن يزيد، ط ٣، بيروت، دار الكتاب الجديد، سنة ١٩٦٧، ص ٧٠.

وروى أبو الحسن الماوردي عن الوليد بن يزيد بن عبد الملك أيضاً أنه، تفاعل يوماً في المصحف الشريف، ففتح إحدى صفحاته، فقرأ في هذه الصفحة أول ما قرأ قوله تعالى: ﴿وَاسْتَفْتَحُوا، وَخَاب كُلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾<sup>(١)</sup>. فمزق المصحف وأنشأ يقول:

أتوعد كلَّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ      فهأنذاك جَبَّارٌ عَنِيدٍ  
إذما جئت ربك يوم حشرٍ      فقل يارب مَرَّقَنِي الوليدُ  
وعلق أبو الحسن الماوردي على هذا الشعر بقوله: «فلم يلبث إلا أياماً حتى قتل شرقتة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده، فنعوذ بالله من البغي ومصارعه والشيطان ومصايدِهِ، وهو حسبنا وعليه توكلنا»<sup>(٢)</sup>.

وروى الدميري عن الخليفة الأموي السادس الوليد بن يزيد بن عبد الملك فقال: «انهمك الوليد في شربه الخمر ولذاته ورفض الآخرة وراء ظهره وأقبل على القصف واللهو والتلذذ مع الندماء والمغنين. وكان يضرب بالعود ويوقع بالطبل ويمشي بالدف. وكان قد انتهك محارم الله تعالى، حتى قيل له الفاسق».

وتروق للدميري هذه الأوصاف فيتابع قائلاً: وكان أكمل بني أمية أدباً وفصاحة وظرفاً، وأعرفهم بالنحو واللغة والحديث (النبوي الشريف). وكان جواد مفضالاً. ومع ذلك لم يكن في بني أمية أكثر إدماناً للشراب والسماع، ولا أشدَّ مجوناً وتهتكاً واستخفافاً بأمر

---

(١) سورة إبراهيم.

(٢) أدب الدين والدنيا، أبو الحسن الماوردي، ط ٥، بيروت، دار إقرأ، لا تاريخ، ص ٣٢٥.

الأمّة من الوليد بن يزيد. يقال إنّه واقع جارية له وهو سكران. وجاء المؤذّنون بالصلاة. فحلف أن لا يصلّي بالناس إلا هي. فلبست ثيابه وتكرّرت وصلّت بالمسلمين وهي جنب سكرى»<sup>(١)</sup>.

أما الخليفة المعزّ فقد كان أيضاً شاعراً ذوّاقاً للشعر يعشق الكلمة ويتقن رصفها. وكتابه الذي يردّ فيه على القرمطي، يحتاج إلى عالم باللغة، وإلى فيلسوف متبحر في علمي الباطن والظاهر، حتى يستطيع تفسيره.

### ومن شعر الخليفة المعزّ قوله:

لأه ما صنعت بنا      تلك المهاجر في المعاجر  
أمضى وأقضى في النفوس      من الخناجر في الحناجر  
ولقد تعبت ببينكم      تعب المهاجر في الهواجر  
ومن المؤكّد أن من يستطيع نظم هذا الكلام قادر على نظم غيره، ولكن يد التدمير لحقت بإنتاج وشعر الخليفة المعزّ، ولم يصلنا من شعره شيء.

ونلاحظ قوة سبك الخليفة المعز في هذه المقطوعة الصغيرة، وكيف استطاع استعمال كل ما يملكه الشاعر من قوة جرس وموسيقى، والتلاعب بالحروف من حيث التقديم والتأخير: مهاجر، هواجر، واتباع نظام القافية الموحدة الحرفين الأخيرين، كل هذا دليل كاف على قدرته اللغوية وتملّكه من ملكتها.

---

(١) حياة الحيوان الكبرى، للشيخ كمال الدين الدميري، لا طبعة، المكتبة الإسلامية، لا عنوان، لا تاريخ، ص ٧٢.

وقد أورد أحمد بن علي الحريري في كتابه «منتخب الزمان» بعضاً من مطوّلة شعرية للخليفة المعزّ أطلق عليها عنوان «الملحمة المعزّية» وبعضاً من نتفها وأشعارها، ومطلعها<sup>(١)</sup>:

تباكر من أنشأ من الطين آدمًا وركب فيه الروح واللحم والدماء  
وتدل هذه القصيدة على أن الخليفة المعزّ، كان يتنبأ بوقوع  
الأشياء، وكنا نتمنى لو وصلتنا كلها، لكنّا استطعنا أن نحكم على  
صحة نسبتها له أو انتحالها. ومما جاء فيها:

وصالح وزير الملك ملكهم فإن تقتلوه يا بُني قتلتما  
أذقتموه طعم الموت بالسيف عامداً فإن حياض الموت تدنى إليكما  
وهو يعني بالصالح، كما أظن هو الملك الصالح طلائع بن رزّيك.  
ويدعي ناقل الملحمة أن الخليفة المعزّ تنبأ بأحداث شاور  
وضرغام وقدم شيركوه وصلاح الدين إلى مصر وامتلاكها من  
قبلهما:

وقدمتم شاور أمام جيوشكم فيابئس وفد للجيش تقدما  
بجيش عليكم كلّ باد وحاضر ويستنجد الكفار، لكن عليكم  
ويحدّد الخليفة المعزّ في ملحمة - كما يدعي ناقلها زمن دخول  
أسد الدين شيركوه وصلاح الدين الأيوبي إلى مصر، حيث يقول:

وفي خمسمائة بعد هجرة أحمد وخمسين حولاً من زمان تقدما  
يسير إلى محمود صاحب جلق ويوعده مالا وملكاً عرمرما  
يكون زعيم القوم شيركوه اسمه تميز كلامي وافتهم وتفهما

(١) كتاب منتخب الزمان، م.س. ص ٢٥٢.

وقد أورد له صاحب يتيمة الدهر المقطوعة التالية<sup>(١)</sup>:

مابان عذري فيه حتى عذراً ومشى الدجى في خذه فتحيراً  
همتّ قبله عقارب صدغه فاستلّ ناظره عليها خنجراً  
والله لولا أن يقال تغيّراً وصبا وإن كان التصابي أجدر  
لأعدت تفّاح الخدود بنفسجاً لثماً وكافور الترائب عنبراً  
وقوله متغزلاً:

لا تظلموا الناس ولا تطلبوا بثأري اليوم أذى مسلم  
ويا القومي دونكم شادناً معتدل القامة والمبسم  
وإن أبى إلا جحوداً له واكتتم الأمر فلم يعلم  
قولوا له يكشف عن وجهه فإن فيه نقطة من دمي  
ولم أسمع باشتقاق فعل دثر من دينار ودّرهم من درهم إلا في  
شعره إذ قال:

وَجَنَّةٌ مِنْ شَفِي هَوَاهُ وَمَنْ أَفْنَيْتَ فِيهِ دَمُوعَ مَآقِي  
كَأَنَّمَا الصَّيْرِ فِي دَنُرٍ مَا نَجَّمْ مِنْهَا وَدَرَاهِمَ الْبَاقِي  
وله من قصيدة، لم يرو منها إلا هذه الأبيات:

وما بلد الإنسان إلا الذي به له سكن يشتاقه وحبيبُ  
إلى الله أشكو وشك بين وفرقة لها بين أحشاء المحب نُدُوبُ  
نرى عندهم علماً وإن شطّ النوى بأنّ لهم قلبي عليّ رقيب  
ونقل له ابن زولاق قوله<sup>(٢)</sup>:

(١) يتيمة الدهر، للثعالبي، ج ١، ط ٢، القاهرة، مطبعة السعادة سنة ١٩٥١، ص ٣٠٨.

(٢) كتاب أخبار سيبويه المصري، الحسن بن زولاق، ط ١، القاهرة. مطبعة النصر، سنة ١٩٢٣، ص ٦٤.



أطلع الحسن من جبينك شمساً  
وكانَ الجمال خاف على الور  
فوق ورد في وجنتيك أطلاً  
دجفاً فمد بالشعرِ ظللاً  
ونقل ابن خلكان قوله (١):

مابان عذري فيه حتى عذرا  
همت بقبلته عقارب صدغه  
وبدا البنفسج فوق ورد أحمر  
فاستل ناظره عليه خنجرا

### شعر الخليفة العزيز بالله

أورد مؤرخو الأدب بعض النتف الشعرية للخليفة العزيز، وربما  
لحق شعره ما لحق كل ما يتعلق بدولتهم من حرق وإتلاف وتدمير  
وطمس، لذلك لم يصلنا من شعرهم سوى ديوان الأمير تميم بن  
المعز شقيق الخليفة العزيز.

أورد الثعالبي في يتيمته هذه الأبيات للعزيز يرثى بها ولده -  
ويتشبهه بأبائه وجدوده من أهل بيت النبي (٢):

نحن بنو المصطفى ذوو محن يجرعها في الحياة كاظمنا  
عجيبه في الأنام محنتنا أولنا مبتلى وخاتمنا  
يفرح هذا الوري بعيدهم طراً وأعيادنا ماتمنا

فالشاعر في هذه الأبيات، صادق العاطفة، يعبر عن ألم دفين  
وحزن كمين، فهو لم يحزن لفقد ولده فحسب بل هو يتألم لما  
أصاب أهل البيت من محن وكوارث، حتى أصبحت أعيادهم ماتم (٣).

(١) وفيات الاعيان، الجزء الخامس، ص ٢٢٨.

(٢) يتيمة الدهر، الثعالبي... ص ٢٢٣.

(٣) راجع: في أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ١٦٣.

وقد أورد له محمد كامل حسين قصيدة، قال إنها منقولة من مجموعة أشعار إسماعيلية مخطوطة بمكتبته، جاء فيها:

ولما رأيت الدين رثت حباله وأصبح ممحو الضيا والمعالم  
وأصبحت الأغنام من كل أمة تسوم عباد الله خزم المخاطم  
وتحكم في أموالها و«دماءها» بغير كتاب الله عند التحاكم  
غضبت لدين الله غضبة ثائر غيور عليها مانع للمحارم  
وسيرت نحو الشرق بحر كتائب تموج بأبطال رجال قماقم  
يقودون جرد الخيل تخطر بالقنا وبالمشرفيات الرقاق الصوارم  
أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت بالأنوار من قبل آدم  
لي الشرف العالي الذي خضعت له رقاب بني حواء من كل عالم  
بنا فتحت أبواب كل هداية ومنأ بحمد الله خير الخواتم  
فقل لبني العباس مع ضعف ملككم بأنكم أسرى بأيدي الأعاجم  
غصبتم بني مروان ما غصبوه من مواردنا سحقا لظالم ظالم  
ولم تحفظوا فينا وصايا محمّد سنا سقيكم كأسا كما قد سقيتم  
وفي البيت الذي يقول فيه: ولا ما ادعيتم من مناسب هاشم  
أوائلنا والله أعدل حاكم

أنا ابن رسول الله غير مدافع تنقلت في الأنوار من قبل آدم  
يعتبر أصحاب المذاهب الإسلامية الشيعية على اختلافها أن  
محمداً وعليّ نطفة من الله تناقلت في الأرحام والأصلاب منذ آدم  
حتى عبد المطلب ومن مروياتهم، عن أبي جعدة عن أبي ذر قول  
النبي، (ص): «أنا وعلي كنا نوراً عن يمين العرش، بين يدي الله عزّ  
وجلّ، يسبح الله ذلك النور ويقدّسه، قبل أن يخلق آدم بأربعة عشر

ألف عام، فلم نزل، أنا وعلي شيئاً واحداً، حتى افترقنا في صلب  
عبد المطلب، فجزء أنا وجزء علي»<sup>(١)</sup>.

وترى هذا الرأي كل مذاهب الشيعة الإمامية، من علوية  
وإسماعيلية نصيرية وإمامية اثني عشرية، والفاطميون هم من  
الإسماعيلية، الذين خرج منهم النصيريون أتباع محمد بن نصير،  
والحسين بن حمدان الخصيبي.

### شعر الخليفة الحاكم:

نقل عن الخليفة الحاكم بأمر الله تذوّقه للشعر وقدرته النافذة  
على نقده نقد الصيرفي الخبير، وتداولت الكتب أخباره النقدية، لكن  
إنتاجه الشعري أصاب ما أصاب كل ما يختص بالفاطميين والدولة  
الفاطمية، ومن أقواله بعد يوم مضمن في توزيع الهبات والأموال  
والأعطيات والإقطاعات على الناس، بعد أن أرسل له صاحب بيت  
ماله، أن المال في البيت قد نفذ، وامتنع، عن تنفيذ أوامر الصرف:

أصبحت لا أرجو ولا أتقي إلا إلهي وله الفضل  
جدي نبّي وإمامي أبي وديني الإخلاص والعدل  
وقد نسب المؤرخون إليه المطوّلة الشعرية التي نعتوها بالملحمة  
الحاكمية، ومطلعها:

تأمل إذا كنت ذا فطنة بعقلك من قبل عني تنظر  
تبيّنت في الجفر إنني أمرد كثير الغنى قصير العمر

(١) العلويون في التاريخ، محمد أحمد علي، ط ١، بيروت، مؤسسة النور للمطبوعات، سنة  
١٩٩٧، ص ١٦٦.

يخطب لي عنوة بالشام      ومن غيرها في بلاد خسرو  
وتغتالني في رؤوس الجبال      ويُستر أمري ولا يُشهرُ  
وله أيضاً قصيدة فيها كثير من الرموز والإشارات الغريبة جاء فيها:  
ومن نقش أو صاف الكواكب كلها      بساعات سعد لا تضر ولا تشفي  
ومن رفع اصطرلاب وأخذ طوالع      يروم بها كشف الحقيقة بالعنف  
ومنها يعتبر إضاءة شوارع القاهرة من المعجزات.  
وإظهار نصف الليل شمساً منيرة      على غفلة والليل منسدل السجف  
ويرفض ادعاء معرفة علم الطبيعة:  
ومن يدعي علم الطبيعة أنه      خبير به فالعلم أورثه السخف  
ويدعي امتلاك علم الأعداد والحروف:  
ومن علم أعداد الحروف وما رَوَتْ      لنا علوم الدهر من أجمع الصنف  
وهذه علوم القوم جمعاً ذكرتها      واتقنتها بالحق والحق لا يخفي  
زنوا منطقي ثم أفهموا ما أقوله      ففي طيِّه كشف العلوم ولا أنفي  
ويدعو للتخلي عن ملذات الحياة      واستبدالها بالملذات الروحية  
التي فيها وبها يرقى إلى العلا فقط:  
فمن رام أن يرقى إلى ذروة العُلا      من العلم أو يرقى إلى عالم اللطف  
يميت دواعي النفس عن كل شهوة      ويستعمل الصبر الجميل مع الضعف  
ومن رام إدراكي فإنني مؤيِّدٌ      بتأييد رب العرش من عالم اللطف  
والقصيدة طويلة يشبه فيها الخليفة الحاكم نفسه بعيسى ابن  
مريم «محيي العظام وهي رميم» وبالخضر تارة وبموسى الكليم  
صاحب الطور طوراً.

ومهما خرج الحاكم عن إطار الموروث الإسلام الشيعي الإمامي  
الجعفري السائد، فلم يصل إلى مستوى خروج يزيد بن معاوية عن  
الدين ومقدساته ونبيه فمن مشهور قوله عند ورود رأس الحسين  
أمام قصره في جيرون بدمشق:

لما بدت تلك الرؤوس وأشرقت      تلك الشموس على ربي جيرون  
نعب الغراب فقلت صح أولاتي صح      فلقد أخذت من النبي ديوني  
وهو القائل أيضاً متمثلاً بقول الشاعر ابن الزبعرى يصف قتلى  
بني أمية في معركة بدر:

ليت أشياخي ببدر شهدوا      جزع الخزرج من وقع الأسل  
لأهلوا واستهلوا فرحاً      ثم قالوا يا يزيد لا تشل  
قد قتلنا القرم من ساداتهم      وعدلنا يوم بدر فاعتدل  
لعبت هاشم بالملك فلا      خبر جاء ولا وحي نزل  
فأنكر النبوة من أساسها وأنكر نبي الإسلام (ص) واعتبر الوحي  
والنبوة لعبة هاشمية للسيطرة على مقدرات السلطة السياسية.

ونقل المؤرخون عن الوليد بن يزيد أنه سكر يوماً فمزق القرآن،  
وقد أشرنا إلى المناسبة في الصفحات السابقة، وخاطبه قائلاً:  
أتوعد كل جبار عنيد      فها أنا ذاك جبار عنيد  
إذا لاقيت ربك يوم حشر      فقل يا رب مزقني الوليد  
فهذا خليفة وهذان خليفتان، الأول أربك عقله وفكره لكثرة ما  
استعمله لمصلحة الإسلام والمسلمين والآخران لكثرة ما سكرا  
وشربا.

## شعر الخليفة الظاهر:

كان الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله مثله مثل آبائه وأجداده شاعراً محباً للشعر ومشجعاً للشعراء والأدباء. وقد نال الشعراء جزيل العطاءات على عهده وكانت الرواتب تصلهم شهرياً، دون منة. وكان الشعراء يعتبرون من الطبقة الاجتماعية الحاكمة، فصلتُهم بقصور الخلفاء والأمراء والوزراء وكبار الموظفين، جعلتهم من أصحاب الرأي والمشورة، ومن المشاركين في القرارات المهمة.

وقد نقل لنا المؤرخون هذه القصيدة للخليفة الظاهر يصف بها عيد الغدير معتبراً إياه أهم عيد عند المسلمين وبني فاطمة<sup>(١)</sup>:

عِيدٌ فِي يَوْمِ الْغَدِيرِ الْمُسْلِمِ      وَأَنْكَرَ الْعِيدَ الْمُرِيدُ الْمَجْرِمُ  
يَا جَاحِدِي الْمَوْضِعَ الْيَوْمَ      وَمَا جَاءَ بِهِ الْمَخْتَارُ تُبَّالِكُمْ  
مَا لَذَوِي الْإِسْلَامِ عِيدٌ مِثْلُهُ      فَالْمِصْطَفَى اخْتَارَ بِهِ مَوْلَاكُمْ  
وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى جَدَّهُ      الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ  
الْيَوْمَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي      فَنَحْمَدُ اللَّهَ وَمِنْهُ النِّعَمُ  
وَفِي قَصِيدَةٍ ثَانِيَةٍ قَالَ:

قَدْ سَمِعُوهُ وَرَأَوْا مَكَانَهُ      فَأَعْرَضُوا عَنْهُ وَهَمَّوْا وَعَمَّوْا  
أَوَّلَ مَا خُولِفَ فِي أَسَامَةٍ      يَا أُمَّةَ تَعْجِبُ مِنْهَا الْأُمَمُ  
لَوْ يُسَّرُ الْجَيْشُ الْأَسَامِي لَمَا      بَوَّيْعَ إِلَّا الْهَاشِمِي الْعَلَمُ  
وَلَا ثَنَى الْأَوَّلُ عَطْفِي بِيَعَةٍ      حِذَاءَ مَا فِيهَا الْئِيمِ قَدَمُ  
قَالَ أَقِيلُونِي فَمَا أَقَالَه      ثَانِيَةً بَلْ كَلَّهْمُ قَدْ ظَلَمُوا

(١) عيون الاخبار وفتون الآثار، السبع السادس، ص ٢٢٠.

مهّدها لنفسه في غيره      تا الله ما يفعل هذا مسلم

### شعر الخليفة المستنصر:

لم يَرَوْ المَقْرِيزِي أو أَي مؤرِّخٍ آخِر عن الخليفة المستنصر أنَّه كان شاعراً. وربما كان له من الشعر ما كان لأبائه وأجداده من خلفاء بني فاطمة، ولحقه يد التدمير والطمس كما لحق كل شيء يختص بهم. لكنَّ المؤيد في الدين هبة الله بن موسى الشيرازي أورد قصيدة للمستنصر رداً على مقطوعة كان قد أرسلها الشيرازي له.

والمقطوعة التي أرسلها داعي الدعاة الشيرازي للخليفة المستنصر هي (١):

أقسَم لو أنَّك توجَّتني      بتاج كسرى ملك المشرق  
ونوِّلتني كلَّ أمور الوري      من قدمضى منهم ومن قد بقى  
وقلت أن لا نلتقي ساعة      أحببت يا مولاي أن نلتقي  
لأنَّ إبعادك لي ساعة      شَيَّبَت فُودِي مع المفرق

وتروي الروايات أن المؤيد في الدين، وصل مصر وأخذ يحاضر في جامعة القاهرة / دار الحكمة/ وفي الجامع الأزهر، وفي بيت الدعوة في القصر، ولم يستطع مقابلة الخليفة المستنصر، وخاصة أنَّه كان المخطَّط الأول لغزو بغداد والموجه الحقيقي للباساسيري.

---

(١) ديوان المؤيد في الدين، داعي الدعاة، تحقيق محمد كامل حسين، ط ١، بيروت، دار المنتظر، سنة ١٩٩٦، ص ٣١٣.

ولكن للأسف، لم يعمل الحكام والبساسيري بتوجيهاته ونصائحه، فعادت بغداد للحكم السلجوقي.

وقد روى جامع ديوان داعي الدعاة، أنّ الخليفة المستنصر أجابه شعراً وعلى نفس القافية والرّوي:

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| يا حُجَّةَ مشهورة في الوري | وطود علم أعجز المرتقي      |
| ما غُلِّقت دونك أبوابنا    | إلّا لأمر مؤلم مُقلق       |
| ما غُلِّقت دونك أبوابنا    | إلّا لأمر مؤلم مُقلق       |
| ولا حجبناك ملا لا فثِقُ    | بوذنا وارجع إلى الأليق     |
| خُفنا على قلبك من سمعه     | فَصَدُّنا صَدُّ أبٍ مُشفق  |
| شيعتنا قد عدموا رشدهم      | في الغرب يا صاح وفي المشرق |
| فانشرو لهم ما شئت من علمنا | وكن لهم كالوالد المشفق     |
| إن كنت في دعوتنا آخراً     | فقدتجاوزت مدى السبِّق      |
| مثلك لا يوجد فيمن مضى      | في سائر الناس ولا من بقى   |

أما السجلات والمراسيم والمناشير التي كان يصدرها المستنصر، فبالطبع لم تكن من إنشائه أو بخطه بل كانت من إنشاء الكتبة ورؤوساء الدواوين والمستشارين الذين كانوا يساعدونه في إدارة الحكم والخلافة.

### شعر الخليفة الأمر لأحكام الله:

أما المستعلي فلم يذكر له شعر البتة، بينما ذكر المقرئزي للأمر بيتين من الشعر، يترنم بهما، معداً العدة لغزو العراق واحتلال بغداد حيث قال:



دع اللوم عني، لست منّي بموثق فلا بدّ لي من صدمة المتحقّق  
 وأسقي جيادي من فرات ودجلة وأجمع شمل الدين بعد التفرّق  
 والملاحظ أن هذين البيتين لا يبدوان متصلّي المعنى بل هناك  
 أبيات أخرى لم يذكرها المؤرّخ مما يدل أن القصيدة طويلة وليست  
 بيتين فقط.

ومن شعره أيضاً:

أما والذي حجّت إلى ركن بيته جراهيمُ ركباً مقلّدة شهباً  
 لأقتحمنَ الحرب حتى يقال لي ملكت زمام الحرب فاعتزل الحرباً  
 وينزل روح الله عيسى ابن مريم فيرضى بنا صحباً ونرضى به صحباً  
 وكان الأمر متعمّق في اللغة ونوادرها وفي التاريخ الإسلامي،  
 كما كان يشرح بعض الآيات القرآنية ويصحّح شرح الأحاديث  
 القدسية وقد روي عنه أنّه<sup>(١)</sup>:

«عُرِضَ عليه فصلٌ في التوحيد من جملته: «وهو المحذّر بقوارع  
 التهديد، من يوم الوعد والوعيد»؛ فقال: إذا حذر من الوعد كما يحذّر  
 من الوعيد، فما الفرق بينهما؟ وأمر أن يقال: «المحذّر بقوارع التهديد  
 من هول يوم الوعيد». واستدرك في فصل آخر في ذكر عليّ، عليه  
 السلام، قوله: «وهو السّابقُ إلى دعوة رسول الله (ص)، وإجابته»؛  
 فقال: إنّ قوله «السّابق» غير مستقيم، لأنه إن أراد التّخصيص فذلك  
 غير صحيح، إذ كانت خديجة سبقت إلى الإسلام، والسابق منهم  
 جائز أن يكون واحداً وأن يكون جماعة؛ والله تعالى يقول:

(١) اتعاط الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٣٩.

«السَّابِقُونَ السَّابِقُونَ»؛ وليس في ذلك دليل على تخصيص واحد بالتقدم على الباقيين؛ وذكر مثلاً فقال: خيل الحلبة إذا أقبلت منها عشرة لا يخرج فيها واحد عن واحد قيل لها «السُّبْق»، وقيل لكل واحد منها سابق. وأمر أن يقال: «أول سابقٍ إلى دعوة رسول الله، (ص)، وإجابته»<sup>(١)</sup>.

أما بقية الخلفاء الفاطميين الظافر والحافظ والفائز والعاقد، فلم يرو لهم المؤرخون أية نصوص شعرية أو نثرية. أما البيانات والمراسيم والسجلات التي كانوا يوقعونها، فلا نستطيع أن نعتبرها - كما أسلفنا - من إنشائهم. ومع هذا فقد كان الجميع متذوقين للشعر، مشجعين له وللشعراء.

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٢٣.

## الوزراء الشعراء

كان وزراء الدولة الفاطمية على دين خلفائهم في نظم الشعر وتشجيعه ورعاية الشعراء والأدباء. ولكن شعرهم أصابه ما أصاب تاريخ هذه الدولة بكاملها ولم يصل لنا من شعر هؤلاء الوزراء إلا شعر الملك الصالح طلائع بن رزيق وبالأخص الذي كان يرسله لنور الدين محمود زنكي، أثبتته المقدسي أبو شامة في «كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية».

ولو لم تكن قصائد الملك الصالح تتضمن مدحاً لنور الدين زنكي، لما كان أبو شامة أثبتها، ولكنه عمل عليها عملية التفاف وأنكر نظمه لها وقال إنه كان يستأجر من ينظمها له. ولنا عودة إليها في سياقها التاريخي.

### شعر الوزير يعقوب بن كلس:

قال عنه ابن منجب الصيرفي: «كان يهودياً كاتباً صائناً لنفسه محافظاً على دينه، جميل المعاملة مع التجار، فيما يتولاه».

بدأ حياته في خدمة كافور الإخشيدي، وكان على دينه، ثم شرح

الله صدره للإسلام، فنزل الجامع وصلى مع المسلمين سنة ٣٥٠هـ. فأظهر إسلامه، وبلغ خبر إسلامه كافور، فسّر لذلك كثيراً.

واتصل بالخليفة المعزّ في المغرب، فخدمه وتولّى أموره، وفي شهر رمضان سنة ٣٦٨هـ، كلّفه الخليفة العزيز بالوزارة ولقّبهُ «بالوزير الأجل».

وقد ذكر المؤرّخون أسماء العديد من المؤلّفات التي تركها يعقوب بن كلّس منها: كتاب في القراءات وكتاب في الفقه الشيعي الإمامي الإسماعيلي، وكتاب في الأديان وكتاب في آداب رسول الله. وأشهر كتبه، كتاب في الفقه وهو معروف بالرسالة الوزيرية. وهو الكتاب الوحيد الذي سلم من الطمس والإتلاف. وقد بلغ أمر قيمة هذا الكتاب أن عمّم الخليفة الظاهر بن الحاكم على الطلاب والمنتسبين للدعوة الإسماعيلية وطلب أن يحفظوه عن ظهر قلب، ورثب مالا لكل من يحفظه.

ومن شعره:

احذروا من حوادث الأزمان وتوقّوا طوارق الحَدَثان  
قد أمنتم من الزمان ونتمتم ربّ خوف مُكَمَّنٌ بأمان  
وذكر العماد الأصبهاني أنّه أجرى سباقاً بين طير له وطير  
للخليفة العزيز. فسبق طير ابن كلّس طير الخليفة، فقال مرطباً جو  
السباق<sup>(١)</sup>:

يا أيها المولى الذي جدّه لكلّ جدّ قاهرٌ غالبٌ

(١) الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، م.س. ص ٥٩٢.

طيرك السابق لكنه لم يأت إلا وله حاجب  
وكل متنفذ، كان للوزير ابن كلس محبون وكان له المبعوضون  
من الشعراء وغير الشعراء.

وكان يعقوب بن كلس ولّى عيسى بن نسطورس النصراني  
دواوين الكتاب، واستناب بالشام يهودياً اسمه منشأ بن إبراهيم  
القزاز، فاعتزّ بهما النصارى واليهود وأذوا المسلمين في البلدين،  
فعمل أهل مصر وكتبوا رقعة وجعلوها في يد دمية على شكل امرأة  
ووضعوها في طريق الخليفة العزيز وكتبوا في هذه الرقعة:

«بالذي أعزّ اليهود بمنشأ والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذلّ  
المسلمين بك، ألا كشفت ظلامتي».

ولما أخذها العزيز، قبض على الاثنين، وكنا قد أشرنا إلى هذه  
الحادثة في مقتضى سياقها التاريخي.

وأقدم الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي على هجاء الوزير  
يعقوب بن كلس بسبب استعماله هذين المؤذنين بالإضافة لشخص  
ثالث، كان يعمل كاتباً في دواوين القصر يدعى أبو نصر عبد الله بن  
الحسين القيرواني، حيث قال:

قل لأبي نصر كاتب القصر والمتأني لنقض ذلك الأمر  
أنقض عرى الملك الوزير تفز منه بحسن الثنا والذكر  
واعط وامنع ولا تخف أحداً فصاحب القصر ليس في القصر  
وليس يدري ماذا يراد به وهو إذا درى فما يدري

وهجاه بقصيدة ثانية مع القائد فضل بن صالح فقال:

تنصّر فالتنصّرين حقّ عليه زماننا هذا يدلُّ

وقل بثلاثة عزوا وجلّوا وعطل من سواهم فهو عطل  
فيعقوب الوزير أب وهذا العزيز ابن وروح القدس فضل

### شعر الوزير أبي القاسم المغربي:

كان أبو القاسم المغربي علي بن الحسين من أشعر شعراء  
الدولة الفاطمية، وقد وزر للخليفة الحاكم، ولولده الظاهر. وقد امتلأت  
كتب التاريخ والأدب العربي بنصوص من شعره ونثره.

وقال أحد الشعراء يهزأ من الوزير المغربي الذي يسعى لأن  
يكون نحيباً وشاعراً:

ويلي ويحي ويهي على ملوك بُويهِ  
ياضيعة الملك جداً ويابكائي عليه  
يامغربي رويداً كيف اهتديت إليه  
سلبته كل حلي في صدره ويديه  
سياسة الملك ليست ماجاء عن سيبويه

### الوزير المغربي يصف الكسوف:

يوم الكسوف جلا على بصري قمرأ أحرار الجن والأنسا  
قومي اخلفيها في ذا الكسوف ففي وجهك إن أوحشت [لها أنس]  
وغالطي حاسب النجوم فإن لحت وغابت أصابه لبس

### وقال الوزير المغربي يرثي أباه وعمه وأخاه:

تركت على رغمي كراماً أعزة بقلبي وإن كانوا بسفح المقطم  
أراقوا دماهم ظالمين وقد دروا وماقتلوا غير العلاء والتكرم  
فكم تركوا محراب أي معطلاً وكم تركوا من ختمة لم تتمم

وقال في مقتل أبيه وأخوته:

إذا كنت مشتاقاً إلى الطفّ تائقاً  
تجد من رجال المغربي عصابةً  
فكم خلفوا محرابَ أيّ معطلاً  
إلى كربلا فانظر عراضَ المقطمِ  
مضرجة الأوداجِ تقطرُ بالدم  
وكم تركوا من ختمةٍ لم تتمم

وقال في الصديق ذي الوجهين:

أَيّ شيءٍ يكونُ أقبحَ مرأى  
من ورائي يكونُ مثلَ عدوي  
وقال يرثي الشريف الرضي:

أذكرتنا يا ابن النبي محمداً  
ولقد عرفتُ الدهرَ قبلك سالياً  
ما زلت نصل الدهرَ تأكلُ غمدهُ  
يوماً طوى عنّا أباك محمداً  
إلا عليك فما أطاق تجلداً  
حتى رأيتك في حشاهُ مُغمداً

وقال أبو القاسم المغربي يصف الشمعة:

وصفراً كأطرافِ العوالي قُدودها  
تلبسُن من شمسِ الأصيلِ غلائلاً  
عرائسُ يجلوها الدجى لمماتها  
إذا ضُربتُ أعناقها في رضى الدجى  
وتبكي على أجسامها بجسومها  
قيام على أعلى كراسٍ من التبر  
وأشرقن في الظلماءِ في الخلعِ الصفر  
وتحيا إذا أذرتُ دموعاً من الجمر  
أعارتُه من أنوارها خلعَ الفجر  
فأدمعها أجسامها أبداً تجري

وقال أبو القاسم المغربي في كسوف الشمس أيضاً:

قالوا كسوفُ الشمسِ مقترِبٌ  
ثقتي بكاسفها وكاشفها  
من لو يشاءُ أعادَ مشرقها  
هي شعلةٌ من نوره فإذا  
قلت ادخرتُ لدفعِ نائبها  
وبفضلِ ماحيها وكاسبها  
مُبتسماً لك من مغاربها  
ما شاءَ أظلم أو أضاء بها

وقال أبو القاسم المغربي يصف طنبوراً:

وطنبورٍ مليحِ الشكلِ يحكي      بنغمته الفصيحة عندليباً  
روى لِمَا ذَوَى نغمًا فصاحاً      حواه في تقلُّبه قضيباً  
كذا من عاشر العلماء طفلاً      يكون إذا نشأ شيخاً أديباً

في الشعر العلوي:

وقال يمدح أهل البيت ويهجو بني أمية:

صلى عليك الله يا مَنْ دنا      من قاب قوسين مقام النبوة  
أخوك قد حُولفت فيه كما      خولف في هارون موسى أخيه  
هل برسول الله من أسوة      لم يقتد القوم بما سنَّ فيه  
وقال أيضاً:

وتداولتها أربع لولا أبو      حسن لقلت لؤمَن من أستار  
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة      جاف ومن ذي لوثة خوار  
ثم امتطاه عبد شمس فاغتدت      هزواً وبُدلَ رِيحُها بخسار  
وتنقلت في عُصبة أموية      ليسوا بأطهار ولا أبرار  
ما بين ما فونٍ إلى متزندقٍ      ومداهنٍ ومضاعفٍ وحمار

وقد رثا أبو العلاء المعري الوزير المغربي بقوله:

ليس يبقى الضربُ الطويلُ على      الدهر ولا ذو العبالَةِ الدُّرْحَايَةِ<sup>(١)</sup>  
يا أبا القاسم الوزير تر      حلت وخلفتني ثفال رحايه<sup>(٢)</sup>  
وتركت الكُتُبَ الثمينَةَ لنا      س وما رُحْتَ عنهمُ بسحايه

(١) العبالَة: السمعة والغلظة، والدرحاية: القصير.

(٢) الثفال: الجلد الذي يبسط تحت رجلي اليد، والرحاية: الرحي أي المطحنة.



ليتنني كنتُ قبل أن تشربَ المو  
ت أصيلاً شربته بِضْحَايَه  
إن نحتك المنون قبلي فإني  
مُنْتَحَاهَا وَإِنهَا مَنْتَحَايَه  
أَمْ دَفَرْتُ قَوْلُ بَعْدِكَ لِلذَّا  
ثِقُ لَا طَعْمَ لِي فَأَيْنَ فَحَايَه<sup>(١)</sup>  
إن يخطُ الذنوبَ اليسيرَ حفيظًا  
كَ فكم من فضيلةٍ مَحَايَه

هي سبعة أبيات لكنها جامعة لسيرة إنسان: فيها تأكيد بإيراد الكنية واللقب على الشهرة، وفيها إشارة إلى الكتب الثمينة التي خلفها الوزير وهي إما أن تكون مؤلفاته القيمة، وذلك اعتراف بتميز ما كتبه، وإما أن تكون الكتب التي وقفها بميافارقين وظلت تعرف من بعده بمكتبة المغربي. وفيها اعتراف بذنوب اقترفها الوزير إلا أنها ذنوب صغيرة وسوف يمحوها ما يوازئها لديه أو يفوقها من حسناتٍ وفضائل. ولكن القصيدة (أو المقطوعة) تقيم منذ أول بيت الموازنة بين إنسانين، كما أقامت المساواة بين الطويل والقصير أمام الموت<sup>(٢)</sup>.

وصية الوزير المغربي قبل موته: روت المصادر أن الوزير أبا القاسم المغربي أوصى بأن يدفن تحت رجلي الحسين، ويكتب عند رأسه هذان البيتان:

سقى الإله الأزلي من السحاب الهطل  
قبر الحسين بن علي عند الحسين بن علي  
وقال أبو نصر المنازي يمدح الوزير المغربي<sup>(٣)</sup>:

(١) الفحا: إبزار القدر.

(٢) راجع: الوزير المغربي، م. س. ص ٨٠.

(٣) راجع: الوزير المغربي، م. س. ص ٦٤.

ولئن جَزَتْ نَعَمَ الحَسِينِ محامدٌ  
أقنى وأغنى ما لبثتُ ولي به  
حاولتُ عدَّ خِلالِهِ ولي به  
أبصرتُ سُبُلَ المَجدِ من لَحَظَاتِهِ  
وأرى الفِصاحَةَ والسماحَةَ والغنى  
ورث المعالي عن عليّ وابتنى  
وكذاك لإبن القَيْلِ إرثُ علائهِ  
توفي الكافي وزير قرواش، وأصبح الجو ممهداً لعودة الوزير  
المغربي إلى الموصل، فكتب إليه قرواش يعرض عليه الوزارة، وما  
كاد يتسلم رسالة قرواش حتى وجد في نفسه نزوعاً شديداً إلى  
مبارحة بلاط نصر الدولة. وقد نظن لأول وهلة أن سحر الموصل  
الخلاب قد ظلّ يداعبُ خياله، وهذا إن صح فإنه لا يكفي لتعليل  
سرعة الإستجابة لديه، وإذن فلا بد أن منزلته العظيمة عند نصر  
الدولة كانت قد أخذت تنحدر.

وقد هجا ابن القاهر الوزير المغربي بقوله<sup>(١)</sup>:

لُقِّبْتَ بِالكَامِلِ سَتْرَ أَعْلَى      نَقَصَكَ كَالْبَانِي عَلَى الْخَصِّ  
فَصَرْتَ كَالْكُنْفِ إِذَا شُيِّدَتْ      بُيُضَ أَعْلَاهُنَّ بِالْجِصِّ  
يَا عُرَّةَ الدُّنْيَا بِلَا عُرَّةٍ      وَيَا طُؤَيْسَ الشُّؤْمِ وَالْحَرِصِ  
قَتَلْتَ أَهْلِيكَ وَأَنْهَبْتَ بَيْدِي      تَ اللَّهُ بِالْمَوْصِلِ تَسْتَعْصِي

(١) الوزير المغربي، أبو القاسم، الحسين بن علي، تحقيق إحسان عباس، ط ١، دار الشروق  
عمان، الأردن، سنة ١٩٨٨.

وكتب الوزير المغربي إلى الخليفة الحاكم يطلب العفو بكتاب  
صدره بقوله:

وأنت وحسبي أنت تعلم أن لي  
لساناً أمام المجد يبني ويهدم  
وليس حليماً من تُباس يمينه  
فيرضى ولكن من تعض فيحلم  
فسيرٌ إليه أماناً بخطه نسخته:

بسم الله الرحمن الرحيم

«هذا كتاب كتبه المنصور أبو علي الإمام الحاكم بأمر الله أمير  
المؤمنين بن الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين للحسين بن علي بن  
حسين المغربي: إنك آمن بأمان الله ورسوله محمد المصطفى وأبينا  
علي المرتضى والأئمة من آلهما مصابيح الدجى صلى الله عليهم  
وسلم، وأمان أبينا الأقرب نزار أبي المنصور العزيز بالله أمير  
المؤمنين، قدس الله روحه، وصلى عليه، على النفس والجسم وجميع  
الجوارح والحواس والمال والحال والأهل والأقارب، والأنساب، أماناً  
ماضياً، لا يُتعقب بتأويل ولا يتبع بفسخ ولا تبديل وان الإمام الحاكم  
بأمر الله أمير المؤمنين آمن حسين بن علي بهذا الأمان، بعد أن تحقق  
له ذنباً كبيرة، وإجراماً عظيمة فصفح عن علم، وتجاوز عن معرفة  
وحلم، وجعل هذا الأمان كالإسلام الذي يمحو ما قبله، ويمهد الخير  
لما بعده، فكل سعاية ووشاية وذنب وجريمة تنسب إلى حسين بن  
علي هذا، قد تحقق أمير المؤمنين أكثر منها وصفح عنه فلا يد له عليه  
إلاً بالإحسان إليه، وأن لحسين بن علي هذا اختياره عند وقوفه على

هذا الكتاب في إنكفائه إلى الباب العزيز والتعرض للخدمة، أو التوفر على العبادة لا يكره على خدمة يستعفى منها، ولا تقبل عليه الأقاويل في خدمة تتعلق بها، وأقسم أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله على ذلك بأيمان الله وغلظ موثيقه، وبيته الحرام، ومشاعره العظام، وآياته الكرام، وحقوق جميع آبائه عليه السلام، فمتى غير أو بدل، أو أمر، أو أملى أو أسرراً، أو أعلن، أو دس، أو اغتال فجميع المسلمين في شرق الأرض وغربها وفي الموقان والري، وجدة وأذربيجان والدينور وهمذان، والسهل والجبل، القريب والبعيد، والعراق والشام، وديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وحلب، ومصر والحجاز والمغرب، في حل وسعة من بيعته، وقد فسح الله لهم، وفسح أمير المؤمنين في النكت لها، وبرأ نفسه مما أوجبه عليهم والتزموه في أعناقهم، وقد برىء من الله ورسوله، والله ورسوله منه بريئان، وبرىء إليه من حوله وقوته، التجى إلى حول نفسه وقوتها، وأشهد الله وملائكته وصالحي خلقه على نفسه بذلك كله أماناً مؤكداً، وذماماً مؤبداً، وعهداً مسؤولاً، وميثاقاً محفوظاً مرعياً، وكفى بالله شهيداً.

### في الحنين إلى مسقط الرأس:

قال الوزير المغربي يصف شوقه إلى مسقط رأسه<sup>(١)</sup>:

مَاعَلَى سَاكِنِ الْمَعْرَةِ لَوَأَنَّ دِيَارَ أَنْبَتِ بِهِمْ أَوْ طَلُولَا  
يَسْكُنُونَ الْعُلَى مَعَاقِلَ شَمَا وَيَرُونَ الْأَدَابَ ظِلَاطِلِيلَا

(١) بغية الطلب في تاريخ حلب، ابن العديم، تحقيق سهيل زكار، ط ١، دمشق، مطابع دار البعث، ص ١٣٠.

نرُسوماً نواحلاً وطُلولا  
سبُلُ الغاديات شكسا بخيلاً  
وتجدكوثراً أغر صقيلاً  
حب إلا السرور فيها خليلاً  
والتُّقى إن أردته مغلولا  
رئيُّ جاء واعرسارة وقبيلاً  
ليته جادهاً عليلاً كليلاً  
لنعيم الحياة فيه نزيلاً

مَنزل شاقني أنيس وماكا  
حيث يدعى النسيم فظاً وتلفي  
أينما تلتفت تجد ظلُّ طوبى  
تُرْبها طيب الشباب فماتص  
فترى اللهو إن أردت طليقاً  
وإذا ما اعتزى بها الأدب العُدُّ  
لَيْت لا يغنف السحاب عليها  
وسلام على بنيتها ولازا  
وقال أيضاً:

حبست عليه الدمع أن يطأ الخدا  
أطعنا فلا كُنا بها الأسد الورد  
له ذنباً وأطوي له حقدا  
ولو طاواعت نفسي لسميته لحدا  
يحسب الإعراض عن هجره صدًا  
وثنى شعاراً لا جديداً ولا جرداً

تركت بشط النيل لي سكناً فرداً  
غزال طواه الموت من بعد هجرة  
فسقيا لمهجور العناء كأنني أعدُّ  
أسميه من فرط الصباية مضجعاً  
وأخر عهدي من حبيب أنه مضى  
وزودوني يوم الحمام صحيفة

في وصف الجار:

وقال الوزير المغربي يصف علاقته بجاره<sup>(١)</sup>:

ترنم قمري بفرعة ضال  
وناوبته من أدمعي بسجال  
تفرق أحباب وحرب ليال

ترنم جاري والمدام تهزه  
فجاوبته من زفرتي بمفردي  
وقلت له يا جار هل أنت آمن

(١) بغية الطلب، م. س. ص ٢٥٤٥.

تُهيج لي الذكرى مراحك كلما      هزجت فيشقى في نعيمك بالي  
 لئن جمعت بيني وبينك حلיתי      لقد فرقت بيني وبينك حالي  
 تذكرت دار الحي إذ أنا باسط      ظلالي ومجموع لديّ رجالي  
 وإذ أنا بين الناس منزع أمل      لبك نوال أو بناء معال  
 لعمرى لقد أسهلت في الأرض بعدما      تزحزح عن ريب الزمان جبالي  
 ومن الوزراء الفاطميين الذين كانوا يهتمون بالشعر والشعراء،  
 الوزير أبو محمد علي بن عبد الرحمن اليازوري ورغم اهتمامه بهما،  
 فلم نجد له أي أثر مكتوب شعراً أم نثراً. وقد كان الشاعر ابن  
 حيّوس من أقرب المقرّبين له وله فيه مطولات المدائح. سنشير  
 لبعضها عند حديثنا عن المديح في أدب مصر الفاطمية.

وعندما سمح له الخليفة المستنصر بنقش اسمه على السكة  
 والدينار الفاطمي، نقش هذين البيتين:

ضربت في دولة آل الهدى      من آل طه وآل ياسين  
 مستنصراً بالله جلّ اسمه      وعبد الناصر للدين  
 وكذلك كان الوزير الأفضل بن بدر الجمالي مهتماً بالشعر  
 والشعراء، ويعتبر صالونه الشعري من أهم الصالونات الأدبية حينها.  
 وكان قد أقام على بابه أربع دمي بشكل أربع فتيات، تستقبل الداخل  
 بانحناء، وتودّعه كما تستقبله.

ولم يصلنا من شعره شيء يذكر، سوى قوله يصف غلامه تاج  
 المعالي:

أقضيبٌ يميس أم هو قد      أو شقيق يلوح أو هو خد  
 أنا مثل الهلال خوفاً عليه      وهو كالبدروافاه سعد

وفاجأ إحدى جواريه تتطلع من نافذة قصره فأمر بضرب عنقها  
وأدخلوا رأسها لديه فقال:

نظرت إليها وهي تنظر ظلّها فنزّهت نفسي عن شريك مقارب  
أغار على أعطافها من ثيابها ... ومن مسك لها في الذوائب  
ولي غيرة لو كان للبدن مثلها لما كان يرضى باجتماع الكواكب  
ويتفاجأ القارئ من فرط هذه الغيرة التي تؤدي برجل عاقل  
حكيم متزن لأن يأمر بقتل جارية عزيزة على قلبه، رغم حبه لها  
وتشوقه إليها.

كان الأفضل معروفاً بحبه للشعر والشعراء مثل أبيه بدر الجمالي  
الذي وهب الشاعر الشامي علقمة بن عبد الرازق العليمي سبعين  
جماً محملاً بجميع أنواع البضائع والسلع.

مع عشرة آلاف درهم فضة لقاء قصيدة واحدة مدحه بها.  
وصالون الأفضل الشعري، أطلق عليه مؤرخو الأدب اسم  
«مجلس العطاء». وكان فيه سبعة صناديق ذهباً سعتها خمسة  
وثلاثون ألف دينار، مخصصة للتوزيع على من يقف بين يديه من  
الشعراء، «فتوالت عليه وفود الشعراء يطمعون في برّه وإحسانه،  
وينعمون بما يغدقه عليهم من صلوات»<sup>(١)</sup>.

وقد وصف الشاعر ابن العلقمي وفود الشعراء التي قصدت  
مجلس عطاء الأفضل ومصر بقوله:

فمكة مصر والحجيج وفوده ويمناه ركن البيت والنيل زمزم

(١) راجع: الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي. م.س. ص ١١٧.

ووصف أمية بن أبي الصلت المصري نضاله ضد الصليبيين  
بقوله:

جردت للدين والاسياف مغمدة سيفاً تُفْلُ به الأحداث والغيرُ  
وقمت إذ قعد الأملك كلهم تذبّ عنه وتحميه وتنتصر  
وفعلاً قعدت كل الملوك عن نصره الدين والإسلام ضد الفرنجة،  
وحديث المظاهرات التي قام بها أهل الشام وحلب في بغداد وقلعوا  
شبابيك قصر الخليفة العباسي مشهورة ولم يبق في ميدان الصراع  
ضد الفرنجة غير مصر والخلفاء والوزراء المصريين.

ومن أعضاء مجلسه الشعري الشاعر ابن البوين الذي وصفه  
بقوله:

يا من تنافس فيه السمع والبصر كما تغاير فيه الشمس والقمر  
ومن يحكم في الأرواح فاحتكمت الأيحكم فيها بعده بشر  
وكذلك كان الوزير المأمون بن البطايحي من محبي الشعر  
والشعراء، وكان قد أحاط نفسه بالعديد من الكتاب والفقهاء والأدباء  
منهم، الطبيب ابن حسداي وابن عمه جمال الملك موسى بن  
البطايحي مؤلف تاريخ مصر وعلي بن منجب الصيرفي.

شعر الوزير الملك الصالح طلائع بن رزّيك:

كان الوزير الأول طلائع بن رزّيك من أهم شعراء مصر الفاطمية،  
كما كان من المشجعين للشعر وللشعراء. وكان مجلسه الأدبي أشبه  
بمجلس الخليفة المأمون، ولو لم يذكر لنا المقدسي أبو شامة بعضاً  
من قصائده التي كان يرسلها لنور الدين محمود زنكي ولأسامة بن



منقذ الشيزري في الشام، لضاعت هذه القصائد، كما ضاع غيرها من شعر شعراء الدولة الفاطمية.

وكان الملك الصالح بن رزّيك، إلى جانب كونه شاعراً، يهتم بالفقه والمناظرات المذهبية «ورغم تعصبه للمذهب الشيعي، كان يجتمع بفقهاء السنة ويستمع إليهم. وكان يعقد مجالس العلم والأدب، ولم يكن يخيب أمل قصاده من أهل العلم الذين يفدون إليه»<sup>(١)</sup>.

وكان الصالح بن رزّيك يعرف ما للشعر من أهمية إعلامية، فاستخدمه بكل نواحيه لتمكين دولته وتمجيد حروبه مع الصليبيين.

واتخذ ابن رزّيك من الشعراء أصدقاء وجلساء شكّل منهم كوكبة شعرية خليقة بالدراسة، أمثال عمارة اليميني، وابن الحباب، والموفق بن الخلال وأبي الفتح بن قادوس، والمهذّب بن الزبير وأخيه الرشيد بن الزبير.

ووصف عمارة اليميني صالون الملك الصالح بن رزّيك الأدبي فقال: «ولم تكن مجالس أنسه تنقطع إلا بالذاكرة في أنواع العلوم الشرعية والأدبية وفي مذاكرة وقائع الحروب مع أمراء دولته، وكانت أحواله طوراً له وطوراً عليه، فما هو عليه، فرط العصبية في المذهب وأما التي له، فكان مرتاضاً قد شمّ أطراف المعارف وتميّز عن أجلاف الملوك الذين ليس عندهم إلا خشونة مجرّدة. وكان شاعراً محباً للأدب وأهله، ويكرم جليسه، ويبسط أنيسه»<sup>(٢)</sup>.

(١) الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، م.س. ص ١٢١.

(٢) النكت العصرية، م.س. ص ٤٨.

## عمارة اليمني: يرفض سبّ السلف:

ويصف عمارة معاملة الملك الصالح طلائع بن رزيك له وللأدباء والشعراء والفقهاء المعارضين لمذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية رغم تعصبه الشديد فيقول:

وخرج أمره إلى الأمير عز الدين حسام باستخراج ما تأخر لي من رسوم الضيافة من بيت المال، ففعل، وأمرني بملازمة المجالس والمؤاكلة والمدح له، فتأكدت الحرمة وتضاعفت المزية والاختصاص، وكانت تجري بحضرته مسائل ومذاكرات، فيأمرني بالخوض مع الجماعة فيها، وأنا بمعزل عن ذلك لا أنطق بحرف واحد، حتى جرى من بعض الأمراء الحاضرين في مجلس سمره من ذكر السلف، (أبو بكر وعمر وعثمان وعائشة). فنهضت وخرجت، فأدركني الغلمان، فقلت: حصة يعتادني وجعها، فتركوني.

وانقطعت في منزلي أياماً ثلاثة، ورسوله في كل يوم والطبيب معه. فركبت بالنهار فوجدته بالبستان المعروف بالمختص، في خلة مع الجلساء فاستوحش من غيبتني وقال: خيراً! فقلت: إنني لم يكن بي وجع وإنما كرهت ما جرى في حقّ السلف وأنا حاضر، فإن أمر السلطان بمنع ذلك، حضرت وإلا فلا، وكان لي في الأرض سعة، وفي الملوك كثرة. فعجب من هذا وقال لي: سألتك بالله؟ ما الذي تعتقده في أبي بكر وعمر؟ قلت أعتقد أنه لولاهما لم يبق الإسلام ولا عليكم، وأنه ما من مسلم إلا ومحبتهما واجبة عليه، فضحك<sup>(١)</sup>.

(١) راجع: النكت المصرية، ص ٤٤.

## الملك الصالح بن رزيك يدعو عمارة لترك التسنن والالتحاق بالشيعة:

ويروى عمارة اليمني، أنه تأخر يوماً عن مجلس الصالح  
طلّاع بن رزيك الأدبي، فأتاه أحد غلمان الصالح بثلاثة أكياس ذهباً  
ورقعة فيها الأبيات التالية:

قل للفقير عمارة يا خير من      أضحى يؤلف خطّة وخطابا  
أقبل نصيحة من دعاك إلى الهدى      قل: حطّة وادخل إلينا البابا  
تلق الأئمة شافعين ولا تجد      إلّا لدينا سنّة وكتابا  
وعليّ أن يعلو محلّك في الورى      وإذا شفعت إليّ كنت مجابا  
وتعجّل الآلاف وهي ثلاثة      صلّة وحقّك لا تعدّ ثوابا  
وهي الإشارة إلى الأكياس الذهب الثلاثة التي أرسلها مع الرقعة.  
فأجابه عمارة<sup>(١)</sup>:

حاشاك من هذا الخطاب خطاباً      يا خير أملاك الزمان نصابا  
لكن إذا ما أفسدت علماؤكم      معمور معتقدي وصار خرابا  
ودعوتهم فكري إلى أقوالكم      من بعد ذلك أطاعكم وأجابا  
فاشدد يديك على صفاء محبّتي      وامنن عليّ وسدّ هذا البابا

## شعر الملك الصالح طلّاع بن رزيك أيضاً:

إنّ أكثر القصائد التي تناقلها المؤرّخون، هي القصائد التي  
أرسلها الملك الصالح لنور الدين محمود زنكي يستحثّه على الوحدة  
الإسلامية لحرب الصليبيين الفرنجة، والقصائد التي أرسلها لصديقه

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الأول، ص ٢٣٢.

الأمير أسامة بن منقذ، أمير حصن شيزر.

كتب الملك الصالح إلى صديقه أسامة بن منقذ يعزّيه بمن مات  
من أهله وصحبه في الزلزلة التي أصابت دمشق سنة ٥٥٢هـ في  
قصيدة جاء فيها<sup>(١)</sup>:

كره الشام أهله فهو محقو      قُبالا يقيم فيه لبيب  
إن تجلّت عنه الحروب قليلاً      خلّفتها زلازل وخطوب  
رقصت أرضه عشية غنى الرعد      في الجو والكريم طروب  
وتثنت حيطانه إذ أمالتها      شمال بزمرها وجنوب  
وأرى البرق شامتاً ضاحك السنّ      وللجوب الغمام قطوب  
ويتساءل الشاعر بن رزيك هل الأرض مذنبة كالإنسان:

أبذنب أصابها قدر الله!      فللأرض، كالآثام ذنوب  
ويعزو السبب لما حل بالقدس      من إرجاس ونجاسة:  
أن هذا لأن غدت ساحة القدس      وما للإسلام فيها نصيب  
منزل الوحي قبل بعث رسول الله      فهو المحجوج والمحجوب  
نزلت وسطه الخنازير والخمر      وبارى الناقوس فيه الصليب  
لورآه المسيح لم يرض فعلاً      ذكروا أنه له منسوب  
ويصف الفرنجة بقوله:

أبعد الناس عن عبادة      رب الناس قومٍ إلههم مصلوب  
ويتأسف على إفراغ الشام من العرب:  
لهف نفسي على ديار من السكان      أقوت وليس فيها عريب

(١) كتاب الروضتين، الجزء الأول، ص ٢٦٧.

والقصائد المذكورة أغلبها في وصف الحرب بين المسلمين والفرنجة، وسنعود إلى ذكر أهمها عند الحديث عن الشعر العسكري في الدولة الفاطمية.

بعد انقراض دولة آل رزّيك تابع صبيانهم أمثال ضرغام وأخوته وشاور بن مجير السعدي عملية احتضان الشعراء والأدباء، ولكنهم لم يكونوا شعراء رغم أنهم عرب أقحاح يعرفون اللغة العربية معرفة حسنة ويقدرّون قيمة الكلمة ووقعها في النفوس.

يروى لنا عمارة كيف انقضّ شاور وأخوته على بني رزّيك فيقول: «ولم يلبث الأمر إلا ريث ما عدّى شاور حتى زالت دولة بني رزّيك، بل إنما زالت دولة مصر بزوالهم».

ويصف وزارة شاور فيقول: «ولم يكن فيها أقبح من قتل الناصر بن الصالح، فإنّها سوّدت ما ابيضّ من عالي قدره» وطلب منه شاور مدحاً فمدحه ورفض أن يذم آل رزّيك وهي عادته: الوفاء لأصحابه - فقال في وزارة شاور:

صحت بدولتك الأيام من سقمٍ      وزال ما يشتكيه الدهر من ألمٍ  
زالت ليالي بني رزّيك وانصرمت      والحمد والذمّ فيها غير منصرم  
كأنّ صالحهم يوماً وعادلهم      في صدرنا الدست لم يقعد ولم يقم  
كنا نظنّ وبعض الظنّ ماثمةٌ      بأن ذلك جمع غير منهزم  
فمذ وقعت وقوع النسر خافهم      من كان مجتمعاً من ذلك الرخم  
والرخم هو الدجاجة البيضاء، وقد شبّه فيها ضرغام وأخوته ملهم وهمام وحسام، لأنهم خانوا الملك العادل رزّيك بن طلائع. فكان ضرغام كل ما يسمع هذه القصيدة «ينقم على هذا البيت ويقول

لعمارة: أنا عندك من الرخم»<sup>(١)</sup>.

ويعتذر منه لوفائه لبني رزيك فيقول:

- ولم يكونوا عدواً نلّ جانبه وإنما غرقوا في سيلك العرِمِ  
- ولو شكرت لياليهم محافظة لعهدا لم يكن بالعهد من قديم  
- ولو فتحت فمي يوماً بذمّهم لم يرض فضلك إلا أن يسدّ فمي  
- والله يأمر بالإحسان عارفة منه وينهي عن الفحشاء في الكلم

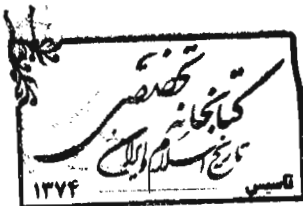
ويخبرنا الفقيه عمارة، أن شاوراً وابنيه شكراه على هذا الوفاء لآل رزيك، ولم يتمتعوا أو يكفأ له حقداً كالأكراد الأيوبيين البعيدين عن اللغة العربية والعرب والعروبة. وقد اعتزّ الفقيه عمارة بعروبته حين خاطب شاور بأحد قصائده:

أنا العربيّ المحض شعراً ومعشراً إذا شان قوم شعرها أو عشيرها  
فلا تسمعوا مدحاً سوى ما أقوله فما يستوى حوّل العيون وحوّرها  
ويصف عمارة علاقته بالوزير ضرغام فيقول: «أحضرنى ليلة إلى قاعة البستان بدار الوزارة، بعد شهرين من وزارته، وكنت خائفاً منه، فوقع في خاطري منه توهمٌ. ولم يزله إلا حسن الإيناس عند الحضور، والاستيحاش من الغيبة. وبسطني وناولني مما بين يديه، بيده، وأمر لي بكيس ذهب وقال لي: أنتم عنوان الجمال. من جالستموه فقد تجمل، فدعوت له، وعملت فيه قصيدة أنشدته إياها في مقام الخليفة بقاعة الذهب منها في صفة الدولة<sup>(٢)</sup>:

همّ الزمان بها فمذكّفتها أضحى يوالي نصرها ويوالي

(١) النكت العصرية، م.س. ص ٧٠.

(٢) النكت العصرية، م.س. ص ٧٥.



وأجبت عادية الفرنج بديهة قبل الروية بارتحال رجال  
ويصف أخوته في الحرب فيقول:

أطفأت جمرتها بإخوتك الأولي يتسنّمون غوارب الأهوال  
لم أدري والتشبيه يقصر عنهم أغيوث نزل أم ليوث نزال  
طالت بأيديهم قصار صوارم باتت بها الأعمار غير طوال  
وهي قصيدة طويلة يصف الوزارة كأنها فصلت على قدر  
ضرغام.

وعن وزارة ضرغام قال عمارة: «كانت مدة وزارته حمل الجنين  
تسعة أشهر سواء» ووصف مقتله بسبب الوزارة بقوله:  
أرى حنك الوزارة، صار سيفاً يحدُّ بحدّه صيد الرقاب  
كأنك رائد البلوى وإلا يبشّر بالمنية والمصاب  
وبعد وزارتي ضرغام وشاور أنت وزارة أسد الدين شيركوه  
وابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين أيوب، أي بدأ الأكراد  
الغز، الذين لا يفقهون اللغة العربية ولا يعرفون منها أكثر ما  
يحتاجون إليه في الحياة اليومية، وكانت هذه الحقبة هي حقبة تقهقر  
الشعر والأدب في كل العالم العربي والإسلامي، حيث «ربخ» الأكراد  
ومن بعدهم المماليك ثم الأتراك العثمانيون على صدر العرب  
والمسلمين وكتموا أنفاس العروبة والإسلام وأوصلوهم لما هم فيه  
الآن من تجزئة وتخلّف.

## الباب الثاني

### المجتمع المصري الفاطمي بقلم الشعراء المصريين

كانت الحقبة التي لمع فيها نجم الدولة الفاطمية من أهم حقبات التاريخ العربي والإسلامي، ففيها ظهر البويهيون الفرس وسيطروا على مقاليد الخلافة في بغداد. وفيها ظهر السلاجقة الأتراك وتركوا بصماتهم على الحياة السياسية والاجتماعية والعسكرية العربية والإسلامية. وفيها اشتدّ الصراع بين العرب والروم اليونانيين حكام بيزنطية، وكذلك فيها بدأ الغزو الصليبي للساحل السوري وفي نهايتها سيطر الأكراد الأيوبيون على الأمة الإسلامية ومزّقوها أي ممزّق.

وهذه الحقبة المليئة بالصراع، لا بد أن تنتج شعراء وأدباء مصريين يواكبون الحدث ويكونون صوتاً وصدى وصورة له. لذلك ازدحمت كتب التاريخ بأسماء هؤلاء الشعراء والأدباء، ولكن أيدي الحرق والتدمير الأيوبي المملوكي، أكملت على البقية الباقية من شعرهم وأدبهم ومدوناتهم، لذلك لم نعد نسمع إلا بأسماء بعض ما سلم من قصائدهم وشعرهم، باستثناء بعض الدواوين، كديوان



عمارة اليمني وديوان ابن هاني الأندلسي، وديوان القاضي الفاضل علي بن عبد الرحيم البيساني، وديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله وديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله بن موسى الشيرازي وديوان ابن قلاقس وابن حيّوس وظافر الحداد الإسكندراني وديوان الملك الصالح طلائع بن رزيك وديوان عبد المحسن السوري. أما بقية الشعراء أمثال الرشيد بن الزبير وأخيه وابن قادوس، وأبي الحسين محمد بن عثمان الفصيح وأبي الفتح منصور، المعروف بالبيني، وعلي بن يحيى المعروف بابن الصقلي، وأبي جعفر محمد بن عمر العباسي وأبي علي صالح بن رشدين وأبي المطاع بن حسن بن حمدان ناصر الدولة، وأبي محمد بن علي بن خيران، وابن الخياط، وابن أخيه أبي الحسن بن عباس بن الخياط، وأبي الطالب السندي الكاتب، وأبي القاسم عبد الرحمن بن أعين، والبطاط، وعلي بن حبيب الدلال، وأبي القاسم عبد العزيز بن أبي الكرام، فقد اختفت دواوينهم ولم نعد نجد لهم إلا بعض القصائد التي أوردها أصحاب كتب الترجمة، كابن سعيد المغربي في كتابه «المغرب في حلي المغرب» وابن خلكان، في كتابه «وفيات الأعيان» أو في كتاب معجم الأدباء، أو الوافي بالوفيات لياقوت الحموي وابن أبيك الصفدي أو في الخريدة للعماد الأصفهاني، أو في يتيمة الدهر للثعالبي، أو في الذخيرة لابن بسام .

وإن وفقنا الله بخبر عن أي واحد منهم، فلا نجد سوى البيت أو البيتين بسبب استعارة مميزة أو تشبيه جميل أو معنى لم يسبق إليه.

## شعر الوصف:

منذ أن وعى الإنسان نفسه وأخذ التفكير بالحياة والموت والطبيعة يسيطر على معتقده، بدأ يتأمل ما حوله من بدائع الكون، فأخذ يعبر عن ما يجيش بخاطره من أحاسيس تجاه هذه البدائع، فرسمها صوراً على جدران الكهوف ونحتها تماثيل، وسكها مسكوكات، ونقشها نقوشاً ومخرّمات، كما وصفها بالكلمة نثراً وشعراً وغناها موسيقى وصوتاً.

والشاعر العربي، إن كان داخل مصر الفاطمية أم خارجها، فهو فنّان مبدع، سار في ركب هؤلاء العباقرة، فرسم ما رأى، وصوّر ما شاهد، ووصف ما أحسّ، فترك في متحف الأدب وعلى صفحات كتبه مقطوعات شعرية ونثرية جميلة. وسوف نرى كيف استطاع شعراء هذه الحقبة نقل الصوت والحركة والنشاط، كما رسموا الحديث واللون والظل، للإنسان والحيوان والأوابد والطبيعة، طبيعة مصر الغناءة، مصر النيل ومصر الأهرامات.

كما وصفوا العادات والتقاليد والأخلاق والطباع من كرم وتبذير وشح وبخل، ووصفوا الدولة والحكام والوزراء والدواوين، والقلم والدواة والشمعة. ووصفوا السيف والحصان والدور والقصور والمؤسسات والجيوش والمعارك والقتل والنهب والإعدامات والانقلابات، والاستعراضات العسكرية والاحتفالات بالأعياد الكثيرة. ولم يتركوا شيئاً من حركة المجتمع المصري في ظل هذه الدولة إلا ووصفوه.

## وصف الطبيعة:

ليس غريباً أن يصف الشعراء المصريون طبيعة مصر، فمصر عندهم «أم الدنيا» بطبيعتها ونيلتها وأثارها وكرم حكامها الأئمة الخلفاء، سليلي العترة النبوية الطاهرة.

فجاء وصفهم على شاكلة مصر، جميلاً لجمالها، متلألئاً يصور حياتهم البهيجة ورسومهم الخالدة، ونعيمهم الذي لم تعرفه أمة من الأمم حتى اليوم، فقد كانت مصر بحضارتها الإسلامية الشيعية، ليس «أم الدنيا» بل جنة الدنيا، مترعة الأنعام، وفيرة الجنان، هادئة العيش، مُستساغة الشراب، وسائد أهلها ناعمة، ينامون الضحى، يعملون ليومهم فقط، لثقتهم بغنى دولتهم وراثتها المنقطع النظير، وبكرم حكامهم، الذين يعملون ليلاً نهاراً لتأمين غذائين حتى الثمالة للشعب المصري: غذاء الروح وغذاء الجسد.

يعتبر ديوان الأمير تميم بن المعز من أهم مصادر ومراجع الوصف للحياة المصرية في العهد الفاطمي، فلم يترك هذا الشاعر صغيرة أو كبيرة في الحياة المصرية إلا ووصفها.  
يقول في وصف الغيم مغطياً الشمس:

أما ترى حركات الريح مُخبِرةً      أن الغمام يصبوب الأرض بالمطر  
فالجو مُلتحفٌ بسطاً مُفوّفةً      كأنهنّ اختلاف الوشى والحَبَر  
كأن برد نسيم الغيم حين بدا      برد ارتشاف حبيب زار في السحر  
وقال يصف التفاح والليمون المتدلّي من بستان عمه الأمير  
حيدرة:

بعثت شبه النهود البارزات وما      تحكى خدود الدمى حسناً وتحميرا

من كل تفاحة زهراء مذهبة كأنها خشيت مسكاً وكافورا  
كانهنّ خدوداً قد لثمن فقد أبقى اللثام بها نقشاً وتأثيرا  
وكلّ ليمونة تحكي بظاهاها لَوْنُ المحبِّ إذا مابات مهجورا  
ووصف بستاناً لوالده الخليفة العزيز فقال:

بسط تخالف صبغها ونسيجها ما بين أصفر كالعقيق وأخضر  
فكان نرجسها عيون أبرزت أجفانها الكنْها لم تنظر  
وشقائق كست الربا من نسجها حُللاً كتضريح الخدود الأحمر  
وقد اشتهر الأمراء الفاطميون برهافة الحس والشفافية وكانوا  
يتبارون ويتسابقون في اقتناء بساتين الورد والفاكهة. وكان الشاعر  
يملك بستاناً حول قصره المسمّى بالمعشوق. قال يصف أزهاره  
ووروده:

يا أيها المعشوق لا فارقت رباك أنواراً وإشراق  
إذا رنان نرجسك المشتهي بأعين فيهنّ إطراق  
وابتسم النسرين من حولها فهو صقيل الثغر برّاق  
واستياس الأس من الملتقى فهو من الرعدة خفاق  
يحفّه نيلوفر سابح في الماء لا يرويه إغراق  
وأخجل الورد بكاء الندى فاحمرّ والحمرة تُستاق  
كأنّما زوّق ما فيك من بدائع الأنوار زواق  
ساويت بين الزهر في نبتته كأنّما لحظك ورّاق  
وقال يصف كرم عنب له:

سقياني على العناقيد فما عصرته الأكفُّ منه قديما  
ما ترى الكرم كيف نضد ياقوتاً وأبدى زمرداً منظوما

يتبدى للعين حَباً ويُخفي  
كنواصي القيان نظماً وكالشهد  
غلطوا حين سموا الكرم كرمًا

### وصف المشمش:

عسلاً في ظروفه مختوما  
مذاقاً وكالعبير نسيماً  
لو أصابوا القياس قالوا الكريماً

يا شجر المشمش لا أصبحت  
يا حسنه من شجر أينعت  
كأنما جمّشه عاشقٌ

منك ربا البستان مستوحشه  
أغصانه واحتملت مشمشه  
فأضفرّ خوفاً منه إن جمّشه

وإرى بين ورد البساتين الطبيعي وورد خدود حبيبته فأظهر

تأثير كل منهما في النفس:

ورد الخدود أرقّ من  
هذاتن شقه الأنوفُ  
وإذا عدلت فافضل الوردين  
لا ورد إلا مات وولّى  
هذائشّم ولا يضمّمُ  
سبحان من خلق الخدود  
وأعارها الأصدغ فهي  
واستنطق الأجفان فهي  
وتبين للمحبوب عن سرّ  
وتشير إن رأت الرقيب  
وأعارها مرضاً تصحّ به  
فئن العيون أجلّ

ورد الرياض وأنعمُ  
وذايقبّ له الفم  
وردٌ أرقّ من  
صبغ حمرة الدم  
وذايضمّمُ ولا يشّمُ  
شقائقتن نسّمُ  
بهاشقيق معلّمُ  
بلحظها تتركلمُ  
المحبّ في فهم  
بلحظها فتسأمُ  
القلوب وتسقمُ  
من فتن الخدود وأعظمُ

وكان بستان البعل من أملاك الأفضل بن بدر الجمالي وكان من أهم منتزهات القاهرة، وكان مجلس الأفضل فيه في منتصف هذا البستان، فيه بركة وساعة وتجري فيه قناة تشقّه من جهتين تستقي ماءها من نهر النيل. وصفها الشاعر الإسكندراني ظافر الحداد بقوله<sup>(١)</sup>:

انظر إلى المجلس الأعلى وما جمعت      فيه سعادة مولانا من المُلحِ  
جاءت به حِكْمُ الصنّاع معجزة الدنيا      فأصبح فيها خير مُقترح  
له بياض يغضّ الطرف لامعه      فالعين تلحظ منه الحسن في المَلحِ  
كأنه خَلَلَ الأشجار لؤلؤة      نَظْمُ الزمردٍ فيها غير منفسح  
كأنما النهر فيها سيف مرتعش      بروحه بين مقبوض ومطَّرَحِ  
يلقي إلى البركة الغنّاء فائضه      ماء يشفّ شفيف الخمر في القدح  
حكّت سماءً ولون الزهر يشملها      قوس الغمام الذي ينمى إلى قُزح  
لا سيّما كلّمها ب النسيم بها      وغنّت الطير في الأصال والصبح  
ووصف أبو محمد الحسن التنيسي المعروف بابن وكيع الفصول  
الأربعة في مصر، فقال في الصيف<sup>(٢)</sup>:

أما المصيف فاستمع ما فيه      من فطن يفهم سامعيه  
نصل من الدهر إذا قيل حضر      أذكرنا بحر نار من سُقر  
تبصر فيه النبات مقشعرا      والأرض تشكو حرّه المضرا

(١) ديوان ظافر الحداد، ابن الإسكندرية، ط ١، مصر، القاهرة، طبعة مكتبة مصر، لا تاريخ، ص ٨١.

(٢) بيتية الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، الجزء الأول، ط ٢، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٩٥١، ص ٣٧٩.

نهاره مقسّم بين قسم جميعها يعاب وعندى يُذم  
أوله فيه ندى مبالغض كأنه على القلوب يقبض  
يلصق منه الجسم بالثياب وتعلق الأذيال بالتراب  
ويصف نهار الصيف بعد طلوع الشمس وحرارته في مصر  
فيقول:

حتى إذا ما طردته الشمس وفرحت بأن يزول النفس  
فتحت النار له أبوابها وشبّ فيها مالك شبابها  
حرّ يحيل الأوجه الغرانا حتى ترى الروم بها حُبشانا  
يعلّوبه الكرب ويشتدّ القلق وتنضح الأبدان منه بالعرق  
ويصف طعم الماء في صيف القاهرة فيقول:

ثم يعيد الماء ناراً حاميه تزيد في كرب القلوب الضاويه  
شاربه يكرع في حميم كأنه من ساكني الجحيم  
ويصف ليل القاهرة صيفاً:

حتى إذا عنا انقضى نهاره وأرخيت من ليله أستاره  
تحركت في جناحه دواهي سارية وأنت عنها ساهي  
من عقرب يسعى كسعي اللص سلاحها من إبر كالشخص  
وحية تنفث سمّاً قاتلاً تزود الملدوغ حتفاً عاجلاً  
ويصف الملاريا التي تصيب شارب الماء صيفاً:

فإن أردت الشرب في إبانه على الذي وصفته من شأنه  
ابشر بما شئت من الصداع فضلاً عن التهويس والصّداع  
وعلّل تعجز إحصاء العدد من جرب ومن دوار ورمّد  
وبعد حمى الكبد لا تنساه لأنّه أول ما تلقاه

وقال يصف الخريف:

حتى إذا زال أتى الخريف  
أهوية تسرع في كل الجسد  
يخشى على الأجسام من آفاته  
لا يمكن الناس اتقاء شره  
تبصره مثل الصبي الأرعن  
فصل بكل سؤة معروف  
وهو كطبع الموت يبساً وبرد  
فأرضه قرعاء من نباته  
من اختلاف برده وحره  
في كثرة التغيير والتلون

ووصف الشتاء فقال:

حتى إذا ما أقبل الشتاء  
يأتيك في إبانه رياح  
يحدث من أفعالها الزكام  
ثم يليها مطر مداوم  
وربما خرّ عليك السقف  
حسبك أن تندسّ في اللحاف  
حتى إذا ملت إلى الرقاد  
جاءتك منه غمّة غمّاء  
ليس على لاعنها جناح  
هذا إذا ما فاتك الصدام  
كأنه خصم لنا ملازم  
وإن عفا عنك أتاك الوكف  
وخشية البرد على الأطراف  
نمت على فرش من القتاد

وقال في الربيع:

جاء إلينا زمن الربيع  
لبرده وحره مقدار  
عدل في أوزانه حتى اعتدل  
نهاره من أحسن النهار  
وليله مستلطف النسيم  
فيه تظلُّ الطيرُ في ترنُّم  
هذا وفيه للرياض منظرٌ  
فجاء فصل حسن الجميع  
لم يكتنف حدهما الإكثار  
وحُمد التفصيل منه والجُمَل  
في غاية الإشراق والإسفار  
مُقومٌ في أحسن التقويم  
حاذقة في اللحى لم تُعلم  
يفشي الثرى من سرّها ما يضمّر



فيه ضروب للنبات الغضُّ      يحكى لباس الجنديوم العرض  
من نرجس أبيض كالثغور      كأنه مخانق الكافور  
وروضة تزه من بنفسج      كأنها أرض من الفيروزج  
أما ترى أترججه ما أحسنه      يختال في غلائل مبيّنه  
وارم بعينيك إلى البهار      فإنه من أحسن الأنوار

### ليس الصيف جنة والشتاء جهنم:

رغم أن الصيف هو المشهور بحرّه وحرارته وأن جهنم وصفت  
بأنها نار السعير ولا مجال فيها للبرد والقرّ لكن الشاعر المصري  
ابن قلاقس يفضل صيف مصر على شتائها فيقول<sup>(١)</sup>:

يا من ترى فصل الشتاء على المصيف كما تَحَكَّمُ  
ما ذاك عندي جنّة فيكون ذا عندي جَهَنَّمُ  
اسمع هما ملكان كلّ في ولايته مُعْظَمُ  
ولكل ملكٍ منهما مُتَسَلِّمٌ يأتي مُقَدَّمُ  
يأتي الربيع عن المصيف وفضله ما أنت تَعْلَمُ  
وترى الخريف عن الشتاء وليس يسلم من تَسَلَّمَ  
والعبد في أفعاله عن خلق سيّده يُتَرْجَمُ  
فصل المصيف كما رأيت أقلّ تكليفاً وأرحم

فالصيف ملك، ووزيره الربيع وهو على شاكلته رحيم مثله، كما  
أنّ فصل الشتاء ملك ووزيره الخريف وهو مزعج على شاكلته.

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ٥١٧.

## الغيم يبكي مطراً خوفاً من البرق، والرعد يصيح خوفاً منه:

قال ابن قلاقس يصف البرق والرعد والغيم في صورة شعرية فريدة من نوعها<sup>(١)</sup>:

كأنما الرعد والسحاب وقد جَدَّ هبوباً والبرق إذ لاحا  
ثلاثة من عَدُوِّهِمْ نفروا إليهم قد غدا وقد راحا  
فسلَّ هذا سيفاً له وبكى هذا وهذا من خيفة صاحا  
وقال ابن الصقلي يصف الشمس<sup>(٢)</sup>:

والشمس تطلع تارة في أفقها وتغيب أونة عن الأبصار  
وكانما قطع الغمام دونها بُلُقُ الجياد تسير بالأمهار  
حتى إذا اتصلت وأرزم رعد لها وبكت بدمع جفونها المدرار  
وقال ابن قلاقس في وصفها:

انظر إلى الشمس فوق النيل غاربة وانظر لما بعدها من حمرة الشفق  
غابت وألقت شعاعاً منه ي خلفها كأنما احترقت بالماء في الغرق  
وللهلال، فها وافي لينفذها في أثرها زورق قد صيغ من ورق  
وقال القاضي، أبو محمد عبد الله بن النعمان يصف الهلال وهو  
ابن ستة أيام<sup>(٣)</sup>:

انظر إلى حسن ذال الهلال وقد بدا لِسْتٌ مضيئ من عُمرِه  
وقد أطافت به كواكبه حُسناً فبيّنته لمعتبره  
مثل زناد قد صيغ من ذهب يقدح ناراً وهُنُّ من شرّره

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ٢٩٠.

(٢) أخبار مصر في سنتين، ص ٨٦.

(٣) بيتية الدهر، الجزء الأول، م.س. ص ٤٠٢.

ثم تولى يريد مغربه في شفق الشمس وهي في أثره  
فخلته غائصاً في بحر دم يقذف بالرائعات من دُرِّه  
ووصف أبو الفتح ابن قادوس الدمياطي جزيرة الروضة فقال:

أرى سرح الجزيرة من بعيد كأحداث تغازل في المغازل  
كأن مجرة الجوز أحاطت وأثبتت المنازل في المنازل  
وقال ظافر الحداد يصفها أيضاً<sup>(١)</sup>:

انظر إلى الروضة الغناء والنيل واسمع بدائع تشبيه وتمثيل  
وانظر إلى البحر مجموعاً ومفترقاً هناك أشبه شيء بالسراويل  
والريح يطويه أحياناً وينشره نسيمها بين تفريك وتعديل  
ووصف أحد الشعراء المصريين بستاناً في القاهرة فقال<sup>(٢)</sup>:

لأه بستان وما قضيت فيه من المآرب  
لهفي على زمني به والعيش مخضراً الجوانب  
فيروقني والجومنه ساكن والقطر ساكب  
ولكم بكرت له وقد بكرت له غر السحائب  
والطل من أغصانه يحكى عقوداً في ترائب  
وتفتحت أزهاره فتأرجحت من كل جانب  
وبدا على جنباته ثمركاً ذئاب الثعالب  
وكان ما أصاله ذهب على الأوراق ذائب  
فهناك كم ذهبية لي في الولوع بها مذهب

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢٥٢.

(٢) قصة الحضارة، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران، المجلد الرابع، الجزء الثاني، ط ٢، القاهرة، جامعة الدول العربية سنة ١٩٦٤، ص ٣٢٦.

وقال الأمير تميم بن المعز يصف ارتفاع النيل:

انظر إلى النيل قد عبأ عساكره من المياه فجاءت وهي تستبق  
كانَ خلجانُه والماء يأخذها مدائن فُتحت فاجتازها الغرقُ  
كانَ ماء سواقيه لناظرها شهب الخيول إذا ما قسّمها العنقُ  
وقال الشاعر الإسكندري نصر الله بن علي الأزهري يصف البحر  
ومشقات السفر:

لولم يُحرم على الأيام إنجادي وواصلت بين إتهامي وإنجادي  
طوراً أسير مع الحيتان في لُجج وتارة في الفيافي بين أسارِ  
والناس كثراً ولكن لا يقدر لي إلا مرافقة الملاح والحادي  
ووصف ابن قلاقس السفينة التي أقلته من صقلية إلى  
الإسكندرية فأحسن الوصف:

أقلعت والبحر قد لانت شكائمه جداً وأقلع عن موج وإزباد  
وقدر أريت به الأشراف قائمة لأن أمواجه تجري بأطواد  
تعلو فلولاً كتاب الله صح لنا أن السموات منها ذات أعماد  
ونحن في منزل يُسرَى بساكنه فاسمَعُ حديث مقيم بيته غاد  
حتى كأننا وكف النوّ تعلقنا دراهم قلبتها كف نقاد  
وإنما نحن في أحشاء جارية كأنما حُمّلت منا بأولاد  
فلا تعدّوا لنا يوم السلامة إن حزنا السلامة إلا يوم ميلاد  
وقال الأمير تميم يصف صوت ناعورة:

ناعورة أنت أنين الهوى لما شكت حرّ وساويسها  
أنينها حرّة تدويرها ومعها ماء قواديسها  
كأنما الكيزان في بئرها هام ملوك في نواويسها  
تقذف بالماء إلى روضة كأنها ريش طواويسها

وقال في وصفها أيضاً:

وصامتة ناطقه  
تئنّ بلا زفرة  
كانّ قواديسها  
فأجسامها وئيب  
تردد من موتها  
مغنيّة تارة  
بألفاظها شائقه  
ولا كبد خافقه  
لها أبدأ وأماقه  
وأدمعها دافقه  
لحوناً لها رائقه  
وزامرة حاذقه

ووصفها أيضاً فأنطقها وجعلها من بني الإنسان تحبّ وتكره

وتفرح وتبكي وتسكت وتغنيّ فقال:

وناطقة كلّما حُرّكت  
تئنّ إذا دارد ولا بها  
وتبكي وليست بمحزونة  
فتنطق بالصوت لا من فم  
كانّ لها ميتاً في الثرى  
إذا زمّرت أطربت نفسها  
غناء يرقصّ كيزانها  
فتهوي فوارغ في بئرها  
وليست بناطقة في السكون  
فتطرب سامعها بالأنين  
بكاء المحبّ الكئيب الحزين  
وتقذف بالدمع لا من جفون  
فأدمعها همّع في كل حين  
فغنت بمختلفات اللحون  
ويظهر فيهن وثب المّجون  
وتصعد منها ملء العيون

وصف نافورة ماء:

وقال الأمير تميم يصف نافورة:

وقاذفة بالماء في وسط بركة  
إذا قذفت بالماء سلّته مُنصّلاً  
قد التحفت وحفاً من الشّعْر سَجْسَجَا  
وعاد عليها ذلك النصل هو دجا

كَأَنَّ عَيُونَ الْعَاشِقِينَ تَعِيرُهَا      مِنْ الدَّمْعِ سَجَلاً صَافِياً مُضَرَّجاً  
تَخَالَ بِرُوزِ الْمَاءِ مِنْ جَفَنِ عَيْنِهَا      قَضِيبٌ لَجِينٌ سُلٌّ مِنْهُ دَمَلَجَا  
تَحَاوَلُ إِدْرَاكَ النُّجُومِ بِقَذْفِهِ      كَأَنَّ لَهَا قَلْباً عَلَى الْإَفْقِ مَحْرَجَا  
- الْوَحْفُ مِنَ الشُّعْرِ: الْكَثِيفُ - السَّجْسَجُ: الْمَعْتَدِلُ - الْمَنْصَلُ  
السِّيفُ - السَّجَلُ: الدُّلُو -

### وصف الأهرام:

وقال عبد الوهاب بن الحسن بن جعفر الحاجب في وصف  
الأهرام<sup>(١)</sup>:

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمِينَ إِذْ بَرَزَا      لِلْعَيْنِ فِي عُلوِّ وَفِي صَعْدِ  
وَكَأَنَّهَا الْأَرْضُ الْعَرِيضَةُ قَدْ      ظَمِنَتْ لَطُولَ حَرَارَةِ الْكَبْدِ  
حَسَرَتْ عَنِ الثَّدِيِّينَ بَارِزَةً      تَدْعُو إِلَهَ لِفِرْقَةِ الْوَلَدِ  
فَأَجَابَهَا بِالنَّيْلِ يَتَّبِعُهَا      رِيّاً وَيَنْقِذُهَا مِنَ الْكَمْدِ  
وقال أمية بن أبي الصلت المصري يصفهما<sup>(٢)</sup>:

بِعَيْنِكَ هَلْ أَبْصَرْتَ أَعْجَبَ مَنْظِراً      عَلَى مَا رَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْ هَرَمِي مِصْرَ  
أَنْفَاً بِأَعْنَاقِ السَّمَاءِ فَأَشْرَفَا      عَلَى الْجَوِّ إِشْرَافَ السَّمَاءِ أَوْ النَّسْرِ  
وَقَدْ وَافِياً نَشَزَا مِنَ الْأَرْضِ عَالِياً      كَأَنَّهُمَا نَهْدَانِ قَامَا عَلَى صَدْرِ  
وقال سيف الدين بن جبارة يصفهما:

أَنْظُرْ إِلَى الْهَرَمِينَ وَاسْمَعْ مِنْهُمَا      مَا يَرُويَانِ عَنِ الزَّمَانِ الْغَابِرِ

(١) الخطط المقرزية، الجزء الألال، ص ١٢١.

(٢) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقرّي التلمساني الجزء الثالث، ط ١، بيروت دار  
صادر سنة ١٩٨٨، ص ٣٣٢.

وانظر إلى سر الليالي فيهما      نظراً بعين القلب لا بالناظر  
لو ينطقان لخبرانا بالذي      فعل الزمان بأولٍ وبآخر  
وقال عمارة اليميني في وصفهما<sup>(١)</sup>:

خليلي هل تحت السماء بُنيَّةٌ      تماثل في اتقانها هرمي مصرِ  
بناء يخاف الدهر منه وكلُّ ما      على ظاهر الدنيا يخاف من الدهرِ  
تنزّه طرفي في بديع بنائها      ولم يتنزه في المراد بها فكري

### وصف أبي الهول:

وقال ظافر الحداد في وصف أبي الهول<sup>(٢)</sup>:

تأمل هيئة الهرمين وأعجب      وبينهما أبو الهول العجيب  
كسَمَارِيْبِتْنٍ عَلَى رَحِيل      بمحبوبين بينهما رقيب  
وماء النيل تحتها دموع      وصوت الريح عندهما نحيب  
وظاهر سجن يوسف مثل صبِّ      تخلف فهو محزون كئيب

### وصف منارة الإسكندرية:

ووصف الشاعر ابن قلاص منارة الإسكندرية فقال:

ومنزل جاوز الجوزاء مرتقباً      كأنما فيه للنسرين أوكار  
راسي القرارة سام الفرع في يده      للنون والنور أخبار وإخبار  
وقال ظافر الحداد في وصفها ووصف مرفأ الإسكندرية<sup>(٣)</sup>:

(١) النكت العصرية، م.س. ص ٢٧٩.

(٢) خريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٧.

(٣) ديوان ظافر الحداد، ابن الإسكندرية. ص ٢٧.

وفي الإسكندرية لي فؤادٌ  
مضت لي في جزيرتها ليالٍ  
كانَ البدر فيها عينُ ماءٍ  
تجاوزها منارتها وفيها  
فتاةٌ غادة بإزاء شيخ  
وسيف خليجها كالسيف حدًّا  
يمدّ مدى تَقَلُّبٍ بالمجاري  
وإيقاع الضفادع فيه عالٍ  
وتكسوه الرياح دروعَ حربٍ  
وبحر الملح مثل الفحل يرغو  
وتحسب سفنه صفةً ولوناً

له في مصر جثمان خرابٌ  
لآلٍ هُنَّ لوقيل الصوابُ  
لها من فائض النور انسكابُ  
وفي فانوسها عَجِبَ العجابُ  
قصير طال بينهما العتاب  
وفي أرج الرياح له اضطراب  
وليس لمدينة منها قراب  
وللدولاب زمر واصلطخاب  
ولا طعنٌ هناك ولا ضرب  
ويزبد حين يقلقه الهباب  
خيولاً حين يرفعها العبابُ

### وصف باب زويلة:

ووصف علي بن محمد النيلي باب زويلة بقوله<sup>(١)</sup>:

يا صاح لو أبصرت باب زويلة  
باب تأزر بالمجرة وارتدى  
لو أن فرعوناً بناه لم يرد  
لعلمت قدر محلّه بنيانا  
الشعري ولات برأسه كيوانا  
صرحاً ولا أوصى به هامانا

وباب زويلة كان قد بناه الخليفة العزيز بالله نزار بن المعز سنة

٣٨٤هـ، وقد بناه مع باب الفتوح وباب النصر.

(١) ديوان الشاعر ابن أبي حصينة المعري، الجزء الأول، ص ٢٢٨.



## وصف النيل والفسطاط:

قال الشاعر ابن أبي حصينة المعري يصف منظر النيل الزاخر والفسطاط دونه<sup>(١)</sup>:

أقول وقد أشرفت ذات عشيّة على النيل من إحدى الهضاب الشواهد  
ومن دونها فسطاط مصر وزاخرٌ كأنّ بشطيّه مسوك الخرانق

## وصف الزلزلة:

وقال المهذب بن الزبير في وصف الزلزلة:

رَوَعْتَنَا زَلْزَلًا زَلَّ حَادِثَاتٍ بِقَضَاءِ قَضَاءِ رَبِّ السَّمَاءِ  
هَدَمَتْ حَصْنَ شَيْزِرٍ وَحِمَاةَ أَهْلِكَ أَهْلَهُ بِسُوءِ الْقَضَاءِ  
وَبِلَادٍ أَكْثِيرَةٍ وَثَغُورًا وَحِصُونًا مَوْثِقَاتِ الْبِنَاءِ  
فَإِذَا مَارَنْتِ عَيُونَُ إِلَيْهَا أَجْرَتِ الدَّمْعَ عِنْدَهَا بِالدَّمَاءِ  
ووصف أسامة بن منقذ صاحب حصن شيزر وصديق الوزير

الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك الزلزلة فقال:

يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ أَرْحَمَ عِبَادِكَ مِنْ هَذَا الزَّلْزَلِ فِيهِ الْهُلْكَ وَالْعَطْبُ  
مَا جَتَ بِهِمْ أَرْضُهُمْ حَتَّى كَانَتْهُمْ رَكَابَ بَحْرٍ مَعَ الْأَنْفَاسِ تَضْطَرِبُ  
فَنَصَفَهُمْ هَلَكُوا فِيهَا وَنَصَفَهُمْ لِمَصْرَعِ السَّلَفِ الْبَاقِينَ يَرْتَقِبُ  
تَعَوُّضًا مِنْ مَشِيدَاتِ الْمَنَازِلِ بِالْأَكْوَاحِ فِيهَا قُبُورُ سَقْفِهَا خَشْبُ  
كَأَنَّهَا سَفْنٌ قَدْ أَقْبَلَتْ وَهُمْ فِيهَا فَلَامِلُجًا مِنْهَا وَلا هَرْبُ  
وقد أرسل إليه صديقه الملك الصالح ابن رزيك قصيدة يعزيه فيها وكنا قد أشرنا إليها سابقاً.

(١) ديوان الشاعر ابن أبي حصينة المصري، الجزء الأول، ص ٢٢٨.

## وصف كسوف الشمس:

وقال الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي، وزير الخليفة  
الظاهر في وصف كسوف الشمس<sup>(١)</sup>:

قالوا كسوف الشمس مقتربٌ قلت أدخرت لدفع نائبها  
ثقتي بكاسفها وكاشفها وبفضل ما حياها وكاسبها  
من لو يشاء أعاد مشرقها متبسّمالك من مغاربها  
هي شعلة من نوره فإذا ماشاء أظلم أو أضاء بها

وقال الأمير تميم يصف سنبله مسدّسة، وأفضل السنابل في  
صقعنا العاملي هو الحبّ المسدّس والسنبله عادة تأتي على ثلاث  
زوايا، ولكن هذه السنبله جاءت على ست زوايا، فتفائل بها خيراً  
وأرسلها لعجب منظرها إلى أخيه الخليفة العزيز مع باقة من سوسن  
أحمر بقصيدة يصفها ويصف السوسن جاء فيها:

إنّي بعثت طريفاً وهي سنبله تمّت فتمّ لرائبها الأعاجيب  
وسوسناتمّ مرآه ومخبره فقد تكامل فيه الحسن والطيب  
كأنه مغمّم بالكفّ متّصل له بنان من الحنّاء مخضوب  
وقد تفاءلت فيه أنّ باكره بكور عزك ما في ذاك تكذيب  
وأنتها سنة جاءت مباركة تدين فيها لك الزوراء والنوب  
ويلاحظ القارئ أنّ هم الاستيلاء على بغداد كان شغلهم

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، الجزء الثامن، ط ١، بيروت، دار  
صادر سنة ١٩٧٠، ص ٥٠٩.

الشاغل، فحتّى في وصف السنبلّة والسوسن، لم ينس الأمير تميم أن يتمنى للخليفة العزيز أن تتم له السيطرة على الزوراء = بغداد.

### وصف باشق:

وقال الأمير تميم يصف باشقاً استهداه للصيد:

قد عزمنا على التصيّد والنزهة      والصيد في التنزّه فضلُ  
فيه ضرب من السياسة والعزم      وفيه للحزم عَقْدٌ وَحَلُّ  
ولدينا من الجوارح للطير      ضروب فهنّ للطير قِثْلُ  
ولديك البواشق اللآءِ قدر حن      كما رُحِتَ ما لفضلك مِثْلُ  
فتفضّل بباشق كلّ ما فيه      جناح ومخلبٌ فيه نصل  
طالما طارد السمانيّ وأضحى      دما وهو تحت رجله نعل  
وافر الدست مرهف الريش لولا      صدره لم يكن له منه ثِقْلُ  
واقتراحي له عليك لعلمي      أنّني مخلصٌ لديك مُدِلُّ

### وصف الاحتفالات بأخذ مقياس النيل أو فتح الخليج:

كنا قد أشرنا إلى أن الفاطميين كانوا قد أوجدوا مؤسسة رسمية لها موظفوها وعمالها، مهمّتها، كنس مجاري النيل والاهتمام بمعرفة مدى ارتفاع ماء النيل عند بلوغه في كل سنة، وإذاعة النتيجة على الناس، وأثر نتيجة ارتفاعه أو انخفاضه على الحياة الاقتصادية. لذلك كان الخلفاء الفاطميون، يعمدون إلى إقامة الاحتفالات السنوية بفتح الخليج أو بأخذ المقياس، وكانت تستمر هذه الاحتفالات أربعة أيام يحضرها الخليفة والوزير وكبار القواد ورؤساء الدواوين والقضاة

والدعاة والناس. وكان الخلفاء أعدوا لهذا الاحتفال «منظرة» ينظرون منها إلى طريقة تنفيذ فتح القنوات المتصلة بعمود المقياس لمعرفة مدى الارتفاع. كما كنت قد أشرت إلى إقدام أحد أصحاب الأملاك المشرفة على الخليج على إقامة مدرج للفرجة بالأجرة.

كتب ابن الطوير يصف احتفالات فتح الخليج وأخذ مقياس ارتفاع النيل فقال:

ولوفاء النيل عند الفاطميين قدر عظيم يبتهجون به ابتهاجاً زائداً. وذلك لأنّ به عمارة الديار المصرية، وبه التثام الخلق على فضل الله، فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتمّ بأموره اهتماماً عظيماً أكثر من كل المواسم، فإذا أصبح الصبح هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبي الرّداد إليه بالوفاء أو وصوله إلى المقياس المطلوب: يتابع ابن الطوير ويصف عملية المراقبة اليومية لارتفاع النيل من قبل مدير مؤسسة المقياس ابن أبي الرّداد فيقول: وإذا أذن الله، سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك، طالع ابن أبي الرّداد بما استقرّ عليه أذرع القاع في اليوم الخامس والعشرين من بؤونة، ويعلم بمطالعه الزيادة كل يوم بيوم، ولا يزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك، لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير، فإذا انتهى إلى ذراع الوفاء وهو السادس عشر، إلى أن يبقى منه إصبع أو إصبعان، وعلم الخليفة ذلك، أمر أن يحمل إلى المقياس عشرة قناطير من الخبز السميد وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلوى وعشر شمعات، ويأمر بالمبيت في تلك الليلة بالمقياس، فيحضر إليه القرّاء والمتصدّرون بالجوامع بالقاهرة

ومصر، ويوقدون الشمع من العشاء وهم يتلون القرآن برفق  
ويطربون بمكان التطريب، فيختمون الختمة الشريفة<sup>(١)</sup>.

ويصف لنا ابن الطوير طريقة خروج الخليفة من القصر إلى  
منظرة الخليج واستقراره فيها مدة أربعة أيام وطريقة نصب خيمة  
القاتول التي تبلغ مساحتها عشرة آلاف متر مربع للأمراء والوزراء  
والأعيان وكبار الموظفين وقادة الجيوش، ويبقى المجتمع المصري  
قيادة وشعباً في هرج ومرج ودعة ونثر الذهب كالأرز على الناس  
والقرءاء والمؤذنين والعساكر والموظفين طيلة الأيام الأربعة.

والشعراء وهم من النخبة والصفوة في مجتمع مصر الفاطمية،  
وحضورهم في هكذا احتفال وكل احتفال وموكب لا بدّ منه، بل لا  
مفرّ.

يصف ابن الطوير حضور الشعراء وما قالوا من شعر تبارياً في  
وصف احتفالات فتح الخليج وأخذ مقياس النيل فقال: «والقرءاء  
يقرأون القرآن ساعة زمانية، فإذا ختموا قراءتهم، استأذن صاحب  
الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق في هذا اليوم، فيأمر  
الخليفة بتقديمهم واحداً بعد واحد، ولهم منازل على مقدار أقدارهم،  
فالواحد يتقدّم الواحد بخطوة بالإنشاد وهو أمر معروف عند  
مستخدم يقال له النائب.

فتقدّم شاعر يقال له ابن جبر وأنشأ قصيدة منها:

فتح الخليج فسال منه الماء وعلت عليه الراية البيضاء

---

(١) راجع: نزهة المقلتين، م.س. ص ١٩١.

فصفت موارده لنافكائه كفاً الإمام فعرفها الإعطاء  
فانتقد الناس عليه في قوله: «فسال منه الماء» وقالوا: «أي شيء  
يجري من البحر غير الماء، فضيع ما قاله بعد هذا المطلع»<sup>(١)</sup>  
- والكلام لابن الطوير -.

وتقدم الشاعر مسعود الدولة بن حُرَيز فقال:

ما زال هذا السدّ ينظر فتحه      إذن الخليفة بالنوال المرسلِ  
حتى إذا برز الإمام بوجهه      وسطاً عليه كلُّ حاملٍ معولِ  
فجرى كأنّ أديف فيه عنبر      يعلوه كافور بطيب المنديلِ  
«فانتقدوا عليه أيضاً قوله في البيت الثاني وقالوا: اهلك وجه  
الإمام بسطوات المعاول عليه، وإن كان قد فتح السدّ بالمعاول، لكن  
ما كان نظمه إلا قلقاً».

ثم تقدّم الشاعر كافي الدولة أبو العباس أحمد وأنشد قصيدة  
شهد له جماعة منهم القاضي الأثير بن سنان، أنّه عملها بحضوره  
بداهةً. ومما جاء فيها:

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد      للنيل أم لك يا ابن بنت محمّد  
أم لا اجتماعكما معاً في موطن      وافيتما فيه لأصدق موعد  
ليس اجتماع الخلق إلا للذي      حاز الفضيلة منكما في المولد  
شكروا الكلّ منكما الوفائه      بالسعي لكن ميلهم للأجود  
ولمن إذا اعتمد الوفاء ففعله      بالقصد ليس له كمن لم يقصد  
هذا يفي ويعود ينقص تارة      وتسدّ أنت النقص إن لم يزيد

(١) م.س. ص ١٩٩.

وَقُوَاهُ إِن بَلَغَ النِّهَآئَةَ قَصَّرَتْ      وَإِذَا بَلَغْتَ إِلَى النِّهَآئَةِ تَبْتَدِي  
وَالآنَ قَدْ ضَاقَتْ مَسَالِكُ سَعِيهِ      بِالسِّدِّ فَهُوَ بِهِ أَخَالُ مَقِيدٍ  
فَإِذَا أُرِدْتَ صِلَاحَهُ فَافْتَحْ لَهُ      لِيَرَى جَنَابًا مَخْصَبًا وَتَرَى نَدِي  
وَأَمْرٌ بِفِصْدِ الْعِرْقِ مِنْهُ فَمَا شَكَأ      جِسْمٌ فَصَحَّ الْجِسْمُ إِن لَمْ يُفْصَدِ  
فَأَمْرٌ لَهُ الْخَلِيفَةُ عَلَى الْفُورِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا وَخَلَعَ عَلَيْهِ، وَزَيْدٌ فِي  
جَارِيهِ (رَاتِبُهُ)»<sup>(١)</sup>.

وَإِذَا رَاقَبْنَا هَذِهِ النُّصُوصَ نَجِدُ أَنَّ الشَّعْبَ الْمِصْرِيَّ يَتَذَوَّقُ الشَّعْرَ  
وَيَنْقِذُهُ، وَقَدْ أَشْرْنَا إِلَى انْتِقَادِ النَّاسِ لِلشَّاعِرِ الْأَوَّلِ وَالشَّاعِرِ الثَّانِي،  
كَمَا أَشَارَ ابْنُ الطَّوِيرِ إِلَى أَهْمِيَةِ الشَّعْرِ وَالشَّعْرَاءِ فِي الْحَيَاةِ الْيَوْمِيَّةِ  
الْمِصْرِيَّةِ. وَوَصَفَ الشَّاعِرُ ابْنَ قَلَاقِسَ نَهْرِ النَّيْلِ وَانْعَكَاسَ أَشْعَةِ  
الشَّمْسِ عَلَى مَائِهِ فَقَالَ<sup>(٢)</sup>:

انظُرْ إِلَى الشَّمْسِ فَوْقَ النَّيْلِ غَارِبَةً      وَانظُرْ لِمَا بَعْدَهَا مِنْ حَمْرَةِ الشَّفَقِ  
غَابَتْ وَأَلْقَتْ شِعَاعًا مِنْهُ يَخْلِفُهَا      كَأَنَّمَا احْتَرَقَتْ بِالْمَاءِ فِي الْعَرَقِ  
وَلِلْهَلَالِ فَمَا وَافَا لِيَنْفِذُهَا      فِي أَثْرِهَا زُورِقٌ قَدْ صَيَّغَ مِنْ وَرَقِ  
وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ مُحَمَّدُ بْنُ الْوَزِيرِ يَصِفُ رِبْطَ عَمَلِيَّةِ زِيَادَةِ النَّيْلِ  
بِالْوَضْعِ الْاِقْتِصَادِيِّ:

أَرَى أَبْدَأَ كَثِيرًا مِنْ قَلِيلِ      وَبَدْرًا فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ هَلَالِ  
فَلَا تَعْجَبْ فَكُلَّ خَلِيْجِ مَاءِ      بِمِصْرٍ مُسَيَّبٍ بِخَلِيْجِ مَالِ  
زِيَادَةُ أَصْبَعٍ فِي كُلِّ يَوْمِ      زِيَادَةُ أُنْزَعٍ فِي حَسَنِ حَالِ

(١) نَزْمَةُ الْمُقَلَّتَيْنِ، ص ٢٠١.

(٢) الذَّخِيرَةُ فِي مَحَاسِنِ أَهْلِ الْجَزِيرَةِ، الْجُزْءُ الثَّامِنُ، ص ٦٦٠.

وفي قصيدة مدح فيها الفقيه عمارة الخليفة العاضد واصفاً  
احتفال فتح الخليج بقوله: مبتدءاً بوصف المنظرة التي يقف فيها  
الخليفة للفرجة:

حتى حلت رواق عالية الذرى      أمست ذرى الهرمين عنها تقصر  
شبّتها والنيل يجري تحتها      بالخلد أجري في ذراها الكوثر  
وإذا اختصرت القول في تشبيها      فكأنها الفلك المحيط مَصَوَّر

ويصف احتفالات « فتح الخليج » فيتابع قائلاً:

شَرَفَتْ أمير المؤمنين مواسم      أضحت تُورِّخُ باسمكم وتُسَطَّرُ  
وأجلُّها «يوم الخليج» فإنه      من بينها يوم أغرُّ مشهَّرُ  
يَوْمٌ كَانَ الجيش تحت قتامة      سرُّ باثناء الجوانح مُضْمَرُ  
وأفك فيه النيل وهو من الحيا      خجلٌ يقدّم رجله ويؤخَّرُ  
قد جاء معتذراً إليك وتائباً      مَنْ ذنبه الماضي ومثلك يَعْذُرُ  
إن كان من نهر فكفُّك لَجَّةٌ      أو كان من مطر فوبلك أغزر  
شَتَانٌ بينكما: أبحر واحداً؟      كَيْدٍ أناملها الكريمة أبْحُرُ  
في كل وقت فيض جودك حاضر      فيناً ونائله يغيب ويحضر

وبالرغم من كل النواقص والمشاكل التي سيسببها نقصان النيل،  
والتي يسدّ مكانها، كرم الخليفة العاضد، إلا أن عمارة يعترف بأن  
النيل نعمة من الله:

وعلى الحقيقة لا المجاز فإنه      من نعمة الله التي لا تكفر  
كسر الخليج عبارة عن مِنَّة      أضحى بها كسر المنية يُجْبَرُ  
وفي قصيدة ثانية يصف عمارة احتفالات فتح الخليج وتخليق  
المقياس (رشه بالعطور) من قبل الخليفة العاضد ووزيره الملك



الصالح طلائع بن رزيك سنة ٥٥٦هـ، معدداً المواسم الاحتفالية  
الكثيرة:

تَمَلُّ أمير المؤمنين مواسماً      تزورك من صوم شريف ومن فطر  
يوصلها سعد بجدك مقبل      فعام إلى عام وشهر إلى شهر  
ركبت إلى كسر الخليج وإنما      ركبت إلى جبر الرعايا من الكسر  
ويصف الجيوش الكثيرة التي      تشارك في الاحتفال فيقول:

غدوت بفتح السد في زحف أرعني      يسد هبوب الريح بالأسل السمر  
إذا خفقت أعلامه وبنوده      رأيت عليها غرة العز والنصر  
ويصف أمية بن أبي الصلت      الأندلسي المصري زيادة النيل  
بقوله<sup>(١)</sup>:

ولله مجرى النيل منها إذا الصَّبا      أربابه من مرها عسكرياً حَجْراً  
إذا زاد يحكي الورد لونا وإن صفا      حكي ماءه لونا ولم يعده نشرا  
وصف عملية إنقاذ طفل من الغرق:

وقال ابن أبي الشخباء العسقلاني، يصف عملية إنقاذ طفل من  
الغرق في النيل<sup>(٢)</sup>:

شجاني المقام الصعب لما شهدته      وقد ضاقت الأنفاس والنفس تذهبُ  
وقد بهتت فيه اللواحق إذا رنت      إلى درة تطفوا وأنا وترسبُ  
كانَ خليج الماء كان مَجْرَةً      وأنت بها شمشٌ تلوح وتغرب  
كسبت اصفرار الروض عند ذبوله      ولكن على الحاليين مَرَأك أعجبُ

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الزطيب، الجزء الأول، م.س. ص ٤٩٨.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٦٦٠.

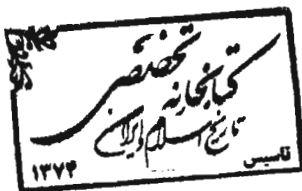
عدا الماء من ماء الصبا فيك غيرةً وما خلت أن الماء للماء يغضب  
ستبقى بهذا النهر للناس عبرة مؤرّخة في الكتب تُتلى وتكتب  
وتُبنى على شاطئ نجاتك كعبةً يحجّ لها بالحبّ من يتقربُ

### وصف بركة الحبش:

لم يترك الشعراء المصريون في العهد الفاطمي شيئاً إلا وصفوه  
بأوصاف حسية ومعنوية، حسية كما هي مرثية، ومعنوية حسب أثر  
الشيء الموصوف في النفوس.

كانت بركة الحبش من أهم منتزهات الخلفاء الفاطميين والشعب  
المصري، وقد وصفها المقرئ بكلام عيسى بن موسى الهاشمي  
الذي وقف أمام البركة وقال لصحبه: أتأملون الذي أرى؟ قالوا: وما  
الذي يرى الأمير قال: أرى ميدان رهان وجنان نخل وبستان شجر،  
ومنازل سكن وذروة جبل وجبابة أموات ونهراً عجاجاً، وأرض زرع،  
ومراعي ماشية ومرتع خيل، وساحل بحر وصائد نهر وقانص  
وحش، وملاح سفينة، وحاوي إبل ومفازة رمل وسهلاً وجبلاً.  
ويعقب المقرئ على كلام عيسى بن موسى: «فهذه ثمانية عشر  
منتزهاً في أقل من ميل في ميل»<sup>(١)</sup>. وكلها بالقرب من بركة الحبش  
وقال إنها مقصد أهل الخلاعة والمجون والقصف، ويتناوبها ذوو  
الآداب والظرف الذين إذا خرجوا إليها افترشوا زهرها أحسن بساط  
واستظلّوا بدوحها بأوفى أوراق، يعبّون من زجاجات الأقداح حتى

(١) راجع: الخطط المقرئية، الجزء الثاني، ص ١٥٤.



ذهاب الأصيل على لجين الماء. وقد وصف أمية بن أبي الصلت،  
انعكاس شمس الأصيل على هذه البركة بأعذب الكلمات وألطفها  
وأكثرها موسيقى فقال<sup>(١)</sup>:

لله يومي ببركة الحبش والأفق بين الضياء والغَبَشِ  
والنيل تحت الرياح مضطرب كصارم في يمين مرتعش  
ونحن في روضة مُفَوِّفَةٍ دُبَّجَ بالنور عطفها ووشِي  
قد نسجتها يد الغمام لنا فنحن من نورها على فُرْشِ  
فعاطني الراح إن تاركها من سورة الهم غير منتعش  
واسقني بالكبار مترعة فهنَّ أروى لشدة العطش  
فأثقل الناس كلهم رجل دعاه داعي الصُّبَا فلم يَطِشِ

### وصف الزورق:

وقال الأمير تميم يصف سفن النزهة التي كان الخلفاء والأمراء  
الفاطميون يستعملونها للتنزه في مياه النيل. وكانوا يطلقون على  
الواحدة منها إسم عشاري وجمعها عشاريات وقد أرسل أخوه  
الخليفة العزيز يطلب منه إرسالها إليه:

بعثت بساكنات طائرات تفوت اللحظ وهي بلا جناح  
تطير إذا المجازيف استحثت بها طيراناً أجنحة الرياح  
كأن سوادها في الماء يحكي سواد الأعين النجل الملاح  
كأن مرورها شذاً وعدواً مرور يديك في بذل السماح

(١) نفع الطيب، المجلد الثالث، م.س. ص ٣٢٢.

## وصف الأسطول المصري الفاطمي:

كانت صناعة الأساطيل من أهم الصناعات المصرية أيام الفاطميين وكانوا يملكون الأساطيل العسكرية والأساطيل التجارية، وقد قال معظم مؤرخي تلك الحقبة أن الفاطميين حولوا البحر المتوسط إلى بحيرة عربية لأن أساطيلهم العسكرية والتجارية هي الوحيدة التي كانت تمخر عبابه، ولا تتجرأ فئة أو دولة على قطع طريقها. وقد بلغ عدد سفن الأسطول المصري في عهد الخليفة العزيز بالله ألفاً ومائتي سفينة حربية لا تقل حمولة الواحدة منها عن سبعمائة جندي، منها ما هو مخصص للعلوفات ومنها ما هو مخصص لنقل الخيل والدواب إلى أرض المعركة غير المخصصة للحروب البحرية.

قال الشاعر المهذب بن الزبير يصف الأسطول المصري<sup>(١)</sup>:

وكان بحر الروم خُلِقَ وجهُهُ      وطفت عليه منابت المرجان  
ولقد أتى الأسطول حين غزاها      لم يأت في حين من الأحيان  
أحبب إليّ بها شواني أصبحت      من فتكها ولها العداة شواني<sup>(٢)</sup>  
شُبَّهن بالغربان في ألوانها      وفعلن فعل كواسر العقبان  
أوقرتها عُدَدَ القتال وقد غدت      فيها القنأ عوضاً عن الأشطان<sup>(٣)</sup>  
فأتتك مَوْقِرَةً بِسَبْبي بينه      أسراهم مغلولة الأذقان

(١) الخريدة، العماد الأصفهاني، قسم شعراء مصر، م.س. ص ٢١١.

(٢) الشواني الأولى: جمع شيني وهي السفينة الحربية والشواني الثانية جمع لاسم الفاعل شانيء من شنا أي مبيض ومبغضين.

(٣) أوقرتها: عبأتها وملأتها، والأشطان: الحبال.

حربٌ عوان حكمتك من العدى في كلِّ بكرٍ منهم وعوانٍ  
والكلام عن شعر الوصف في أدب مصر الفاطمية يطول ويتعرج  
لغنى المجتمع المصري في هذا العهد ولجمالية الحياة ورفاهيتها  
عندهم. ومتى حلتَّ الحياة المرفهة والغنى محلَّ الفقر تفرَّغ الشاعر  
لإغناء وإشباع النواحي الروحية والنفسية مكان البحث المغني عن  
لقمة العيش. لذلك لم يترك الشعراء المصريون صغيرة أو كبيرة في  
حياتهم المرفهة إلا ووصفوها.

### وصف الدور والقصور:

في بلد من أغنى وأجمل بلدان العالم كمصر، وفي حقبة أصبح  
فيها الذهب في أيدي المصريين كالتراب، فلا مجال إلا للتأنق حتى  
في البناء، فبنى الخلفاء المصريون وكبار موظفيهم ووزراؤهم الدور  
والقصور، وأبدعوا في بنائها، فكانت آية من آيات الزمن، تضاهي  
عظمتها وزخرفتها عظمة الأهرامات وعظمة أبي الهول، فازدانت مصر  
وما زالت تزدان بما بناه المصريون وخلفاؤهم في هذه الحقبة. ولا  
غرو أن يصفها شعراؤهم ببدايع القوائد وقلائد المنظومات.

قال الأمير تميم في وصف أحد القصور التي بناها أخوه العزيز:

منازل لم يبن مثلاً لها على الأرض كسرى ولا قيصر  
بناء تردد فيه الجمال ولاح عليه السنن الأنور  
فظاهره العزم مستظهر وباطنه التبر والجوهر  
ولو سخرت أربعا قبله لكان البديع الذي يسحر

## وصف منظرة العروسين:

وكان الخليفة المعز لدين الله قد بنى منظرة عالية سماها منظرة

العروسين. وصفها الشاعر علي بن يوسف الأيادي فقال:

بني منظرأيسمى «العروسين» رفعة كأن الثريا عرست في قبابه  
إذا الليل أخفاه بحلكة لونه بدا ضوءه كالبدر تحت سحابه  
تمكّن من سعد السعد محلّه فأضحى ومفتاح الغنى فتح بابه  
ولو شاده عزم المعزّ ورأيه على قدره في ملكه ونصابه  
لكان حصى الياقوت والتبر مفرغاً على المسك من أجره وترابه  
وقال أمية بن أبي الصلت يصف قصر الأمير علي بن الشاعر

تميم بن المعزّ:

لله مجلسك المنيف قبابه بموطد فوق السماء مؤسس  
موف على حبك المحبة تلتقي فيه الجوّاري بالجوار الكنس  
تتقابل الأنوار في جنباته فالليل فيه كالنهار المشمس  
عطفت حناياه دوين سمائه عطف الأهله والحواجب والقسي  
واستشرفت عمد الرخام وطوّقت بأجل من زهر الربيع وأنفس  
فهواؤه من كل قد أهيف وقراره من كل خداملس  
فلك تحير فيه كل منجم وأقرب بالتقصير كل مهندس  
فبدال للحظ العين أحسن منظر وغدا الطيب العيش خير معرس  
فاطلع به قمراً، إذا ما أطلعت شمس الخدود عليك شمس الأكوس  
فالناس أجمع دون قدرك رتبة والأرض أجمع دون هذا المجلس  
وقد جاء تصغير الظرف «دون»، حركة لطيفة من أبي الصلت

أمية، نثرت على القصيدة مسحة لطف ونعومة.

وبنى ولده حسن بن علي بن الأمير تميم بن المعزّ الفاطمي قصرًا، أو تجمّع قصور، أطلق عليه المؤرّخون اسم «منازل العز»، وهي مشهورة في كتب التاريخ الفاطمي، فوصفها أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي المصري بقوله<sup>(١)</sup>:

منزل العزّ كما سمه معناه لا عد العزّ به سمّاه  
 منزلٌ ودّت المنازل في أعلى ذراه لوصيّت إيّاه  
 فأجلّ فيه لحظ عينيك تُبصِرُ أيّ حسن دون القصور حواه  
 سال في سقفه النُضار ولكن جمدت في قراره الأمواه  
 وبأرجائه مجال طرادٍ ليس تنفكُ من وغي خيلاه  
 تبصر الفارس المدججّ فيه ليس تدمى من الطعان قناه  
 وترى النابل المواصل للنزع بعيداً عن قرنه مرماه  
 وصفوفاً من الوحوش وطير الجوّ كلُّ مستحسن مرأه  
 سكناتٌ تخالها حركاتٍ واختلاف كأنه إشباه  
 فإذا، كان من ملحقات القصر، حديقة للحيوانات وملعب للفرسان  
 وبستان ورد وزهر:

ورده وجنتاه نرجسه الفتّا ن عيناه، آسه، عارضاه  
 وكان الكافور والمسك في الطيب وفي اللون صبّحُه ومساه  
 منظر يبعث السرور ومرأى يذكر المرء طيب عصر صباه  
 هذه هي صورة قصور الخلفاء والأمراء الفاطميين فكيف كانت  
 قصور الوزراء وكبار الموظفين؟.

(١) نفع الطيب، الجزء الأول، م.س. ص ٤٩٦.

قال العرب قديماً: الناس على أخلاق ملوكهم، فإن تفنن الملوك  
تفنن الناس.

وكان الأمير بدر بن رزيك شقيق الملك الصالح الوزير طلائع بن  
رزيك يملك منظره بالخليج، فاحترقت، فغم الأمير بدر لحريقها،  
فأنشده الفقيه عمارة قصيدة يصف هذا الحريق ويذكره بأنه له  
قصرٌ أجمل من المنطرة ويصف القصر بقوله:

لم تحترق دار الخليج وإنما      شبت لمن يسرى بها نار القرى  
طلعت طلوع النجم نال به الهدى      سار أرضاً طريقه فتحيراً  
ودليل ذلك أنها لم تشتعل      في الليل حتى رنقت سنة الكرى  
ويتجه لوصف الدار قائلاً:

فتمل داراً أشيدتها همةً      يغدو العسير بأمره متيسراً  
فاقت على الإطلاق كلّ بناية      وسمت فما استثنت سوى أم القرى  
أنشأت فيها للعيون بدائعاً      رقت فأذهل حسنهما من أبصرا  
فما هي هذه البدائع في تلك الدار وكيف ولو كانت قصراً لا  
داراً؟:

فمن الرخام مسيراً ومسهماً      ومنمنماً ومدرهما ومدنرا  
والعاج بين الأبنوس كأنه      أرض من الكافور تنبت عنبرا  
وسقيت من زوب النضار سقوفها      حتى لكاد نضارها أن يقطرا  
فلكثر ما رضع سقوفها بالذهب، كاد الذهب أن يسقط كالقطرات  
على رؤوس الحاضرين.

قد كان منظرها بهياً رائقاً      فجعلتها بالوشي أبهى منظرا  
ألبستها بيض الستور وحمرها      فأتت كزهرة الروض أبيض أحمرها



فمجالسٌ كُسيّت رقيماً أبيضاً ومجالسٌ كُسيّت طميمماً أصفراً<sup>(١)</sup>  
 لم يبق نوع صامت أو ناطق إلا غدا فيه الجميع مصوراً  
 ويصف الحقائق المحيطة بالدار، حديقة الأزهار والورود وحديقة  
 الحيوانات.

فقال في وصف حديقة الزهور:

فيها حدائق لم تجدها ديمةً أبداً ولا نبتت على وجه الثرى  
 لم يبد منها الروض إلا مزهراً والنخل والرمان إلا مثمراً  
 والطير وقعت على أغصانها وثمارها لم تستطع أن تنفرا

ويصف حديقة الحيوانات بقوله:

وبها من الحيوان كلٌّ مشهّر لبس الوشيح العبقريّ مشهراً  
 لا تعدم الأبصار بين مروجها ليثاً ولا ظبياً بوجرة أعفراً  
 أنست نوافر وحشها بسباعها وظباؤها لا تتقى أسد الشرى  
 وبها زرافات كأن رقابها في الطول ألوية تؤم العسكرا  
 نوبية المنشأ تُريك من المها روقاً ومن بزل المهاريّ مشفراً  
 جلست على الإقعاء من إعجابها فتخالها للتيه تمشي القهقري

ونحن نعلم أن جلسة الإقعاء هي جلسة الكلب، فالكلب لا يجلس  
 إلا مقعياً على قفاه، أما إذا جلست المهاري، فهي جلسة التيه  
 والإعجاب ببدر بن رزيك صاحب هذه الحديقة.

(١) الرقيم: الثوب. والطميم: نوع من الأقمشة المزخرفة كانت تصنع بمصانع الغزل والنسيج  
 في مدينة تنيس.

وقال علي بن أحمد بن يحيى المعروف بابن الصقلي يصف  
روابي مصر في الربيع<sup>(١)</sup>:

نُدِير الكَاسَ مِنْ دُرِّ رَطِيبٍ      مُطَوِّقَةً عَلَى تَبْرِ مُذَابٍ  
وَنَطْرَبَ حِينَ نَلْهُو بِالْمَلَاهِي      لَدِينَا الزَّهْرُ يُزْهِرُ فِي الرُّوَابِي  
كَأَنَّ عُيُونَ نَرَجْسَهَا عِيُونَ      خُلِقْنَ بِلَا وُجُوهِ فِي رِقَابِ  
كَأَنَّ جَنَى بِنَفْسِهَا أَرْقَاقًا      بَقَايَا الْقَرْصِ فِي حُدَى كَعَابِ  
كَأَنَّ غَضِيضَ سَوْسِنَهَا كَوْوَسٍ      مُشْرِفَةً الْحَوَافِي بِانْقِلَابِ  
كَأَنَّ شَقَائِقَ النُّعْمَانِ فِيهَا      بِنُودٍ فَوْقَ أَطْرَافِ الْجِرَابِ  
كَأَنَّ بَدَائِعَ الْمَنْصُورِ فِيهَا      بِأَصْبَاغِ عُشُورٍ فِي كِتَابِ  
كَأَنَّ حَمَاجِمَ الرِّيْحَانِ فِيهَا      جَوَاهِرُ نُضْدَتِ مِثْلِ الْقِبَابِ  
كَأَنَّ مَلْعَبَ الْأَتْرُجِّ فِيهَا      أَصَابِعُ حَاسِبٍ عِنْدَ الْحَسَابِ  
كَأَنَّ مَدْوَرَ الْخَشْخَاشِ فِيهَا      دَبَابِيْسٌ أُقِيمَتِ لِلضَّرَابِ  
كَأَنَّ مُخَضَّبَ الْعُنَابِ فِيهَا      أَنْامِلُ غَادَةِ تَحْتَ الْخَضَابِ  
كَأَنَّ الْبَاقِلَاءَ بِهَا قُدُودٌ      ثَنَاهَا فَرَطُ لَيْنِ بَانِجِذَابِ  
كَأَنَّ الْأَفْقَ يَخْدُو فِيهِ حَايٍ      عَرَابَ النُّوقِ مِنْ قَطْعِ السَّحَابِ  
كَأَنَّ الشَّمْسَ تَحْتَ الدَّجَنِ وَجْهٌ      تَأَلَّقَ ثُورُهُ تَحْتَ النُّقَابِ  
كَأَنَّ الْجَوْفِيَةَ لِنَاظِرِيهِ      دُخَانَ كَالْهَبَاءِ مِنَ الضُّبَابِ  
فِيآلِكَ مَنظَرًا يَسْبِيكَ مِنْهُ      نَبَاتٌ سَاقُهُ صَوْبُ الذَّهَابِ  
فَمِنْ أَوْرَاقِ آسٍ فِي غُصُونِ      كَأَذَانِ الْمَضْمَرَةِ الْعِرَابِ

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ٨٩.

وَمَنْ نَيْلِوْفِرٍ فِي الْمَاءِ يَحْكِي      لِنَاظِرِهِ مَرِيئِشَةَ النَّيَّابِ  
 وَوَرْدٌ كَالنُّجُومِ يَلُوحُ فِيهَا      سُبُودٌ فِي التَّوَقُّدِ كَالشَّهَابِ  
 فَوَأَنَّى الْغَزَالِ وَإِنْ رَمَانِي      بِبُعْدِ مِنْهُ مِنْ بَعْدِ اقْتِرَابِ

### وصف دار المختار محمد بن عبيد الله المسبّحي:

ومحمد بن عبيد الله المسبّحي، صاحب كتاب أخبار مصر، كان موظفاً من موظفي الدواوين في الدولة الفاطمية، أي ليس بأمير ولا وزير ولا من كبار الموظفين. كانت تربطه صداقة بالحسن بن أحمد المعروف بابن الخياط. أرسل ابن الخياط ذات يوم قصيدة للمسبّحي يمدحه فيها ويصف «دار المختار محمد بن عبيد الله المسبّحي». ومما جاء في هذه القصيدة<sup>(١)</sup>:

إِنْ تَنَاهَتْ مَسَاكِنُ أَدْوَرٍ      فَلِدَارِ الْمُخْتَارِ فَضْلٌ كَبِيرٌ  
 حَوْلَهَا الْعَزْدَانُ رَفُوهُ سَوَرٍ      وَعَلَيْهَا مِنَ الْمَفَاخِرِ نُورٌ  
 وَعَلَيْهَا مِنَ الْمَكَارِمِ وَالخُصْبِ      بِهَاءٍ يَحْفَاقُهَا وَسُفُورٌ  
 وَلَهَا مَجْلِسٌ تَرَاخَى لَهُ النَّفْسُ      عَلَيْهِ مِنَ الْجَمَالِ سَتُورٌ  
 ذَهَبٌ يَشْفَلُ الْعَيُونَ وَفَرَشٌ      يَتَجَلَّى عَلَيْهِ بَدْرٌ مَنِيرٌ  
 يَمَلَأُ الْعَيْنَ بِهَجَّةٍ وَجَمَالاً      وَيَدُورُ السَّمَاحُ حَيْثُ يَدُورُ  
 مَجْلِسٌ بِالنَّدَى وَبِالْفُضْلِ يَغْدُو      أَبْدأُ وَهُوَ أَهْلٌ مَعْمُورٌ  
 فِيهِ طَيِّبٌ وَقَهْوَةٌ وَسَمَاعٌ      وَحَدِيثٌ وَعَنْبَرٌ مَشْحُورٌ

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١٠٨.

## وصف السِدْلَا:

ويبدو من وصف ابن حيّوس للسِدْلَا أنها أكثر من «برداية» بل هي خيمة خارج القصر في البستان أو الجنينة. يقول ابن حيّوس في وصفها<sup>(١)</sup>:

وهذا السِدْلَى الذي ما سما له مَلِكٌ في قديم العُصُرُ  
رفعت له قُبَّةٌ قد أصبحت تطول على ما علا واشمخُرُ  
إذا ما بدت في الدجى خلتها مرصعةً بالنجوم الزهُرُ  
وفي الدجن تحسبها كاعباً عليها السحائب مثل الأزر  
تُراعُ لها الشمس عند الطلوع فلو ملكت نفسها لم تُنرُ  
ولورآها البدر في تمّهِ وكانت له قدرةٌ لا ستترُ  
فصار لها علماً في البنا كسيرة صاحبها في السير  
فإيوان كسرى وإن أعجز البرية في جنبه محتقرُ

فما هو هذا السِدْلَى الذي يحتقر ابن حيّوس أمامه إيوان كسرى؟  
ومن أي شيء مبني؟.

ويقول ابن الخياط واصفاً مجلس أنس المسبّحي:

وتحايات دور بين صدور مُلئت لذّةً بهنّ الصدور  
وقداح وأكؤس دائرات وندامى كأنهنّ البدور  
ويصف بركة الدار فيقول:

ولها بركة تدافع فيها موجهاً مُصعداً وفيه حدور

(١) ديوان ابن حيّوس، الجزء الأول، ص ٢٨٩.

ودساتيرها تُجسَّرُ عليها ناكساتٌ كأنها البَلُور  
 صولجاناتها تساوت قدوداً وتسامت نحو السماء تغور  
 وتمائيلُ راقصات على الماء لها فيهارنةٌ ونعير  
**ويصف السِدْلاً:** التي تغطي شرفة الدار والسِدْلاً هي «برداية»  
 كبيرة، كما أشرنا أمام حديقة للحيوانات:

وسِدْلاًؤها تخرُّ على نقش الرُّخام كأنه الكافور  
 من سباع أمنت منهنَّ بأساً فاغرات لم يخش منها هرير  
 فإذا ما زارن زدت سروراً وبعيدٌ من الزئير السرور  
 وتعالى عليه قبة عزَّ تمَّ فيها البهاء والتقدير  
 وبها الغانيات والشرب والروض ووحش الفلا وطير يطير  
 ومجال للصيد فيه مجال وظباء شواردٌ وصقور  
 ونخيل بواسق وثمار ووحوش رواتع وطيور  
 وبها البط والنواريس والقَبْجُ وفيها الحمام والعصفور  
 ويصف خاناتها وما تضمُّ من خمور:

وبخاناتها ما رُبُّ شئى وكؤوسٌ محثوثةٌ وخمور  
 وندامى مصرعون من السكر عليهم نعيمهم مقصور  
 يقطعون الزمان لهواً وقصفاً لا يبالون ما إليه المصير  
 في رياضٍ أنيقةٍ وقيانٍ وكؤوسٍ مع السقاة تدور  
 وتظلُّ العيون فيها تسامى مثل ما يُطلب الهلال الصغير  
 وإذا النهر صوب الماء فيه جارياً قلت: مرهفٌ مشهور  
 وهي في الصيف ثلجةٌ فإذا القُرَّ تبدى فهي للحاف الوثير  
 وبارد ظلها إذا احتدم الصيف وفي القُرِّ كلةٌ وحرور

ودار المسبّحي بالنهاية نموذج لجنة الله على الأرض:  
 كل ماتشتهي فيها عتيدٌ وبها الخير كلّه موفور  
 ويعجب القاريء من هذه القصائد، فهل هي وصف واقعي  
 للقصور والدور والبيوت أم هي من نسج خيالات الشعراء؟ وما لنا  
 إلا أن نقول إنَّ نسج الخيال هو صدى للواقع ولو اختلف عنه حجماً  
 وكماً ونوعاً. ولو كانت الصفات التي ذكرها الشعراء في أوصاف هذه  
 الدور والقصور أقل بتسعين بالمئة فلا نستطيع إلا أن نعترف  
 بالترف والدعة والغنى الفاحش الذي كان يعيشه الشعب المصري في  
 ظل الإسلام الشيعي.

### وصف الشمسة:

قال الأمير تميم يصف الشمسة التي أعدها والده الخليفة المعز  
 لدين الله لتزيين الكعبة بها<sup>(١)</sup>:

|                           |                            |
|---------------------------|----------------------------|
| وحبذا الشمسة التي نصبت    | يقصر عنها المديح والخُطْبُ |
| قايسست العيد وهي حلَّتْهُ | وأخفت اليوم وهو منتصب      |
| ينهب ياقوتها العيون فما   | يكمل الأمر حيث ينتهب       |
| داوئرا حذقت بفرَّتْها     | أهلاً لا تحفها السحب       |
| كأنما درّها وجوهرها       | نجوم ليل سماؤها ذهب        |
| نظمتها الهدى ولبيته       | وإن سخطن الكواعب العرب     |
| في كبد المسجد الحرام بها  | شوق وللبيت نحوها طرب       |

(١) ديوان الأمير تميم، م.س. ص ٥٥.

فلا تمسى بأهله زمن إلا بما تشتهي وترتقب  
عليك صلى الإله ما طلعت شمس، وما أنهلَّ عارضٌ لجب  
فالبرغم من أنّ المناسبة التي قيلت فيها هذه القصيدة هي  
مناسبة دينية، وأنّ الممدوح إمام المذهب، لم يشأ الأمير تميم أن يلم  
بشيء من العقائد الفاطمية في هذه القصيدة ولكنه أنشد الشعر  
للمناسبة فقط، فإذا تصفحنا ديوان الأمير تميم نجد هذا الشاعر  
أنشد أكثر قصائده في مدح أبيه المعز أو أخيه العزيز لمناسبات  
مختلفة فإذا قعد الإمام مدحه الشاعر، وإذا شكّا من مرض مدحه،  
وإذا سافر مدحه، وإذا أهداه شيئاً مدحه، وذلك كله بجانب القصائد  
التي قيلت بمناسبة الأعياد.

### وصف النقش على الصواني:

كان النقش على النحاسيات والفضيات صنعة مشهورة في مصر  
الفاطمية وقد أشار صاحب كتاب كنوز الفاطميين إلى العديد من هذه  
التحف الفنية، كما ضمّن كتابه العديد من صورها وأشار إلى  
وجودها في المتاحف العالمية.

قال الشاعر ظافر الحداد يصف عملية نقش على صينية من  
ذهب، طلب الوزير الأفضل بن بدر الجمالي نقش بعض الأبيات  
الشعرية عليها<sup>(١)</sup>:

وروض زاهرة من اللجين والذهب

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٠.

لكنها ما نبتت في الأصل إلا بالذهب  
انظر إلى صنعتها فكل ما فيها عجب  
كأنما ابن مقلّة حرّزَ فيها ما كتب  
أودعها نَقَّاشها لكل عين ما تحب  
فهي كوجه حسنٍ إذا تبدّى لمُجِبِّ

من بعد صدِّ واجتنابٍ وافتراقٍ وغضب  
منسوبة للصين لكن نُتجت بين العرب  
أخلصها السبكُ فما فيها من الغش نَدَبُ  
مثل غدير قد صفا وراق ما بين الكتب  
جاءت بها سعادة الأفضل حسب ما طلب

### النحت وسكب المعادن:

كان الفاطميّون يهتمون كثيراً بالنحت والنقش والتصوير من أجل  
الزينة وأناقة البيوت والقصور. وهذا الشاعر ابن قلاقس يصف  
شمعداناً للإضاءة بشكل نخلة فقال:

ما عهدنا النخل لولا هذه باسقات بثمار الذهب  
هطل الغيث لها من فضة فهي في قنواتها من ذهب  
تلعب السرج على حافاتِها وتحاكى أنمل المرتعب  
ولقد أحسبها السنة هزها للسكر خمر الطرب<sup>(١)</sup>

ونرى المصريين يصفون في شعرهم كل ما وقع تحت أنظارهم.

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ١٨.



فوصفوا الشمعة مثلاً. كما في قول المهذب بن الزبير:

ومصفرة لا عن هوى غير أنها  
شجوناً وسقماً واصطباراً وأدمعاً  
إذا جمشتها الريح كانت كمعصم  
ويقول آخر في الشمعة أيضاً:

وصحيفة بيضاء تطلع في الدجا  
شابت ذؤابتها أوان شبابها  
كالعين في طبقاتها ودموعها  
وسوادها وبياضها وضيائها<sup>(٢)</sup>

ووصف الشاعر أمير الدولة محمد أبو عبد الله بن خليل - أمير شعراء المستنصر - القلم والرمح بقوله:

يراعان هذا يملأ الطرس حكمة  
وإن ظمئنا ظنناهما برداً على  
فيشرب هذا أسود الليل حالكأ  
ويشرب هذا قاني الدم أحمرأ  
وذاك يذيق الحتف ليثاً غضنفرا  
نفوس العدا من غير إذن ويصدرا

### وصف الصور والنقوش:

وقال الشريف ابن هبة الله العلوي يصف الصور والنقوش التي نسجت على خيمة<sup>(٣)</sup>:

ضربت عين (رواق) في مقرّ علا  
جازت مدى الطرف حتى خلت ذروتها  
أوفى على عذبات الطود ذى القنن  
تأوى من الفلك الأعلى إلى سكن

(١) الخريدة ص ٤٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٣٩.

(٣) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ١٤١.

أقطارُها ملئت من منظرٍ عجبٍ      يُهدى إليك ذكاء الصانع الفطنِ  
فمن رياضٍ سقاها الفكرُ صيِّبَةً      فما بها ظمأ يوماً إلى المُرُنِ  
وجامحٍ في عنان لا يجاذبُهُ      وطائرٍ غير صدّاح على فننِ  
وأرقم لا تمجُّ السَّمَّ ريقنُهُ      وضيغمٍ ليس بالعادي ولا الوهنِ  
ومائلين صفوفاً في جوانبها      لو يستطيعون لخرَّ الجمع للذَّقنِ  
زيّنت بأروع لا تُحصى فضائله      ماضٍ من المجد والعلياء في سننِ  
وأطلع الدستُ فيها شمسَ مملكة      تُرى التأمّل فضل العين للأذنِ  
وعدّ على السعدِ أنّ النصرَ يضربها      بالصين بعد فتوح الهند واليمنِ

### وصف خيمة القاتول:

حتى اليوم ونحن في أوائل القرن الواحد والعشرين وتجاوزنا عتبة الألف الثالث للميلاد بسنتين، لم أسمع أو أشاهد خيمة بلغت ساحتها عشرة آلاف متر مربع. وخيمة القاتول، مشهورة عند الفاطميين والمصريين، هي والخيمة المدورة التي تشابهها علواً ومساحة. وقد سُميت القاتول، لأنهم كانوا كلّمًا أرادوا نصبها، ولو تحت إشراف المهندسين، يُقتل بأعمدتها التي بلغ طول عمود الوسط منها مئة متر، شخص أو شخصان وعندما نقول مئة متر، أي أنها بعلو بناء مؤلف من خمس وثلاثين طابقاً. فلنر، كيف وصف الشعراء المصريون هذه الخيمة!.

وصفها أبو جعفر محمد بن هبة الله العلوي الطرابلسي فقال<sup>(١)</sup>:

(١) أخبار مصر، ابن المأمون، م.س. ص ١٠٢.

ضربت خيمة عز من مقرّ علا  
جاءت مدى الطرف حتى خلت ذورتها  
أقطارها ملئت من منظر عجب  
أوفت على عذبات الطور ذى القنن  
تأوى إلى الفلك الأعلى بلا سكن  
يبدي إليك ذكاء الصانع الفطن

ويصف الحشود داخلها فيقول:

ومائلين صفوفاً في جوانبها  
لو يستطيعون لخرّ الجمع للذقن  
وكان الأفضل بن بدر الجمالي هو الذي أمر بصنعها لكي تنصب  
أيام الاحتفالات الكبيرة.

وقال أبو علي حسن بن زيد الأنصاري يصفها ويمدح الأفضل:

مهلاً قد قصرت عن شأوك الأمم  
أخيمة ما نصبت اليوم أم فلَكُ  
ما كان يخطر في الأفكار قبلك أن  
تسمو علواً على أفق النهى الخيمُ  
حتى أتيت بها شماء شاهقة  
في مارن الدهر من تيه بها شممُ  
إنّ الدليل على تكوينها فلُكاً  
أن احتوتك وأنت الناس كلهم

وقد اضطر الشاعر تقديم الواو على أنت لاستقامة العروض  
الشعري وهو قصده «أن احتوتك أنت والناس كلهم». وبالرغم من  
تقديمها مضطراً فقد أتى المعنى أجمل حيث شبه الوزير الأفضل بكل  
الناس والحاضرين.

ويتابع وصفها فيشبهها بالجيش لكثرة ما حوت من الرسوم  
والزخارف والتصاوير:

لديك جيش وجيش في جوانبها  
إذا الصبا حركتها ماج موكبها  
مُصَوَّرٌ وكلا الجيشين مزدهم  
فمُقَدِّمٌ منهم فيها ومنهزم

كَأَنَّهَا جَنَّةٌ وَالْقَاطِنُونَ بِهَا لَا يَسْتَطِيلُ عَلَى أَعْمَارِهِمْ هَدْمٌ  
 عَلَتْ فَخَلْنَا لَهَا سِرًّا تَحَدُّثُهُ لِلْفِرْقَدِينَ وَفِي سَمْعِيهِمَا صَمٌّ  
 وَقَدْ نَسَبَ الْعِمَادُ الْأَصْفَهَانِي هَذِهِ الْقَصِيدَةَ لِلشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ - أَبُو  
 جَعْفَرٍ - بْنِ هَبَةَ اللَّهِ الْعُلُويِّ الْحُسَيْنِيِّ.

ووصفها الفقيه عمارة بقوله مادحاً، العاضد:

وخيّمت في أكناف عالية الذرى تنيف على برج السماكين والنسر  
 تخاطبها الجوزاء سرّاً وخفيةً بمكنون ما لله فيك من السرّ  
 هي الصرح إلا أن هاما لم يشد بناه ولا استمطاه فرعون للكفر  
 وقال الفقيه عمارة أيضاً في وصف دار الملك الصالح طلائع بن  
 رزيك في مدينة تنيس وما حولها من بساتين وسواقي:

دار غدت بشمسها وغمامها فلأولكن ليس بالدوّار  
 وكأنما هي جنة أغنيتها - يا بحرهما - عن منة الأنهار  
 وجعلتها دار السلام فبوركت دارُ السلام وكعبة الزوّار  
 أهدت لنا «تنيس» ما لم يفتخر بنظيره عصر من الأعصار  
 وأمدّها حسن اقتراحك بالذي لم تقترحه خواطر الأفكار  
 فتنزّهت أبصارنا في حسنّها إن الحقائق نزهة الأبصار  
 يستأنس الحيوان بين مروجها فوحوشها ليست بذات نفار  
 طير على الأشجار إلا أنّها ليست مغرّدة على الأشجار  
 وجناة أثمار وما حصلوا بها أبداً على شيء من الأثمار  
 وقفوا بها متعلّقين تعلّقي بزمام عدلك من وقوف الجاري

قَطَعَ من الروض الأنيق كسوتها فوراً ولم يك جسمها بالعار  
شَبَّهت لونها سبائك فضة قد زخرفت حافاتنا بنضار

### وصف مقصص:

وقال قاضي القضاة محمد بن محمد بن النعمان بن حيون  
المغربي في وصف المقصص<sup>(١)</sup>:

ومعتنقين في طول اعتناق قد اتفقا على حسن اتفاق  
إذا اجتمعا على تشتيت أمر تفرق شمله أي افتراق

### وصف القاضي العادل:

كان القاضي النعمان من أعدل قضاة الشيعة الإمامية الإسماعيلية  
في مصر، وقد عينه الخليفة المعزّ قاضياً للقضاة في الدولة الفاطمية.  
وقد مدحه عبدالله بن الحسين الجعفري واصفاً فيه القاضي العادل  
فقال<sup>(٢)</sup>:

تعادلت القضاة معاً فأما أبو عبد الإله فلا عدل  
وحيد في فضائله غريب خطير في مفاخره جليل  
تألق بهجة ومضى اعتزاماً كما يتألق السيف الصقيل  
ويقضى والسداد له حليف ويعطي والغمام له رسيل  
لو أختبرت قضاياه لقالوا يؤيده علينا جبرئيل  
إن أذرقى المنابر فهو قيس وإن حضر المنابر فالخليل

(١) المقفى الكبير، م. س. ص ٣٦٥.

(٢) المقفى الكبير، م. س. ص ٣٦٦.

## وصف المعركة بين الشمس والظلام:

قال نُشَوُّ الملك يصف غروب الشمس<sup>(١)</sup>:

يارُبَّ سامية في الجَوْ قمتُ بها      أمدُ طَرْفِي في أرضٍ من الأفقِ  
حيث العشيَّةُ في التمثيلِ معركةٌ      إذا رآها جبانٌ مات للفرقِ  
والشمسُ هاربةٌ للغربِ دارعةٌ      بالنَّيلِ مصفرةٌ من هجمةِ الغسقِ  
وللهلالِ انعطافٌ كالسَّنانِ بدأ      من سورةِ الطُّعنِ مُلقَى في دمِ الشفقِ

وقال عليُّ بن المنجَم يصف غروب الشمس<sup>(٢)</sup>:

وعشَاءٍ كأنَّما الأفقُ فيه      لا زورٌ دمرَّ صرعُ بنُضارِ  
قلتُ لما دنتَ لمغربها الشم      س ولاح الهلالُ للنُّظارِ  
أقرضُ الشَّرْقُ صنوهُ الغربِ دينا      رأفأعطاه الرُّهنَ نصفَ سِوارِ

وقيل في وصف الشمعة أيضاً:

كما كان الضوء الكهربائي مهماً في حياتنا اليومية وأصبحنا لا نستطيع أن نعيش بدونهُ، كذلك كانت الشمعة والسراج جزءاً لا يتجزأ من الحياة اليومية للإنسان المصري. وخاصة بعد أن طوَّر المصريون صناعتها بفضل اهتمام الخليفة الحاكم بأمر الله بإضاءة شوارع مصر والقاهرة ليلاً أمام كل المحلات والدكاكين، تحت طائلة المسؤولية.

وصفها الأمير تميم بن المعزِّ بقوله:

(١) بدائع البدائة، ص ٢٥٨.

(٢) بدائع البدائة، ابن ظافر الأزدي، ط ٨، القاهرة، المكتبة الانجلو المصرية، سنة ١٩٧٠، ص ٢٤٤.

وباكية متوجة بنار  
إذا ما توجت في دار قوم  
فتاة عمرها عمر قصير  
وقال فيها أيضاً:

ومشرفة وجنح الليل قاراً  
تضرب نفعها فلها وقوع  
أعار الغصن قامتها استواء  
إذا ما رأسها قطف استفاقت

وقال ابن هاني يصفها أيضاً وقد شبّه نفسه بها:

لقد أشبهتني شمعة في صباية  
نحولٌ وحزنٌ في فناءٍ ووهدةٍ  
وفي هول ما ألقى وما أتوقّع  
وشهيدٌ عينٍ واصفراًً وأدمعُ  
ووصفها فكانها فتاة تقتل نفسها في سبيل محبيها:

وصفراء تكثر إيناسها  
تغازلها الريح في مرها  
ولم أر من قتلت نفسها  
سواها لترضي جلاساها

وكان للكرسي التي يجلس عليها ناسخ الكتب أهمية في حياة  
مصر الفاطمية، لأن الناسخ هو المطبعة ودار النشر والمكتبة. وصفها  
ظافر الحداد بقوله<sup>(١)</sup>:

(١) اتعاط الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٥٧.

انظر بعينك في بديع صنائعي      وعجيب تركيبتي وحكمة صانعي  
فكأنني كفاً مُجِبَّ شُبُّكت      يوم الفراق أصابعاً بأصابعي  
فنفخ فيها الروح والعاطفة ونقلها من صورة الجماد إلى صورة  
الإنسان.

### في وصف إضمامة زهور:

وبعث الأمير تميم بإضمامة زهور إلى أخيه الخليفة العزيز مع  
الآيات التالية:

يا أيها الملك الميمون طائره      ومن بعزته قد أوجل القمر  
إنني بعثت إليك الزهر ناعمة      ترضى من الندماء الشم والنظرا  
إضمامة حسنت مرأى ومختبراً      كأنها نشر محبوب إذا خطرا

### في وصف شم النسيم:

وقال أبو عبدالله الحسين بن إبراهيم بن أحمد. يصف شم  
النسيم<sup>(١)</sup>:

شُمُّ النسيْمِ لذيذاً      من قبل أن لا تشُمَّهُ  
واصرِفَ عن القلب ما اسطَ      عتَ بالمسرة هَمُّهُ  
وغالطِ الدهرَ إن كنـ      ت لستَ تملكُ حكمه  
وقد نصحتك جَهْدِي      فلا تصمُ وتكمه

(١) يتيمة الدهر، م.س. ص ٤٣١.



## وصف سيف:

وقال ابن هاني الأندلسي يصف سيفاً<sup>(١)</sup>:

لله أي شهاب حرب واقد      صحب ابن ذي يزنٍ وأدرك تُبعا  
في كف يحيى منه أبيض مرهفٌ      عرف المعزٌ حقيقة فتشيعا  
وجرى الفرند بصفحتيه كأنما      ذكر القتيل بكر بلاء قدمعا  
يكفيك مما شئت في الهيجاء أن      تلقى العدى، فتسلُّ منه إصبعا

وقال يحيى بن علي في وصف سيف كان بيد الخليفة المعز:

قد أكمل الله في ذا السيف حليته      واختال باسم معزٍ الدين منتفشا  
كأن أفعى سقت فولاذه حمماً      والبست جلده من وشيها نمشا

## السيف شيعي كحامله:

وقال أيضاً في وصف سيفه:

لي صارمٌ وهو شيعي كحامله      يكاد يسبق كراتي إلى البطل  
إذا المعز معز الدين سلطه      لم يرتقب بالمنايا مدة الأجل

## الصحة أفضل كنز:

كتب ابن الخياط إلى المسبّحي يهنئه بمعافاته فقال<sup>(٢)</sup>:

بُشرتُ بالعافية الشاملة      فيك، وتلك النعمة الكاملة  
من بعد شكوى نكست ناظري      وأضحت النفس لها ذاهلة

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، ط ١، بيروت، دار الجيل، سنة ١٩٩٦، ص ٣٩٨.

(٢) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١١١.

وقلت قد جاء البشير أنيذ  
فالحمد لله على أنني  
وأصبح الحاسد من غيظه  
فَرَاذَكَ اللَّهُ عَلَى رَغْمِهِ

لا تجعل الفرحة لي قاتلة  
خُصِصَتْ بِالْمَوْهَبَةِ الْفَاضِلَةَ  
يقول: هل من ميتة عاجلة؟  
عافية دائمة وإصالة

### القط المؤدب:

وأرسل ابن الخياط إلى محمد بن عبيد الله المسبّحي يستهديه  
قطاً فأجابه المسبّحي<sup>(١)</sup>:

لقد أسرفت في العتب  
وأنزلت بي الظننة  
وأنت السيد القرم  
وهل يبخل بالسنو  
وقد انفذت من بعد  
وقد أضحى وما إن في  
أديب النفس في الأكل  
إذا نأغاك الهاك  
يحاكي «معبدأ» يشدو  
فأخذ ثم عش ما عش

وما انصفت في التهمه  
في الهز بلا حشمه  
ورب المنن الجمه  
رذو ظرف وذو هممه؟  
دأن درسته الحكمة  
ه من عيب ولا تهمه  
وفي الشرب وفي الخدمه  
بصوت يطرب الأمه  
ك في أشعار «ذي الرمه»  
ت في خير وفي نعمه

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٢٢.

## وصف الريح:

قال علي بن المنجم يصف رماحاً صنعت مقابضها من ذهب<sup>(١)</sup>:  
فعال الكامل الأمل المرجى      علي ما فيه من فضل أدلّه  
نحابر ماحه نحو الأعادي      فكلُّ قد سقاها بها وعَلّه  
ولم يرض النجوم لها نصلاً      فنصّلها هنالك بالأهله

## وصف مشط للشعر:

وقال ابن قلاقس يصف مشطاً من العاج<sup>(٢)</sup>:  
انظر لمطرّد المياه بصفحتي      ولنارٍ خديّ كم لها من صالٍ  
قد عاد شدّي في المضايق شيمتي      كبلالٍ بن مدافع بن بلالٍ  
وسأله صاحب له وصف مشط عاج قد أشبه الثريا شكلاً ولوناً،  
وشق ليلاً من الشعر جونا، فقال:  
ومتيم بالآبنوس وجسمه      عاج ومن أدهانه شرفائه  
كتمت دياجي الشعر منه بدرها      فوشت به للعين عيوقائه  
وقال فيه:

وأبيض ليل الآبنوس إذا سرى      تمزّق عن صُبح من العاج باهرٍ  
وإن غاص في بحر الشعور رأيتُه      تبشّرنا أطرافه بالجواهرِ  
وقال فيه:

ومشرق يشبه لون الضحى      حسناً ويسرى في الدجى الفاحمِ

(١) بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي، ط ١، القاهرة، المكتبة الأنجلو المصرية، سنة ١٩٧٠، ص ٣٩٨.

(٢) بدائع البدائه، ابن ظافر الأزدي، م.س. ص ٣١٥.

وكلما قُلبَ في إِمَّةٍ أضحكها عن ثَغْرِ بِاسْمِ

وصف قلم:

وقال ابن قلاقس في وصف ما يصدر عن القلم من أوامر

وأفعال<sup>(١)</sup>:

منها في القلم:

وبيمناك طَيْرُ يَمْنٍ وَسَعْدٍ      أَصْفَرُ الظُّهْرِ أَسْوَدُ المَنْقَارِ  
قَلَمٌ دَبَّرَ الأَقَالِيمَ فَالْكَتَبَ      بُّ بِهِ مِنْ كِتَابِ المَقْدَارِ  
يَا طِرَارَ الدِّيوانِ وَالْمَلِكِ أَصْبَحَ      تَ طِرَارَ الدِّيوانِ فِي الأَشْعَارِ  
وَبَنوكَ الذِّينِ مَهْمَا دَجَا الخَطَّ      بُّ أَرْوَنا مَطالِعَ الأَقْمَارِ  
فأَبوبَكْرٍ الَّذِي أَحْرَزَ المَجْدَ      يَسْعَى الرِّواحِ وَالابْتِكارِ  
وَتَلاهُ فِيما تَلاهُ أَخوهُ      عُمَرُ عَاشِ أطولَ الأَعْمَارِ  
وَلعثْمَانُ حَظُّ عَثْمَانَ إِلا      فِي الَّذِي دارَ مِنْ حَدِيثِ الدَّارِ  
وَإِذا شِئْتَ فَالْمَجْرَةُ بِحَرِّ      لِي فِيهِ بِنائُ نَعشِ سَمارِي  
وَبكْفِي مِنَ النُّجُومِ كَثِيرُ      هُوَ ما قَدُّ وَهَبَتْ مِنْ دِينارِ  
وقيل في وصفه أيضاً: وقال القاضي الفاضل، علي بن

عبد الرحيم البيساني في وصف قلم<sup>(٢)</sup>:

ولهُ اليراعَ وَلِيُّهُ أَبْداً      يُرعى بِهِ وَيُراعِ ذوا الحَقْدِ  
إِنْ سَوَّدَ البِيضاءَ بِيضَ مَنْ      ثوبَ اللِيالي كُلِّ مُسَوِّدُ  
قَلَمٌ أَقالِيمَ البِلاَدِ بِهِ      وَثَغُورِها فِي الضَّبِطِ وَالشَّدِّ

(١) الخريدة، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ٤١.

(٢) الخريدة، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ٤١.

بهُزَالِه سَمْنِ الْعِلَاوِ كَذَا      فِي الْهَزْلِ مِنْهُ حَقِيقَةُ الْجَدِّ  
ظَمَّ أَنْ يَرُوي كُلُّ ذِي ظَمٍّ      فَأَعْجَبَ لَذِي وَرْدٍ بِلا وَرْدٍ  
مَلِكٌ كَتَبَتْهُ كِتَابَتُهُ      فَرَدَّ بِجَيْشِ النَّصْرِ فِي جُنْدٍ  
الْأَسْمَرِ الْخَطِيَّ تَابَعَهُ      فِي حُكْمِهِ وَالْأَبْيَضِ الْهِنْدِيِّ

### وصف دواة:

وأهدى الأفضل بن بدر الجمالي للخليفة الأمر حجر مرجان  
فحضر الجوهريون وقالوا للأمر أنه يعمل منها دواة حبر قطعة  
واحدة، وصنعوها له فجاءت «شيء عظيم القدر» فوصفها أحمد بن  
منصور بقوله:

أَلَيْسَ لِدَاوِدَ الْحَدِيدِ تَكْرَمًا      يَقْدَرُهُ فِي السَّرِّ وَهُوَ شَدِيدٌ  
أَلَيْسَ لِكَ الْمَرْجَانِ وَهُوَ حَجَارَةٌ      عَلَى أَنَّهُ صَعْبُ الْمِرَاسِ بَعِيدٌ  
فَأَمَرَ لَهُ الْخَلِيفَةُ الْأَمْرَ بِجَائِزَةٍ سَنِيَّةٍ      وَخَيْلٍ وَخَلْعَةٍ وَزَيْدٍ فِي رَاتِبِهِ.

### وصف صلاة العيد والخطبة:

وكان للأعياد في الدولة الفاطمية «طنّة ورنّة»، يعمّ فيها الخير كل  
الشعب المصري من نثر ذهب وتوزيع أطايب الأكل وجامات الحلوى  
وكسوات الثياب. يصف الفقيه عمارة اليمني صلاة عيد الفطر مادحاً  
الخليفة العاضد بقوله:

تَقَبَّلَ اللَّهُ صَوْمًا أَنْتَ وَاصِلُهُ      مِنْ الصَّلَاحِ بِأَعْمَالٍ تَشَاكُلُهُ  
صَوْمٌ تَوَلَّى وَقَدْ أَثْنَتَ فَرَاثُضُهُ      عَلَيْكَ خَيْرًا كَمَا أَثْنَتَ نَوَافِلُهُ  
لَمْ يَلْفَ عِنْدَكَ غَيْرَ الْبِرِّ قَادِمُهُ      وَلَا تَزُودَ غَيْرَ الْبِرِّ رَاحِلُهُ

صوم تبسم عن قطر كما ابتسمت      عن غرة الفجر من ليلي عواطله  
لما أظلك عيد الفطر وافتقرت      أسماع قوم إلى ما أنت قائله  
ويصف صلاة العيد وخطبة العاخذ في الجامع فيقول:

زرت المصلى ولولا ما خلعت على      رحابه من رغب خف أهله  
واهتز شوقاً فلو يسطيع منبره      ماتت أعاليه وارتجت أسافله  
حتى إذا ضاق بالأشهاد واستمعت      فصل الخطابة من قرب محافله  
لم يبق فعلك في الأفهام من صدأ      إلا وعقلك بالإفهام حافله  
عرفتهم من طريق الرشيد ما جهلوا      حتى تنبه غاوي القلب غافله  
ويصف عودة موكب العاخذ من صلاة العيد فيتابع قائلاً:

وعدت نحو مقر العز في لجب      كالسيل فارسه والليل راجله  
ترنو إليك عيون الخلق شاخصة      والأجر والفخر أدنى ما تحاوله  
وفي المظلة وجه لم يزل أبداً      بشر القبول على وجه يقابله  
وراية الملك والإسلام يحملها      لك اللواء الذي جبريل حامله  
أشبهت هدي رسول الله حين بدت      على شمائلك الحسنى شمائله  
وفي جبينك نور من نبوته      وشاهد الحق لا تخفى دلائله  
هذا ما قاله الفقيه عمارة اليمني المسلم السنّي المتشدد في  
تسنّنه. وحكايته مع الوزير طلائع بن رزيك مشهورة.

### وصف قافلة الحج المصرية:

بالرغم من أهمية فريضة الحج عند المسلمين، كانت بعض قبائل  
الأعراب القاطنة على مشارف الطرقات المؤدية إليه تأخذ ضريبة

مرور أو حماية من الحجاج. والقافلة التي تتمتع عن الدفع تنتهب، ولما كانت كل قافلة عليها أن تدفع لكل عشيرة أو قبيلة تمر بأرضها، مما جعل فريضة الحج صعبة ومكلفة، توقّف الكثير من المسلمين عن أداء هذه الفريضة، وخاصة القادمون من بلاد فارس، والهند وتركيا والشام والعراق، باستثناء القادمين من المغرب ومصر فقد كانت طريقهم محمية مؤمنة آمنة بسبب قوّة وتماسك الأمن المصري الفاطمي. برّاً وبحراً، وقد أشرنا إلى العديد من الحوادث التي تظهر أمن وأمان طريق الحج من مصر إلى مكة وبالعكس وقد وصف الفقيه عمارة حماية قافلة الحج واهتمام الوزراء المصريين بهذا الأمر مخاطباً الوزير الملك الصالح طلائع بن رزّيك فقال:

وتيسّرتْ قصد البيت من بعد عسرةٍ فضاقت بحار بالورى وسهوب  
 فللفلك في طامي البحار تحذّرٌ وللعيس في بحر السراب رسوب  
 وكان لبيت الله في كلّ موسم عويلٌ على زوّاره ونحيب  
 ينادي ملوك الأرض شرقاً ومغرباً الأسامع يُدعى به فيجيب  
 فلما أتت أيّامك البيض لانقضت ولا خطبتها للزمان خطوب  
 بذلت عن الوفد الحجيج تبرّعاً مواهب لم يسمح بهنّ وهُوبُ  
 سبقت بها أهل العراق وغيرهم وأنت إلى كسب الثواب كسوب  
 وأبقيتها وقفاً على البر خالصاً وفي برّقوم خالصٌ ومثوب

وصف فرس:

كانت الخيل والأفراس المطهّمة «كالمرسيدس النملة أو الشبح» في أيامنا هذه. وكان المصريون يتسابقون على اقتناء أجملها

وأجودها. وكان الخلفاء قد أعدوا لخيولهم وركوباتهم من بغال وأخيار الخيل، مؤسّسة بكاملها أطلقوا عليها اسم «خزانة السروج» مهمتها تجهيز كل مستلزمات الزينة لها، فكان يبلغ ثمن السرج أضعاف أضعاف ثمن الحصان أو البغلة، فلربما كان السرج من ذهب أو فضة خالصة. حتى المهماز الذي «ينكز» به البغلة أو الحصان كان يصنع من الذهب الخالص وكذلك اللجام. وكانت بمصر كما اليوم - سيارات ملاكي وسيارات أجرة، أو بالأحرى، خيول وبغال وحمير للنقل بالأجرة، وقد قال المقرئ إن القاهرة وحدها كان بها خمسون ألف دابة نقل، عدا خيول وبغال - الأملاك الخاصة - من هنا، كانت الخيل والبغال حاجة مهمة جداً في حياة الإنسان المصري، ولا يعقل أن لا يصفها شعراؤهم.

أهدى فارس المسلمين بدر بن رزيك الفقيه عمارة اليمني مهراً  
كميت اللون بعدته كاملة، فأرسل له عمارة قصيدة يمدحه فيها  
ويشكره على الهدية ويصف فيها المهر، ومما جاء فيها:

|                                |                                  |
|--------------------------------|----------------------------------|
| بعثت بطرف يسبق الطرف عفوه      | وتغدو الرياح الهوج من خلفه حرا   |
| حكى الورد والياقوت حسناً وحمرة | وتاه فلم يرض العقيق ولا الخمرا   |
| نذرت ركوب البرق عند وصوله      | فوقيت لَمَّا جاءني ذلك النذرا    |
| وقفت القوافي في علاك عرائساً   | فساق لها الإحسان في مهرها مُهراً |

ووصف الأمير تميم فرساً فقال:

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| فرس أشمُّ المنكبين مقابل   | يرمي الجنادل من يديه بجندل  |
| عجر الوظيف كأنَّ لون أديمه | حُبُّك السحاب بعارض متهلِّل |



وترى له ذنباً يهزّ فضولَهُ  
 في حسن عرف قد تكامل نبتة  
 وكأنما مُبَيضٌ أعلى وجهه  
 وكان دَفَّةَ سرجه ولجامه  
 وكان حافره إذا وطىء الثرى  
 ويسابق البرق المثار بخطوه  
 وتراه يمرح في العنان إذا بدا  
 سلب الغواني حسنهنّ فجاء في  
 يخفى وراء قذاله من طوله  
 صافي الصهيل كأن في ترجيعه  
 وكأنما يقف البياض بوجهه

وقال ابن أبي حصينة المعري في وصف ذئب يلحقه فرس  
 بقصد اقتناصه<sup>(١)</sup>:

وأطلس مدلاج إلى الرزق ساغب  
 غدا معرضاً للجيش يقصد جنبه  
 فلما رأى خيل المنايا مُغزّةً  
 وحين تحرّى للنجاة وأيقنت  
 لحق به القنّاص:

على ظهر مدموج المرافق سابح  
 تعود أن يُرْمَى به كُلاًّ مطلب

على أربع مُلْدٍ تطول القنا المُلدا  
 قصي ويكتدُّ النجاح به كذا

(١) ديوان ابن أبي حصينة، أبو الفتح الحسن ابن عبدالله الشامي المعري الجزء الاول، ط ١، دمشق، المجمع العلمي العربي، سنة ١٩٥٦، ص ٢٦٨.

فأوجره سمراء لومدّباعه      بهاطاعنا للسدّ أنفذت السدا  
فخرمُكبّاً للجران ونفسه      تسرّ لمرديه الضغينة والحقدا  
فقلتُ له يا ذئب لا تخش سبّة      فمرديك أردى قبلك الأسد الورددا  
وقال الأمير تميم يصف الفرس أيضاً:

وقداغتدى والليل في دجاه      والصبح لم ينهض به سنأه  
على حصان شنج نساها      أنبط نهد عيّل شواه  
مخالف أسفله أعلاه      بدهمة قدملات قراه  
رجلاه في العدو أويدها      كأنه يطير في مجراه  
حتى يكاد وهو في معدها      تسبق أخراه به أولاه  
أشوس في مشيته تيّاه      يطاول الجوزاء من مطاه  
لا يشتكي من تعب وجاه      ولا تندى عرقاً جنباه  
وقال ابن هاني في وصف الخيل أيضاً<sup>(١)</sup>:

وصواهل لا الهضب يوم مغارها      هضب ولا البيد الحزون حزونُ  
عرفت بساعة سيفها لأنّها      علقت بها يوم الرهان عُيونُ  
وأجلُّ علم البرق فيها أنّها      مرّت بجانحتيه وهي ظنون  
وصف كلاب الصيد:

يعتبر الصيد من عادات المترفين والمتحضّرين والأغنياء الذين  
ليسوا بحاجة للبحث عن قوتهم وقوت عيالهم. وكان أعيان القاهرة  
ومصر وكبار قادتها وموظفيها يبنون الدور والقصور في وسط

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، ط ١، بيروت، دار الجيل، سنة ١٩٩٦، ص ٤٩٣.

الجنائن والبساتين الفسيحة، طمعاً بإقامة جزء منها مسرحاً للصيد القريب، لتعلقهم به. أما الصيد البعيد الذي يحتاج إلى مطاردة وكلاب مطاردة وخيول سريعة، فكانت من الرياضات المحببة إليهم.

قال الأمير تميم يصف كلاب صيده وقد جاوزت العشر:

قد اغتدي قبل طلوع الفجر      والليل في مثل خضاب الشعر  
كالجور أو كالظلم أو كالغدر      وانجم الجوزاء فيه تسري

ويشبه نفسه بالثريا والطريدة بالبدر، يطاردها بواسطة كلابه:

وللثريا طمع في البدر      فهي له حيث مضى في الإثر  
كأنما تطلبه بوتر      بأكلب تطير حيث تجري

وكلابه ضامرة البطن والخصر من كثرة جريها، واسعة الأشداق:

من كل قباء الحشا والخصر      تكاد من تلويحها والضمير  
تلمس بالبطن فقار الظهر      وافرة الزور رحيب الصدر

ذوات أشداق كفتح الشبر      شُقِقْنَ للأذان أو للشعر  
وهنّ أمضى من خطوب الدهر      حتى إذا ما أوغلت في القفر

كأن فيهنّ حُمّا الخمر      ينظرن عن تقطيع لحظ شزر  
أهوى بها الكلاب نحو عشر      من بقر الوحش بدت في سطر

ويصف حالة طرائده بعد وقوعها تحت أنياب كلاب صيده فيقول:

غادرتها في النقع مثل الجُزر      فهنّ صرعى دُمُهْنَّ يجري  
ثم نزلت مسرعا عن مهري      أقطّع من أوصالها وأفري

حتى غلت فوق الأثافي قدري      يالك من طرد كحرّ الجمر  
نحرت فيه الوحش أي نحري      نحر الوصيّ جيش آل صخر

وهو في البيت الأخير يشير إلى الخلاف التاريخي بين هاشم وأمية.

### وصف باز:

وقال الأمير تميم في وصف باز أزرق اللون:

وقد اغتدي والليل بالصبح أشمط      وللروض كافورٌ يفوح به الشَّمَمُ  
بأزرق يرمي الطير منه بمُقلة      تكاد ترى ما يستر الثوب في الظلمُ  
وليس يعيب البازُ راحة ماجد      تعود حمل الباز والسيف والقلمُ  
إذا ركب البازي يساري وأثرت      له لحظاتٌ كالذبالة تضطرمُ  
ذعرتُ به شمالاً من الطير جامعاً      وضرتُ جتها في كل ناحية بدم  
إذا لم أصدها لم يطب لي مذاقها      ولست للحم لم أصده بذئ قَرَم

### وصف حريق:

وعندما احترقت دمشق بسبب لا مبالاة السكارى وأصحاب اللهو  
والمخمورين وصف الشاعر العرقله هذا الحريق بقوله<sup>(١)</sup>:

خلت نيرانها وكلَّ ظلام      نار ليلى تلوح بالمجنون  
كم غنيّ اليمين أمسى فقيراً      وفقير أمسى غنيّ اليمين  
كل حين لها حريق جديدٌ      ليت شعري ما ذالها بعد حين

### وصف أطايب المأكولات:

إذا كان علماء الاجتماع يضعون صناعة الرغيف في أولى

(١) ديوان عرقله الكلبى، ط ١، بيروت، دار صادر، سنة ١٩٩٢، ص ١٠٦.

المقومات الحضارية، فكيف إذا علمنا أن المصريين في ظل الإسلام الشيعي، كان الرغيف آخر همهم لأنه مؤمن لكل طبقات الشعب المصري. وكانت حياة البذخ والترف والدعة والرخاء الاقتصادي تشمل كل المصريين فلم يكن هناك فقير في مصر الفاطمية وأطياب الأطعمة والأشربة توزع عليهم بالمجان ومن مؤسسات الدولة الرسمية، كخزانة الشراب، وخزانة التعبئة وخزانة التوابل ودار الفطرة. لذا، فلا عجب إذا ألقينا نظرة على أطياب الأطعمة والأشربة المصرية بمنظار شعرائهم.

### وصف اللحم بعجين:

قال أبو محمد الحسن التنيسي يصف لنا بعض المأكولات المصرية، فقال في وصف رقاكات اللحم بعجين<sup>(١)</sup>:

أبعث فخذُ عشرًا من الرقاق      تلذها نواظر الأحداق  
تكد مमारق من حرسائها      تشف للأعين من صفائها  
أرقها الصانع حتى خفت      ولطفت أجسامها ومُدت  
حتى أتت في صورة البدور      أو مثل جامات من البلور

ثم يصف الحشوة المعمولة من اللحم والبصل:

فاعمد إلى مُدورٍ من البصل      فإنه أكبر أعوان العمل  
يحكي لعينيك اخضرار قشره      إذا رماه ناظر بفكره  
حتى إذا أحكمته تقطيعاً      وكنت قد جودته صنيعا  
خلطته باللحم خلطاً جيداً      ولم تزل تخلطه مردداً

(١) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، م.س. الجزء الأول، ص ٣٨٤.

حتى إذا أنت أجدت فعله ثم جمعت بالرقاقة شمله  
ويصف لنا عملية وضع رقاقت اللحم بالعجين بالشابورة  
(الفرن) فيقول:

صيرته ياذا العلا السنيّة شابورة ليست لها سميّه  
تمّت أغل الشبرق المقشرا من فوقه حتى تراه أحمر  
مكتسباً جلّته الخمرية من بعد ما عهدتها فضيّه  
وبعد نضوح رقاقت اللحم بالعجين لم يعد ينقصها سوى كأس  
من النبيذ الجيد:

ثم أدركأس الشمول منعما أكرم بهذا مشرباً ومطعماً  
وصف دعوة على الطعام:

وقال الحسين بن الحسن أبو القاسم الواساني يصف دعوة إلى  
مائدة فيها جميع أنواع المأكّل وأطايبه، وقد صاغها بطريقة أنه  
«اخترب بيته» بسبب هذه الدعوة ولكثرة من جاء إلى بيته طمعاً  
بالأكل بالمجان<sup>(١)</sup>:

جمعوا لي الجموع من جيل جيلان وفرغانة ومن ديلمان  
ومن الروم والصقالب والترك وبعض البلغار واليونان  
كل ذي معدة تقعقع جوعاً وهو شاكي السلاح بالأسنان  
رحلوا من بيوتهم ليلة المرفع من أجل أكلة مجّان  
شرةً بارداً وحرص على الأكل فويلي من معشر مُجّان

(١)

ويبدو أن الواساني دعى بعض أصحابه من أهل المجون فاتفقوا عليه وجلبوا معهم:

كل شكل مابين حُذِبِ وَحُولِ وَأَصْمٌ وَالْعُمِي وَالْعُورَانِ  
ويصف بيته وداره قبل مجيء المدعويين:

أشرفوا بي على زروع وأحطاب وبيت بخيره ملآن  
لبن بارد وخبز طري وقدورتغلي على الداركان  
وشواء من الجداء ومعلوف دجاج وفائق الحُمْلان  
وشراب أَلْذَمْنِ زورة المعشوق بعد الصدود والهجران  
ويصف أحد المدعويين وطريقة أكله فيقول:

يقدم القوم أرحبي هريثُ الشدق رحب المعى طويل اللسان  
هونمس الدجاج والبَطِّ والوزِّ وذئب النعاج والخرفان  
ثم يصف أحد «المعزومين» ويُسمى الشمولي فيقول:

والشمولي حلقه حلق حَمَالٍ عريض الأكتاف عبل الجران  
لست أنساه جاثياً جاحظ العين عبوساً في صورة الغضبان  
كالعقاب الغرثان يقتنص اللحم ويهوي إلى طيور الخوان  
كلما شقق الفراريج شققت لغيظي من فعله قمصاني  
ليس هذا من شهوة الأكل هذا من طريق البغضاء والشَّنَّانِ  
يبلع المطجّنات بلعاً بلا مضغ ويحثو النبيذ كالعطشان  
أكلوا لي من الجرادق ألفين بدبس يسيل كالقطران  
أكلوا لي ما حولها ثم مالوا كذئب إلى سميد الفران  
أكلوا لي من الجداء ثلاثين وسبعاً بالخل والزعفران  
أكلوا ضعفها شواء وضعفها طبيخاً من سائر الألوان

أكلوالي تبالة تبّلت  
أكلوالي مضيرة ضاعفت  
أكلوالي كشكية كشكشت  
أكلوالي عدلاً من المالح  
أكلوالي من الكوامخ والجوز  
ومن البيض والمخلّل  
فتشّوالي من السفرجل  
أكلواكلّ ماحوته يميني  
ثم يصف نهاية «العزومة» بقوله<sup>(١)</sup>:

ثم راحوا بعد العشاء إلى داري  
كان لي مفرش وكلّ مليح  
وبساط من أحسن البسط مذخور  
غرّقه بالبصق والقيء والبول  
فلم يتركوا سوى الحيطان  
فوقه مطرح من الميسان  
لعرس أو دعوة أو ختان  
فأضحى قدره بغرّتان

### وصف جام (جاط) قطايف:

قال ظافر الحداد يصف جام قطايف<sup>(٢)</sup>:

جام حوى في الظرف كلّ باب  
فالحسن فيه واضح الأسباب  
يُعجزُ في الوصف ذوي الألباب  
له غشاء صيغ من إهاب  
مستملح منه ومستطاب  
منقطع الأشكال والأضراب  
مع التغالي فيه والإطناب  
حُرّ بالأيدي وبالآلباب

(١) ديوان ظافر الحداد، ص ٧.

(٢)



حتى أتى في غاية الصواب  
قطائف لطائف رواب  
في المسك والفتق والجلاب  
في الشكل والنكهة والرؤاب  
وطعمها كلذة العتاب  
تنزل في الحلق بلا حجاب  
ليس بذى ميل ولا اضطراب  
لم تُخش بل صُفَّت على اصطحاب  
كأنها السننة الأحباب  
لممسها كوجنة الكعاب  
من بعد صدُّ طال واجتناب  
فهى طعام وهى كالشراب

### وصف القطائف:

قال ابن قلايس يصف أكلة قطائف ويتشوق إلى أكلها<sup>(١)</sup>:

أحسِنُ مِنْ وصف ديار الطائف  
ومن خليط سار في متآلف  
ومن كئيب للطيور عائف  
مرأى بديع هذه القطائف  
كأنها في عين كلِّ واصف  
قد صُورَت من أبيض المناشف  
وحُشيت حشو خبير عارف  
جادهاء عارض حلو واكف  
أحلى من الأمان عند الخائف  
قد قُدِّمَت لسادة غطارف  
لولاك يا مُخِي فؤادي التالف  
ضِيَعَتْ فيها تالدي وطارقي

### وصف صدر كنافه:

وقال ظافر الحداد الإسكندراني يصف صدر كنافه<sup>(٢)</sup>:

وحاذقٍ محكم كنافته  
لا تشبع العين منه بالنظر  
كأنما بسطه العجين على  
إكراه لما حُفَّت بمستعر

(١) ديوان ابن قلايس، ص ٤٧٣.

(٢) ديوان ظافر الحداد الإسكندراني، ص ١٣٢.

كأنه يفتح الفواقع داراتٍ على راكِدٍ من العُدُر  
فهي كمثل السراب يُعَدَمُ منها اللمس وهما يلوح للبصر

### وصف أكلة ملوخية:

وقال الشاعر الإسكندراني ظافر الحداد يصف الملوخية<sup>(١)</sup>:

أياسيدي وأخي لا تَغِبْ فعندي لك اليوم ما يُسْتَحَبُ  
ملوخيةً سبقت وقتها وجاءت كهيئة خضر الزغب  
وقد نُقِّيت قبل تقطيعها بكفي لبيب خبير دَرِبُ  
وقد أُحْكمت بفراخ الحمام ودهن الدجاج وصفِر الكُبَبُ  
إلى أن تحرر تركيبُها كما حرَّر الصير في الذهب  
وكملها النضج حتى عَدَتْ فليس لعيب إليها سبب

### أجبان وألبان:

مرَّ الأمير تميم يوماً في الأرياف فشاهد بائعة جبنة وبناتها  
حولها يساعدها في توضيب قوالب الجبنة فوصفهن بقوله:  
وزولة مقربة مُسِنَّة ريفية تقذف بالجُبنة  
في قالب أسفله مَشَنَّة ثم بدت بيضاء مطمئنة  
كالبدر لما لاح في الدجنة أعذب من ريق حبيب هُنَّة  
وقال يصف مائدة عُبِّت بالفواكه على أشكالها:

ومجلس قد حاز من حسنه مثل الذي حاز من المجد  
يضحك للفتح نارنجه ويغمز النرجس للورد

(١) ديوان ظافر الحداد، ابن الإسكندرية، م.س. ص ٦١

والبس الأترج ما بينها      صفرة من عُذْب بالصدِّ  
وانتصب الليمون من حلوه      مثل انتصاب النهدي للنهد  
ومن الأترج الليمون أبو صرة، الكبير الحجم.

### وصف أكلة سمك بدون حسك:

هناك نوع من السمك النهري يطلق عليه أهل مصر اسم سمك  
الراي وهو شبه سمك البوري، ولكن الاسم غير معروف في بر  
الشام.

يقول ظافر الحداد يصف طيبة مذاق هذا النوع من السمك<sup>(١)</sup>:

أيا سيّد أنال أعلى الرُتْب      وحاز الكمال بأوفى سَبَب  
أمالك في الراي رأيي فإنَّ      له صفةً أوجبت أن يُحَبَّ  
تربّي مع النيل حتى ربا      وصار من الشحم ضخماً خَدَبُ  
ولا جسّ للعظم في جسمه      فليس على الضرس منه تَعَبُ  
يذوب كما ذاب شحم الكلى      إذا الجمر قاربه أوقرُبُ  
يروقك نيئاً وفي قلبه      فتُبصِرُ من حالتيه العَجَبُ  
ويصف لون رأسه الفضي      وذنبه الذهبي وطرواة لحمه التي  
شابهت القطن في بياضه:

كانّ اللجين الذي قد علا      وذاك النُّضار الذي في الذنب  
لفائف قطن لطاف وقد      تبدّى بأطرافهنّ اللهب  
فيا حسنه وهو بين الشباك      وقد ظلّ متشبكاً يضطرب

(١) ديوان ابن قلاص، ص ٤٧٣.

## ووصف أترجة:

مشبهاً إياها بأنثى خجولة:

أترجة مادبها غصنها  
كأنما زارت محباً لها  
وجادها الطلُّ فأبقاها  
فالتف خوف الباه ساقاها

وقال في وصف تفاحة:

ومذكرة ريح الحبيب بريحها  
تجاور لونها اخضرار وحمرة  
وحاكية خديه لي باحمرارها  
فيا عجباً من مائها قرب نارها

وقال يصف خوخة:

ولمालح لي نشرٌ ذكيٌّ  
ذكرت به ثناياها ولكن  
من الخوخ المشبّه بالخدود  
ثناياها لها فضلٌ المزيد

العروس فراشة والعريس سراج يحرقها:

عندما تزوج الإمام الحافظ السلفي، صديق ابن قلاقس، وصف  
العرس وهنأه بقوله<sup>(١)</sup>:

في وصف العروس:

قد حكمت في قلبه من لحظها  
يُثني أعنة صبره لما انثنت  
بالسحر سيفاً حده لا يُتقى  
أعطافها كالخوط أملد مورقا  
راحاً جرت ما بين دُرٍّ مُنتقى  
فحمت جفوني طيفها أن يُطرقا  
والهجر بعد الوصل من أوفى الشقا  
طيب النعيم الوصلُ بعد قطيعةٍ

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ٤٨٤.

والحُبَّ تآلفه النفوسُ وحتفُها  
مثل الفراشة والسراج يروقها  
والحسن للعشاق مثل السيف  
ويهنئه بقوله:

إهنا بخير قرينة ميمونة  
كان الزمان لها بفضلك واعدأ  
شمس حواها الغرب قبلك مغرباً  
سَعْدُ قرانكما بأيمن طائر  
لك بالرفاه وبالبنين تفاؤلاً  
قد سربلت برد المفاخر والتقى  
فوفى وأعطاك المراد الأوفقا  
جعل الإله لها محلّك مشرقا  
لا خوف من نكد عليه يُتقى  
طاب الهناء وقد جلا متذوقا

### وصف عريس وعروس:

وكان الخليفة العاضد اقترن بابنة وزيره الأول الملك الصالح  
طلّاح بن رزيك، فوصف الفقيه عمارة اليمني العروس والعريس  
بقصيدة جاء فيها:

هي درة لم يرض عالي قدرها  
بحرأسوى كنف الأمام العاضد  
وقنيسة لولا الخلافة لم تكن  
أبدأ التعلق في حبال الصائد  
ولو قال الفقيه عمارة هذا البيت في كنف دولة غير الدولة  
الفاطمية لعلّق على المشائق. وقد قال أقله بل لم يقل، وشنقه  
صلاح الدين الأيوبي على جذع نخلة. فعمارة وضع ابنة طلّاح بن  
رزيك فوق الخلافة والإمامة، ولولاهما لما قبلت بالعاضد زوجاً.

ويصفها أيضاً:

جاءتك من جنس الضراغم لبوة  
تحمي بأشبال الهزبر اللأبد

ضربت بنور رزيك حول خبائها      سداً أقيم من القنابقواعد  
ويصف العريس: الخليفة العاضد بقوله:

يُهني بني رزيك أن حبالهم      وُصلت بخير أو اصر ومحامد  
سببٌ يمت إلى البتول وعروة      عُقدت بأوثق عروة ومعاهد  
صاهرت من لا يزال رواقه      المحروس قبلة راعع أو ساجد  
فزتم بأبلج من سلالة حيدر      ورث الإمامة راشد عن راشد  
قوم إذا جُحد الفخار فماترى      في الخافقين لفخرهم من جاحد  
ويصف عقد النكاح بقوله:

عقد غدا صلة لغير قطيعة      لكن كما اتصل الذراع بساعد  
عقد تنزّه أن يكون تمامه      بحضور قاصٍ أو شهادة شاهد  
وصف الكمثرى:

وقال الشاعر ظافر الحداد يصف الكمثرى<sup>(١)</sup>:

لله وافر كمثرى ذكرته به      ما كنت أعهد في أيامي الأول  
لم أدنه لقمي إلا وأوهمه      من النهود لذيد العَضّ بالقَبَلِ  
قد ذقت من طعمه ما كاد يبلغ بي      ما ذقت من رشف محبوب على وَجَلِ  
يحكى قوارير ماء الورد خالطه      فيها من الزعفران المسك بالعسل  
لو كنت أملك حكم الأرض ما حَمَلت      نبتاً سواه على سهل ولا جبلِ

(١) ديوان ظافر الحداد، ص ٢٤٥.

## وصف التمر والبَلح الزغلولي:

قال ظافر الحداد يصف أكلة تمر هنيئة<sup>(١)</sup>:

يامن صفالي ظاهراً ونياًه      ومن يدي بوّده غنيّه  
فدتك نفسي وافد المنية      هلمّ عندي تحفة سنّيه  
وأكلة طيبة هنيّه      بنتُ نخيل حلوة جنيّه  
أحلى من الفرصة بالأمنية      بالغ فيها النضج وهي نيه  
لا تتعب الضرس ولا الثنيّه      كأنها تُستفّ في الصينيه  
ياقوتة حمراء معدنيه      في طعمها وزيّها مسكيّه  
وقال في وصف البلح الأحمر:

انظر إلى البسر إذ تبدى      ولونه قد حكى الشقيقا  
كأنما خوصه عليه      زبرجد مثمر عقيقا

## وصف التين:

وقال ظافر الحداد يصف التين<sup>(٢)</sup>: (الصّبير)

جاء بلوز أخضر      أصغر ملء اليد  
كأنما زئبره      نبت عذار الأمرد  
كأنما قلبه      من توأم ومفرد  
جواهر لكّما      الأصدف من زبرجد

وقال يصف زهر الكباد (الأترج):

(١) م. س. ص. ٢٣٠.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص ٣٦٩.

كِبَادَةٌ لَاحٍ بِهَا      زَهْرٌ عَجِيبُ الْخُلُقِ  
كَأَنَّهُ لِمَا بَدَا      فِي شَكْلِهِ الْمَنْمُقِ  
بِيضُ الْقَبَاطِي أَوْ دَعَتْ      أَنْصَافُ قَشْرِ الْفَسْقِ  
مَنْوُوطَةٌ أَجْوَافُهُ      بِشَعْرِ شَيْبِ يَقْقِ

### هَجَاءُ صَاحِبِ حَمَامٍ قَدْرٍ:

وقام الناجي المصري وهو أحد شعراء القاهرة بهجاء صاحب  
حمام ووصف حمامه القدر<sup>(١)</sup>:

حَمَامُنَا هَذَا شَدَّ ضَرُورَةَ      مِمَّنْ يُحَلُّ بِهِ إِلَى حَمَامٍ  
تَبْيِضُ أُبْدَانُ الْوَرَى فِي غَيْرِهِ      وَيَعِيرُنَا هَذَا ثِيَابَ سَخَامٍ  
قَدْ كُنْتُ مِنْ سَامٍ، وَحِينَ دَخَلْتَهُ      لَشِقَاءٍ حَظِي رَدَّنِي مِنْ حَامٍ  
وقد ذكرت كتب التاريخ أن جوهرأ الصقلي لما بنى القاهرة بنى  
فيها ألفاً ومائتين وثمانين حماماً ملكاً لقصور الخلافة، إضافة إلى  
مطاحن الملح ومعامل الصابون ومعاصر قصب السكر، وكلها ملك  
للخليفة الفاطمي.

قال الشاعر ظافر الحداد يصف حماماً قدراً<sup>(٢)</sup>:

وَحَمَامٌ إِذَا مَا كُنْتُ فِيهِ      فَبَادِرٌ بِالْمَذْبَةِ وَالْكَسَاءِ  
فَهَذِي لِلْبِعُوضِ إِذَا تَغَنَّى      وَذَاكَ يَقِيكَ عَادِيَةَ الشِّتَاءِ  
وَكَنْ مَسْتَصْحَباً حَطْباً وَقَدْرًا      لِكِي تَهْتَمُ فِي تَسْخِينِ مَاءِ

(١) خريدة القصر. قسم شعراء المغرب، الجزء الثاني، ص ١٠٣.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص ٢.



ولا تتكشَّفُ بها حذارٍ من النزلات عن برد الهواء  
ولو أنّي دعوت على عدوّي بأصعب ما يكون من الدعاء  
لكانت هذه الحمّام أقصى نهاية ما اقترحت من البلاء  
وتركها ظافر الحداد وانتقل إلى حمّام آخر ولكنها أتت أسوأ من  
السابقة:

حمّامنا هذه حمّامٌ وإنّما ضحّف الكلام  
أقلّ أوصافها ثلاث البرد والنتن والظلام  
وبين جدرانها شقوقٌ يكمن في جوفها الهوام  
وللبراغيث في نواحي بيوتها عسكرٌ لهم  
كأنما سقّفها مداد يقطر من دونه السخام  
والماء فيه أقلّ شيء يدرك بالجهد أو يرام

ويبدو أنّ النظافة كانت من الأشياء المهمّة في حياة الإنسان  
المصري، وذلك دليل رقيّه، وقطعه أشواطاً في مجال التقدم  
الحضاري، فلا عجب من ان تضمّ القاهرة وحدها دون مصر القديمة  
(الفسطاط)، ألف ومائتين وثمانين حمّاماً للدولة، عدا حمّامات القطاع  
الخاص، في الوقت الذي كان فيه الصليبيون الفرنجة، لا يغتسلون  
ولا يعرفون الحمّام، فهم تعرّفوا عليه عندما أتوا إلى الشرق  
الإسلامي.

وكما هجا الشعراء المصريون الحمّامات القذرة، مدحوا الحمّامات  
النظيفة، ذات الخدمة الممتازة.

## وصف حمام نظيف:

قال ظافر الحداد يصف حماماً نظيفاً<sup>(١)</sup>:

لله حمام كروض أنيق      رافقني فيه رفيق رقيق  
صفالي العيشُ بها مثلما      صفالقلبي ودُّ ذاك الصديق  
أحرها الوقاد حتى غدا      من أجلها للروح مثل الشقيق  
فالماء فيها كحياة جرت      بها العوافي والصبافي العروق  
تحت بخار عطر مثلما      شبت بماء الورد مسكاً فتيق  
خُصت بألوان الرخام الذي      له بها كل طراز دقيق  
وقال أيضاً يصف حمام أعجبه      معتبراً إياه حكمة من حكم الله في  
الأنام:

يارعى الله مبدع الحمام      فلقد فاق حكمة في الأنام  
روضة العين لذة العقل والحسن      جلاء القلوب والأجسام  
لو تَوَقَّى امرؤُ بشيء من الموت      لكانت أحرى بدفع الحمام  
ففي الحمام نظافة الأجسام والقلوب      وتؤدي هذه النظافة إلى دفع  
الموت وتأجيله.

## وصف رجل أبخر:

وقال القاضي الجليس مشبهاً الرجل الأبخر بالرجل الذي يخرى  
من فمه<sup>(٢)</sup>:

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢٢٣.

(٢) ديوان طلائع بن رزّيك، الملك الصالح، ط ١، العراق، النجف الأشرف، المكتبة الأهلية،  
سنة ١٩٦٤، ص ٢٧.

فقلت وقد سألت بلا احتشام لأنك دائماً من فيك خاري

### وصف أبخر الطرفين:

وقال ظافر الحداد يصف رجلاً أبخر يخرج الريح من فيه ومن دبره<sup>(١)</sup>:

فسأعلى القوم فقالوا له: إن لم تقم من بيننا قمنا  
فقال: لا عدت، فقالوا له من نتن فيه: ذاكما كنا  
وقال يصفه أيضاً:

وذي بَخْرِكْحٍ في فسوة وكان من الناس في محفل  
فقالوا له: كفّ عنا اذاك ولأتنحّ إلى معزل  
فلما تكلم قالوا له: أعدنا إلى حالنا الأول  
وهذا الشعر يدل على رقة وشفافية الإنسان المصري في الحقبة  
الفاطمية. وصور هؤلاء الناس، هي صور إنسانية موجودة في كل  
مكان وزمان.

### وصف رجل ثقيل الدم:

وقال ظافر الحداد يصف رجلاً ثقيل الدم<sup>(٢)</sup>:

وثقيل في القلب والعين والسمع فكلُّ من أجله في عذاب  
قربه مثل فرقة النفس والأحباب والعزّ والغنى والشباب  
لوسألت الأنام عن كلِّ ما تكره لم تلف غيره في الجواب

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢١٦.

(٢) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٥٢.

وهودون الكلاب قدراً ولو أنصفت نزهت عنه ذكر الكلاب

وصف أعرج:

قال الشاعر الإسكندراني يصف رجلاً أعرج:

وأعرج عرّج عن عشريني فكدت أن أثلّف من أجله  
قصر عن وصلي كما قصرت حوادث الأيام من رجلاه

حلاق ماهر وحلاق أخرق:

لم يدع الشعراء المصريون نمط عيش أو صورة إنسانية في  
مصر الفاطمية إلا ووصفوها. والحضارة هي نمط عيش وطريقة  
حياة. قال ظافر الحداد يصف حلاقاً ماهراً:

مزيّن قد تناهى في صناعته إلى لطافة معني فاقته الحكماً  
خفت مواقع موساه فلو حلقت في كفه شعر جسم الخد ما علما  
كأنما هي نور في أنامله يومي فيجلوبها عن هامنا الظلما  
ويشير هذا الشعر إلى أن حلاقة الوجه واللحية كانت «موضة»  
دارجة أيام مصر الفاطمية. وليس من الضروري ترك اللحية.

وقال يهجو مسعود الحلاق الفاشل في صنعته<sup>(١)</sup>:

لا أسعد الله مسعوداً فصنعته كوجهه كلُّ قبح فيه مُختَصِرُ  
لا يحلق الرأس إلا مرّة وبها تغنيه عن عودة ما مدّه العُمُرُ  
لأنّ الطف لمس من أنامله سلخ وهل بعد سلخ ينبت الشعرُ  
فلو نوى حلق رأس في ضفائره بفطنة كاد منه المنح ينتشرُ

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٢٢.

## بيت أقرف من السجن:

قال ظافر الحداد يصف بيت صديق معوز<sup>(١)</sup>:

بيت كـصـدرـي وورزقـي      ضيقاً كـخـلقـي وخلقـي  
مـلأته مـع هـُـزـالٍ      دمعـي وسقمـي وديقـي  
فـالترزـعـضـوبـعضـوبٍ      مـنـي وعـرقٌ بـعـرقـي  
حـتى لـقـد كـاد فـيـه      كـعـبـي يـصـافـح فرقـي  
فـمـا يـطـيـق لـسـانـي      يـدور فـي و سـط شـدقـي  
ولـوتـجـشـأت فـيـه      لـمـا تـجـاوز حـلقـي

## وصف سجين:

قال الفقيه عمارة على لسان صديق له سجنه السلطان شاور:

هـذي مـناجاة عـبـد رـق حـاسـده      مـن البـلاء الـذي أـمـسـى يـكـابـده  
لا يـطـرق النـوم أـجـفـاناً لـمـقـلـته      ومـقـلة المـوت مـن قـرب تـراصـده  
لا يُـقـرُع البـاب إلا قـلـت قـارعةً      وزـارع العـمر مـهـما شـاء حـاصـده  
لـيـلي مـن الـهـم لـيلاً لا صـباح لـه      كـأنـني فـيـه أـعـمى ضـلّ قـائـده  
أرـدّ الـظنّ فـي يـأس و فـي طـمـع      قـد ضـجّ هـابـطـه مـني و صـاعـده  
مـحـفـوفة مـنك إـشـفاقاً يـبـاعـده      وظنـته مـنك بـالإحـسان و اعدـه  
أما الرـجاء فـقـد جـهـزت مـركـبه      وفـداً إلـى مـلك ما خـاب و اقدـه  
وما أـقيم لـنـفـسي حـسن مـقدرة      أنا المـسيء الـذي ضـلّت مـقاصـده  
بـعدت عـنكم، و كـانـت زلّة خـطأ      فـا غـفر و ذلـك ذنـب لا أـعـاودـه  
إنـي شـقيـت فـهل مـن فـضل عـاطـفةٍ      عـلـي تـسـعـد جـدي أو تـسـاعـده

(١) م.س. ص ٢٢٤.

لستَ الجليد على ما قد بليتُ به فارجم، فلو كنت صخرأ ذاب جامدُهُ

### وصف السجن:

عندما كان القاضي المهذب بن الزبير مسجوناً في سجن المعتقلين السياسيين، «خزانة البنود»، أرسل للكامل بن شاور هذه الأبيات يصف فيها السجن فقال<sup>(١)</sup>:

أيا صاحبي سجن الخزانة خلياً نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا  
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائدٌ إلى نظري أم لا أرى بعدها صباحا  
ولا تئأسنُ من رحمة الله أن أرى سريعاً بفضل الكامل العفو والصفحا  
وهذا الشعور هو شعور كل مسجون، فمن ذاق السجن لا يصدق  
أنه سيرى ضوء الصبح من جديد، وتصبح نسمة الهواء العليل  
مؤشراً لكل حرية وأمل.

وقال في سجنه أيضاً:

أيا صاحبي سجن الخزانة خلياً من الصبح ما يبدو سناء لناظري  
فوالله ما أدري أطرفي ساهرٌ على طول هذا الليل أم غير ساهر  
ومالي من أشكو إليه أذاكما سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

### وصف سجن خزانة البنود:

ذكرت أكثر كتب التاريخ أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي اعتقل الشاعر أبي الحسن التهامي وسجنه في سجن خزانة البنود،

(١)

وقد طال سجنه، حتى يقال أن الشاعر لم يخرج من سجنه إلا بعد وفاة الخليفة الحاكم.

وفي إحدى قصائده التي نظمها في سجن الخزانة وصف السجن ووصف الخزانة بقوله<sup>(١)</sup>:

طرقت خيالاً بعد طول صدودها      وفرت إليك السجن ليلة عيدها  
في ليلة ليلاء ألزم فضلها      بيض الليالي أن تدين لسودها  
مستوطناً دار البنود وقلبه      للرعب يخفق مثل خفق بنودها  
دار تحطّ بها المنون شباكها      فتروح والمنجاب حلّ صيودها  
فتعثرت بعري الأدهم فالتقى      جرسان جرس حليها وحديدها  
قيدٌ وسلسلةٌ وأدهم مُصمّتٌ      محن الكرام عظيمةٌ كعقودها  
ماصحّ من تَلَفِ الحياة ضجيعها      لكن الأح وصحّ من تنكيدها

والقصيدة بالأصل نظمها في مدح الشريف الزيدي معتمد الدين، يتوسطه مع الخليفة الحاكم بأمر الله لإطلاق سراحه من سجن الخزانة: وقد خاطب الشريف الزيدي بقوله:

حاشا من اعتمدت عليه دولة      من أن يضيق بفكّ بعض عبيدها  
ويلخّ عليه بالتعجيل في فكّه من الأسر:

إن المآثر كالخضاب نصولها      عَجَلٌ إذا لم تسع في تجديدها  
يا ابن الأئمة من قريش دعوة      نظمت دعاويها بسلك شهودها  
إن كان أولاد الوصي كواكباً      فاعلم بأنك أنت سعد سعودها

(١) ديوان أبي الحسن التهامي، تحقيق علي نجيب عطوي، ط ١، بيروت، دار الهلال، سنة ١٩٨٧، ص ١٠٨.

وقال يتوسّل إلى ربّه وهو مقيد مصفد في سجن الخزانة<sup>(١)</sup>:

توسّل إليه إذا الليل جنّ      فيما دهاك من كشفه  
يرحك من سجن دار البنود      ويكفيك ما أنت مستكفيه  
من القيد والغل في أدهم      اليم عذابك من عنفه  
يفكّ وثاقك من أسرها      وراحة قلبك من لهفه  
وأما بشرب حياض المنون      فقد سلم العيش من خسفه

ويصف السبب الذي أوصله إلى السجن فيقول:

أهذا التهامي من مكّة      برجليه يسعى إلى حتفه  
الم يكفه أن ثوب الحياة      ضاق عليه ألم يكفه  
أراد يطيرُ مطار الملوك      وظنّ الأسنة من زفه  
وأحسب سيف بنت البني      يخضب خديّه من عرفه  
أرى ملك الموت يدنو إليه      وهو يعضّ على كفه  
أبالشعر ويحك تبغي العلى      وأنت تقصّر عن رصفه  
ولم تك أهلاً بأن تستقرّ      على منبر الملك أو طرفه  
ويتابع مستغفراً ربّه:

إلى الله أشكو أموراً جرت      على غير قصد واستعفه  
وكم قائل سجّنوه على      تطلّب به الملك من كهفه  
أيطلب الملك من ليس منه      ولا من بنيّه ولا من صنفه  
ولم تشر كُتب التاريخ سوى إلى سجنه، دون أن تشير إلى

(١) ديوان التهامي، تحقيق علي نجيب عطوي، ط ١، بيروت، دار الهلال، سنة ١٩٨٧، ص



الجناية التي ارتكبها بحق الدولة الفاطمية. وبالتأكيد أن الجرم سياسي، ولو كان خيانة أو سرقة، لكان الخليفة الحاكم قتله مع من قتل من كبار الموظفين والقواد والولاة والوزراء.

وهذه القصيدة ترشح ببعض الأمور التي أدت إلى سجنه. وتشير إلى أن السبب هو لسانه وشعره. وربما يكون إما قد مدح العباسيين أو هجا الخليفة الحاكم. والأرجح مدح العباسيين. وإلا لو كان هجا الحاكم والدولة الفاطمية، لكان تلقفها المؤرخون بنهم.

والتهامي هو صاحب المرثية المشهورة بولده التي جاء فيها:

حكم المنية في البرية جاري ما هذه الدنيا بدار قرار  
بينما يرى الإنسان فينا مخبراً حتى يرى خبراً من الأخبار  
يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسفار

التجار يبيعون الشاعر عمارة داراً آيلة للسقوط:

عندما احترق بيت الشاعر عمارة اليمنى اشترى بيتاً غيرها، وهي بيت سعد الافتخاري، ولما بدأ عمارة بترميمها، اكتشف أنها آيلة للسقوط وأنه وقع في عملية نصب منظمة من قبل سعد الافتخاري، «فدب طربوشه» على آل رزيك يستنجد بهم، فأعطوه مبلغاً لكنه لم يكفه لترميم الدار.

فكتب إلى الملك الصالح طلائع بن رزيك يقول<sup>(١)</sup>:

ياسيداً أو صافه دَرَجُ المديح إلى الفخار

(١) النكت العصرية، م.س. ص ١٠٨.

اسمع فديتك قصّتي متفضلاً وأقل عثاري  
هي قصة نتفت سبال الشعر بل سلبت شعاري  
لا استجيز حديثها إلا بحكم الإضطرار  
أوقعت نفسي جاهلاً في دار سعد الافتخار  
وغلطت فيها غلطة أزرّت بقدري واقتداري  
ويبدو أن التاجر الذي باعه بيت سعد الافتخاري يدعى الظهير  
حيث وصفه بقوله:

ضرب الظهير ببذلها منى الفقار بذى الفقار  
وظننت شرح بليّتي فيها يؤول إلى اختصار  
ويقول إنّ العمارة لا «تليق إلا للأغنياء».

وإذا العمارة لا تليق بغير أرباب اليسار  
ولفقر عمارة باع أثمن كتبه:  
وكفأك شراً أنني بعث الموطأ والبخاري  
ولكن ماذا جنى من بيع مكتبته وكتبه:

لم أدر أنّي عندها كم بخّر في ألف خاري  
فهو بعد اكتشاف عيوب الدار أسقط بيده ولم تعد كتبه ومكتبته  
تكفيان لإعادة ترميمها، لذلك استنجد بذوي اليسار والأغنياء أمثال  
الملك الصالح طلائع بن رزيك:

لما كشفت عيوبها أكلت بعد الانتشار  
دارهممت بتركها ولو أنّها دار القرار  
وعلى ندادك معونتي فيها فقد وفت حماري

وكان بين الفقيه عمارة وطرخان أحد كتبة الدواوين في الدولة الفاطمية، عداوة ومناكفة، وكان طرخان يحرض آل رزيك على الشاعر والشاعر يردّ عليه بالهجاء. ونشأت الظروف السياسية أن يقتل طرخان، فوصف الشاعر عمارة مقتله بقوله:

أراد علو من نزلة وقدر فأصبح فوق جذع وهو عالي  
ومدّ على صليب الجذع فيه يميناً لا تطول على الشمال  
ونكّس رأسه لعتاب قلب دعاه إلى الغواية والضلال  
وهذه الأبيات التي وصف بها عمارة طرخان تنطبق عليه شخصياً أو كأنه وصف نفسه حين علّقه الأيوبيون على جذع نخلة.

### وصف الوزارة:

قال الفقيه عمارة يصف وزارة ضرغام:

هم الزمان بها فمنذ كفلتها أضحى يوالي نصرها ويوالي  
وكان الذي يتولى الوزارة عند الفاطميين يعتبر كفيلاً للخلافة  
وللمسلمين ويتابع شؤونها ويعمل على نصرتها ويصبح من أنصارها.

لو دامت لغيرك لم تصل إليك:

ومرّ الملك الصالح طلائع بن رزيك أمام باب دار الوزارة فنظر إليها شزراً ومقتاً وكانّ به إحساس بأنّه سيقتل من أجلها فخاطبها بقوله<sup>(١)</sup>:

يا قلب كم هذا الغرور خدع المنى كذبّ وزور

(١) ديوان الملك الصالح طلائع بن رزيك، ص ٧٦.

أَوَمَا تَرَى الْأَمَالَ يَفْضَحُ      طُولَهَا الْعَمْرُ الْقَصِيرُ  
 وَبِمِثْلٍ مَا صَرْنَا إِلَيْهِ      الْآنَ يَعْتَبِرُ الْبَصِيرُ  
 لَوْ دَامَ مَلِكٌ لَمْ يَكُنْ      بَعْدَ الْمُلُوكِ لَنَا يَصِيرُ  
 أَنْظِرْ لِهَذَا الَّذِي الدَّارُ كَمْ      قَدْ حَلَّ سَاحَتَهَا وَزِيرُ  
 وَلَكُمْ تَبَخْتَرٌ أَمْنًا      بَيْنَ الصَّفُوفِ بِهَا أَمِيرُ  
 ذَهَبُوا فَا لَإِنَّ اللَّهَ مَا      بَقِيَ الصَّغِيرُ وَلَا الْكَبِيرُ  
 حَتَّى وَلَا أَضْحَتْ تَرَى      بَيْنَ الْقُبُورِ لَهُمْ قَبُورُ  
 مَا اسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَةٍ      إِلَّا وَأَرْؤُسُهُمْ تَطِيرُ  
 وَلِحُومُهُمْ مَمْضُوعَةٌ      وَمَنْ الْوَرَى أَيْضًا نَسُورُ  
 فَاصْبِرْ فَلَا حَزْنَ عَلَى      الدُّنْيَا يَدُومُ وَلَا سُرُورُ  
 لَا تَنْكُرُنَّ مَا قَدْ جَرَى      فِي عَصْرِنَا فَكَذَا الْعُصُورُ  
 كَلًّا وَلَا تَجْزَعْ لَرَيْبِ      زَمَانِنَا فَكَذَا الدَّهُورُ

وكأنه يملك إحساساً بأنه سيصيبه ما أصاب الحسين بن علي  
 في كربلاء من ذبح وقتل وتشريد أهل، فتابع قصيدته متمثلاً  
 بالحسين (ع):

هذا الحسين بكربلاء      ثوى وليس له نصير

ويقول عمارة اليميني في الوزارة أيضاً:

يا صاحبي وفي السؤال ما      استخبرت عنه إن أجيب سؤالي  
 هل للوزارة حاجة أو حجة      ترجوت تممة بعضها بكمال

ويصف الوزير ضرغام وموقعه من الوزارة فيتابع قائلاً:

هذا الذي ما زال طرفك دائماً      يرنو إليه في الزمان الخالي

هذا الذي عضلوك عنه لتخرجي  
وأحق من وزر الخلافة، من مشى  
واختص بالخلفاء وانكشفت له  
وتصرف الوزراء عن آرائه  
من عزة حرم ومن إجلال  
في حضرة الإعظام والإجلال  
أسرارها بقرائن الأحوال  
كتصرف الأسماء بالأفعال  
ولم تطل وزارة ضرغام فقتل بعد تسعة أشهر وشاهد عمارة  
رأسه مذبحاً بالسيف فقال:

أرى حنك الوزارة صار سيفاً  
كأنك رائد البلوى والآن  
وحنك الوزارة هو رتبة الأستاذية الموصلة حتماً للوزارة فأغلب  
الوزراء بدأوا عملهم السياسي كأستاذين محنكين ثم ترقوا لمنصب  
الوزارة.

وقال في وصف الصلاحيات والمهمات المطلوبة من الوزير:  
رعى حرم الخلافة منه طرف  
وحاط سوامها من كل خطب  
وباشر عند نصرتها المنايا  
وناط وراءها بعري وفاء  
طريف عنده خبر المنام  
فيال له من راعي سوام  
مباشرة اصطلاء واصطلام  
تُصان عن انفعال وانفصام  
ويتوجه للخليفة العاضد يؤكد له حسن ظنه بالوزير فيقول:

جعلت زمام أمرك في يديه  
وأسندت الأمور إلى عظيم  
فاصلح فاسد الأيام حتى  
وأيد ملكه بأبي شجاع  
فرد عليك تدبير الزمام  
يكشف غمة الكرب العظام  
أعاد قطوبهن إلى ابتسام  
وذلك من تمام الاهتمام  
يشاربه إلى عضد الإمام  
فأسفروجه ملك عاضدي

وفي قصيدة ثانية يحدّد مهمات الوزارة ويشبها بشركة تأمين،  
تكفل الخلافة من كل طارئ:

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| علقت مقاليد الكفالة منهم      | بمؤيد الآراء والإلهام       |
| ذخر الأئمة والمؤهل مذنشا      | لكفالة الخلفاء والحكام      |
| يبدي الكواكب في المواكب كلّما | مدت على الإصباح ليل قتام    |
| بذوابل وصوارم من شأنها        | نظم الطلى أبدأ ونثر الهام   |
| ويحاط شمل الملك منه بصولة     | عنه إذا اشتدّ الوطيس الحامي |
| قل للخلافة: لا خلاف وقد غدا   | عنها الكفيل أبو شجاع يحامي  |
| فلقد أعزّ مرام بيعتك التي     | أضحى يناضل دونها ويرامي     |
| وكفك أمر النائبات بعزيمة      | خزمت أنوف عداك بالإرغام     |
| قطعت رجاء الخارجين عليكم      | وصحابها من سكرة الأحلام     |
| حتى أتتك به السعادة راكباً    | متن الصباح وصهوة الإظلام    |

**وصف قوة المال والسلطة عندما تجتمعان في يد الوزير:**

قال عمارة اليمني يمدح الناصر بن الملك الصالح طلائع بن  
رزيك ويصف قوة المال والسلطة إذا اجتمعا في يد الوزير، وكيف  
يحولان التراب إلى ذهب والنار إلى رماد<sup>(١)</sup>:

|                               |                             |
|-------------------------------|-----------------------------|
| دانته لأمرك طاعة الأقدار      | وتواضعت لك عزّة الأقدار     |
| وملكت ناصية الزمان وأهله      | فجرى بما تهوى القضاء الجاري |
| فاصرف وصرّف من تشاء من الوري  | بأعنة الإيراد والإصدار      |
| وامدد يديك «أبا الشجاع» مثوبة | وعقوبة: بالسيف والدينار     |

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الأول، ص ٤٦٥.

ويبدأ بشرح ما يفعله السيف والدينار فيقول:

فهما ذريعة عزّة وكرامة  
والنائبان عن المنية والمنى  
وهما ذريعة ذلّة وصغار  
في قسمة الأرزاق والأعمار  
مرتابة بالعرف والإنكار  
بحراسة الأوطان والأوطار  
والقائماني إذا تطاول ناكث  
والرافعان غداة كل كريمة  
والموقدان لهم بكل ثنية  
نار العلى في رأس كل منار  
وبالرغم من كل تمنحه سلطة المال والسيف فأبو شجاع ابن  
رزك على حاله:

ولقد جمعت «أبا الشجاع» إليهما خفض الجناح ورفع المقدار

**وصف سقوط بغداد بأيدي المستنصر بالله الفاطمي:**

كانت القاهرة وبغداد منذ قيام الخلافة الفاطمية بمصر على طرفي نقيض، يحاول كل منهما إلغاء الآخر، واستطاع المصريون السيطرة على بغداد لسنة واحدة فقط وذلك سنة ٤٤٩هـ، على يد الحارث ابن البساسيري ولكنهم لم يستطيعوا الاحتفاظ بها، لأسباب وتداخلات طائفية ودينية وعشائرية وعرقية، أشرنا إليها في مكانها.

وقد كان لهذا الحدث أثر معنوي كبير على الفاطميين والمصريين، ولو استطاعوا المحافظة عليه لاستطاعوا تغيير وجه تاريخ الشرق العربي والإسلامي بأكمله، ونقلوه من إسلام ابن تيمية المقتن والمحنط، إلى إسلام الحسن بن الصباح الثوري.

وصف الشاعر عبد الباقي التنوخي سقوط بغداد بأيدي

المصريين ويمدح الخليفة المستنصر الفاطمي وبقوله:

وأنت الذي نطق الكتاب وبشّرت      بقدموك العلماء والأخبار  
تمحى برؤياك الذنوب كأنما      رؤياك عند المذنب استغفار  
هذا الإمام مَعَدُّ أفضل كلِّ من      ولَدت مَعَدُّ قبله ونزار  
سائل بني العباس عنه فعندهم      خبر الذي هو عندنا استخبار  
لما طغى فرعونهم لبثت به      أن حاط منك به قويّ ودمار  
لم يكفِ أن دُكَّت أسرّة ملكه      حتى حواه بعد ذاك اسار  
من يعتقد في من سواك إمامة      فإمامه خزّي له وشنار  
وقال ابن حيّوس يصف سيطرة المصريين على بغداد وإزالة  
الخلافة العباسية مادحاً مدبّر هذا الأمر الوزير أبي محمد  
اليازوري<sup>(١)</sup>:

ليهنك ما أنالتك الجدود      وإن الدهر يفعّل ما يريد  
وأمرّ قمت فيه بلا ظهير      وأهل الأرض من فشل قُعود  
ويعتبر الشاعر دخول الفاطميين إلى بغداد كانتصار الهاشميين  
المسلمين الجدد على الأمويين المشركين يوم بدر:

ولو لا كونه مع يوم بدر      لقلنا إنه اليوم الوحيد  
لقد طاح الرجاء بطغلبك      وكم أمل إلى أجل يقود  
ويعرّض بالقائم بأمر الله العباسي فيقول:

عجبت لمدّعي الآفاق ملكاً      وغايته ببغداد الركود  
يصول على رعاياه اعتداءً      ويحجم كلّ ما صلّ الحديد

(١) ديوان ابن حيّوس، الجزء الأول، م.س. ص ١٨٥.



ومن مستخلف بالموت راضٍ      يُذاد عن الحياض ولا يزود  
له حَرَمٌ هنالك لم يحرم      به إلا السلامة والهجود  
ويشير إلى سيطرة المصريين الفاطميين على كل العالم الإسلامي:  
وأعجب منهما سيفٌ بمصرٍ      تقام له بسنجان الحدود  
وقد سمع «الظبي» فيهم تغني      ولم تُغنِ الموائق والعهود  
وغيرَ الغير أن الدين واه      هناك وأن ناصره بعيد  
ففاتهم بعزمك ما أرادوا      وآل بهم إلى ما لم يريدوا  
ويصف الجيوش المصرية المنتصرة بقوله:

ومن جيش يعود العود فتحاً      ومن جيش يمرّ فلا يعود  
رميتهم بكل سليل غاب      يعيش بفرسه ضبع وسيد  
ونكبت الجبال بهم جبال      ضوامر لا تجفّ لها لبود  
إذا قدمت فما يدجو ظلام      وإن ضجّت فما ينجو طريد  
وحلّ الموصل المنصور يُثني      بسطوته ونخوته الوفود  
وسوف تضاف بغداد إليها      كما انضافت إلى عدن زبيد  
لك الفتح المبين بكل وجه      قعدت وللعدى الحتف المبيد  
ولما ولي أسد الدين شيركوه الوزارة للخليفة العاضد أوجب  
الأقباط النصراني على لبس الزنار وشده قوياً على أوساطهم مما  
يؤدي أحياناً إلى كشف العورة من كثرة الشدّ، فكاتبه المهذب بن  
الخطير أسعد بن مماتي شعراً يصف حالة النصراني وهو شاد  
الزنار على وسطه فقال<sup>(١)</sup>:

(١) الخطط المقرية، الجزء الثانية، ص ١٦٠.

يا أسد الدين ومن عدله      يحفظ فينا سنة المصطفى  
كفى غياراً شداً أو ساطنا      فما الذي أوجب كشف القفا

### وصف بخيل:

وقال أبو علي صالح بن رشدين يصف بخيلاً<sup>(١)</sup>:

لي سيدان شمتة حاجة      أطلع فيها مائتي حجة  
لو أن لي من قلبه موضعاً      ما كان أكلي عنده عجة  
وقال ابن أحمد الخزرجي في وصف بخل أهل الإسكندرية<sup>(٢)</sup>:

نزيل إسكندرية ليس يقرى      بغير الماء أو نعت السوراي  
ويتحف حين يكرم بالهواء      الملائم والإشارة للمنار  
وذكر البحر والأمواج فيه      ووصف مراكب الروم الكبار  
فلا يطمع نزيلهم بخبز      فما فيها لذاك الحرف قاري  
وصف عمارة اليمنى بخل نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح  
الدين وملق المنافقين والمتلّونين فقال:

يا دهر قد أكثرت بالتلوين      فإلى متى بمطالبي تلويني  
خذل النصير على الزمان وصرفه      وجفا معيني حين جفّ معيني  
حسبي إذا خذل الزمان وأهله      عوناً على الدنيا بنجم الدين  
كم كنت أصبو فكره بغرائبي      فسمعت منه غرائباً تصبيني  
ملك إذا قابلت بشر جبينه      فارقتُهُ والبشر فوق جبيني  
وإذا نظمت له النجوم فإنما      أجزى على المفروض بالمسنون

(١) أخبار مصر في سنتين، المسيحي، ص ٩٨.

(٢) الخطط المقرية، الجزء الأول، ص ١٦٢.

أي أنه لا يأخذ رواتبه المفروضة فرضاً من الدولة الفاطمية لأن الأيوبيين أوقفوا رواتبه وحلت السنّة محل الفرض والواجب في التعامل معه وينهي القصيدة بقوله:

أما الوعود فقد أتاني وصلها وأريد وصل نجازها يأتيني  
أي: أنّ الوعود وعود ولا إنجاز لها.

بينما عندما يصف يد الملك الصالح طلائع بن رزيك يقول:

وراحة لم تزل تهمني ندى وردى مثل الغمامة فيها الماء والذهب  
خضارم تنزل الأرزاق إن نزلوا أرضاً وتركبها الآجال إن ركبوا  
وقال أيضاً:

ولا غزونا أياديه بمسألة إلا سلبناه ما يقنى القنا السلبُ  
تنهل نعمته طوراً ونقمته من راحة شأنها الإعطاء والعطب

وصف الفقر:

لم يعرف المصريون الفقر أيام الدولة الفاطمية، فلم نقرأ خبراً عن متسوّل أو متسولين في القاهرة ومصر، حيث كان الأغنياء يسابقون الأمراء وقصور الخلافة على فتح بيوتهم للضيف والطارئ ولكل الناس أقباطاً ومسلمين سواء بسواء ولكن إذا أقدم شاعر وصوّر فقره فمن باب حثّ الممدوح على مضاعفة العطاء ليس أكثر.

وصف سعيد بن يحيى الكاتب حاله فقال<sup>(١)</sup>:

عبدك النّظام قد أصبح لا يملك شيئاً

(١) خريدة القصر، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، صفحة ١١١.

غير ثوب وقميص قد  
إبر الرقءاء فيه  
كل ما سُدَّ نجم  
ليس لي ثوب سواه  
كواه الدهر كَيَّا  
أبدأ تقدح هَيَّا  
طلعت فيه الثريا  
قد طواه الفقير طَيَّا  
وقال أبو المكارم هبة الله بن الوزير في وصف فقره<sup>(١)</sup>:

قلم الفصاحة في يدي لكنني  
ومن العجائب أن نفسي وسعت  
عار على الأيام خيبة شاعر  
أنفاسه متفتحة أنوارها  
قد خانني درج الخطوط المُلصق  
في همّتي ومجال رزقي ضيق  
من حَظِّه وهو المجيد المفلق  
لكن على الأرزاق باب مغلق  
كثرت محاسنه وقل نظيره  
ونضاره فهو الغني المملق

### كثرة الأولاد: مصيبة وجناية:

ووصف ابن أبي حصينة حالة أولاده الأربعة عشر، طالباً  
المساعدة بسبب كثرتهم فقال<sup>(٢)</sup>:  
أبا صالح أشكو إليك نوائباً  
لتنظر نحوي نظرة إن نظرتها  
وفي الدار خلفي صبيّة قد تركتهم  
ولا يكتفي باعتبار كثرة أولاده نائبة من النوائب بل جناية جناها  
بيده على روحه:

جنيت على روحي بروحي جنايةً  
فأثقلت ظهري بالذي خفّ من ظهري

(١) م.س. نفسه، ص ١٥٣.

(٢) ديوان الشاعر ابن أبي حصينة، م.س. ص ٣٥١.

صحيح أن الأولاد خرجوا من ظهره ولكنهم بدل أن يخف هذا  
الظهر بسبب ما خرج منه، أثقل.

وأما عدد الأولاد فهم ضعف عدد نجوم الثريا السبعة:

عداد الثريا مثل نصف عدادهم وَمَنْ نَسَلُهُ ضَعْفُ الثَّرِيَا مِنْ يَشْرِي  
وأخشى الليالي الغادرات عليهم لِأَنَّ اللَّيَالِيَّ غَيْرَ مَأْمُونَةَ الْغَدْرِ

وصف خادمه: «أم كدومة»

اشترى الفقيه عمارة خادمة بستين ديناراً فأرسل إلى الملك  
الصالح طلائع بن رُزَيْك يمازحه ويطلبه بمساعدة مالية ليدفع ثمن  
الخادمة فقال:

يا مَلِكاً سَاحَةً أَبْوَابِهِ بِاللِّثْمِ وَالتَّعْفِيرِ مَخْدُومِهِ  
قد اشترى الخادمُ مملوكَةً مَلِيحَةَ الصُّورَةِ مَعْدُومِهِ  
ذات فم مطعمه باردٌ وَاسْتَعْلَى الْأَيَّامِ مَحْمُومِهِ  
مُزَانَةٌ بِالطَّبْعِ مَصَاصَةٌ لَكِنَّهَا لَيْسَتْ بِكَادُومِهِ  
قِيمَتَهَا سَتُونَ لَكِنَّنِي أَعُوزُنِي الثَّلَاثُ مِنَ الْقِيمَةِ

وصف الشيب:

وقال ظافر الحداد يصف الشيب وينصح بتركه<sup>(١)</sup>:

يا مَنْ يَغْطِي شَيْبِهِ بِمَحَالِ تَزْوِيدِ الْخَضَابِ  
ويظن أن الناس عن إدراك ذلك في حجاب  
إن كان فقدان الشباب من المصائب الصعاب

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٤.

فزوال عقلك بالجنون أشد من عُدْم الشباب

وقال أيضاً يغالط من يصبغ شيبته:

وغازب غالط عن شيبه كأنما دلّ على عيبه  
لو كان أبقاه على حاله ما ألجا الناس إلى ريبه  
قد رام أن يخفى ومن خَلْفِهِ أدلّةٌ تعرب عن غيبه  
والشيب كالسيل إذا ما طما لم تدر ما يمنع من شيبه

وقال الوزير أبو القاسم بن المغربي في وصف الشيب<sup>(١)</sup>:

عجبت هندٌ من تسرّع شيبتي قلت هذا عقبى فطام السرور  
عوضتني يد الثلاثين من مسك عذارى رشاً من الكافور  
كان لي في انتظار شيبتي حسابٌ غالطتني فيه صروف الدهور

وصف قلب الإنسان وتقلباته:

وقال الشاعر عمارة يصف قلب الإنسان:

هل القلب إلا مضغةٌ تتقلب له خاطر يرضى مراراً ويغضب  
أم النفس إلا وهدةٌ مطمئنة تفيض ثغاب الهَمّ منها وتنضب  
فلا تلزمُ الناس غير طباعهم فتتعب من طول العتاب ويتعبوا  
فإنك إن كشفتهم ربما انجلى رمادهم عن جمرة تتقلب  
فتاركهم ما شاركوك فإنهم إلى الشرّ مذ كانوا من الخير أقرب  
ولا تغترر منهم بحسن بشاشة فأكثر إيماض البوارق خُلب

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٥٠٧.

## وصف المعاملات والرشوة في الدوائر الحكومية:

ووصف أبو بكر الطرطوشي طريقة تسهيل أمر المعاملات في الدوائر الحكومية<sup>(١)</sup>:

إذا كنت في حاجة مرسلًا وأنت بإنجازها مُعزِمٌ  
فأرسل بأكمه جلابيةً به صَمَمٌ أغطش أبكم  
ودع عنك كل رسول سوى رسول يقال له الدرهم  
وقد نسب مؤرّخو الجبل العاملي هذه الأبيات إلى الشاعر، البهاء العاملي.

## وصف ضيف ثقيل الدم:

وقال ابن دحية في وصف جليس ثقيل الدم<sup>(٢)</sup>:

لي جليسٌ عجبت كيف استطاعت هذه الأرض والجبال ثقُلُهُ  
أنا أرعاه مكرهاً وبقلبي منه ما يفلق الجبال أقلُّهُ  
فهو مثل المشيب أكره مرآه ولكن أصونه وأجلُّهُ

## وصف قاضي:

وقال عبدالله بن الحسين الجعفري يمدح محمد بن النعمان ويصف وظيفة القاضي الناجح<sup>(٣)</sup>:

تعادلت القضاة معافأماً أبو عبد الإله فلا عديل

(١) نفع الطيب، الجزء الثاني، ص ٨٦.

(٢) نفع الطيب، المجلد الثاني، م.س. ص ١٠٨.

(٣) كتاب المقفى الكبير، أحمد بن علي المقرئ، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة

١٩٨٧، ص ٣٦٥.

وحيدٌ في فضائله غريب  
تألق بهجة ومضى اعتزاماً  
ويقضي والسداده حليفاً  
لو اختبرت قضاياه لقالوا  
إن رقي المنابر فهو قسٌ  
إن حضر المشاهد فالخليل  
أي قس بن ساعدة في الخطابة والخليل بن أحمد الفراهيدي في  
علوم اللغة.

### وصف الحالة بعد شرب الدواء:

كانت الصيدليات منتشرة في الدولة الفاطمية، تحت اسم العشاب  
والصيدلاني، فالصيدلي كان يطلق عليه اسم العشاب، وكانت الدولة  
تعتمد دار الشراب مستودعاً رئيسياً للأدوية وكانت توزع الأدوية  
على الناس بالمجان.

قال الأمير تميم يصف العزيز بعد أن شرب دواءً منشطاً:

إن ذا اليوم إذ شربت دواءً  
فيه يومٌ من أفضل الأيام  
في اعتدال من الهواء رطيب  
من زمان صافٍ كصفو المدام  
في أوان قد أينع الورد فيه  
بافترار من نوره وابتسام

### وصف ملاح:

وقال الأمير تميم يصف ملاحاً يجذف بالنيل:

تعلقته ظالمًا غير ساهي  
وتفعل الحاظه في القلوب  
تناهى به الحسن كل التناهي  
فعال مجازيفه في المياه



يطلب استعارة كتاب: وطلب الأمير تميم من أحد أصحابه أن يعيره كتاب القيان والمغنين (الأغاني) فقال:

عند أهل العلوم والآداب      تبتغي كتبَ جواهر الآداب  
فتفضل يا من حوى قصبات      السبق في كل جيئة وذهاب  
بكتاب القيان إنني إليه      ذو غليل ولوعة واكتئاب  
مستعيراً له لأنسخ ما فيه      فيغدو مستودعاً في كتابي  
ثم يأتيك بعد ذلك سريعاً      ولك الشكر وهو خير ثواب

### وصف القرافة:

لم يترك الشعراء المصريون شيئاً إلا ووصفوه حتى المقابر وصفوها: قال تميم بن المعز في وصفها:

إذا كنت مصطفياً مربعاً      فحُصَّ القرافة بالإصطفاء  
منازلٌ معمورةٌ بالعفاف      مخصوصة بالتقى والبهاء  
ويُنْبَةُ فيها النيامَ الأذان      إذا مزق الليل سيف الضياء  
فمن ذا كرر به خشية      ومن مستهزل بطول الدعاء  
ولا خيرة في حياة امرئ      إذا لم يخف فصل يوم القضاء

### وصف أعور:

قال الفقيه عمارة اليمني يصف أعور ديوثاً:

يا أعور العين قل لي      ويا أشلَّ البنان  
لعلَّ قرئك عنا      يرد شرَّ القران  
لأنه قرن تيسٍ      مُبَطَّنٌ بأتان

## وصف رجل كثير النسيان:

آفة النسيان هي نوع من بداية الشيخوخة والخرف وقد وصفها  
ظافر الحداد عند صديقه أبي عامر بقوله<sup>(١)</sup>:

أفرط نسيان أبي عامر      وزاد حتى جاوز الأبلها  
حتى إذا حدثته لفظة      ينسك في ساعته قبلها  
حدثه بالأسرار مسترسلاً      وأبثته محظوراتها كلها  
ولا تخف نقلاً فنسيانه      في وقته يمنعه نقلها  
لو غاب عن منزله ساعة      ما عرف الدار ولا أهلها  
ولا بنيها ولا عرسه      ولا امتى كان بها بعلمها

وقد وصف النسيان بأبي عامر أنه:

إذا تشهد أبدى «لا إله» ولا      يَتَمَّهَاتِمُ يَنسَى بَعْدَ «إِلَاهُو»  
وكأنه كان يصف في أبي عامر نفسه فهو كان يسعى لأن يكتب  
ما يطلب منه على ورقة (طرس) ثم يضعها في جيبه ليتذكرها ولكنه  
بدأ ينسى الورقة في جيبه وينسى أنه ينسى:

أفرط نسياني إلى غاية      لم يُبْقِ فِي النسيان لي جنسا  
فصرت مهما عرّضت حاجةً      أعنى بها أو دعيتها طرسا  
حتى إذا عاودت طالعتها      ذكّرت العينُ بها النفسا  
فصرت أنسى الطرس في راحتي      وصرت أنسى أنني أنسى

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢٥.

## وصف منزل قبيح:

وقال ابن مكنسة يصف قبح منزله وضيقة<sup>(١)</sup>:

لي بيت كأنه بيتٌ شعري  
ضايقتني بناكُ وردان حتى  
أين للعنكبوت بيتٌ ضعفُ  
وإذا هبَّ فيه ريحُ السروايلِ فسَلَّمُ  
بُقعةٌ صدَّ مطلعُ الشمس عنها  
وهو لو كان بين حجِّي ونُسْكِ  
أنت وسَّعتَ بيتَ مالي فَوَسَّعَ  
وأجرني من الضنا وأجرني منك

## وصف غرفة ضيقة:

وكان ظافر الحداد قد اضطر أن يبني عند أحد أصحابه فأنزله في غرفة ضيقة، فوصفها بقوله<sup>(٢)</sup>:

ألا أعاد الله لي لي بحجرة  
وللبق فيها والبراغيث خلطة  
إذا ما عرانيين البعوض تجاوبت  
وقد أنضجت جسمي لهم نار حرها  
فبتُّ كأنِّي من حرارة نهشها  
وقفت بها حتى الصباح على ساق  
كبزر قطونا ذر في حب سَمَاق  
لنا وقعوا بالرقص إيقاع حُذَاق  
ولكنه نُضجٌ تناهى لإحراق  
سليم الأفاعي دون راق وترياق

(١) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٢١.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص ٢٣٧.

وما عجبني أن كدت أفتي بأكلها  
إلى أن تبدى الصُّبْحُ بعد تباعد  
فبادرت نحو الباب أطلب ملجأً  
بل عجبني أن كيف قد سلم الباقي  
فداركت من نفسي بقيّة أرماعي  
فسبحان من أحيأَ وَمَنْ بإطلاق

### وصف كانون الفحم:

وقال ظافر الحداد يصف الفحم الملتهب داخل الكانون<sup>(١)</sup>:

إذا ما جيوش القُرْ جاءت فرُم لها  
ولا تبعد الكانون عنك فإنّه  
فما البرد إلا الليث يلقي بعزمه  
جيوشاً ويخشى قرب أصغر موقد  
كميناً بأضعاف اللباس المحدد  
لأمنعها درعاً وأمضى مُهَنَّد  
وقال أيضاً:

كانَ جيوش الفحم من فوق جمره  
غدائر خود فرقتها وقد بدت  
فلما تناهى صبغه خلت أنه  
إلى أن حكى بعد الخمود رمادها  
وقد جُمعا فاستحسن الضدُّ بالضدِّ  
على خفر من تحتها حمرة الخدِّ  
فصوص عقيق أو جنى زهرة الورد  
غباراً من الكافور في قطع الندِّ  
وقال ظافر أيضاً يصف الفحم في الكانون:

انظر إلى الفحم في الكانون حين بدا  
تخال ما لاح من حسن اجتماعهما  
أو عِمَّةً من حدادٍ لم تَعُمَّ ولم  
سواده فوق مُحْمَرٍ من اللَّهَبِ  
لمحاً من البرق في جون من السحب  
تستر قلنسوة حمرا من الذَّهَبِ

(١) م.س. نفسه، ص ٩٠.

## وصف مدرسة:

أقدم الملك الصالح طلائع بن رزيك على بناء مدرسة في ثغر الإسكندرية وعين فيها الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني محاضراً ومشرفاً فمدحهما ابن قلاقس ووصف المدرسة بقوله<sup>(١)</sup>:

وشيدت بالإسكندرية بنيةً بها أصبح الثغر المبارك معلماً  
حُبوتَ بها فخر الأئمة فاغتدى بجمعهما شمل المعالي مُلماً  
بتدريسه فيها الدروس أساس ما يقيمونه الكفار أضحى مُهدماً  
به وبها لم يترك الله كافراً إلى أن غداً فضلاً من الله مُسلماً  
والظاهر أنها كانت جامعة وليست مدرسة لأن دروسها تبحث  
في «أساس ما يقيمونه الكفار». أي أنها جامعة أعدت لدراسة العقائد  
والأديان والفلسفات.

وفي قصيدة ثانية يمدح الملك الصالح ويتحدّث عن المدرسة ولا  
ندري أكانت هي نفسها أم مدرسة ثانية فيقول:

ولثغر الإسكندرية منه في العلى لا لغيره آثارُ  
شاد للعلم فيه مدرسا للثغر منها جنحُ الدجى أنوار  
ورأى الحافظ الإمام المُرجي لو زعيماً من دونه الأحبار  
فحباه بها يدرّس فيها لا افتخار إلا كذا الافتخار

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٢٩٨.

## التهنئة بظهور براءة الصديق «أبو العز» وخروجه من السجن:

كان لعمارة اليميني صديق يدعى مرتفع الطهر «أبو العز». ولكثرة الدسائس والوشايات التي سادت دوائر الدولة الفاطمية في أواخرها، ألقى مرتفع في السجن، ثم ظهرت براءته فوصف عمارة حاله في السجن وهنأه بقوله:

من استعان بغير الله لم يُعَنِ      ومن تعرَّز بالرحمن لم يُهَنِ  
وأروحُ الناس من باتت سريرته      نقيّة من دخيل الحقد والضَّغْنِ  
حاسب ضميرك تأمن من بوائقه      وازجره من خطرات العين والأذنِ  
وقم إذا رنقت من مقلة سِنَّةٍ      قيام منتبه من غفلة الوسنِ  
مستشفعاً برسول الله وابنته      وبعلمها والحسينِ الطهر والحسنِ  
ولا يغرنك عمرٌ سرٌّ أولُهُ      فإنَّ آخره لهممٌ والحزنِ  
ينساک بالموت من قد كنت تذكره      حتى كأنك قبل الموت لم تكنِ  
وينثنى عنك بعد الدفن كلُّ أخ      ويدخل العملُ المبرورُ في الكفنِ  
واعلم فديتك أن الصدق أفضل ما      ألزمت نفسك في سرٍّ وفي علنِ  
هذا أبو العزِّ لولا صدق نيَّته      في القول والفعل لم يخلص من المحنِ  
وأظهر الله فيهما من براءته      ما لم يجُلُّ قطُّ في الأوهام والظَّننِ  
ما ضرَّه أن صرف الدهر عانده      وأن أيامه خانته ولم يخُنِ

## وصف العود:

قال علي بن عبد الرحمن بن يونس المنجم صاحب الزيج الحاكمي يصف صوت مغنية متمازجاً مع صوت عودها<sup>(١)</sup>:

غَنَّتْ وَأَخَفَتْ صَوْتَهَا فِي عَوْدِهَا فَكَأَنَّهَا الصَّوْتَانِ صَوْتِ الْعَوْدِ  
غِيدَاءُ تَأْمُرُ عَوْدَهَا فَيَطِيعُهَا أَبْدَأُ فَيَتَّبِعُهَا اتِّبَاعِ وَدَوْدِ  
أَنْدَى مِنَ النُّوَارِ صَبْحاً صَوْتُهَا وَأَرْقٌ مِنْ نَشْرِ الثَّنَا الْمَعْهُودِ  
فَكَأَنَّهَا الصَّوْتَانِ حِينَ تَمَازَجَا مَاءِ الْغَمَامَةِ وَابْنَةُ الْعَنْقُودِ

وقال الأمير تميم في وصف العود:

لِسَانَ الْعَوْدِ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِي وَحَسَنُ بَيَانِهِ فَوْقَ الْبَيَانِ  
إِذَا شَدَّتْ مِثَالُثُهُ الْمَلَاوِي وَجَاوَبَتْ الْبُؤْمُومَ بِهِ الْمِثْلَانِي  
وَدَارَتْ أَكْوَسُ الصَّهْبَاءِ صَرْفَاءً وَحُرِّكَتِ الْغَوَانِي لِلْأَغَانِي  
فِيَا لَكَ مِنْ مَنَادِمَةٍ وَقَصْفِ تَزُولُ بِهَا مَلَمَّاتُ الزَّمَانِ

والملاوي والبم والمثاني، هي أسماء لأوتار العود.

وقال أيضاً في وصفه:

لَقَدْ نَطَقَ الْعَوْدُ عَنْ سِرِّهِ فغَادِرُ كُلِّ صَبْحِ كَثِيبِ  
فَشَبَّهَتْ مِيلَ مَعَاصِيرِهِ إِذَا مَلُنْ بِعَدَا سِتْوَاءِ وَطِيبِ  
بِوَجْهِ حَبِيبٍ بَدَا ضَاكِحاً فَعَنَّ لَهُ لِحْظُ عَيْنِ الرَّقِيبِ  
فَلَمَّا اسْتَوَى نَطَقَ أَوْتَارَهُ حَكَى نَقْرَهَا حَسَنَ لَفْظِ الْحَبِيبِ  
تَجَسَّسَ الْأَنَامِلَ دَسْتَانَهُ كَمَا جَسَّ عَرَقَ الْعَلِيلِ الطَّبِيبِ  
فِي سَمْعِنَا حَرَكَاتِ السَّرُورِ وَيَكْشِفُ عَنَّا بَنَاتِ الْكُرُوبِ

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار السبع السادس، م.س. ص ٣٠٠.

والدستان جمع دساتين، موضع رباط الوتر بالخشب حيث  
يرخى ويشد الوتر من خلاله وتلفظها العامة: دوزان.

### وصف جوقة تلحين كنسية:

كانت الألحان الكنسية منتشرة في صفوف الشعب المصري  
مسلمين ومسيحيين ككل الأصقاع العربية التي تتجاور فيها  
الطائفتان: الإسلامية والمسيحية. فترتيل القرآن مظهر حضاري عربي  
إسلامي وكذلك تطريب الألحان الكنسية مظهر حضاري عربي  
مسيحي، والألحان الكنسية محفوظة عن ظهر قلب في قرانا  
الإسلامية المسيحية في جبل عامل، لدى كل الأطفال والأولاد من كلا  
الطائفتين فالفكر الإسلامي الشيعي الإمامي مرتبط بالحرية، والحرية  
مظهر من مظاهر الحضارات الراقية والمتقدمة في ركب الإنسانية،  
كحضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي.

### وصف جوقة كنسية:

قال الشاعر المصري ابن الخياط يصف احتفالاً كنسياً<sup>(١)</sup>:  
وترى البَيْعَةَ فِيهَا الْقِسُّ شِبْهُ الْمَسْتَكِينِ  
ذَا خَضُوعٍ وَخَشُوعٍ وَبُكَاءٍ وَرَنِينِ  
وَتَمَائِيلٍ تَقَابِلُنْ بِرَفْقٍ يَسْتَبِينِي  
بَارِزَاتٍ يَتَمَايِلُنْ عَلَى الرَّقْصِ الْمَدِينِي  
وَجَوَارٍ يَتَجَاوِبُنْ بِأَصْنَافِ اللَّحُونِ  
فَهِيَ لِلْأَنْفَسِ لَذَاتٌ وَسِحْرٌ لِلْعَيْونِ

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، ص ١١٤.



لك في ذاك وهذا عمل ليس بدون  
أعجز الناس جميعاً بين مصريّ وصيني  
فثّرنا منه نفس الشجوف في حال المجون  
وترى حين تراه الشك في معنى اليقين

وقال ابن قلاقس يصف أحد المغنّيين بقواف مكررة الحروف،

كانها أعدت لتغنّي<sup>(١)</sup>:

لا أشـربُ الـراحَ إلاً  
وإن فـزيتُ فعندي  
قم يانديمي فأنـحيتُ  
غنّي وناح فَنزَعُ  
طاوع على القصفِ والعز  
وانهض بطيشك عن سَمُ  
هاتِ الكميـتِ وأهلاً  
أثورُ من ذى ومن ذا  
وإن رمتني الليالي  
وله في هجاء عازف:

تعبت وما أتيت لنابشيءٍ  
فلا تُكثِر عليّ نافي مُحالٍ  
وله فيه أيضاً:

ينافرُ إيقاعهُ صوتهُ  
ويتبعه زامرٌ مثلهُ  
فهذا يزيدُ وذاي نقصُ  
تبيعُ له نفسٌ أوقصُ

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ١٦١.

فإن قام ما بيننا راقصاً فكل إلى بيته يرقص  
وقال علي بن حبيب الراني يصف عوادة<sup>(١)</sup>:

وكان الفتاة في شدوها العذب      خطيبٌ والعود من أو ثانٍ  
جعلت كلُّ مُخبت ثاني العطف      وقد آمنت لحسن المثنائي<sup>(٢)</sup>  
جَسُّها العود جَسُّ أسٍ عليلاً      عند زم البنان للدستان<sup>(٣)</sup>  
ركبته على طبائعها الأربع      حَذَقاً وأعجزت في الأغاني  
قهقهت حين دغدغته سروراً      وابتهاج ألدَى الكؤوس القناني  
تتناهي زيادة حين تشدو      بعد إحسانها إلى إحسان  
وقال ابن قلاقس يوائم بين ارتفاع سلافة الخمرة وارتفاع نبرة  
صوت العود:

يتقاضى النديم محتبس الكأس      ويشدو عليه قبل التقاضي  
فهي والزيتر تارة في ارتفاع      وهو والبمُّ تارة في انخفاض  
وقال أبو الفتح بن قادوس يصف جارية سوداء<sup>(٤)</sup>:

وعاذل محترف      مجتهد في عذلي  
يلومني في ظبية      مخالوفة من كحل  
إن السواد علة      من نور هذي المقل  
والحجر الأسود لم      يخلق لغير القبل  
والقارم ذكان      وعاء السلسبيل السائل

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١٥٢.

(٢) المخبت: وتر العود.

(٣) الدستان: مفتاح شد الأوتار وترختها.

(٤) خريدة القصر، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ٢٢٢.

## أهمية الأمن والأمان في مصر الفاطمية

قال القاضي محمد بن النعمان بن حيون يصف أهمية الأمن والأمان في الحياة المصرية<sup>(١)</sup>:

تأملْ بذِي الدنيا تراها مشوبةً  
سروراً بحزن في تقلبِ أحوالِ  
وقد قُسمتْ أشياءُها بين أهلها  
فمال بلا أمن وأمن بلا مالِ

### وصف رجل أكل:

قال ابن هاني يصف رجل أكل<sup>(٢)</sup>:

أنظُر إليه وفي التحريك تسكين  
يا ليت شعري إذا أومى إلى فمه  
كانها وخبث الزاد يُضرمُها  
تباكر الله ما أمضى أسنَّتهُ  
كان بيت سلاح فيه مختزناً  
أين الأسنَّةُ أم أين الصوارم أم  
كانما الحمل المشوي في يده  
لف الجراء بأيديها وأرجلها  
وغادر البَطُّ من مثني وواحدة  
كانما التقت منه الثنانين  
أحلَّقُهُ لهوات أم ميادين  
جهنم قُذِفَتْ فيها الشياطين  
كانما كل فك منه طاحون  
مما أعدته للرسل الفراعين  
أين الخناجر أم أين السكاكين  
ذو النون في الماء لما عضه النون  
كانما افتترستن السراحين  
كانما اختطفتن الشواهين

(١) اتعاظ الحنفاء، الجزء الثاني، ص ٢٢.

(٢) ديوان ابن هاني الأندلسي، ط ١، بيروت، دار الجيل، سنة ١٩٩٦، ص ٤٦٢.

يخفّض الوزّ من رأس إلى قدم      وللبلاعيم تطريب وتلحين  
كانّ في فكّه أيتام أرملة      أوباكيات عليهنّ التبايين  
نصحتكم فخذوا من شدقه وزراً      أولا فأنتم سويق فيه مطحون  
فليس ترويه أمواه الفرات ولا      يقوته فلك نوح وهو مشحون

إذا عدنا إلى كل الكتاب والمؤلفين الذين ألفوا الكتب ودبّجوا  
المقالات عن حضارة شعب من الشعوب، أي شعب، نجد أنّهم وصفوا  
طريقة حياتهم اليومية، من فرح وحزن، وأكل وشرب، ونحت ورسم  
وتصوير ووصفوا، المعامل والمصانع، ووصفوا الإنتاج الفني بكل  
مظاهره ومناحيه.

وشعراء مصر الفاطمية لم يتركوا شيئاً صغيراً كان أم كبيراً  
من الدورة الحياتية اليومية وحركة المجتمع الاقتصادية والمعيشية  
والفكرية والسياسية والعسكرية إلا ووصفوها بشعرهم ونثرهم.

وجاءت قصائدهم لوحات وصوراً ناطقة بالصوت والصورة  
بكلمات منتقاة منتخبة، يستطيع من خلالها القارئ أن يرى المستوى  
الحضاري المتقدّم، والرفاهية الفائقة، ونمط العيش الرائق والمترف  
الذي كانت تعيشه مصر في ظل نظام الحكم الإسلامي الشيعي  
الإمامي، والذي ذهب بذهابه من مصر ولم يعد، الغنى، الترف، الدعة،  
الحرية الدينية، الإبداع، التآلق، الإسلام الأصيل العروبة، وحلّ محله:  
الفقر، شظف العيش، القلق على المصير، الطائفية المقيتة، عمق الفكر،  
التفوق، الإسلام الكردي والمملوكي والتركي الجاهل للغة والقرآن  
والحديث النبوي الشريف.

وقد استمرّت السحابة الكردية المملوكية التركية من سنة  
٥٦٧هـ / ١١٧١م / حتى سنة / ١٣٧٢هـ / ١٩٥٢م / حين أقدم  
البطل جمال عبد الناصر على طرد هذه السحابة من سماء مصر  
والأمة العربية وإلى الأبد. وحلّ محلّ حكم هؤلاء الجهلة، حكم أبناء  
مصر الضاربين عمقاً في التاريخ والعروبة والحضارة، مسلمين  
ونصارى.

## شعر الحرب أو الشعر العسكري في أدب مصر الفاطمية

كان لموقع مصر الجغرافي، وسطاً بين الشرق والغرب، ووسط الأمة العربية والإسلامية، أهمية بشرية وعسكرية وسياسية، جعلت منها ومن الشعب المصري الموقع الصدامي الأول في كلّ الحروب التي خاضتها الأمة العربية والإسلامية ضد أعدائها من بيزنطيين وصلبيين وتتار، عبر تاريخها المفعم بالبطولات.

وسنرى أن الحقبة التي ظلّ فيها الإسلام الشيعي الإمامي أرض مصر وشعبها، كانت من أصعب حقبات التاريخ الإسلامي، لذلك كان لمصر ولشعبها وحكامها من خلفاء بني فاطمة، دور مهم في تحديد مسار الأحداث السياسية والعسكرية المتلاحقة. وكان شعراؤهم الصدى والصوت والصورة الحقيقية المعبرة عن هذه الأحداث.

قال جعفر بن منصور اليماني يصف معارك الخليفة القائم مع مخلد بن كيداد الخارجي ويمدح الخليفة في نفس الوقت<sup>(١)</sup>:

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع الخامس، ص ٣٢٩.

ويا مصطفى آل النبي محمد  
أمور الوري من ذي مغيب ومشهد  
من الله والتأييد في كل مقصد  
مدى الدهر محبواً بنصر مجد  
لينجو فما أنجاه طول التبعد  
رصدن له بالحتف في كل مرصد  
ومطلبه في كل خبت وفد فد  
إلى أجل وافاه من غير موعد  
يريد من الأيام ما لم تعود  
إلى مبرق بالترهات ومرعد  
مخافة ليث في المهالك مورد  
ونصر لمن والاه بالعز مسعد  
على الناكث ابن المارق المتمرد  
على صعدة تهوي به كل فد فد  
بدار إلى باب النجاح المصمد  
ومن يكتسب فعلاً من الخير يحمّد  
كذي لجب يطفو على الشط مزبد  
يبيد عداه بالقنا المتقصد  
سينهض إسماعيل في اليوم أو غد  
وأقلقهم بالذعر من كل مقعد  
حذاراً وإلا طائعا لم يشرد  
مسددة فيها لهيئة أصيد

أيا أمين الله يا عالي اليد  
ويا خير من ألقى إليه قيادها  
هنياً لك التوفيق في كل حالة  
ولا زلت مسروراً بفتح مبيّن  
أراد النجا إذ فر فضل بن مخلد  
وألفى المنايا شرعاً يفتنصنه  
حتمت على كل القبائل أخذه  
وطاشت به للحين شقوة جدّه  
تعرض في أقصى النواحي ببغيه  
فعادت عيون المارقين غضيضة  
فثارت له بالمشرفية عصبه  
وقامت لسلطان الإمام وسعده  
فدارت رحي الموت المبيد سريعة  
فاضحى ابن دجال النفاق ورأسه  
يسير بها من قام في نصره الهدى  
إلى باب خير الخلق للحمد عنده  
ففاض عليه من عطاياه زاخر  
ولم يزل المنصور بالله قادراً  
إذا قيل للطاغين في كل بلدة  
أطارهم من قال في كل موضع  
فأمسوا معاً إما طريداً مزائلاً  
فها تلك أقطار الهدى وقراره

فيا خالق الدنيا وَلِيكَ قَائِمٌ  
 أبو الطاهر الميمون أنت اصطفيته  
 فمهد له الدنيا بأن قد جعلته  
 الأيا أمير المؤمنين لقد قضى  
 ودم للهدى والمكرمات ممتعاً  
 فدونك يا بن النبي محمد  
 فَمِنْ وَأَفْضَلُ مَنْعاً بقبولها  
 وصلّى عليك الله ما قال قائل  
 بحقك فانصره على كلُّ مُعْتَدِي  
 إماماً مُتِمّاً عن رسولك أحمد  
 إماماً شهيداً في العباد لمشهد  
 لك الله حتماً بالعلی فاعلٌ وازدد  
 بعزّ على طول الزمان مخلد  
 نتيجة ودُّ خالص متجدد  
 فمن يعط حظاً من قبولك يسعد  
 وما خطت الأقلام في الطرس باليد

وبعد وقوع ابن كيداد في الأسر حمل على بغير وخلفه قردان،  
 يصفعانه وينتفان لحيته، ووصف عملية تطويفه الشاعر محمد بن  
 ناسك التونسي بقوله<sup>(١)</sup>:

ففاضت على غير مأملة  
 فأركب تمثاله بازلاً  
 وزامل قردين فوق البعير  
 فما يرعيان له حرمة  
 وقد علما قبل أن يلقياه  
 فياهامة غادر أصحابها  
 ويال حية ذاك يلهوبها  
 أتيت به خاسئاً حاسراً  
 وقد كثر الله أوزارها  
 يريح المطي وأكوارها  
 كأسرى تفاوض أسرارها  
 إذا ما القرودرعت جارها  
 وخذ الأكف وأظفارها  
 وقد هتك الصك أستارها  
 وهذا ينتف أوبارها  
 يزور القري لا كما زارها

(١) م.س. نفسه، ص ٣٠٦.



وقال عبد الله بن أصبغ يصف معارك الإمام المنصور بالله مع  
مخلد بن كيداد<sup>(١)</sup>:

ويوم بأرض القيروان شهدته  
وعاشت به الأبطال خوفاً وأخرست  
لذي معرك ضنك تضايق للردى  
أزال رجالاً حوله عن صفوفهم  
وقامت بأهواء اللعين مطامع  
فلما دنى من حومة الليث في الوغى  
ترأدت له تلك الجلالة فانثنى  
فسرت إليه مقدماً متدرّعا  
فولأكَ ظهراً وقرته ذنوبه  
فمروكاد الخوف يضرم قلبه  
فيا جمعة ما كان أعظم فضلها  
وعدت إليه عودة هاشمية  
وعندما انهزم حباسة أمام المصريين كتب القائم بأمر الله  
الفاطمي، ولي عهد الإمامة والخلافة إلى والده الخليفة المهدي بالله  
يمدحه ويعده بالنصر<sup>(٢)</sup>:

أناسيف الإله وابن رسول الله  
وإذا ما الغمام أشجم جدواه  
يقصر القتل دون بغداد حتى  
قطب الهدى وللناس قبله  
يكون الإمام للناس مثله  
يظهر الله بالعراقين عدله

(١) م.س. نفسه، ص ٢٤١.

(٢) عيون الأخبار وفتون الآثار، السبع الخامس، ص ١٢٨.

يا إمام الهدى ومن طيب الله  
تفخر الأرض حين تعلق ثراها  
يا ابن من أسدلت عليه ستور  
بك ظلّ الفخار يفخر والجود  
ثم أنهضتني لمصر وشام  
فأناسيفك الذي يفلق الهام  
يغرب الغرب والمشارك منه  
كم مطيع قد كان طود عزّ  
وكفور مناصب ذي عناد  
وأناسهمك السريع إليهم  
لا أرى هائباً السهل ووعر  
فبحسن اليقين والحزم والعزم  
فانتظرياً خليفة الله ما قد  
من فتوح تلقاك بالعزّ والنصر  
وكتابي إليك من غاية البعد

ولما كان عيد الفطر، والقائم بأمر الله عليه السلام، مقيم  
بالإسكندرية، خرج صلوات الله عليه فصلّى بالناس صلاة العيد في  
السنة المذكورة، وخطب عليه السلام خطبة العيد بالإسكندرية فقال:  
«بسم الله الرحمن الرحيم، الله أكبر، الله أكبر، ولا إله إلا الله، والله أكبر،  
الله أكبر، لا حكم إلا الله، ولا طاعة لمن عصى الله، إلا لعنة الله على  
الظالمين، الذين يصدون عن سبيل الله، ويبغونها عوجاً، ويقتلون  
الذين يأمرون بالقسط من الناس.

الحمد لله الخلاق العليم، المدبر الحكيم، الذي له مقاليد السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير، ما يكون من نجوى ثلاثة إلا وهو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم، أينما كانوا أحاطت بهم قدرته وعلمه، ولا يحيطون بشيء من علمه. إلا بما شاء، عنت الوجوه للحي القيوم، وقد خاب من حمل ظلماً، هو الأول قبل كل أوان، وزمان، ومكان، وغاية، ونهاية، وهو اللطيف الخبير الذي خلق السموات بغير عمد ترونها، فخلق مصابيحها، وأضاء شمسها، وأنار قمرها، والأرض بعد ذلك دحلهما، وفجر ينابيعها، وأخرج منها مائها، ومرعاها، فسبحان الذي لا يدل عليه إلا بآياته، وما فطر من أرضه وسمواته، وبان لخليقتهم من تدبيره، وتكامل رسله إلى الأمم كافة من عباده، إذ قال لهم: «فاطر السموات والأرض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجل مسمى».

### وصف حملة حباسة بن يوسف الكتامي على مصر:

أول محاولة لفتح مصر كانت على يد الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي، فقد أرسل المهدي القائد حباسة بن يوسف الكتامي سنة ٣٠٢هـ، فوصل حباسة الإسكندرية ثم الجيزة ولكن الجيوش العباسية هزمته وقتلت رجاله، فعاد مهزوماً إلى تونس، فوصف الشاعر ابن مهران هزيمة الجيوش الفاطمية في مصر بقوله<sup>(١)</sup>:

(١) كتاب المقفَى الكبير، المقرئ، ط ١، بيروت، دار الغرب الإسلامي، سنة ١٩٨٧، ص ٤١.

وأى وقائع كانت بسقطِ  
وقد وافى حباسةً في كتام  
وقد حشدوا المصرو ودون مصر  
وأقبل جاهلاً حتى تخطى  
بكتبِ جماعة قد كاتبوه  
وكل كاتبوه ونافقونا  
الأبل بين مشتول وسفطِ  
بكل مهندٍ وبكل خطي  
له خرط القتاد وأي خرطِ  
وجاز بجهله حدّ التخطي  
فمن أقباط مصر وغير قبط  
وكل في البلاد له مؤطي

ونفهم من هذا الشعر أن المصريين كاتبوا عبيد الله المهدي يطلبون منه المجيء. وفي القصيدة إشارة واضحة لهذا الأمر فابن مهران يؤكد «أن الكل كاتبوه» وأن الكل في البلاد المصرية «له مؤطي».

ويصف وصول الدعم الفاطمي بقيادة سليمان بن كافي، ورغم هذا الدعم، وبالرغم من ميل الشعب المصري لأبناء فاطمة لم يستطع عبيد الله المهدي فتح مصر. يقول ابن مهران:

وإفاناسليمان بن كافي  
يخط الأرض في غير المخط  
وحفت بالأمير له رماة  
من الأتراك ممن ليس يخطي  
ولاسيما وعن قسني صلاب  
وفتيان تمادت بالتمطي  
ويصف وصول العساكر العباسية بقيادة تكين والقاسم بن سيما وإنزالهم الهزيمة بحباسة فيقول<sup>(١)</sup>:

فكم بالجسر من رأس وكف  
ومرّ لنا مع الإقبال يوم  
ومصلوب ومشدود بشرط  
شفى ما في القلوب لكل ملط<sup>(٢)</sup>

(١) كتاب المقفى الكبير، المقرئزي، م.س. ص ٤٠.

(٢) الملط: المجهول النسب.

فقل لحباسة إن كنت عنّا مضيت فإن قتلك ليس يُبْطِي  
بحول الله ذاك فصدّقوني وهذي رقعتي لكم بخطّي  
وقد صدق ظن ابن مهران لأن عبيد الله المهدي قتل حباسة فور  
عودته لتخاذه وانسحابه من معركة الجيزة.

أما نافع بن محمد بن عمرو فيعتبر أنّ الحرب بين حزب الإسلام  
(العباسيون) وحزب الكفر (الفاطميون) فيصف المعركة بقوله<sup>(١)</sup>:

الاشُّقَّ جيب الصبر وإن كنت موجعا ولا يُلْفِ لاح فيك للعذل مطمعا  
لمادهم الإسلام من فجع حادث تهمّ له أركانه أن تضعضعا  
لمصرع إخوان على الدين صُرّعوا لنصرة دين الله يالك مصرعا  
فماتوا كراماً ما استضيموا أعزّة يلاقون في الله الأسنة شُرّعاً  
وقد صاح فيهم بالنفير أميرهم فجاؤوا سراعاً حاسرين ودُرّعاً  
فصادمهم في الناكثين فأيدوا وكانوا حماة الدين أعلى وأمنعا  
هذا رأيه بالجيوش العباسية أما الجيوش الفاطمية فقد وصفها  
بقوله:

فولّوا بِخَرْيِ طُوقْتَه كِتَامَةٌ وقد سقيت كأساً من الموت مُتْرَعاً  
ألوفُ أباد القتلُ جَمَّ عديدهم فأمسوا طعاماً للكلاب ومرتعا  
ترى القوم صرعى في الحلافي جوائمها كأعجاز نخل بالبقيع تبلقعا  
وطيف بهامِ الفاسقين على القنا وبضّع من لحماتهم ما تبضّعا  
وكانت لحزب الكفر إذ ذاك عطفة فقتل من أشياعنا من تسرّعاً  
فصلّى على تلك النفوس مليكها وعوضها أبقى ثوابٍ وأنفعا

(١)

وجرت محاولات أخرى لفتح مصر قام بها القائم بأمر الله وأبو الطاهر منصور، وكلها باءت بالفشل. إلى أن قدم جوهر الصقلي مصر ففتحها.

### وصف فتح مصر من قبل جوهر الصقلي:

قال الشاعر ابن هاني يصف وضع مصر قبل دخول جوهر واستيلاء الخدم عليها بعد أن كانت دار إمارة<sup>(١)</sup>:

ثغر أضع حريمه أربابه      حتى أهين عزيزه واستضعفا  
يصل الرنين إلى الرنين بحادث      يربدُّ منه البدر حتى يكسفا  
مالي رأيت الدين قل نصيره      بالمشرقين وذلّ حتى خُوفنا  
هم صيروا خدماً تسوس أمورهم      يا للزمان السوء كيف تصرّفا  
وهي صورة معكوسة لوجهة نظر شاعر العباسيين، فقدم جوهر إلى مصر، سببه قلة نصرّة دين الإسلام فيها. حيث يقول:

من كلُّ مسودّ الضمير قد انطوى      للمسلمين على القلى وتلقفا  
عُبدانٌ عُبدانٍ وتُبّع تُبّع      فالفاضلُ المفضولُ والوجه القفا  
ويذكر استعانة أهل مصر بالخليفة المعزّ لدين الله للحفاظ على الأمن والإسلام في مصر فيقول:

حتى استعان بأهل بيت محمّد      من لم يجد للذلّ عنكم مصرفا  
ويصف حالة مصر الأمنية والدينية فيقول:

يا ويلكم أفعالكم من صارخ      إلا بثغر ضاع أو دين عفا

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، م.س. ص ٧٠.

فمدينة من بعد أخرى تُسْتَبَى وطريقة من بعد أخرى تقتفى  
حتى لقد رخصت ديار ربيعة وتزلزلت أرض العراق تخوفاً  
والشام قد أودى وأودى أهله إلا قليلاً والحجاز على شفا  
ف عجبت من أن لا تميد الأرض من أقطارها وعجبت أن لا تخسفا  
ويتجه للعرب والمسلمين مقدماً لهم الحل:

هذا المعز ابن النبي المصطفى سيذب عن حرم النبي المصطفى  
في صدر هذا العام لا يلوي على أحد تلفت خلفه وتوقفوا  
وأنا الضمين له بملك قيادكم طوعاً إذا الملك العنيف تعجرفا  
فكأنني بالجيش قد ضاقت به أرض الحجاز وبالمواسم دلفا  
ولما جهز الخليفة المعز الجيوش بقيادة جوهر الصقلي للذهاب  
إلى مصر ولإعادة الأمن والاستقرار إلى ربوعها، وصف ابن هاني  
هذا المشهد بقوله:

رأيت بعين فوق ما كنت أسمع وقد راعني يوم من الحشر أروع  
غداة كأن الأفق سُدَّ بمثله فعاد غروب الشمس من حيث تطلع  
فلم أدر إذ سلّمت كيف أشيّع ولم أدر إذ شيعت كيف أودّع  
وأين؟ ومالي بين ذا الجمع مسلك ولا لجوادي في البسيطة موضع  
وبعد أن وصف التجمعات والحشود، وأثرها في النفوس وصف  
الألوية والعساكر بقوله:

فلا عسكر من قبل عسكر جوهرٍ تخب المطايا فيه عشرأ وتوضع.  
وكانه كان على علم بقرار استحداث مدينة القاهرة وبنائها:  
إذا حل في أرض بناها مدائناً وإن سار عن أرض ثوت وهي بلقع  
ووصف الرماح والسيوف المشرعة أمام الخليفة المعز تتأهب

لرد الاعتبار إلى مصر وأهلها:

إلى أن تبدى سيف دولة هاشم  
كانّ ظلال الخافقات أمامه  
كانّ السيوف المصلتات إذا طمت  
كانّ العتاق الجرد مجنوبة له  
كانّ حماة الرّحل تحت ركابه  
كانّ خلاخيل المطايا إذا غدت  
على وجهه نور من الله يسطع  
غمائم نصر الله لا تتقشع  
على البرّ بحر زاهر الموج مترع  
ظباء ثنت أجيادها وهي تُتلع  
سيول نداءه أقبلت تتدفّع  
تجاوب أصداء الفلا تترّجع

ووصف الخليفة المعز وهو يودّع الجيوش:

لقد جلّ من يقتاد ذا الخلق كلّه  
تحفّ به القواد والأمر أمره  
برود أمير المؤمنين بروده  
وبين يديه خيله بسروجها  
وأعلامه منشورة وقبابه  
ويصف بيت المال الذي حمل

على أكثر من مائتي بغل ووزّع  
على العسكر وعلى المصريين أثناء العملية:

تحلّ بيوت المال حيث يحلّه  
إذا ماج أطناب السرادق بالضحي  
وسلّ سيوف الهند حول سريره  
وأقبل فوجٌ بعد فوج: فشاكِر  
وجمّ العطايا والرواق المرفّع  
وقامت حواليه القنات تنزعزع  
ثمانون ألفاً: دارع ومقنّع  
له أو سؤول أو شفيعٌ مُشَفّع

ووصف بدء رحلة تحرير مصر من الغرباء والدخلاء فقال:

ونودي بالترحال في فحمة الدجى  
فجاءته خيل النصر تردي وتمزّع  
وفى خذه الشعري العبّور تطلّع  
فلاح لها من وجهه البدر طالعاً



فكبرت الفرسان لله إذ بدا  
وعبّ عباب الموكب الضخم حوله  
وقدرت ثبت فيه الملوك مراتباً  
ويعد المصريين بالخير الوافر  
والمعز دخول مصر:

رحلت إلى الفسطاط أيمن رحلة  
وما جهلت مصرٌ وقد قيل: من لها؟  
وإنك دون الناس فاتح قفلها  
فإن يك في مصر رجالٌ حلومها  
ولو قد حطت الغيث في عقر دارهم  
وداويتهم من ذلك الداء إنّه  
وكفكفت عنهم من يجوز ويعتدي  
إذا لرأوا كيف العطايا بحقها  
وأنساهم الإخشيد من شسع نعله  
تحملت أعباء الخلافة كلّها  
وصف فتح مصر:

ولما دخل جوهر الصقلي الفسطاط (مصر القديمة) وأعاد إلى  
مصر رونقها وأمنها وبهجتها قال ابن هاني:  
تقول بنو العباس هل فتحت مصر  
وقد جاوز الإسكندرية جوهرٌ  
وقد أوفدت مصر إليه وفودها  
فقل لبني العباس قد قضيت الأمر  
تطالعه البشري ويقدمه النصر  
وزيد إلى المعقود من جسرها جسراً

ويعتبر الجيش الفاطمي: جيش الإله وجيش الإسلام ونبيه:

وقد أشرفت خيل الإله طوالعاً  
وذا ابن نبي الله يطلب وتره  
على الدين والدنيا كما طلع الفجرُ  
وكان حَرٍ أن لا يضيع له وترُ  
ويخاطب المصريين بقوله:

أطيعوا إماماً للأئمة فاضلاً  
فإن تتبعوه فهو مولاكم الذي  
كما كانت الأعمال يفضلها البرُ  
له برسول الله دونكم الفخرُ  
أفي ابن أبي السبطين أم في طليقكم  
تنزلت الآياتُ والسور الغُرُ  
ويعني بالطلاق: العباس بن عبد المطلب جدّ الخلفاء العباسيين.

ويصف الحالة السياسية المستجدة على الساحة الإسلامية بعد  
دخول مصر:

الا تلكم الأرض العريضة أصبحت  
فقد والت الدنيا لآل محمّد  
وما لبني العباس في أرضها فترُ  
وقد جرّرت أذيالها الدولة البكر  
وردّ حقوق الطالبيين مَنْ رَكَتْ  
صنّاعه في آله وزكا الذخُرُ  
به اتصلت أسبابها وله الشكر  
من انتاشهم من كلّ شرق ومغرب  
وُبدّل أمناً ذلك الخوفُ والذعرُ

وكنا قد أشرنا كيف اتصل وجهاء مصر بعمّ أحمد بن خماوريه  
واستدعوه من الشام ليؤمّروه عليهم، فجاء ونصب عليهم بعد أن  
نهبهم وهرب بما نصبه ونهبه إلى الشام، وكيف أن العساكر  
الإخشيدية بدأت تعيثُ فساداً بمصر وأهل مصر وأمن مصر، ممّا  
اضطر أعيان مصر للاتصال بالخليفة المعزّ والطلب إليه أن يشمل  
مصر برعايته وأمنه.

ويتجّه للمسلمين الشيعة الإمامية بقوله:

فكل إمامي يجيء كما أتما  
فقد صارت الدنيا إليكم مصيرها  
إمام رأيت الدين مرتبطاً به  
هو الوارث الدنيا ومن خلقت له  
ويصف جوهرأ بقوله:

غدا جوهرٌ فيها غمامة رحمة  
كأنني به قد سار في الناس سيرةً  
ويصف عدله ورفقه بالمصريين تنفيذاً لأوامر الخليفة المعز  
لدين الله:

سننت له فيهم من العدل سُنَّةً  
وأوصيته فيهم برفقك مردفأ  
يقول رجال شاهدوا يوم حكمه  
فحسبكم يا أهل مصر بعدله  
رضينا لكم يا أهل مصر بدولة  
هي الآية المُجَلَى ببرهانها السحر  
بجودك معقوداً به عهدك البر  
بذاتُ عَمَرُ الدنيا ولو أنها قَفُرُ  
دليلاً على العدل الذي عنه يَفْتَرُ  
أطاع لنا، في ظلها الأمن والوَفُرُ

## الحرب ضد الروم البيزنطيين

كان الفرس والروم يشكلان أعظم دولتين عالميتين قبل الإسلام، ولكل دولة منهما حضارة مميّزة. ولما جاء الإسلام قضى على الدولة الفارسية، وبدأ يتطاحن مع الدولة الرومية اليونانية التي ورثت حضارة اليونان والرومان في روما، وأخذت اسم الروم في التاريخ الإسلامي وجعلت من بيزنطية (استانبول) عاصمة تاريخية لها.

عندما غادر هرقل ملك الروم سوريا سنة ٦٢٨ ميلادية، ظنّ أنه سيرجع إليها قريباً ولكنّ عودته تأخرت كثيراً، واستمرّت حرب المسلمين على بيزنطية من أيام معاوية ومسلمة بن عبد الملك والعباسيين حتى أواخر القرن الخامس الهجري ببدء الهجوم الصليبي سنة ٤٩٢هـ. حيث توحدت قوى الروم البيزنطيين مع قوى الفرنجة وتداخلت، وشكّلت فريقاً معتدياً موحداً على الشرق العربي والساحل السوري.

ولما كان الشعراء في طليعة كلّ معركة اجتماعية وسياسية وعسكرية، كان لا مناص من إيراد رأيهم ونظرتهم وموقفهم وأوصافهم لهذه الأحداث والمعارك:

في قصيدة مدح فيها ابن هاني الخليفة المعز وضممتها وصفاً لما فعله بالروم البيزنطيين، جاء فيها<sup>(١)</sup>:

وقد حاكمته الروم في لَجَبٍ      وكان الله حكماً غير مردودٍ  
قضيت نخب المعالي من بطاركهم      وللدماسق يومٌ جد مشهود  
ذموا قنك وقد ثارت اسنثها      فمات ركن وريداً غير مورود  
طعنٌ يُكُوِّرُ هذا في فريصة ذا      كأن في كل شلو بطن ملحود  
حويت أسلابهم من كل ذي شُطَبٍ      ماضٍ ومطرّد الكعبيين أملود  
حتى أتوك على الاقتاب من بُهَمٍ      خزر العيون ومن شوس مزاويد  
وفوق كل قنابز مُسْتَلَبٍ      وفوق كل قنابة رأس صنديد

ويصف حالة الرعب والهلع التي أصابت الروم وما حلّ بأرضهم:  
لو كان للروم علم بالذي لقيت      ما هُنْتُت أم بطريق بمولود  
لم يبق في أرض قسطنطين مُشْرِكَةً      إلا وقد خصّها ثكلٌ بمفقود  
أرض أقيمت رنيناً في مآتمها      يُغني الحمائم عن سجع وتغريد  
ألقي الدمستق بالصلبان حين رأى      ما أنزل الله من نصر وتأييد  
فقل له: حال من دون الخليج قنا      سُمُرٌ وأدرع أبطال مناجيد  
قد كانت الروم محذوراً كتائبها      تدني البلاد على شحط وتبعيد  
ملكٌ تأخر عهد الروم من قديمٍ      عنه كأن لم يكن دهرأ بموجود  
لو كنت سائلهم في اليمّ ما عرفوا      سُفَع السفائن من عفر الملاحيد

وقال يصف حرب المعز للروم بحراً وبرزاً ودبلوماسية:  
ملك تلقى عن أقاصي ثغره      أنباء ذوي دُولٍ إليه تدولُ

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، م. س. ص ٧٠.

لو أبصرته الروم يومئذِ دَرَّتْ قُلُوبُهُمْ لَمَّا رَأَوْهُ كَذِبًا  
لَمَّا أَصْدَرْتَهُ لِنَاقِنَا وَنُصُولُ فِي أَيِّ مَعْرَكَةٍ ثَوَىٰ مَانُوِيلُ  
مَنْعَ الْجُنُودِ مِنَ الْقُفُولِ وَرَاجِعًا تَبَّأَلَهُ بِالْمَنْدِيَّاتِ قُفُولُ

ويصف الجيوش الفاطمية المهاجمة فيقول:

جَاؤُوا وَحَشُوا الْأَرْضَ مِنْهُمْ جَحْفَلُ ثُمَّ انْتَنُوا بِالرَّمَاكِ تَقْصُدُ  
لَمْ يَتْرَكُوا فِيهَا بَجْعَاجَ الرَّدَىٰ إِنْ التَّيَّامُ الدَّمَسْتَقُ حَرَبَهَا  
لَا أَرْضَهَا حَلَبٌ وَلَا سَاحَاتَهَا لَجِبٌ وَحَشُوا الْخَافِقِينَ صَهِيلُ  
بَارِدٌ وَلَا بِالْمَرْهَفَاتِ فُلُولُ إِلَّا النَّجِيعُ عَلَى النَّجِيعِ يَسِيلُ  
لِلَّهِ فِيهَا صَارِمٌ مَسْلُولُ مِصْرٌ وَلَا عَرْضَ الْخَلِيجِ النَّيْلُ

ويصف ما حل بالجيوش البيزنطية قائلاً:

لَيْتَ الْهَرَقْلَ بَدَابَهَا حَتَّىٰ انْتَنَىٰ تِلْكَ الَّتِي أَلْقَتْ عَلَيْهَا كَلْكَالًا  
ذَرَّةٌ يَجْمَعُ الْفَافَ كَتَيْبَةً لَوْ كُنْتَ كَلَّفْتَ الْجِيُوشَ مَرَامَهَا  
فَكَفَاكَ وَشَكُّ رَحِيلَهُ عَنِ الْأَرْضِ فَلْتَعْلَمِ الْأَعْلَاجُ عِلْمًا ثَاقِبًا  
وَلِيَعْبُدُوا غَيْرَ الْمَسِيحِ فَلَيْسَ فِي هَلْ كَانَ يُعْرِفُ لِلْبَطَارِقِ قَبْلَ ذَا  
أَتَىٰ لَهُمْ هِمَمٌ وَمِنْ عَجَبٍ مَتَىٰ أَهْلُ الْفِرَارِ فَلَيْتَ شَعْرِي عَنْهُمْ  
الْأَكْثَرِينَ تَخْمَطًا وَتَكْبَرًا وَعَلَى الدَّمَسْتَقِ ذَلَّةٌ وَخَمُولُ  
وَلَهَا بِأَرْضِ الْأَرْمَنِينَ تَلِيلُ فَهُوَ الثُّكُولُ وَجَمْعُهُ الْمَفْلُولُ  
كَلَّفْتُهَا سَفْرًا إِلَيْهِ يَطُولُ عَنْ أَنْ يَكُونَ الْعَامُ مِنْكَ رَحِيلُ  
أَنَّ الصَّلِيبَ وَقَدْ عَزَزْتَ ذَلِيلُ دِينِ التَّرَهَبِ بَعْدَهَا تَأْمِيلُ  
بِأَسِّ وَرَأَىٰ فِي الْجِلَادِ أَصِيلُ غَدَتِ اللَّقَاحُ الْخُورُ وَهِيَ فَحُولُ  
هَلْ حَدَّثُوا أَنَّ الطَّبَاعَ تَحُولُ مَا لَمْ تُهَزَّ أَسْنَةٌ وَنُصُولُ

ويصف تراجعهم عن الحرب وطلبهم الهدنة والمعاهدة وإرسال

الرسل فيقول:

حتى إذا ارتعص القنا وتلمّظت حرب شَرُوبٌ للنفوس أكلول  
رجعوا فابدوا ذلّةً وتضرّعاً وإلى الجبلّة يرجع المجبول  
إذا لا يزال لهم إليك تغلغل وسُررى وَوَحْدُ دائم وذي ميلُ  
وإنابة منقادة وإتاوة ورسالة معتادة ورسول  
فإذا قبلت فمِنَّةٌ مشكورة لك ثم أنت المرتجى المأمول  
وإذا أبيت فعزيمة مضاءة لا بد أن قضاءها مفعول  
ويصف ما يحل بالروم إذا نقضوا الهدنة ورفضوا دفع الجزية

فيقول:

وليغزوؤنّهمُ الأحقُّ بغزوهم والله عنه بما يشاء وكيلاً  
ولتدركنّ المشرفية فيهم ما ينثني عن دركه التأميل  
وليسمعنّ صليلها في هامهم إن كان يسمع للسيوف صليل  
ولتبُلغنّ جياذ خيلك حيث لم يبلغ صباح مسفر وأصيل  
كم دوّخت أوطانهم فتركتهما والمال نهبٌ والديار طول  
ولقد أتيت الأرض من أطرافها ووطئتها بالعزم وهي ذلول  
واستشعرت أجبالك هيبّة حتى حسبنا أنها ستزول  
تلهيك صلصلة العوالي كلّما ألهمت أولئك قينةً وشمول

وقال ابن هاني أيضاً يصف الأسطول المصري الفاطمي الذي قيل إنه بلغ ألفاً ومئتي سفينة عسكرية، بعد أن بدأ قصيدته بمدح الخليفة المعزّ لدين الله واصفاً معركة بحرية مع الروم:

لك البرُّ والبحر العظيم عبّابه فسيان أغمار تخاض وبيدُ

أما والجواري المنشآت وقد سرت  
ولله مما لا يرون كتائب  
وماراع ملك الروم إلا أطلاعها  
مواخر في كامي العباب كأنه  
أنافت بها أعلامها وسما لها  
من الراسيات الشم لولا انتقالها  
من الطير إلا أنهن جوارح  
من القادحات النار تضرم للظى  
إذا زفرت غيظاً ترامت بمارج  
فأنفاسهن الحاميات صواعق  
تشب لآل الجاثليق سعيها  
لها شعل فوق الغمار كأنها  
تعانق موج البحر حتى كأنه  
ترى الماء منها وهو قان عبابه  
وليس لها إلا الرياح أعنة

لقد ظاهرتها عدة وعديد  
مُسومةً تحدوبها وجنود  
تُنشُرُ أعلام لها وبنود  
لعزمك بأس أولكفك جود  
بناءً على غير العراء مشيد  
فمنها فنان شمع وزيود  
فليس لها إلا النفوس مصيد  
فليس لها يوم اللقاء خمود  
كما شُبَّ من نار الجحيم وقود  
وأفواههن الزافرات حديد  
وما هي من آل الطريد بعيد  
دماءً تلققتها ملاحف سود  
سليط لما فيها الذبال عتيد  
كما باشرت ردع الخلق جلود  
وليس لها إلا الحباب كديد

ويصف حال ملك الروم بعد هذه المعركة بقوله:

فلا غرو إن اعززت دين مُحَمَّدٍ  
فبت له دون الأنام مُشْهَدًا  
فللوحى منهم جاحدٌ ومكذَّب  
وما سرهم ما ساء أبناء قيصر  
هُمُ بعدوا عنهم على قرب دارهم  
وقلت: أناسٍ ذا الدمستق شُكْرُهُ

فأنت له دون الأنام عقيد  
ونام طليقٌ خائن وطريد  
وللدين منهم كاشح وعنود  
وتلك تراث لم تزل وحقود  
وجحفلك الداني وأنت بعيد  
إذا جاءه بالعفو منك بريد



وتقبيله الترب الذي فوق خده إلى ذفرتيه من تراه صعيد  
ويصف المراسلات والرسول والمترجمين ونهاية الحرب بعقد  
الهدنة والاتفاق على الجزية فيقول:

تناجيك عنه الكتب وهي ضراعة  
إذا أنكرت فيه التراجم لفظه  
ليالي تقفو الرسل رسل خواضع  
وما دلفت إلا الهموم وراءه  
ولكن رأى ذلاً فهانت منية  
ويعطي الجزا والسلم عن يد صاغر  
يقرب قرباناً على وجل فإن  
وينهيها بقوله:

فليت أبا السبطين والترب دونه  
إذا رأى يملك تخطب سيفه  
إليك يفر المسلمون بأسرهم  
وقال الأمير تميم بن المعز يصف حروب أخيه الخليفة العزيز مع  
الروم:

قد جاءك النصر مقرونأ به الظفر  
لقد سبقت أمير المؤمنين إلى  
في كل يوم فتوح للعزيز على  
عفواً وأرضاك في أعدائك القدر  
مفاخر لم يحزها قط مفتخر  
أعدائه ورزايا فيهم كبر

(١) الهبيد: الحنظل والمرّ المذاق.

(٢) القريان: يعني بها الجزية التي يفقدى بها نفسه من الفاطميين.

يهنيك أسطول جيش لم تنزل خدماً  
حتى أتاك بأسد في الكريهة لا  
قد حكمتهم رِقاق البيض فاحتكموا  
وأصبح الشرك للمتوحيد منخفضاً  
ولم تدع منهم بيض السيوف سوى  
وقال ظافر الحداد يصف عودة الجيش المصري منتصراً في

إحدى المعارك مع الفرنجة في عهد الخليفة الأمر:

الله جيش مثل جيشك مُعْلَمٌ  
لولا الضجيج لكاد يسمع ناصتٌ  
واجر الجياد فكل طرف سابع  
وَشِمَّ السيوف إذا فكل مهنّدٍ  
فليثبت الإفرنج منه لِقَسُورٍ  
ما مالهم وحریمهم ودمائهم  
فالبر مثل البحر من فرسانه  
جمع يبيت الطير فوق رماحه  
ضاقت به الكرة التي هو ماؤها  
ومن شعر المعارك والحرب قال المهذب بن الزبير في حروب  
ابن رزيك:

وتلقى الدهر منه بليث غاب  
تخال سيوفه إما انتضاها  
وتحسب خيله عقبان دجن  
إذا قدحت بجنح الليل أورت  
غدت سمر الرماح له عرينا  
جداول والرماح لها غصونا  
يرحن مع الظلام ويفتدينا  
سنأ يعشي عيون الناظرينا

وإن صبحت مع الإصباح عدوا      أثارت للعجاج به دجونا  
 كأنَّ الشمس حين تثير نقعا      تحاذر من سطاها أن تبينا  
 وما كسفت بدور الأفق إلا      أسى إذ أبصرت منه الجبينا  
 وما اضطربت رماح الخط إلا      مخافة أن يحطّمها مبينا  
 وما تندقُّ يوم الروع حتى      يدقُّ بها الكواهل والامتونا  
 عجبت لها تصافح من يديه      وتوصف بالظما، بحرأمعينا  
 ويوردها ولا تحظى بريِّ      نطافا من دروع الدارعينا  
 وهل يشفى لها أبداً غليل      وقد شربت دماء الكافرينا  
 إذ القيت عيون الروم زرقاً      حسبت نصالها تكل العيونا  
 تخال البحر مُدّبه خليج      إذا ما مد بالقضب اليمينا<sup>(١)</sup>

### وصف الحروب الصليبية شعراً:

أخذت المعارك العسكرية التي خاضها الفاطميون ضد الصليبيين  
 حيزاً كبيراً في شعر شعرائهم. وقد ضمّن كلُّ شاعر رأيه وموقفه  
 ومشاعره من هذه الحروب الطاحنة.

كانت الحملة الصليبية الأولى في عهد الوزير الأفضل بن بدر  
 الجمالي، وقد انصف المؤرّخون هذا الوزير واعترفوا بمقاومته الفرنجة  
 مقاومة شديدة، وكان يرسل الحملات البرية والبحرية من مصر إلى  
 الشام والساحل السوري تبعاً، ويجري التبديل بين الحملة والحملة كلَّ  
 ستة أشهر. ولكن خروج بلاد الشام من حكم خلفاء مصر، ووقوعهم في

(١) راجع: أدب مصر الفاطمية. م.س. ص ٢٦٨.

حروب داخلية فيما بينهم، ورفضهم التعاون مع المصريين، أدى إلى خروج الساحل السوري من يد العرب إلى يد الفرنجة.

قال الشاعر المصري أبو الصلت أمية بن عبد العزيز يمدح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي ويصف معاركه مع الفرنجة<sup>(١)</sup>:

هي العزائم من أنصارها القدر وهي الكتائب من أشياعها الظفرُ  
جردت للدين والاسياف مغمدةٌ سيفاً تُضَلُّ به الأحداث والغيرُ  
وقمت إذ قصد الأملاك كلهم تذبّ عنه وتحميه وتنتصر  
لله بأسك والألباب طائشة والخيل تردى ونار الحرب تستعر  
الله في الدين والدنيا فمالهما سواك كهف ولا ركن ولا وِزْرُ  
وبعد الملك الأفضل، تابع الجهاد ضد الفرنجة الوزراء المصريون بتوجيه من خلفائهم، فلم يتهاونوا يوماً واحداً في حروبهم ضد الفرنجة، وكان أشدهم تحملاً وإعداداً لهذه الحروب، الوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك، وقد أطلق عليه المؤرخون لقب «أبو الغارات» لكثرة ما شنّ من غارات على الصليبيين الفرنجة. وقد كان يكتب زعماء الشام، يدعوهم للتوحد ونبذ الفرقة والخلاف لطردهم الفرنجة. ومن قصائده الحربية، قوله في قصيدة أرسلها إلى أسامة بن منقذ الشيزري<sup>(٢)</sup>:

ألا هكذا في الله تمضي العزائم وتنضى لدى الحرب السيوف الصوارم  
وتغزى جيوش الكفر في عقردارها ويوطأ حماها والأنوف رواغمُ  
نذرنا مسير الجيش في صفرٍ فما مضى نصفه حتى انتنى وهو غانم

(١) عيون الإنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، الجزء الثالث، ص ٩٢.

(٢) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الأول، ص ٨٩.

بعثناه من مصر إلى الشام قاطعاً مفاوز وخذ العيس فيهن دائم  
حماها له بعد الديار ولا ثنى عزمته جهدُ الظما والسماثم  
ويصف وصول الجيوش المصرية إلى ساحة المعركة في الشام  
فيتابع قائلاً:

وواجههم جمع الفرنج بحملة يهون على الشجعان فيها الهزائمُ  
فلقوهم زرق الأسنة وانطووا عليهم فلم يرجع من الكفر ناجم  
وما زالت الحرب العوان أشدها إذا ما تلاقى العسكر المتصادم  
يشبّههم من لاح جمعهم له بلجة بحر موجهام تلاطم  
ويصف صدام المصريين مع الفرنجة فيقول:

وعادوا إلى سلّ السيوف ففقطعت رؤوسٌ وحُرُتٌ للفرنج غلاصمُ  
فلم ينج منهم يوم ذاك مخبرٌ ولا قيل هذا وحده اليومَ سالمُ  
نُقِتلهم بالرأي طوراً وتارة تدوسهم منا المذاكي الصلادم  
ويطلب من سلطان الشام من قبل العباسيين نور الدين محمود  
زنكي لأن يتجهز لحربهم:

فقولوا للنور الدين لا فُلَّ حدهُ ولا حكمت فيه الليالي الغواشم  
تجهز إلى أرض العدو ولا تهنُ وتظهر فتوراً إن مضت منك حارم  
هذا هو موقف سلطان مصر ووزيرها أبو الغارات من نور الدين  
محمود: «لا فُلَّ حدهُ ولا حكمت فيه الليالي الغواشم».

أما موقف سلطان الشام من مصر وأهلها فقد جاء على لسان  
الشاعر العرقلة بقوله<sup>(١)</sup>:

(١) ديوان عرقلة الكلبى، ط ١، دار صادر، بيروت، سنة ١٩٩٢، ص ٣٧.

أصبح الملك بعد آل عليّ مشرقاً بالملوك من آل شاذي  
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم ومصرٌ تزهو على بغداد  
ما حواها إلا بحزم وعزم من صليل الفولاذ في الفولاذ  
فنور الدين أرسل جلاوزته تحت ستار محاربة الفرنجة مع  
المصريين، فاحتلها وأطلق أسراب الجراد الأكراد فيها، فشئت شمل  
أهلها وبدل نعيمها ببؤس وغناها بفقر، فأصبح المصري عبداً بعد أن  
كان سيداً وصاحب الربع والدار، والإقطاعي أجيراً في ملكه عند  
الكردي، حسب قول المؤرخ المصري أحمد بن علي المقريني.

ويعد الملك الصالح أهل الشام بمتابعة الحرب دون تعب أو وهن:  
فنحن على ما قد عهدت نروعهم ونحلف جهداً أننا لن نسالم  
وغاراتنا ليست تفتّر عنهم وليس ينجّي القوم منا الهزائم  
فأسطولنا أضعاف ما كان سائراً إليهم فلا حصن لهم منه عاصم  
ونرجو بأن يجتاج باقيهم به وتُحوى الأسارى منهم والغنائم  
وفي قصيدة ثانية أرسلها لأسامة بن منقذ يعتبر الملك الصالح -  
أبو الغارات - طلائع بن رزّيك أن مواصلة الجهاد ضد الفرنجة من  
أهم المهمّات الملقاة على عاتق المصريين وخلفائهم من بني  
فاطمة<sup>(١)</sup>:

وأهمّ المهمّ أمر جهاد الكفر فاسمع فعندنا التحقيق  
واصلتهم منا السرايا فأشجا هم بكور منا لهم وطروق  
وأباحت ديارهم فأباد الـ قوم قتل ملازم وحريق

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الأول، م.س. ص ٢٩٢.

ويحرّض نور الدين محمود زنكي على الجهاد فيقول إنه كان  
ينتظر زحفه ولكن هذا الزحف لم يتمّ:

وانتظرنا بزحفنا بدء نور الدين      علماً منا بأن سيفيقيق  
وهو الآن في أمان من الله      لا يعتريه أمر يعوق  
قل له لا عداه رأيي ولا      زال بكل خير طريق  
أنت في حسم داء طاغية الكفار      ذاك المرجو والمرموق  
فاغتنم بالجهاد أجرك كي تلقى      رفيقاً له ونعم الرفيق  
ويعاتب نور الدين زنكي على وعده بالمساندة وتخاذه ويترك  
أمره إلى الله حيث يقول<sup>(١)</sup>:

سارت سرايانا لقصد الشام تعتسف الرمالا

نزجي إلى الأعداء جُرد الخيل أتباعاً توالى

نهضت إليهم خيلنا من مصر تحتمل الرجالا

ويصف نتيجة المعركة قائلاً:

هذا وفي تلّ العجول      ملأنا بالقتلى التلالا

إذا مرّ «مري» ليس      يلوى نحور ففقتة اشتغالا

واستاق عسكرنا له      أهلاً يحبهم ومالا

ويوجه لعتاب سلطان الشام نور الدين زنكي فيقول:

فلو أن نور الدين يجعل فعلنا فيهم مثالا

ويسير الأجناد جهراً كي ينازلهم نزالا

ووفى لنا ولاهل دولته بما قد كان قالا

(١) م. س. ص. ٢٩٦.

لرأيت للإفرنج طُراً في معاقلها اعتقلا  
وتجهّزوا للسير نحو الغرب أو قصدوا الشمالا  
ويتوجّه لنور الدين بقوله:  
وإذا أبى إلا إطراحاً للنصيحة واعتزالا  
عدنا بتسليم الأمور لحكم خالقنا تعالى

فدع عنك ميلاً للفرنج وهدنة:

وقال الملك الصالح وزير مصر يهدّد ملك الشام نور الدين  
محمود زنكي ويحدّره من مهادنة الفرنجة والميل إليهم<sup>(١)</sup>:  
سيوف لها في كلّ درع وجنةٌ إذا ما اعتلت قدأً واعترضت قطُ  
نخرنا سطاها للفرنج لأنها بهم دون أهل الأرض أجدران تسطو  
لهم قسطهم في الحرب منها ومالها عليهم لدى الهيجاء عدلٌ ولا قسط  
وقد كاتبوا في الصلح لكن جوابهم بحضرتنا ما يُنبتُ الخطُ لا الخطُ  
ويصف هول الحرب القائمة بين المصريين والفرنجة فيقول:

وحرب لها الأرواح زاهقة لما تعالين والأصوات من دهش لغط  
إذا أرسلت فرعاً من النقع فاحماً أثيثاً فأسنان الرماح لها مشط  
كان القنا فيها أنامل حاسب أجذبها في السرعة الجمع واللقط  
وكانّ الملك الصالح يتنبأ بالآلة الحاسبة وبطريقة عملها وشبهه  
الرماح بأزرار هذه الآلة لسرعة عملها في عملية الجمع والطرح  
والضرب.

(١) ديوان الملك الصالح، طلائع بن رزّيك. م.س. ص ٨٥.



ويؤجه إنذاره ونصيحته لنور الدين زنكي سلطان الشام قائلاً:  
وقولوا لنور الدين ليس لجائف الجراحات إلا الكي في الطب والبط  
وبط الجرح الجائف المنتن، شقّه ولا ينفع هذا الجرح إلا الكي.  
وحسم أصول الداء أولى لعاقل لبيب إذا استولى على المدنف الخلط  
فهو يتهم نور الدين بالمرض واختلاط تفكيره وعقله.  
ويقول له:

فدع عنك ميلاً للفرنج وهدنة بها بدا يخطي سواهم ولم يخطوا  
تأمل فكم شرط شرطت عليهم قديماً وكم غدر به نُقض الشرطُ  
ويستحثّه ويؤكد له بأن جيوش مصر أصبحت على أبواب الشام:  
وشمّر فإنا قد أعنا بكل ما سألت وجهزنا الجيوش ولن يبطوا  
ولكن كما يقول المثل في ثغر جبل عامل: الجمل بنية والجمل  
بنية

فنور الدين محمود زنكي نيته خيرات مصر، والملك الصالح  
طلائع بن رزّيك نيته طرد الفرنجة وتحرير القدس.

وصف معركة بحرية قادها الملك الصالح ضد الفرنجة:

قال الملك الصالح طلائع بن رزّيك يصف ما حل بالفرنجة بعد  
إحدى المعارك البحرية التي خاضها الأسطول المصري الفاطمي بين  
عكا وطرطوس<sup>(١)</sup>:

إن بعض الأسطول نال من الإفرنج ما لا يناله التأميلُ

(١) كتاب الروضتين، الجزء الأول، م.س. ص ٢٩٦.

سار في قلّة وما زال بالله  
وبقايا الأسطول ليس له بعد  
فحوى من عكا وانطرسوس  
جَمْعُ دَيْوِيَّةٍ بهم كانت الإفرنج  
قيدهم في وسطهم مقدّمهم  
بعد مثوى جماعة هلكوا  
وَصَدَقَ النِّيَّاتُ يُمْنَى القليلُ  
إلى جانب الشام وصولُ  
عَدَّةٌ لم يحط بها التحصيل  
تسطوعلى الورى وتصول<sup>(١)</sup>  
يُهدى إلينا وجيده مغلولُ  
بالسيف منها الغريق والمغلول  
وفي نهاية القصيدة يعاتب نور الدين زنكي على مماطلته  
ويحذّره من غضب الله:

بَلِّغُوا قولنا إلى الملك العادل فهو المرجوّ والمأمولُ  
سرُّ إلى القدس واحتسب ذلك في الله فبالسير منك يشفى الغليلُ  
وإذا ما أبطأ سيرك فإثّه إذاً حسبنا ونعم الوكيل  
ووصلت الأخبار إلى الملك الصالح أن نور الدين يهادن الفرنجة  
ويعقد معهم المعاهدات فأرسل له يحذّره من عقد الهدنة معهم  
ويقول إن الحل هو باستئصالهم من أرض العرب<sup>(٢)</sup>:

ذخرنا سطاها للفرنج لأنّها  
بهم دون أهل الأرض أجدران نسطو  
وقد كاتبوا بالصلح لكن جوابهم  
بحضرتنا ما تكتب الخط إلا الخطُ  
ويعني بالخط الأولى - معاهدة الصلح والخط الثانية: السيف.

رحم الله الملك الصالح طلائع بن رزيك، أبو الغارات، مات ميتتين:

(١) الداوية: فرقة من الفرسان الأفرنج.

(٢) كتب الروضتين. م.س. ص. ٢٩.

أولى عندما اغتاله جماعة ضرغام والثانية عندما اغتال سيرته مؤرّخو الدولتين الأيوبية والمملوكية.

فمن ثنانيا قصيدته، نفهم أن المصريين يرفضون الهدنة والمصالحة والمعاهدة ويرون أنّ الحل في «حسم أصول الداء» أي استئصال شأفة الفرنجة من الشرق العربي، بينما أكراد الشام يهادنون ويصالحون.

ورغم كلّ ما شن الملك الصالح أبو الغارات من غارات للدفاع عن الشام والساحل السوري، لكنه لم يجد من مؤرّخيهام إلا البغض والحقد والكراهة، ولسبب واحد فقط، لأنّه والى أهل بيت النبي وعترته.

يقول المقدسي أبو شامة نقلاً عن العماد الأصفهاني وكلاهما يعتلفان من معلق الدولة الأيوبية: «الصالح أبو الغارات، طلائع بن رُزيك، سلطان مصر، نفق في زمانه النظم والنثر، وقرب الفضلاء واتخذهم جلساء ورحل إليه ذوو الرجاء، وأفاض على القاصي والداني العطاء، وله قصائد كثيرة مستحسنة، يذكر فيها قيامه بنصر الإسلام». وبعد كلّ هذا الإطراء والتقريض، ينهي أبو شامة مداخلته بقوله: «وما يصدّق أحدٌ أن ذلك شعره لجودته، وإحكام مباني حكمته، وأقسام معاني بلاغته، ويقال إنّ المهذب ابن الزبير، كان ينظم له، وأنّ الجليس بن الحباب كان يعينه»<sup>(١)</sup>.

العجب كلّ العجب، ديوان الخليفة الوليد بن يزيد مطبوع، وديوان

---

(١) كتاب الروضتين، م. س. ص ٢٩.

الخليفة عبد الله بن المعتز متداول بكثرة، أما ديوان الملك الصالح أبو الغارات يحتاج لمن يطبعه.

وقد مدحه عرقلة الكلبى: بقصيدة جاء فيها<sup>(١)</sup>:

سقياني كأساً على نهر تورا      وذراني أبولها في يزيد  
أنا من شيعة الإمام الحسين      لست من سنة الإمام وليد  
مذهبي مذهب ولكنني في      بلدة زخرفت لكل بليد  
كنا الصالح بن رزيك      في كل قريب من الدنيا وبعيد  
ملك لم تزل ثياب عداه      في حداد وثوبه من حديد  
كل يوم عداته في هبوط      حيث كانوا ومجده في صعود  
وله ناصر من الله فيهم      مثلما بخت نصر في اليهود  
فاز بالفائز الإمام الذي      أصبح مصباح شيعة التوحيد  
صفوة من محمد وعلي      ليس من سعدهم ولا من سعيد  
أنت بين الملوك واسطة      العقد وقطب الرحي وبيت القصيد  
والعرقلة الذي استعمل التورية في شربه الكأس في تورا وبوله  
إياه في يزيد، يقول عن الحالة السياسية التي اتصف بها أهل الشام،  
أي نقل البندقية من كتف المغلوب إلى كتف الغالب قال في  
وصفهم<sup>(٢)</sup>:

ذرا الأتراك والعربا      وكن في حزب من غلبا  
بجأق أصبحت فتناً      تجر الويل والحربا  
لئن تمّت فوأسفا      ولم تخرب فوآجبا

(١) ديوان العرقلة، م. س. ص ٣٤.

(٢) ديوان العرقلة، ص ١٣.

## وصف احتلال مصر من قبل الأكراد شعراً:

من المؤكّد أن هذه الدولة العظيمة، دولة مصر الفاطمية، التي بلغت من الرقي والحضارة ما لم تبلغه أمة من الأمم حتى اليوم، والتي كان شعبها دائماً حامي نظامها السياسي، ولو لم ينقسم هذا الشعب إلى عدة شيع وأحزاب تطاحن بعضها البعض، وكل طرف لا شغل له إلا تدبير المؤامرات والاعتياالات للفريق الآخر، لما استطاع جهلة الإسلام وشذاذ الآفاق والمارقون، القضاء على مؤسسات هذه الدولة. فانقسام الشعب المصري إلى مستعلية ونزارية وطبيبةً واثنى عشرية، أدى بمصر إلى فقدان مناعتها ومنعتها، وجعلها فريسة سهلة بأيدي جحافل الأكراد الجراد.

وبالعودة إلى ديوان العماد الأصفهاني، نجد صوراً حيّة وبالتدرّج لعملية استيلاء الأيوبيين الأكراد على مصر الفاطمية.

عندما قتل أسد الدين شيركوه آخر وزير مصري فاطمي وهو شاور بن مجير السعدي، سنة ٥٦٤، وقلّد الخليفة العاضد الوزارة أسد الدين شيركوه نفسه، أرسل له العماد الأصفهاني يهنئه بالمنصب الجديد ويحرّضه على القضاء على دولة أهل بيت النبي وأبناء فاطمة، عليهم صلوات الله أجمعين، في مصر. ومما جاء في هذه القصيدة<sup>(١)</sup>:

تَمَلُّ من ملك مصر رتبةً قَصَرَتْ عنها الملوك فطالت سائر الرتب

(١) ديوان العماد الأصفهاني، ط ١، الموصل، العراق، سنة ١٩٨٢، ص ٧٥.

أعدت نعمة مصر نعمة فغدت      تقول: كم شكيت لله في النكب  
ولو نسمع رأي المقريزي بالذي حل بمصر وأهلها من صلاح  
الدين لأعدنا ترتيب البيت على الشكل التالي.

أعدت نعمة مصر نعمة فغدت      تقول: كم شكيت لله من نُكَبِ  
وتابع مناشداً شيركوه:

ردّ الخلافة عبّاسية ودع الدعي      فيها يصادف شرّ منقلب  
لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها      فالحزم عندي قطع الرأس كالذنب  
وعندما مات أسد الدين شيركوه وتقلّد الوزارة بعده ابن أخيه  
صلاح الدين يوسف ابن نجم الدين أيوب، أرسل له العماد  
الأصفهاني قصيدة يحضّه على إتمام انقلابه والخلص من حكم  
وخلافة أهل بيت النبي (ص) في مصر جاء فيها<sup>(١)</sup>:

لاذبالنيل شاور مثل فرعون      فذلّ اللاجي وعزّ العَبورُ  
شارك المشركين بغياً وقدماً      شاركتها قريظة والنضير  
والذي يدّعي الإمامة بالقاهرة      ارتاع إنّه مقهور  
ولكم عودة إلى مصر بالنصر      على ذكرها تمرّ العصور  
فاستردّوا حق الإمام ممن      خان فيها فإنه مستعير  
فصاحب البيت، ابن بنت النبي، أصبح الخائن المستعير. وأكراد  
کردستان وأصفهان أصبحوا أصحاب البيت وباب الدخول إلى  
الإسلام!!!.

(١) ديوان العماد الأصفهاني، م.س. ص ١٨٥.

## وصف حرق حارة السودان والأرمن من قبل صلاح الدين:

ووصف العماد الأصفهاني هجوم الغزّ الأكراد على حارتي  
السودان والأرمن في القاهرة وحرقهما وقتل قائد اللواء السوداني  
مؤتمن الخلافة فقال<sup>(١)</sup>:

أقررت عين الإسلام حتى لم يبق فيها قذى لباطل  
وما نفيت السودان حتى حُكمت البيض في المقاتل  
صيرت رحب الفضاء ضيقاً عليهم كفة لحابل  
وقد خلت منهم المغاني واقفرت منهم المنازل  
وما أصيبوا إلا بطل فكيف ولو أصيبوا بوابل  
والطلّ هو الندى الذي يتركة الليل على الزهر والشجر، أما الوابل  
فهو الشتاء الغدق المغرق. وقد شبّه العماد الأصفهاني العشرين ألف  
قارورة نפט التي أحرق بها صلاح الدين حارتي السودان والأرمن  
بالبطل وهو كان عليه أن يجلب نפט الشام كلّه ويحرق بها أحياء  
القاهرة حتى يشبهها الأصفهاني بالوابل.

ويتابع واصفاً حرق القاهرة بقوله:

والسود بالبيض قد أبيحوا فهي بوازي بهم نوازل  
مؤتمن القوم خان حتى غالت من شره غوائل  
وبعد حرق السودان والأرمن وتشتيتهم، أكمل صلاح الدين  
انقلابه فوضع الخليفة العاضد في الإقامة الجبرية وقطع الخطبة  
لخلفاء بني فاطمة وأقامها للخليفة المستضيء بالله العباسي. وقد

(١) م.س. ص ٣٢٥.

وصف العماد الأصفهاني هذا الانقلاب بقوله<sup>(١)</sup>:

قد خطبنا للمستضيء بمصر  
وخذلنا النصر العاضد  
وأشعنا بها شعار بني  
وتركنا الدعي يدعو ثبوراً  
وتباهت منابر الدين بالخطبة  
واستعدنا من أدعياء حقوقاً  
والذي يدعي الإمامة بالقاهرة  
انتعش الحق بعد طول عثارٍ  
ولما توفي الخليفة العاضد أعلن العماد الأصفهاني شماتته بموته  
وموت الدولة الفاطمية وكتب أنفاس المصريين<sup>(٢)</sup>:

توفي العاضد الدعي فما  
وعصر فرعونها انقضى وغدا  
وانطفأت جمرة الغواية وقد  
وصار شمل الصلاح ملتئماً  
لما غداً معلناً شعار بني  
وبات داعي التوحيد منتصراً  
واهترز عطف الإسلام من جذل  
واستبشرت أوجه الهدى فرحاً  
عاد حريم الأعداء منتهك الحمى  
يفتح ذو بدعة بمصر فما  
يوسفها في الأمور محتكما  
باح من الشرك كل ما اضطرما  
بها وعقد السواد منتظما  
العباس حقاً والباطل اكتتما  
ومن دعاة الأتراك منتقما  
وافتر ثغر الإيمان وابتسما  
فليقرع الكفر سنّة ندما  
وفيء الطفغاة مقتسما

(١) ديوان العماد الأصفهاني، م.س. ص ٢٠٢.

(٢) م.س. ص ٣٧٦.



قصور أهل القصور أخربها عامر بيت من الكمال سما  
أزعج بعد السكون ساكنها ومات ذلاً وأنفه رُغماً  
تري؟ ما هي المقاييس التي وضعها علماء الإسلام لكي يعتبر  
الإنسان مسلماً؟ خاصة أنني في قراءتي لكل ما صدر عن خلفاء  
مصر الفاطمية من مراسيم وسجلات وخطب وأشعار وأقوال، لم  
أجد فيها كلمة واحدة تدلّ على خروجهم عن الإسلام والملة  
الإسلامية. أما ما قاله بعض فلاسفة الإسماعيلية وما قاله بعض  
الشعراء فهذا فلسفة وشعر والاثنان لا يحدّدان إسلام مسلم أو  
عدم إسلامه.

واتساءل: مائتان وعشر سنوات من حكم الخلافة الفاطمية  
قضيت في الدفاع عن الثغور الإسلامية وفي بناء الجوامع والمساجد  
وقراءة القرآن ورعاية الجوامع وقومتها وإجراء الرواتب للقراء  
والمؤذنين وخطباء الجوامع وبداية كل أعيادهم واحتفالاتهم بقراءة  
القرآن وترتيله، وإنهاء كل عيد واحتفال بمثل ما بدأوا به: بالقرآن  
والترتيل حتى داعي دعائهم، هبة الله بن موسى الشيرازي يعترف  
شعراً ببيعة الشيخين أبي بكر وعمر، رضي الله عنهما، ويرفض  
سبهما. ولكن يأبى الحاقدون إسلامهم ويرفضون قبولهم في الملة  
الإسلامية.

فإذا كان الإسلام موالاته يزيد، والوليد بن يزيد، وأبي العباس  
السفاح، واعتبار صلاح الدين الأيوبي بطلاً، وأولاده وأحفاده منقذي  
الإسلام، والأخذ بأقوال أبي هريرة الدوسي، هي مقياس المسلم  
الصحيح، فحسبنا الله من هذه المقاييس.

## ملوك مصر عبيد والعبيد الأكراد ملوك:

وبعد أن وُطد صلاح الدين الأيوبي ملكه وحكمه في مصر نظم  
العماد الأصفهاني قصيدة يصف فيها الوضع المستجد على الساحة  
المصرية<sup>(١)</sup>:

بملك مصر أهني مالك الأمم فاسعد وابشر بنصر الله عن أمم  
أوردت مصر خيول النصر عادمةً ثني الأعنة إقداماً على اللجم  
وأصبحت بك مصر بعد خيفتها للأمن والعز والإقبال كالحرَم  
ملوكها لك صاروا أعبداً وغداً بها عبيدك أملاكاً ذوي حُرْم  
وكان الفقيه عمارة يعتبر عودة الأكراد الغز عن مصر إلى الشام  
معجزة من المعجزات التي يصعب تحقيقها، فهو يقول في إحدى  
القصائد التي يمدح فيها الوزير شاور:

لك المعجزات الخمس لم يفتخر بها سواك ولم تخفق عليه بنودها  
ويعدّها بقوله:

١- فمنها بنورُ زيك حين أزلتهم وحمراً المنيا في يديهم وسودها  
٢- ومنها رجوع الغز عن مصر بعدما أبيح بهم أغوارها ونجودها  
وكانَ الفقيه عمارة يتنبأ بأن أغوار مصر ونجودها سوف تباح  
من سنة ٥٦٧هـ (١١٧١م) حتى سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٢م).

(١) م.س. ص ٣٨١.

## شعر المواكب الاستعراضية والاحتفالات

كانت الأبهة والعظمة التي حافظ الخلفاء الفاطميون على الظهور بها في كل مواكبهم واحتفالاتهم، محرّكاً مهماً لقرائح الشعراء المصريين، حيث كانت كل آلات الموكب التي يستعملونها في هذه الاحتفالات والاستعراضات تحفاً فنية رائعة الصنع فائقة الدقة. ومهما قيل فيها من كلام وشعر ووصف، تبقى غير مستوفية حقها لما فيها من إبهار للنظر وجذب للانتباه. وكان الخلفاء الفاطميون يصرون على استعمال هذه الآت العظيمة القيمة، الفريدة الصنع، إظهاراً لعظمتهم وغناهم وترفهم وكرمهم وفخامتهم، وعلو قدرهم الديني والدنيوي.

### وصف موكب العيد:

قال المجيد بن أبي الشخباء العسقلاني يصف موكب العيد ويمدح الأفضل بن بدر الجمالي<sup>(١)</sup>:

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٦٤٧.

قد ودَّ هذا الشهر أن هلاله  
 البسته تقوى وألبس حُلَّةً  
 وبرزت في جيش تغصَّ به الفلا  
 لُجْبُ شكت كف البسيطة ثقله  
 لا بد تُعرف بالعراق جياذهُ  
 وعلى مطاها دار عون سيوفهم  
 وتقيم شرع بني النبي بأرضه  
 وقال الفقيه عمارة يصف موكب الخليفة العاضد إلى الجامع

ليلقي خطبة العيد في المصلين:

ببلوغ آمال ونيل مراد  
 لولاك ما اكتحلت بطيب رقاد  
 تجلو صدى المرتاب والمرتاد  
 أمم تراوح لثمه وتغادي  
 عادت إليك أهلة الأعياد  
 ما العيد إلا أن تراك نواظر  
 وتنير تحت التاج غرّتك التي  
 وتزور مجلسك المقدس بالهنا

### وصف المظلة:

ويصف المظلة فوق رأسه فيقول:

وتلوح في ظل المظلة طالعاً  
 وكأنها فلك ووجهك شمسه  
 حسدت بساط الأرض فيك وما درت  
 نشر المدير بها عليك غمامة  
 فغدا الورى يتعجبون وقد بدا  
 كالبدرا أو كالكوكب الوقاد  
 لولا اعتماد رتاجها بعماد  
 أن السماء لها من الحساد  
 ذهبية ليست بذات عهد  
 من تحتها الجودي فوق جواد

(١) أيدع: أحمر اللون.

قد قلت إذ علت المظلة فوق من  
ويصف وصوله إلى الجامع فيقول:

لما برزت إلى المصلّى لابساً  
جَلَّتْ الخِلافةُ عَزَّها في موكب  
ثوب الخشوع وهيبة الأسد  
يَكسو ضياء الصبح ثوب جِداد  
شَر القتام جِياها فكأنها  
مَكنون سَرَفِي مصون فؤاد  
متلاطم كالأمواج إلا أنه  
مَتتابع الأمواج والأزباد  
حتى إذا وافيت ساحة مجمع  
متضايق العرصات بالأشهاد  
ويصف وقوفه على المنبر خطيباً فيقول:

قابلت محراب الصلاة وللهدى  
وقضيت نافلة السجود ولم تزل  
قبس على قسما ت وجهك بادي  
لله أفضل قانت سجاد  
وصعدت ذروة منبر أبقيت في  
شرفاته شرفاً على الأعواد  
ويصف الخطبة التي أبكت المصلين فقال:

ونطقت من فصل الخطاب بخطبة  
ذُرقت دموع الخلق عند سماعها  
عون الإله لها من الإمداد  
واستنجدت بمدامع الأكباد  
ذكَرت ناسية القلوب وإنما  
نادى رشادك أهل ذاك النادي  
وقال في وصف العيد والمظلة

نزلت ليالي الصوم عندك منزلاً  
ولقيت عيد الفطر منك بغرة  
أضحى ببهجتها يهنا العيد  
تصحيف عبد في الكتابة عيد  
وفي وصف المظلة يقول:

ما السرف في عود المظلة إنّه  
حَسَدَتْ مَظَلَّتْك النجوم لأنها  
عود صليب المتن وهو يميد  
فلك على شمس الضحى ممدود

فوق الخلافة دائر مشدود  
وشعارك التكبير والتمجيد  
للناظرين أدلة وشهود  
مُلْكُكُمْ لِكْ بِيْعَةٌ وَعَهْدُ  
لَوْ كَانَ عَوْدًا مَاسِ ذَاكَ الْعَوْدِ  
فِيهِنَّ وَعِدْ صَادِقٌ وَوَعِيدُ  
أَصْغَى إِلَيْهَا الْمَجْمَعُ الْمَشْهُودُ  
لِسَمَاعِهَا أَوْ تَقْشَعْرَ جُلُودُ  
مَنْ دُونَهُ يَتَصَدَّعُ الْجِلْمُودُ  
ووصف خطبة ألقاها الخليفة العاضد في الجامع فقال أيضاً:

رحابه من رغب خف أهله  
حادث أعاليه وارتجت أسافله  
فصل الخطابة من قرب محافله  
إلا وعقلك بالإفهام حافله  
حتى تنبه غاوي القلب غافله

كالسيل فارسه والليل راجله  
تحت القتام ومن رعد صواهله  
والأجر والفخر أدنى ما تحاوله

ويصف علم الخلافة (وهو لواء الحمد)

لك اللواء الذي جبريل حامله  
على شمائلك الحسنى شمائله

وتشرفت لماغدت ورتاجها  
لما برزت غداة فطرك خاشعاً  
وعليك من شيم النبي وحيدر  
شخصت إليك نواظر الأمم التي  
حتى صعدت على ذؤابة منبر  
بشّرت بل أنذرت بالحكم التي  
ليئت قاسية القلوب بخطبة  
لا منكر أن تستسكين جوارح  
والوحي ينطق عن لسانك بالذي  
ووصف خطبة ألقاها الخليفة العاضد في الجامع فقال أيضاً:

زرت المصلّى ولولا ما خلعت على  
واهتر شوقاً فلو يسطيع منبره  
حتى إذا ضاق بالأشهاد واستمعت  
لم يبق فصلك في الأفهام من صدأ  
عرفتهم من طريق الرشده ما جهلوا  
ويصف موكب العودة بقوله:

وعدت نحو مقر العز في لجب  
مثل الغمام ومن برق صوارمه  
ترنو إليك عيون الخلق شاخصة

وراية الملك والإسلام يحملها  
أشبهت هدي رسول الله حين بدت

وفي جبينك نور من نبوته وشاهد الحق لا تخفى دلائله  
وقال ابن هاني يصف موكب العيد ويمدح الخليفة المعز لدين الله  
بقصيدة منها:

لبس العيد منه ما يلبس الإيمان من نصل سيفه البراق  
وجلا الفطر منه عن نبويّ أبيض الوجه أبيض الأخلاق  
رفعت فوقه المغاوير شهباً من قنافي سماوة من طراق  
وغمام من ظلّ ألوية النصر فمن راجف ومن خفّاق  
وعرين من كلّ ليث هصور كالح الناب أسجر الحملاق  
ويصف المظلة فوق رأس المعز بقوله:

فوقه خيطة اللجين تهادي بيدي كلّ بهمة مصداق  
من عداد البرهان موجودة للخلق فيها دلائل الخلاق  
وعندما خرج الخليفة المعز لدين الله في موكبه لإلقاء خطبة عيد  
النحر، وصف ابن هاني هذا الموكب بقوله:

في موسم النحر السنيع يروقني فأغض طرفاً عن سناه كليلاً<sup>(١)</sup>  
والجويعثر بالأسنة والظبي والأرض واجفة تميل حميلاً  
والأسد فاغرة تمطّي نيبها والدهر يندب شلوه المأكولا  
والشمس حاسرة القناع وودها لو تستطيع لتربه تقبيلاً  
وعلى أمير المؤمنين غمامة نشأت تظلّل تاجه تظليلاً  
نُهضت بثقل الدر ضوعف نسجها فجرت عليه عسجداً محلولاً  
ذعرت مواكبه الجبال فأعلنت هضباتها التكبير والتهليلة

(١) السنيع: الجميل.

قد ضمّ قطريها العجاجُ فما ترى  
 رُفعت له فيها قبابٌ لم تكن  
 أيكيّة الذهب المرصع رفرفت  
 وتباشر الفلك الأثير كأنما  
 تتعرف الصهب المؤثّل حوله  
 وتجن منه كلّ وبرة لبدة  
 وكأنما الجرد الجنائب خرد  
 تبدو عليها للمعز جلالته  
 إن تلتفت فكرادسا ومقانباً  
 بين السنان وكعبه تخليلاً  
 ظعنأ بأجزاء الجمی وحُمولا  
 فيها حمامٌ مادعون هديلاً  
 تبغي بهنّ إلى السماء رحيلاً  
 نسباً وتنكر شدقما وجدیلاً  
 ليثاً ويحمل كلّ عضو فيلاً  
 سفرت تشوق متيماً متبولاً  
 فيكون أكثر مشيها تبجيلاً  
 أو تستمع فتغمغماً وصهيلاً

وإذا أمعنا النظر في قصائد عمارة التي وصف فيها مواكب  
 وصلاة وخطب آخر خليفة فاطمي وهو العاضد، وأخذنا بعض  
 قصائد الأمير تميم بن المعز في وصف مواكب أعياد وصلاة وخطب  
 أول خليفة فاطمي في مصر وهو والده الخليفة المعز ووصف مواكب  
 واحتفالات أخيه العزيز، لوجدنا أن الخلفاء الفاطميين المصريين لم  
 يخرجوا عن سنة الإسلام والمسلمين في هذه الأعياد: صوم، فطر،  
 فصلاة، فخطبة وقد نقلنا الكثير من أوصاف هذه الاحتفالات والخطب  
 نثراً وسنعيد الإشارة إليها شعراً لربط أواخرها بأوائلها.

قال الأمير تميم يصف موكباً وصلاة وخطبة للخليفة العزيز:

هنيئاً لك الأعياد يا عيدها الذي  
 به يمنح العزّ المنيع ويوهبُ  
 وملء فضاء الأرض حولك صاهل  
 واسمر خطيٍّ وعضبٌ مشطَبُ  
 فسرت بهم مستعصماً بسكينة  
 كأنك من لبس التقى مترقَبُ  
 وقمت بهم في منبر الملك خاطباً  
 بما لم يقيم ملك سواك ويخطب



وأفصحت حتى ليس إلاك مفصح وأسهببت حتى ليس إلاك مُسهب  
تبشّرطوراً بالإله وتارة تخوّف من عصيانه وترهب  
بياناً ووعظاً قد تناهيت فيهما كأنك لم يسبقك قسٌ ويعرب  
وأثبت في الأسماع برهان حكمة يقصّر عنهما من يقول ويطنب

واتفق أن جاء عيد مولد الخليفة العزيز بالله نزار يوم عيد الفطر  
وهو يوم جمعة فجمع الشاعر تميم بن المعز هذا الأعياد الثلاثة  
ووصف بقوله:

ثلاثة أعياد تلاقين جمعةً وفطرٌ وعيد الإمام نزار  
كذا قرّر الله المحاسن كلّها عليك أبا المنصور خير قرار  
برزت بروز البدر ليلة تمّهُ وسرت برهبانية ووقار  
وقمت خطيباً تورّد الحق ورده وتنصر دين الله غير مُداري  
كأنّ ملوك الأرض في الأرض ظلمة وأنت على الأفاق ضوء نهار

### وصف موكب الحج:

وفي معرض مدح الملك الناصر ابن طلائع بن رزيك وصف  
عمارة موكب الحج المصري فقال:

مددت بساط العدل حتى تصابحت بعدلك شاة في الفلاة وذيب  
وأوجبت فرض الحج بعد سقوطه فأضحى له بعد السقوط وجوب  
ويسرت قصد البيت من بعد عسرة فضاقت بحار بالورى وسهوب  
فللفلك في طامي البحار تحذُرٌ وللعيس في بحر السراب رسوب  
وكان لبيت الله في كلّ موسم عويلٌ على زوّاره ونحيب  
ينادي ملوك الأرض شرقاً ومغرباً إلا سامعٌ يُدعى به فيجيب

فلما أتت أيامك البيض لانقصت  
ولا خطبتها للزمان خطوب  
بذلت عن الوفد الحجيج تبرعاً  
مواهب لم يسمح بهن وهوب  
سبقت بها أهل العراق وغيرهم  
وأنت إلى كسب الثواب وثوب  
وأبقيتها وقفاً على البر خالصاً  
وفي برج قوم خالص ومشوب

### وصف عيد الغطاس:

كان الأمير تميم من أكثر محبي ومشجعي الاحتفال بعيد  
الغطاس، وقد وصف المقرئزي حراسته للمصريين الساهرين ليلة  
الغطاس على ضفاف النيل قصفاً ولهواً وشرباً ومغنى. وقد قال  
المقرئزي في وصفه نثراً: إن النساء يحملن في قفاف الباعة لشدة  
سكرهن في هذا العيد.

وقد وصف الأمير تميم احتفالات هذا العيد بقوله:

خلٌ من ياتم بالصلبان يغدو في اختلاط  
وأغد للصهباء نسقاها ونسقى ونعطى  
غطسوا في الماء جهلاً وغطسنا في البواطى  
وشربناها عقاراً خندريساً بنشاط

وقال في وصف النوروز أيضاً:

ليهنك نوروز تباشرت العلا  
بسعدك فيه واضمحلّت به النوب  
وزادت مدود النيل حتى كأنما  
أنتك ارتغاباً تقذف الموج أورهب  
كأنّ بنان الماء فاضت على الثرى  
بمسكٍ ومُجّت فيه عنبرها الثرب  
فقد غصّت الخلجان حتى كأنّها  
مدائن تدعو من جيوشك بالحرب

## وصف أخذ مقياس النيل أو احتفالات فتح الخليج:

وعندما قام الخليفة العاضد في موكبه لحضور ومباشرة احتفالات كسر سد الخليج وبلوغ النيل الارتفاع المطلوب وهو ستة عشر ذراعاً وعدة أصابع قال الفقيه عمارة يصف هذا الاحتفال:

شَرَفَتْ أمير المؤمنين مواسمٌ أضحت تؤرّخ باسمكم وتُسَطَّرُ  
قُسِمَتْ كما قُسِمَ الزمان فحاضرٌ لم ينصرم ومقدمٌ ومؤخَّرُ  
وأجلُّها «يوم الخليج» فإنَّه من بينها يومٌ أغرُّ مشهَرُ  
يوم خلعت عليه ليل عجاجة شهب الأسنان في دجها تزهر  
يوم كأنَّ الجيش تحت قتامة سرِّباً ثناء الجوانح مُضمَرُ  
ويصف وفاء النيل فينفث فيه الإحساس والمشاعر والوفاء لمصر  
ولأهل مصر وللخليفة فقال:

وإفاك فيه النيل وهو من الحيا خَجِلٌ يقدِّمُ رجله ويؤخَّرُ  
قد جاء معتذراً إليك وتائباً من ذنبه الماضي ومثلك يعذُرُ  
لولا تعنُّره بأذيال الثرى ما كان مذروراً عليه العنَّيرُ  
وعندما يتأخَّرُ النيل عن الوفاء بمائه للمصريين فالخليفة الفاطمي  
يسد مسدّه:

ولقد عدمناه فنبت نيابةً عزَّ الغني بها وأثرى المعسرُ  
إن كان من نهر فكفكك لُجَّةٌ أو كان من مطرف فوبلك أغزرُ  
شَتَّان بينكما: أبحر واحدٌ كَيِّدٌ أناملها الكريمة أبْحُرُ  
في كلِّ وقت فيض جودك حاضر فينا ونائله يغيب ويحضر  
وعلى الحقيقة لا المجاز فإنَّه من نعمة الله التي لا تكفر  
كسر الخليج عبارة عن منَّةٍ أضحى بها كسر المنية يُجْبَرُ  
فتملَّ موسمهُ وعمراً خالداً تمضي لياليه وأنت مُعَمَّرُ

وقال في وصفه في احتفال آخر أيضاً:

ركبت إلى كسر الخليج وإنما  
ولما رأيت البر بحرأ من الظبي  
غدوت بفتح السد في زحف أرعن  
يرد ظلام النقع فجرأ كأنما  
كان على البيداء منه صحيفة  
إذا خفقت أعلامه وبنوده  
ويصف المنظره المعدة لجلوس  
واللنظر منها إلى الاحتفال فقال:

وخيمت في أكناف عالية الذرى  
تخاطبها الجوزاء سرأ وخفية  
هي الصرح إلا أن هامن لم يشد  
تنيف على برج السماكين والنسر  
بمكنون ما لله فيك من السر  
بناه ولا استمطاه فرعون للكفر

### كثرة الأعياد وتدافعها:

قال القاضي الجليس يمدح الملك الصالح طلائع رزك ويصف  
كثرة الأعياد في مصر<sup>(١)</sup>:

وهنئت الأعياد منك بما جد  
مواسم قد جاءت تباعاً كأنما  
توالت بدار تعتفيك كأنما  
فكان لها الأضحى إماماً أمامها  
وأعقبه عيد الغدير فلم نخل  
تباهت به العليا وهامت به عشقا  
ترى الفجر في لقياك يا خير من يلقي  
تروم لفرط الشوق أن تحرز السبقا  
فأرهقه «النوروز» يمنعه الرفقا  
لقرب التداني أن بينهما فرقاً

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ٨١.

## شعر الخمرة والمجون

يجد المطلع على شعر المجون والغزل لدى شعراء مصر الفاطمية أن أغلب الذين نظموا هذا الشعر، من أعيان وعلماء وقضاة الدولة، أي أنهم من علية القوم، فمنهم من نظمه على سبيل التقليد وإظهار طول باعه في سوق النظم، ومنهم من نظمه عن ممارسة نظماً وشرباً وتهتكاً، أمثال الأمير تميم بن المعز. أما شعراء العامة أو شعراء المجالس، كأبي الرقعمق وابن عنين وأبي الفتح بن قادوس وغيرهم. كانت الإباحية والتبذُّل صفة مرافقة لهؤلاء الشعراء. ويحتار الناقد في تحليل هذه الظاهرة: هل هي نرجسية أم شذوذ، هل هي إغراق في الملذات الحسية حتى الشبع والبحث عن غيرها في ما هو مخالف للطبيعة أم كلام بكلام؟ والنصوص التي سنستعرضها فيها الجواب الشافي.

### وصف قعدة شرب:

قال الأمير تميم يصف جلسة أنس وشرب:

رُبَّ صفراء علّلتني بصفراء و جنح الظلام جون الإزار

بين ماء وروضة وكروم      وقباب منيفة وصحاري  
ندامى لولم يكونوا من الإنس      لماناسبوا سوى الأقمار  
بت أسقيهم ويسقونني الراح      على طيب صحّة الأوتار  
لم نزل نلثم الكؤوس إلى أن      دفن الليل في فؤاد النهار  
وقال أيضاً:

أنا ما بين نداماي وراحي وسقاتي  
تَمَلُّ لا أعرف الصحو ولا وقت الصلاة  
وإذا نوّمني السكر على تلك الهَيَاتِ  
لم ينبهني سوى جسّ مثنائي الغانياتِ

وصف دير:

وقال علي بن يحيى بن الصقلي في وصفه<sup>(١)</sup>:

الاقم فاسقني راحاً      ثوت في دير قسيس  
فجاءت وهي رقّة      دين الشيخ إبليس  
لدى خزم بستان      كهامات الطواويس  
ورنات النواعير      وأصوات النواقيس  
الأيادي للساري      بظلماء الحناديس  
مصا بيحك أطلعن      نجومأ في فوانيس

وقال الصقلي أيضاً في وصف الخمرة:

خمر ثوى في الشمس حيناً دنّها      قبل الثواء بحانة الخمّار  
من عهد كسرى أودعت محفوظة      تُحسى مزنة بلا زنار

(١)

لبست قميصاً من تضرّج لونها  
وينصح نديمه ببيع كلّ ما يملك في سبيلها فيقول:

بادر إلى اللذات مختلساً لها  
ولك في ابتياعك للعقار إذا خلت  
وقال الأمير تميم يصفه<sup>(١)</sup>:

عمرت المغاني واجتنبت النواويسا  
وهل يهجر اللذات إلا مسوق  
رُبِّي عَظْمَتُهُنَّ النَّصَارَى وَلَمْ أَزَلْ  
أصول بقرع البمّ والوزير بعده  
وإن عظمت فيه النصارى صليبيهم  
فزعت إلى دين النبي محمّد  
وقال أبو الفتح بن قادوس في وصفها<sup>(٢)</sup>:

قُمُ قَبْلَ تَأْذِينَ النَّوَاقِيسِ  
عروس دنّ لم يدع عتقها  
مذهبة اللون إذا صُفِّقت  
لا غرو ما تأتيه من ريبة  
ليس لها عيبٌ سوى أنّها  
فاغتنم اللذات في دولة

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز، م. س. ص.

(٢) خريدة العصر، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ٢٢٧.

(٣) البمّ والوزير: من أسماء أوتار العود.

## أهمية شعبان قبل رمضان عند شعراء المجون:

لما كانت رقابة الحكومة المصرية تزداد خلال شهر رمضان وتقيم الحد على كلّ ماجن وداعر وسكران، كان شعراء المجون يستغلون ضعف الرقابة خلال شهر شعبان ويقضون وطهرهم من الدنيا عن شعبان ورمضان. يقول الشاعر المصري الفاطمي عبد الله بن محمد بن أبي الجوع<sup>(١)</sup>:

|                         |                    |
|-------------------------|--------------------|
| ولم ننفد فيه لهوا       | شعبان قد صار نضواً |
| جهلاً ولا كان سهوا      | وليس ذلك منا       |
| بكرت للقصف عدوا         | فبالمودة إلا       |
| ما خرّق الدهر رفو       | حتى تقوم فنرفو     |
| مُسَمَّنٍ ظِلٌّ يُشْوَى | من بعدتقديم جدي    |
| يحبوا إلى الضرع حبوا    | له ثلاثون يوماً    |
| عوضته البقل حشوا        | لما انتزعت حشاه    |
| ملأته لك حلوى           | وقد عنيت بجام      |
| صفت من الذم صفوا        | وقهوة بننت كرم     |
| سطت على الهُم سطا       | ما شعثت قط إلا     |
| يمحو المحاسن محوا       | جنّبتها كلّ وغدا   |
| عذب الخلائق حلوا        | إلا إذا ما اقتنصنا |
| يشدو وفيها هيك شدوا     | وششادن ذى دلال     |
| عجائباعنه تروى          | إمّا غناء وإمّا    |
| من وقار كخلوا           | حتى تظلّ بما فيه   |

(١) الحياة الفكرية والأدبية في مصر، م.س. ص ١٨٢.



وعندنا لك ورد      يحدو المسرّة حدوا  
ريحانه لا يوازي      لونا وعطرا وسروا  
فما اعتذارك في أن      تفنى زمانك صحوا  
وأنت بعد ذليل      بالصوم والله تطوى

### شرب الخمرة في رمضان:

وقال أمية بن أبي الصلت المصري يصف شوقه إلى الخمرة في رمضان<sup>(١)</sup>:

أشهر الصوم ما مثلك عند الله من شهر  
على أنك قد حرمت فينا لذة الخمر  
وقرع الكأس بالكأس ورشف الثغر بالثغر  
وإني والذي شرف أوقاتك بالذكر  
لمسرور بأن تفنى على أنك من عمري

### وصف سكران:

يروى المسبّحي أن الكاتب أبا طالب زيد بن أحمد السندي جاء  
لزيارة صديقه أبي عبد الله محمد بن جعفر الأنصاري فأخبره  
خادمه أنه سكران غائب عن الوعي فترك له أبو طالب هذه الرقعة<sup>(٢)</sup>:  
جئت ياسيدي ومولاي سعيّاً لأرى وجهك الجميل المحيّا  
فسألت الغلام عنك فنادى: هو في داره صريع الحُميا

(١) المغرب في حلي المغرب، ابن سعيد المغربي، ط٢، القاهرة، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٦٤، ص ٢٦٢.

(٢) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٤٦.

بنت شمس يسعى بها بدرتُم      جمعت للكرام رُشداً وغياً  
 فتحققت أن هذين لَمَّا      جُمعاً لم يُبقِا فيك شيئاً  
 سرّك الله كل يوم سروراً      دائماً نامياً ولا زلت حياً

### وصف أثر الخمرة في الجسم:

ووصف علي بن حبيب الراني الخمرة وأثرها في الجسم  
 فقال<sup>(١)</sup>:

أدر الكأس والمدام كماء      حامل جذوة من النيران  
 وعُقار تمازج الروح راحاً      لست من حبّها الغداة بواني  
 ذات جسم أرق من رِقّة الأل      وفعل أمضى من الهندواني  
 سلسبيل تريك سبل المعاصي      كسبيل الصلاح والإيمان  
 بزّت العقل من ذوي اللب جهراً      ورمت جرمها على الأديان  
 وجرت في العروق كالدم جرياً      وأتت بالسماح من كيوان

وكانت الخمرة تعصر وتصنع في أديرة القبط والنصارى في  
 جميع أنحاء الممالك التابعة للدولة الفاطمية في مصر، لذلك وصفها  
 الشعراء المصريون في خمرياتهم وقصائدهم الماجنة. ومن هذه  
 القصائد يصف، الشاعر المصري أمية بن أبي الصلت دير مار يوحنا  
 بقوله<sup>(٢)</sup>:

يادير مار حنا النائلة      لو شُرّيت بالنفس لم تبخس

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٥١.

(٢) الديارات، أبو الحسن علي بن محمّد الشابشتي، ط ٢، بغداد، مطبعة دار المعارف، سنة  
 ١٩٦٦، ص ٤٠٦.

## الأئمة الأربعة لم تمنع شرب الحشيشة:

كنا قد أشرنا إلى أن المقريزي أفرد فصلاً كاملاً عن الحشيشة وتاريخ ظهورها في مصر وأثرها في النفس وأطلق عليها لقب: حشيشة الفقراء.

يقول محمد بن علي بن الأعمى دمشقي في وصفها<sup>(١)</sup>:

دع الخمر واشرب من مدامة حيدر  
يعاطيكها طبّي من الترك أغيدٌ  
يرنّحها أدنى نسيم تنسّمت  
وفيها معان ليس في الخمر مثلها  
هي البكر لم تنكح بماء سحابة  
ولا عبث القسيسُ يوماً بكأسها  
ولا نصّ في تحريمها عند مالك  
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها  
وكفكف الهمّ بالكفّ واسترح  
ولا أثبت النعمان تنجيس عينها

معنبرة خضراء مثل الزبرجد  
يميس على غصن من البان أملد  
فتهفو إلى برد النسيم المردد  
فلا تستمع فيها مقال مُفند  
ولا عصرت يوماً برجل ولا يد  
ولا قرّبوا من دنّها كلُّ مُفعد  
ولا حدّ عند الشافعي وأحمد  
فخذها بحدّ المشرفي المهند  
ولا تطرّحن يوم السرور إلى غد

وقال في وصفها أيضاً أبو الحسن عليّ بن عبد الله الينبُعي<sup>(٢)</sup>:

رُبّ ليل قطعته ونديمي  
مجلسي مسجداً وشربي من  
قال لي صاحبي وقد فاح منها  
أمن المسك؟ قلت ليست من المسك

شاهدي وهو مُسعمي وسميري  
خضراء تزهو بحسن لونٍ نضير  
نشرها مزرياً بنشر العبير  
ولكنها من «الكافوري»

(١) الخطوط المقريزية، الجزء الثاني، ص ١٢٧.

(٢) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢٧٥.

وهو يعني أنها مأخوذة من البستان الكافوري الذي كان أحد أهم منتزهات الفاطميين، ورائحة العبير تصبح مزرية أمام رائحتها. وشبه الشاعر مجلس التحشيش بالمسجد. وكلها معان جديدة لم يسبقهم أحد إليها.

### وصف تهتك الناس وسكرهم يوم الخليج:

كانت احتفالات أخذ مقياس النيل أو كسر الخليج من الاحتفالات والأعياد المهمة عند المصريين في الدولة الفاطمية. وكانت هذه الاحتفالات تستمر أكثر من أربعة أيام بلياليها، ويشترك فيها الخليفة والوزير وكبار القواد والأمراء. وكان للخليفة منظر (مقصورة) عالية في وسط النيل يحيط بها الماء من جميع الجهات، يقف فيها الخليفة وكبار موظفي الدولة حوله للنظر إلى طريقة فتح السدود وأخذ المقياس. وقد كان السكر وشرب الخمرة يصل بالناس إلى حد التهتك. وقال المقرئ المبرزين أن النساء المخمورات كنَّ يُحمَلن في قفاف الحمالين من شاطيء إلى شاطيء. وقد وصف شهاب الدين ابن العطار هذا التهتك بقوله:

تهتك الخلق بالتخليق قلت لهم ما أحسن الستر قالوا العفو مأمول  
ستر الإله علينا لا يزال فما أحلى تهتكنا والستر مسبول

والتخليق: رش العطور، فقد كان من عادة الفاطميين أن يرشوا عمود المقياس بالعطور تكريماً للنيل، ثم يعودون ويرشون وجوه الصبيان: «يخلقونهم».

## التهتك أطيب من التستر:

قال الشاعر أبو محمد ابن وكيع التتيسي يذم التستر والوقار في الشرب ويفضل عليهما مداعبة المردان<sup>(١)</sup>:

لا تأمرني بالتستر في الهوى      فالعيش أجمل في ركوب العار  
إن التوقر للحياة مكدّر      والعيش فهو تهتك الأستار  
من تابعت أم المروءة نفسه      فنيت من الحسرات في الأفكار  
خوفتني بالنار جهدك دائباً      ولججت في الإرهاب والإنذار  
خوفي كخوفك غير أنني واثق      بجميل عفو الواحد القهار  
والسرور لا يوجد إلا في حانة الخمار:

فانهض بنا نحو السرور فإنه      ما زال يسكن حانة الخمار  
فاشرب معتقة كأن نسيمها      مسك تضوعه يد العطار  
أحكامها في العقل إن هي حُكمت      أحكام صرف الدهر في الأحرار  
يرضى على الأقدار شاربها الذي      ما زال ناسخط على الأقدار

ويصف الساقى وبالطبع هو إما يهودي أو نصراني:

لا سيما من كف أعيد شادين      يسبي العقول بطرفه السمّار  
قد غيب الزنار دقة خصره      حتى ظنناه بلا زنار  
وبالرغم من أنه نصراني ولكن      حجته على المسلمين قوية بسبب  
حسنه وجماله:

متنصر قويت على إسلامنا      بالحسن فيه حجة الكفار  
قالوا: أيصنع مثل هذاربكم      ويرى فساد صنيعه بالنار

(١) يتيمة الدهر، للثعالبي، الجزء الأول، م.س. ص ٣٩٠.

ويصف مُعَنَّ عواد شريكهم في جلسة الأانس والشرب فيقول:

مع مُسْمِعٍ حلفت له أوتاره      أن لا تنافر رنة المزمارة  
فَطِنٌ يحرِّك كلَّ عضو ساكن      تحريكه لسواكن الأوتار  
شَدُوٌّ إذا الحلماء زار حلومهم      باعوا بطيب السخف كلَّ وقار  
والشدو أحسنه الذي لم يستمع      إلا أطار العقل كلَّ مطار  
وقال أيضاً في وصف الساقى<sup>(١)</sup>:

لا سيما من كف ظبني لم يُشَنُّ      بفرط طول لا، ولا فرط قصر  
له سهام من لحاظ ضيِّبٍ      كأنما يرمين عن قوس القدر  
مُتَزِنٌ شُكِّكَنِي في دينه      حتى أحلت الكفر فيمن قد كَفُرُ  
لأنه كالخور في تصويره      والخور لا يسكنها الله سُقُرُ  
لولم يكن زناره في وسطه      يمسك ضعف الخصر منه لا نبتُر  
وبان منه نصفه عن نصفه      لكنَّه جاء له على قدر  
إن قلت يحكي قمرأ عنفني      عقل له أعدمه عند القمر  
يالك منه منظرأ أشهى إلى      قلبي من جنة عدن أو أسر

وقال أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن فلاح في وصف  
خدَّ معشوقه الذي لا فرق بينه وبين الورد<sup>(٢)</sup>:

قرنت بالورد خدًّا      أرقُّ مننه وأندي  
فضارع النور نوراً      وعانق الورد وردا

(١) بيتية الدهر، الجزء الأول، م.س. ص ٢٨٨.

(٢) أخبار مصر في سنتين، المسبجي، م.س. ص ١٠٥.

وقال علي بن عبد الرحمن الحاسب المقري يصف نعومة خدّ  
محبوبه الذي شابه المرأة في صفائه<sup>(١)</sup>:

يجري النسيم على غلالة خدّه وأرقّ منه ما يمرّ عليه  
ناولته المرأة ينظرو وجهه فعكست فتنة ناظره إليه

علي بن حبيب الراني يتغزل بيهودي:

وقال علي بن حبيب الراني الدلال يتغزل بولد يهودي<sup>(٢)</sup>:

رقّ لي رحمةً وعنيّ فإنّي قد عناني من النوى ما عناني  
أنت سمعي وناظري وفؤادي وحياتي ومهجتي وجناني  
وعذابي وكشف فرط عذابي وأماني وروعتي في أماني  
لك خدّ أرقّ من رقّة الماء وقلب كالصخرة الصوان  
إن عيناً تراك في كلّ يوم هي عندي من العمى في أمان

أبو الرقعق يصف ما يسبب له الشبق الجنسي من مشاكل:

قال أبو الرقعق يصف ما يسببه له الشبق الجنسي من مشاكل  
مع الجميلات والغلمان المردان<sup>(٣)</sup>:

كل يوم أنا من (...) في أمر عجاب  
ليس يخليني من هم وحزن واكتئاب  
لم يدع لي ذهباً إلا رماه بالذهب

(١) عيون الاخبار وفنون الآثار، السبع السادس، م.س. ص ٣٠٠.

(٢) أخبار مصر في سنتين، المسيحي، م.س. ص ١٥٤.

(٣) يتيمة الدهر، الجزء الاول، ص ٣٢٨.

وابتدى المشؤوم أن يعمل في أمرِ الشبابِ  
 هل مجيرٌ لي منه أهلٌ ودي وصحابي  
 وإلا تبتُّ والرحمن من لعب الكعابِ  
 أنا مبلي من بلاياه بَنُصب وعذابِ  
 أنا لولاه لألفيت قليل الإضطرابِ  
 وتجزيت بنزر من طعام وشرابِ  
 لَعْنَةُ الله عليه وبراعيث الكلابِ  
 فلکم أوقفني موقف خزي واكتئابِ  
 ولكم أغلقت باباً من هواه دون بابِ  
 ربّ قد أبليتني منه بمعتوه مصابِ  
 عينه في كلّ من دبّ على وجه الترابِ  
 ثم لا يرضيه منه غير دبر مستطابِ

الشريف ابن هبة الله العلوي، يفضّل العيش بين غادة وأعيد<sup>(١)</sup>:

|                               |                                 |
|-------------------------------|---------------------------------|
| خلعنا الصُّبَا ولبسنا الوقارا | وكان الشبابُ رداءً مُعارا       |
| ويا ربما ليلة قد خَطَرْتُ     | إلى اللهو يُرْخى مَراحى الإزارا |
| أردُّ مشورة رأى النُّهَى      | عليه وأزضى الهوى مستشارا        |
| ليهنِكَ يا عاذلي أنني         | ملكْتُ على صَبَوَاتي الخيارا    |
| رَقَّتْ دمعَةُ الشوق من ناظري | وخلَّفَنُ غيري يبكي الديارا     |
| ولم تُنسِنِي عَفَّتِي غادةٌ   | تَزِينُ المعاصمُ منها السَّوارا |

(١) خريدة العصر، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ١٣١.



إذا انتقبت قلت بدر التما      م لاث عليه الغمام الخمارا  
 ولا أغيد الجيد أمسى يدي      ر من طرفه ويديه العقارا  
 إذا هو أزعف إبريقه      كست يده كأسه الجلائرا  
 تخال فواقعه أولوا      وهى سلكه ودموعا غزارا  
 إذا الماء عاتب أخلاقها      رأيت الشقائق منها بهارا  
 تضيء لنا فحمت الظلا      م من قبل أن يقبس الفجر نارا  
 وبين الوشاحين منه القضيب      وتحت الحقاب نقأ حيث دارا

### شعر المباسطات الإخوانية

الشعر الإخواني أو شعر المباسطات الإخوانية، قديم قدم  
 الشعر العربي، وهو شعر السخف والهزل والهجاء في معرض  
 المزاح والتسلية، وكان هذا الشعر في الجاهلية وصدر الإسلام،  
 يمر لمحات قصيرة في القصيدة الواحدة، وخاصة في شعر  
 الحطيئة وشعر شعراء النقائض، جرير والأخطل والفرزدق، ولم  
 يأخذ شكل المقطوعة أو القصيدة الكاملة إلا في العصر العباسي  
 الأول، في شعر شعراء المجون والشعر الإباضي أمثال النؤاسي  
 والحسين بن الضحاك، الخليل، وبشار بن برد، وكشاجم والسري  
 الرفاء الموصلية.

وإذا كانت الدعابة والنكتة الحلوة وما تزال من أهم مميزات  
 الشعب المصري، فكيف ولو صيغت هذه الدعابة أو هذه النكتة  
 بكلام جميل موزون مقفى موسق مغنى؟.

## جلسة شعر على أكلة دجاج:

قال الحسن بن أحمد المعروف بابن الخياط يدعو الأمير المختار محمد بن عبيد الله المسبّحي على ديك «مصلوق»<sup>(١)</sup>:

عندي شراب مُرَوِّقٍ      وبركة تتدفَّقُ  
وصائح أسكتته      سيِّئنا وهو يُصَلِّقُ  
وأَمَّه وخواتٍ      في جاحم النار تحرق  
وبنت بُرِّعَليها      أدهانها تترقرق  
فاسبق إليَّ فما زلت      في المكارم أسبِقُ  
ولا تواني فما زلت      من توانيكَ أفرق  
وكلَّ ما قُلتَ في الشعر      فهو يُهوى ويُعشِّقُ  
وسوف تلقى مطاياي      تحت دارك تَعْتَقُ  
فكلَّ من باع لهواً      بضدّه فهو أحْمَقُ

## لعبة الصفع:

عندما كنت طفلاً وذلك في منتصف القرن العشرين سنة ١٩٥٠ وكان لي من العمر سبع سنوات، كان الأولاد يلعبون لعبة اسمها لعبة الصفع، ومفادها، أن يعطى أحدها ظهره ويضع يداً على خده يغطي بها طرفه واليد الثانية مبسوطة على طرف ظهره، ونبدأ نحن بصفعه على يده، وعليه أن يعرف من صفعه، وإذا عرفه، فيقف مكانه يتلقى الصفعات، وهكذا دواليك. وربما هذه اللعبة ورثناها عن أهلنا

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٢٠.

وأبائنا، وقد وصف هذه اللعبة أبو الرقعمق بطريقة تشير إلى أنه كان مغرماً بها.

### يقول أبو الرقعيق<sup>(١)</sup>:

تحيرت فما أدري الذي أصنع في أمري

ولكنني للحيرة سكران بلا سكر

كأنني لست مخلوقاً لغير الجهد والضر

فماذا أصنع في مصر إذا لم أحظ في مصر

وفي الأفاق أقوام يميلون إلى شعري

ونُبئت بأن القوم لا يخلون من ذكرني

ففيم الترك للسير؟ وهل في ذاك من عذر

وقد قدّمت أثقالني وسيري غرّة الشهر

فأما كثرة الحمق فقد سيّرت في البحر

وبأقيه معي يذهب في البرّ على ظهري

ولا أترك في مصر لذكر الحمق من أثر

ومن يلعب في الرأس من العصر إلى العصر

ومن من شدة الصفع له رأس بلا شعر

ومن هامته أقوى على الصفع من الصخر

ومن يضطر في الذقن بلا كيل ولا حزر

ومن ينتف بالدبق سبالات بني البظر

ولكنني فلا كنت لمافي من الكبر

(١) بيتمة الدهر، الجزء الأول، ص ٢٢٢.

إذا أمراني الصفع وهيهات ترى صفعاً  
تجشأت من الدبر لغيري أبداً يمري  
وقال في وصف لعبة الصفع أيضاً:

عجب ما مثله عَجَبُ قرقرت بطني فوا حزني  
هريباً من شرها هرباً  
حزني أنني مُذْزَمَنٌ ولكم بتنا على طرب  
وكؤوس الصفع دائرةٌ  
وانتهبناها وهامهم  
وكان الصفع بينهم  
فعلوا بي غير ما يجب  
ذقن من بالسلح يختضب  
فعسى أن ينفع الهرب  
مالعبناه ولا لعبوا  
رؤوس القوم تستلب  
ملؤها اللذات والطرب  
وأكف القوم تصطخب  
شعل النيران تلتهب

### وصف ممارسة العادة السرية:

وقال أبو الرقعمق يصف ما فعلت به كثرة ممارسته العادة السرية<sup>(١)</sup>:

قد أجمع الناس أن حُمَقي قد عشت دهرأ أعول عقلي  
فمذتحامقت قد كساني  
ومن بلائي أبو عمير منتصب ما ينام وقتاً  
من كان ذا زوجة فإني  
أحسن من عفتي وديني  
والناس إذ ذاك يبعدوني  
حمقي وقد عالني جنوني  
مُعَرَّضٌ لي إلى المنون  
وليس يهدا من الرنين  
لشقوتي زوجتي يميني

(١) بيتمة الدهر، الجزء الأول، ص ٣٤٢.

عميرة قد جلدت حتى خشيت والله يجلدوني  
فراقبوا الله في أموري فطأقوها وزوجوني

### باب الأمير مغلق:

جاء عمارة اليمني لزيارة الأمير نجم الدين بن مجير السعدي  
شقيق الوزير شاور، فوجده مغلقاً فترك له هذه الرقعة مع الحارس:  
أتيت إلى بابك المرتجى فألفيته مغلقاً مرتجياً  
فقلت لبوابه سائلاً أيغلق باب النهى والحجا  
فقال: أراك كثير الكلام وعندني من الرأي أن تخرجنا  
والانتفت سبال المديح والحقها بسبال الهجا

### خطير الملك يعد الفقيه عمارة بعمامة ملوكية:

وعد خطير الملك الفقيه عمارة بعمامة دمياطية مخرمة مؤشاة  
وتأخر في إرسالها فكتب إليه الفقيه عمارة<sup>(١)</sup>:  
رأيتك في المنام بعثت نحوي بحاملة الحيا وهي الغمامه  
فأولت الحيا حياك منى وصحفت الغمامة بالعمامه  
فأنفذلي بأطول من حسابي إذا حضرث في يوم القيامه  
ولاتك يا خطير فدتك نفسي قديمه مُدَّةٍ لحقت قدامه  
وأرسلها وختم الشرب فيها كخود فوق وجنتها عرامه  
كان بياضها وجه نقبي وحسن الرقم فوق الخدشامه  
ولاتبعث بقيمتها فإني أراه من التكلّف والغرامه

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٩٥٢.

وليس القصد لإتاج فخر يطول قامته ويصون هامه  
وما هذا المديح سوى أذان فقل لنداك حي على الإقامه

الشاعر الوضيع يحيى بن علي مفتي الديانة النواسية:

قال الشاعر الوضيع يحيى بن علي يصف ديانة الحسن بن  
هاني أبي نواس<sup>(١)</sup>:

أنا نائب الشرع النواسي دعني وباطيتي وكاسي  
أهوى الغزالة كاعباً وأهيم بالظبي الخماسي  
من كل معتدل رشيق القدم مشوق خلاسي  
متعكرش فإذا أختبرت وَجَدْتُ مُنْحَلَّ الأَسَاسِ  
لكن لإفلاسي حبيت السامري بلا مساس  
لي منزل لا شيء فيه كأنه كيسي وراسي

رخاء عراق العباسيين خراء:

قال الشاعر المصري جعفر ابن الزبير بعد عودته من العراق<sup>(٢)</sup>:

وكم قائل لي سافر إلى بلاد العراق تقع في الرخاء  
لعمري لقد صدقوا في الرخاء وقعنا ولكن بتقديم خاء  
ويتأسف على المقادير التي ساقته إلى بغداد فيقول:

وما قصدنا بغداد شوقاً لأهلها ولا خفيت مذقاً أخبارها عننا  
ولا أننا اخترنا على مصر بلدة سواها ولكن المقادير ساقتنا

(١) خريدة القصر الجزء الثاني، ص ٥٧.

(٢) م.س. ص ٦٧.

وتزعم هذه الأبيات العماد الأصفهاني فيعلق عليها بقوله: «هذه الأبيات أودعها الشاعر رسالة عملها في ذم بغداد وكفكاف ذلك دليلاً على غباوته وقساوته وغلظ طبعه ومرض قلبه».

ابن مكنسة على طريقة أبي الرقعمق<sup>(١)</sup>:

أنا الذي حَدَّثْتُكُمْ      عنه أبو الشَّمَقْمَقِ  
وقالَ عَنِّي إنني      كنتُ نَدِيمَ الْمُتَّقِي  
وكننتُ كنتُ كنتُ      من رُمَاةِ البُنْدُقِ  
حتى متى أبقى كذا      تيسرُ أطويلَ العُنُقِ  
بِإِخْيَةِ مُسَبَّأَةٍ      وشارِبِ مُحَأَّقِ  
ياليتها قد حُلِقَتْ      من وجهِ شيخِ خَلْقِ  
وقال أيضاً<sup>(٢)</sup>:

عشتُ خمسين بل تزيدُ      رقيعاً كماترى  
أحسبُ المُقْلَ بُنْدُقًا      وكذا المالحَ سُكَّرًا  
وأظنُّ الطويلَ من كـ      لشيءٍ مُدَوَّرًا  
قد كَبِرَ بَرِبِرِ بَرِبِرِ      ث وعقابي إلى ورا  
عجباً كيف كلَّ شـ      شيءٍ أراهُ تَغَيَّرًا  
لا أرى البَيْضَ صارِيؤُ      كلَّ الإمْقَشِّ سَرًا  
وإذا نُوقَ بالحججا      رزججاً تكسَّرًا

(١) م.س. ص ٢١٤.

(٢) راجع: الحياة الفكرية والادبية في مصر، م.س. ص ١٨٧.

## ابن قلاقس يداعب صاحباً له اسمه ابن عدلان<sup>(١)</sup>:

يا بَنَ عَدْلان يا أخس الرجال  
لك وجه الحمار لكن عليه  
مذعدناك في الشهود علمنا  
باشرت رأسك الفراء فلاقت  
أي شيء سمعت يا أحرق الننا  
يضع الخط بالشهادة جهلاً  
إن عرفت الهجاء والخط فاقرأ  
قد جعلنا على دماغك حقاً  
ورأينا المسافرين من الغر  
أخبرونا بأن عندك بنتاً  
شركة في النساء كالشرك بالل  
والعبيد الذين عندك قالوا

## سرقة ثياب ابن قلاقس وهو يسبح:

وقام بعض أصحابه فسرقوا له ثيابه وهو يسبح فنظم هذه القصيدة<sup>(٢)</sup>:

إن كنت يوماً مُعيني عند نازلة  
ما زلت أملك أسلاب الملوك إلى  
وكم فتى بات محراب الوغي فغدا  
فاليوم إنني بين الظفر والناي  
أن مُلكت سوقة الأقوام أسلابي  
بغارة اللص محروباً بمحراب

(١) ديوان ابن قلاقس، ص ٢٧١.

(٢) ديوان ابن قلاقس، ص ٢٦٩.



خُذُوا ثَوَابِي وَرُدُونِي لِأَثْوَابِي  
وَأَيُّ جَفْنٍ لِمَا ضِيَّيَ الْحَدَّ قَرَضَابٍ  
إِلَى اسْتِمَاعِ جَوَابِ مَنْكَ جَوَابِ  
مَطْرَزَاتِ بَتَصْنِيْعِ وَأَدَابِ  
وَدَعِ سِوَاكَ لِإِحْرَامِ وَجَلْبَابِ  
رُوسِ لِرُوسِ وَأَذْنَابِ لِأَذْنَابِ  
وَكَمْ فَتَى مِنْ بَنِي الْجَبَابِ جَبَابِ

قَالُوا الثَّوَابَ عَنِ الْأَثْوَابِ قَلْتُ لَهُمْ  
وَاضِيْعَةَ الْعَضْبِ لَا جَفْنَ يُصَانُ بِهِ  
وَقَدْ دَعَوْتُكَ وَالْأَسْمَاعِ مَصْفِيَّةً  
وَسَوْفَ أَكْسُوكَ مِنْ نَسِجِ الثَّنَائِحِ حَلَالاً  
فَجَدْبَهَا عِمَّةً كَالْتَاكِجِ بَاهِيَّةً  
وَهَذِهِ قِسْمَةٌ بِالْحَقِّ نَاطِقَةٌ  
كَمْ وَأَصْلُ الدَّهْرِ مِنْ هَمْ وَأَوْصَلُهُ

وقال ابن قلاقس يصف لحية صاحبه<sup>(١)</sup>:

حَسْبُكَ اللَّهْ وَحَسْبِي  
كَانَ مِثْلَ الْمُتَنَبِّي  
دَاءَ مَنْهَا تَحْتَقَبُّ  
تَهُ مِنْ شَرْقِ الْغَرَبِ  
سِ لَا ضَرْطَةَ وَهَبِ

جَاءَنَا يَحْمِلُ ذُقْنَاءاً  
شَعْرَهَا لَوْ كَانَ شِعْرَاءً  
تَرَكْتَ صَدْرَتَهُ السَّوِ  
وَهِيَ فَوْقَ الصَّدْرِ قَدْسَدً  
لِحْيَةً رَدَّتُهُ فِي النَّا

أبو الرقعق يتحامق<sup>(٢)</sup>:

أَنْ الْفَصِيلِ ابْنَ الْبَعِيرِ  
رُ إِلَى طِبَاهِجَةَ بِقَيْرِ  
سَنْتَيْنِ مِنْ عِلْفِ الشَّعِيرِ  
رَمَنْ الْهَزَالَ مَعَ الطَّيُورِ  
فَلَقَدْ وَقَعْتَ عَلَى الْخَبِيرِ

كَتَبَ الْحَصِيرَ إِلَى السَّرِيرِ  
فَلَمَّا نَلَّهَا ضَرَبَ الْأَمِيرِ  
فَلَأْمَنَعَنْ حِمَارَتِي  
لَا هَمَّ إِلَّا أَنْ تَطِيرِ  
فَلَاخْبِرُنَا قَصَّتِي

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٢٧٦.

(٢) يتيمة الدهر، الثعالبي، الجزء الأول، ص ٢٣٩.

إن الذين تصافعوا  
 أسفوا عليّ لأنهم  
 لو كنت ثم لقائل: هل  
 ولقد دخلت على الصديق  
 متشمراً مُتَبَخِّراً  
 فأدرتُ حين تبادروا  
 يا للرجال تصافعوا  
 لا تُغفِرُوه فإنه  
 هو في المجالس كالْبَخُو  
 ولا نكـرنُ إذا نكـر  
 ولا حـرزننُ لأنهم  
 رحلوا وقد خبزوا الفطير  
 لا والذي نطق النـبـ  
 ما للإمام أبي علي

بالقرع في زمن القشور  
 حَضَرُوا ولم أك في الحضور  
 من أخذ بيدي الضرير؟  
 ق البيت في اليوم المطير  
 للصفع بالدلو الكبير  
 دلوي فكان عمي المدير  
 فالصفعُ مفتاحُ السرور  
 يستلُّ أحقادَ الصدور  
 رِ فلا تملأوا من بخور  
 ث أحبتي وقت السحور  
 لمادناً ضجُ القدور  
 ر ففائهم أكل الفطير  
 يُّ بفضلِه يوم الغدير  
 يُّ في البرية من نظير

أبو الرقعمق يحدّد مواصفات البنت التي أحبّها<sup>(١)</sup>:

أظنُّ ودادها من غير نيّه  
 فتاة لا تمل عذاب قلبي  
 ولا ذنب له إلا التوافي  
 ويعجبني التمنعُ والتشاجي  
 فوا أسفعا على حرِّي عَزِّي

وهل هي فيه إلا مدعيّه  
 ولا تخليه وقتاً من أذنيّه  
 لمن في الحب ليست بالوفية  
 من الخود الممنعة الشجية  
 أخارزء على عظم الرزية

(١) بيتمة الدهر، الجزء الأول، ص ٣٢٩.

ومنها:

وذلك أن (...) فيه رطلٌ  
ومن بعث المدام فليس بد  
فَئِمَّ هناك حرٌّ شافعي  
ونفسي غيرُ مائلة إليها  
أحبُّ دنوها وتحبُّ قربي  
وما لاقيتها إلا تلاقي  
وهذا الرأي لا رأيي سواه  
ولا عيش سوى تغليب بظر  
على أني أقول بكل شيء  
ولا ألوي على أحد يراني  
ولكني أقول بمدح قرم  
ومن نال العلا حجاجاً ومجداً  
تشابه خلقه والخلق حسناً  
تشاهد منه طوداً مشمخراً  
له الأقلام كيف يشاء تجري  
كان اللفظ في القرطاس زهر  
ونظم ابن قلاقس هذه القصيدة على طريقة ابي الرقعمق<sup>(١)</sup>:

يا هذه لا تنطقي  
أما علمت أنني  
أصبحت صبا هائماً  
بسُّكٍ لا تنقنقي  
أصبحتُ شيخَ الحمق  
بثوبَي الممزوق

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٦١٨.

إن شئت أو فبوقتي  
 علي أو فابرقتي  
 فإن أردت صفتي  
 من قبل لبس البخنق  
 ذال غرب ثم المشرق  
 أحب أكل الفستق  
 فاني دثم البندق  
 توقفي ترفقي  
 أن لنا أن نلتقي  
 ناهيكه من جوسق  
 لالفطرفوق الأفق  
 أكرم به من زورق  
 مثل الحسام الأزرق  
 ن مثل لون الزئبق  
 رجبس مثل الحدق  
 م من طق مق رطق  
 محمزة كالشفيق  
 مثل أسوداد الغسق  
 غصن الرطيب المورق  
 ذاك القباء الأزرق  
 دورين رأس المرفق  
 بلق عرض الخندق  
 فرط الهوى في قلقى

فطبلي من بعدنا  
 وأرعدي من غضب  
 ودقفي وبععدنا  
 أنا الذي فقت الوري  
 أنا الذي طفت بلا  
 أنا الذي يا أخوتي  
 والتين والجوز مع الـ  
 يا هذه تعطفي  
 أما أما أما  
 في جوسق مرتفع  
 هافانظري وجهه هلا  
 كزورق من ذهب  
 والماء في النهار غدا  
 كذلك لوان الأقحوا  
 والورد كالخد كما النـ  
 ويلاه من مهف هف  
 ذي وجنة أسيلة  
 وشعرة مسودة  
 وقامة تميس كالـ  
 يا حسنه يختال في  
 فشمر الكم إلى  
 ورام أن يقف زبالا  
 علقته وصرت من

إيه ومن وجدني به  
ولا أخافُ عـاذلاً  
ولستُ بالصَّبِّ الذي  
ياعاذلي دع عذلي  
فالناسُ لا شكُّ إذا  
أما السعيدُ فالإما  
وكلُّ من يحسدهُ  
ثم انظر إلى هذه المقطوعة في وصف منزله وما به من صور  
ضاخكة ساخرة:

لي بيت كأنه بيت شعر  
سابقتي بنات وردان حتى  
أين للعنكبوت بيت ضعيف  
وإذا هب فيه ريح السراويل  
بقعة صد مطلع الشمس عنها  
فتباً لريح السراويل فهي أوقع من الحتوف في الأنوف.

وقد وصف الكاتب محمد كامل حسين هذا النوع من الشعر  
بقوله: «ولا نستطيع أن نذكر هنا هذه الأشعار الكثيرة الماجنة التي  
جرت على ألسنة شعراء مصر في هذا العصر لما فيها من فحش،  
فهي لون من ألوان الأدب المكشوف الذي عرفت به مصر في هذا  
العصر والعصور التي تليه، ولا سيما في الأدب المصري الشعبي.

ومهما يكن من شيء فإنَّ الشعر المصري الرقيق استمر تياره طوال  
العصور الوسطى، وتطوّر في أيامنا هذه إلى هذا الشعر الحديث الذي

يتعمد فيه الشعراء إلى طرح عمود الشعر القديم والعناية بالصورة الفنية والموسيقى الداخلية دون الاهتمام بالوزن والقافية».

### وبعنوان شعراء التحامق قال كامل حسين أيضاً:

ظهر في هذا العصر الذي نؤرخه فن يكاد يكون أقرب فنون الشعر إلى نفسية الشعب المصري، وهو شعر فكاهي خالص يتعمد فيه الشاعر إلى إضحاك الناس ولكن الضحك يكون من الشاعر نفسه في أغلب الأحيان، فهو يصور نفسه في صور كاريكاتورية متتابعة، ويصف نفسه بصفات ساخرة، وكثيراً ما يتعمد إلى السخف في القول وفي الصور حتى يظهر حمقه، وأحياناً كان يعمد الشاعر إلى القصائد القديمة المعروفة بين الناس فيمسخها ويغير ألفاظها حتى تظهر القصيدة القديمة في مظهر جديد فكاهي. أحب المصريون هذا اللون من الشعر الفكاهي، وعمد إليه بعض شعراء الفكاهة في كل العصور الوسطى بل لا يزال نراه إلى الآن في مصرنا الحديثة في هذه الآثار التي نقرأها للمرحوم حسين شفيق المصري وعبد السلام شهاب ومحمد الهياوي ومحمد مصطفى حمام من شعراء الفكاهة في العصر الحديث فقد أطلقوا على شعرهم (الشعر الحلمنتيشي) بينما نطلق عليه شعر التحامق، على أن شعراء التحامق كانوا يجيدون في إنشاد الشعر الجزل الرصين بجانب شعرهم الفكاهي، فالشاعر أبو الرقعمق الذي عاش في عصر الأخشيديين وأدرك عصر الفاطميين كان أكثر هؤلاء الشعراء نظماً لهذا النوع من الشعر<sup>(١)</sup>.

---

(١) الحياة الفكرية والادبية في مصر. م.س. ص ١٨٤.

## الفخر والحماسة

كان الإنسان العربي ولا يزال سجين ذاته، محبباً للظهور، مقارناً نفسه بغيره من أبناء جنسه وعشيرته وقومه. يتفاخر بما يملك ويفاخر الآخرين ببطولاته ومواقف عزّه.

والفخر هو إظهار مميّزات الإنسان على غيره من أهله بكلام جميل يتوافق مع هدف الإظهار، أو إظهار تمايز عائلة على عائلة أو قبيلة على قبيلة أو أمة على أمة، بكلام حماسي يثير المشاعر ويدعو للنشوة والاستعلاء والزهو.

وقد عرف الأدب العربي الفخر منذ عُرف الأدب، فالشعراء الجاهليون تفاخروا بأحسابهم وأنسابهم ومعاركهم وأيامهم وخيولهم المميّزة الأصيلة وسيوفهم الصقيلة.

ولما كان الفخر والحماسة من نتاج العاطفة الشديدة والانفعال العميق، جاء شعر الفخر والحماسة حافلاً بالمغالاة، مضخّم الخيال، كما جاءت الحقائق التاريخية فيه أقرب إلى الأسطورة، لتدافع الألفاظ وتنافر الحروف وتفجّر النفوس المرافقة لقعقة السلاح وصهيل الخيول.

ولم يخرج شعر الفخر والحماسة المصري أيام الدولة الفاطمية  
عن إطار الصورة العامة للفخر والحماسة في الشعر العربي.

فالإنسان العربي المصري بمسليمه ومسيحيه، من نسيج هذه  
الأمّة، وشعره الحماسي جزء من الملحمة الشعرية العربية عبر  
التاريخ، وخاصة إذا انتسب شعراؤه إلى أهل بيت النبوة، «علي  
وبنوه، أشرف الخلق ووارثو علم النبي وخلفاؤه على الأرض».

**الأمير تميم يفتخر:**

**قال الأمير تميم يفتخر ويتفاخر بأصله ونسبه ومحتده:**

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| أنا ابن المعز سليل العلا | وصنو العزيز إمام الهدى  |
| سما بي معد إلى غاية      | من المجد ما فوقها مرتقى |
| فرحت بها فاطمي النجار    | حُسينية علوي الجنى      |
| ومنا الإمام العزيز الذي  | به عاد سيف الهدى منتضى  |
| يقود إلى الحرب من جنده   | أسود رجال كأسد الشرى    |

**ويخاطب أخاه الخليفة العزيز مفتخراً فيقول:**

|                            |                            |
|----------------------------|----------------------------|
| فيا بن الوصي ويا بن البتول | ويا بن نبي الهدى المصطفى   |
| ويا بن المشاعر والمروتين   | ويا بن الحطيم ويا بن الصفا |
| لك الشرف الهاشمي الذي      | يُقصّر عنه غلامن علا       |
| فمن حد سيفك تسطو المنون    | ومن بطن كفك يُبغى الندى    |
| ولو فاخرتك جميع الملوك     | لكانوا الظلام وكنت السنأ   |



الأمير تميم يفتخر بالدولة الفاطمية:

وقال يفتخر بانتسابه للدولة الفاطمية:

إمامة مهديّة اللواء      ودولة دائمة البقاء  
محفوفة بالعزّ والبهاء      عمّمت بالعدل بني حواء

ويخاطب أخاه الخليفة العزيز مفتخراً به:

كانك المقدار في الإمضاء      وكلّ من عاداك في ضراء  
وكلّ من والاك في سراء      أنت اعتمادي وبك اعتلائي  
لا والدم الجاري بكر بلاء      ومن بها من دائم الثواء  
بني عليّ وبني الزهراء      ذوي التناهي وذوي العلاء  
ما حلت عن مستحسن الصفاء      فيك ولا عن خالص الوفاء

وقال يتفاخر على بني العباس:

أنا ابن من بشر المسيح به      وقدمت نعت وصفه الرسل  
محمد خير من بدا وهدي      وخير من يحتفي وينتعل  
أبي الوصي الذي به اتضحت      للناس طرق الرشاد والسبيل  
وأمي البرّة البتول ومن      كل نساء الوري لها خول  
رهب بني الهوى وأسرته      والخلفاء الأئمة الدل  
شردتم جعفرأ وشيعته      بغير ذنب جنوا ولا فتعلوا  
والحسينيون طالما تلفوا      بحدّ أسيا فكم وما قتلوا  
ثم قتلتم موسى الرضا خدعاً      لأنكم بعد قتلته الهبل  
ويح بني عمّ أحمد شربوا      ولحم أبناء بنته أكلوا

يا آل عباس أنتم لبني  
لا حجتني يدي ولا اتسعت  
إن لم أزركم بجحفل لَجِبِ  
الزهراء ثأرٌ وقد دنا الأجلُ  
إلى بلوغ العلايِّ السُّبُلُ  
سماؤه البيض والقنا الذُّبُلُ

ويفاخرهم بجده فيقول:

أجدكم كان مثل جدِّهم  
بدرٌ وأُخِدُّ وخيبرٌ وربا  
ومن أطاع النبي مجتهداً  
لله آل الوصيِّ من نفر  
هُمُ ليوث الأنام إن جبنوا  
يا آل عباس ما ادَّعَاؤُكُمْ  
قدَّمنا الله ثم أخرَّكم  
نحن بنو أحمد الذين بهم  
نحن كفَّلنا النبي منذ بدا  
ونحن أبناؤه وعترتهُ  
كاننافي دُجى الأمور ضحى  
صلَّى علينا الإله ما نُصِرَتْ  
والحرب بالمشركين تشتعل  
مكة يعلمن من له الأوَّلُ  
مجاهداً لا يعوقه كسل  
ما نُكِّبوا عن ثُقَيٍّ ولا عدلوا  
وهم هداة العباد إن جهلوا  
إرثاً لنا السهل منه والجَبَلُ  
عنا فما أن لكم بنا قبَلُ  
يدعو إلى ربِّه ويبتهلِ  
حتى استطالت بأمره الطولُ  
ونحن أنصار دينه القَتْلُ  
وأنتم في صوابها خَطْلُ  
بنا العلا والسماح والمِلْلُ

وقال الأمير تميم قصيدة يفتخر بها بنسبه وأهله على بني العباس<sup>(١)</sup>:

جَادِكِ الْغَيْثُ مِنْ مَحَلَّةِ دَارٍ      وَثَوَى فَيْكِ كُلُّ غَادٍ وَسَارٍ  
يَا طُلُوعَ الْيَوَى غَدَوْتَ رَسُومًا      دَارِسَاتِ الْأَعْلَامِ وَالْأَحْجَارِ  
بَعْدَ مَا كُنْتَ مَالِفَ الْعَزِّ وَالْحَسِّ      مِنْ وَمَلَهَى لِأَعْيُنِ النَّظَارِ  
وَكَذَاكَ الزَّمَانُ مَنْقَلَبَ الْحَا      لَيْنَ بَيْنِ الْإِقْبَالِ وَالْإِدْبَارِ  
يَا بَنِي هَاشِمٍ وَلِسْنَا سِوَاءَ      فِي صِغَارٍ مِنَ الْعِلَاءِ أَوْ كِبَارِ  
لَيْسَ عَبَّاسُكُمْ كَمِثْلِ عَلِيٍّ      هَلْ تَقَاسِ النَّجُومَ بِالْأَقْمَارِ  
مَنْ لَهُ الْفَضْلُ وَالتَّقَدُّمُ فِي الْإِسْمِ      لَامٍ وَالنَّاسِ شَيْعَةَ الْكِفَارِ؟  
مَنْ لَهُ الصِّهْرُ وَالْمَوَاسَاةُ وَالنُّصْبُ      رةً وَالْحَرْبُ تَرْتَمِي بِالشَّرَارِ؟  
مَنْ دَعَاهُ النَّبِيُّ خِدْنًا، وَسَمًّا      هَ أَخَافِي الْخِفَاءَ وَالْإِظْهَارِ؟  
مَنْ لَهُ قَالَ أَنْتَ مِنْنِي كَهَارُ      نَ مِنْ مُوسَى أَكْرَمَ بِهِ مِنْ نِجَارِ؟  
ثُمَّ يَوْمَ الْغَدِيرِ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ      خَصَّهُ دُونَ سَائِرِ الْخُضَارِ  
مَنْ لَهُ قَالَ: لَا فَتَى كَعَلِيٍّ      لَا وَلَا مُنْصُلُ سِوَى ذِي الْفَقَارِ؟  
أَبْعُدِ الْإِلَهَ أَمْ بِحَسِينِ      وَأَخِيهِ سُلَالَةَ الْأَطْهَارِ<sup>(٢)</sup>  
يَا بَنِي عَمَّنَا ظَلَمْتُمْ وَطَرْتُمْ      عَنْ سَبِيلِ الْإِنْصَافِ كُلِّ مَطَارِ  
أَيْنَ كَانَ الْعَبَّاسُ إِذْ ذَاكَ؟ فِي الْهَجِّ      رةً أَمْ فِي الْفِرَاشِ أَمْ فِي الْغَارِ  
أَلَكُمْ مِثْلُ هَذِهِ يَا بَنِي الْعَدِّ      بَّاسٍ مَأْثُورَةٌ مِنَ الْأَثَارِ  
أَلَكُمْ حُرْمَةٌ بِعَمِّ رَسُولِ اللَّهِ      لَّهُ لَيْسَتْ فَيْكُمْ بِذَاتِ تَوَارِ  
وَلِنَا حُرْمَةُ الْوِلَادَةِ وَالْأَعْدِ      مَامٍ وَالسَّبْقِ وَالْهُدَى وَالْمَنَارِ

(١) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي. م.س. ص ١٨٥.

(٢) عبد الإله تحوير للاسم عبدالله ويعني به عبد الله بن عباس.

ولنا هجرة المهاجر قدما  
ولنا الصوم والصلاة وبذل الـ  
نحن أهل الكساء سادسنا الرؤ  
نحن أهل التقى وأهل المواسا  
فدعوا خُطَّة العُلال لذويها  
أجعلتم سقى الحجيج كمن آ  
أوجعلتم نداء عباس في الحر  
كوقوف الوصي في غمرة المو  
حين ولَّى صحبُ النبي فرارا  
واسألوا يوم خيبر واسألوا  
واسألوا يوم بدرَ مَنْ فارسُ الإس  
يا بني هاشم أليس عليُّ  
فبماذا ملكتكم دوننا إر  
أيقربى؟ فنحن أقرب للمو  
أم بإرثٍ وراثتموه؟ فإننا  
تحت أعلامه من الفاطميين  
فاصدروا عن موارد الملك إنا  
ولنا العزَّ والسمو عليكم  
يا بني فاطم إلى كم أقيكم  
فخذوها منى نتيجة فهم  
سلمت من تعصبٍ وغلو  
غير أن البيان يظهر فيها  
حججٌ كلُّها تأملها العا

ولنا نصرته من الأنصار  
عُرف في عُسرنا وفي الإيسار  
ح الأمين المهيمن الجبار  
ة وأهل النوال والإيثار  
من بني بيت أحمد الأبرار  
من بالله مؤمنا (لا يداري)  
ب [وقد] فرَّ عن لقاء الشفَّار  
ت لضرب الرؤوس تحت الغبار  
وهو يحمي النبي عند الفرار  
مكة عن كرهه على الفجار  
لام فيه وطالب الأوتار  
كاشف الكرب والرزايا الكبار  
ث نبي الهدى بلا استظهار  
روث منكم ومن مكان الشعار  
نحن أهل الآثار والأخطار  
ن أسودُّ تدمي شبا الأظفار  
نحن أهل الإيراد والإصدار  
والمساعي وقطب كلِّ مدار  
بلساني ومُصلى وانتصاري  
بين حدِّ الإقلال والإكثار  
وتبرَّت من سوء كلِّ اختيار  
ساطعا نوره بغير استتار  
لم بانته له بيان النهار

المهذب بن الزبير: إما العلا وإما الردى:

وقال المهذب بن الزبير يفتخر<sup>(١)</sup>:

جَلَّتْ لِدَيِّ الرِّزَايَا بِلْ جَلْتْ هَمْمِي  
غِيرِي بغيره عن حسن بشيمته  
لو كانت النار للياقوت محرقة  
لا تغترين بأطماري وقيمته  
ولا تظنُّ خفاء النجم من صغر  
تشابه الناس في خلق وفي خُلق  
ولم أبت قطُّ من خلق على ثقة  
لا تخدعني بمرثئي ومُسْتَمَعِ  
وكيف آمن غيري عند نائبة  
تأبى المكارم والمجد المؤثِّل لي  
إنِّي لأشهرُ في أهل الفصاحة من  
وسوف أرمي بنفسي كلَّ مهلكة  
إمَّا العلا وإليها منتهى أملي  
وقال أيضاً:

لا تُطْمَعَنْ فِي أَرْضٍ أَنْ أَقِيمَ بِهَا  
أني اغتربت فلي من عفتي ووطن  
لولا التنقلُ أعيان أن يبين على  
فليس بيني وبين الأرض من نسبِ  
أوي إليه وأهل من ذوي الأدبِ  
باقي الكواكب فضل السبعة الشُّهُبِ

(١) الخريدة، قسم شعراء مصر، الجزء الأول، ص ٢٢٥.

## عمارة اليميني يتفاخر على توران شاه الأيوبي:

وفي معرض مدح توران شاه بن أيوب تفاخر الفقيه عمارة عليه.  
وقد جاء في القصيدة:

العلم مذ كان محتاج إلى العَلْمِ      وشفرة السيف تستغني عن العلم  
كأنِّي بالليالي وهي هاتفةٌ      قد صُمِّمَ سمعُ رجال دونها وعمي  
أصبحت بالشعر ملحوظاً بمنقصة      ولم أزل بين أهل العلم كالعلم  
من معدن الدرِّ عن كَفِّ تقبُّلها      ومعدن الدر والياقوت فهو قمي  
والعصر يعلم أنِّي فيه جوهرةٌ      رخيصة السعر بالغالي من القيم  
ما أفقر الدهر من مثلي وأنت بما      أقول أدري ولكن قلَّةَ القِسَمِ  
وصحَّة الجسم لا يُدرى بقيمتها      إن لم ينبَّه عليها عارض السَقَمِ  
وما حسدت جهولاً فضل ثروته      والريش ينبت فوق النسر والرخمِ  
ولا رضيت لوجهي أن أجوده      على بخيل ولا استسمنت ذا ورمِ  
وقال أبو الصلت المصري أمية بن عبد العزيز يفتخر<sup>(١)</sup>:

وقائلة ما بال مثلك خاملاً      أنت ضعيف الرأي أم أنت عاجزٌ  
فقلت لها ذنبي إلى القوم أنني      لمالم يحوزوه من الفضل حائزٌ

(١) الفلاحة والمفلوكون، شهاب الدين أحمد بن علي الدُلجي، ط ١، بغداد، طبعة مكتبة

الاندلس، سنة ١٣٨٥ هـ، ص ١٤٦.

## شعر الغزل عند شعراء مصر الفاطمية

الغزل، بمفهومه العام، هو تغني الرجل بجمال المرأة، وهو مظهر من مظاهر الحضارة المتقدّمة، حيث ينقل الإنسان شعوره وأحاسيسه تجاه المرأة، ويصبغها بلونه على صورة من إحساسه ومن صور تقاليده، الرقيقة والمختلفة السبك. ولكنها تسلك طريقاً واحداً، وهو إخراج مكنونات القلب والعقل من الوجد والصبابة والتولّ به بالمرأة وجمالها.

وقد تركت كلّ الشعوب وكل الحضارات والآداب القديمة منذ أن عرفت الإنسانية معنى الحضارة، الكثير من تعابير الحب والغزل، منها ما نقش تصاوير على الحجر داخل الكهوف والمغاور ومنها ما حفر على أوراق البردي والطين المشوي. ومنها ما نقلته لنا الشعوب محفوظة على الألسن كإلياذة اليونان وانيادة الرومان وشاهنامة الفرس ومها بهاراتة الهند وأغانى رولان عند الفرنسيين وكلها وصف للمرأة بألوان قومية، تجعلها غاية الرجل وأمنيته وهواه وأغنيته وتصوره ومحل خياله.

وقد احتل أدبنا العربي بشكل عام، وأدب مصر الفاطمية بشكل

خاص صفحات كثيرة وقصائد جمّة، تمجّد المرأة والحب والأنثى بشكل عام، وتصور مشاعر الإنسان المصري تجاه المرأة، ملكة، وأم وزوجة، ومحبوبة وجارية ومغنية وخادمة، ولكننا، سنكتفي في هذا الفصل، بإعطاء نماذج شعرية عن مشاعر الشعراء المصريين تجاه المرأة الأنثى المحبوبة، والجارية المرغوبة، والمغنية الجذابة الطروبة.

### غزل ومجون وخمرة:

قال ابن قلاقس يصف مجلس أنس<sup>(١)</sup>:

|                             |                                   |
|-----------------------------|-----------------------------------|
| ورجعت الأطيّار ألحان شجوها  | وجاوبها الدولاب لمّا ترنّما       |
| وحنّابه كأس المدام فإنّها   | تزيد الفتى ظرفاً وخلقاً مكرّماً   |
| ولا سيما من كفّ أحور ساحر   | بالحاظه ردّ الخميس العرمرما       |
| ألّم في مجلس اللهو وانثنى   | وقد أودع الأحزان قلباً مُتّيماً   |
| فوالله ما أدري إذا ما لقيته | أشمس الضحى ألقى أم البدر في السما |

أبو الفتح منصور بن البيني يعشق جارية سوداء:

وقال ابن البيني متغزلاً بجارية سوداء<sup>(٢)</sup>:

|                       |                       |
|-----------------------|-----------------------|
| وغزالة غازلتها        | في المقس من أولاد حام |
| نظرت بعيني ظبية       | ونظرت من عيني قطامي   |
| وتبسمت فكانها         | برقّ تألّق في غمام    |
| تُمتّ مشّت مشّي المها | وتبعتهارتك النعام     |

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٤٩.

(٢) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ٧٠.



حتى وصلنا بيتها      فحصلت في البيت الحرام  
 وجعلت أفتح ميمها      لما جثوت لها بلا مي  
 فكأنني إذ ذاك      أولجت النهار على الظلام  
 ضدان لم تجمعهما      إلا المحبة للحرام  
 كانت لعُمرك ساعة      جمعت عُراباً مع حمام

أينظر إلى المسجد أم إلى النهدين<sup>(١)</sup>:

وقال أبو القاسم الحسن بن علي المعري عندما أطل من المسجد  
 فشاهد صدرأ بضاً تخرج منه رمانتان<sup>(٢)</sup>:

ولقد يميل بناظري عن مسجد      غصن من الرمان أكمل يذعه  
 متبرج بهداه يكتم حسنه      خصرأ فطبعهما يخالف طبعه  
 أبدأ يشق صدازه بنهوده      ولو أنني صيرت درعي يرعه

ابن مجير الصقلي يهوي هيفاء الخضر راجحة الأكفال:

لم يختلف ابن مجير الصقلي في تفضيله شكل المرأة التي يهوى  
 عن بقية الشعراء العرب، فكلهم يحبها: هيفاء لفاء، مصقولة العوارض،  
 ممكورة الساق، منبترة الأرداف. يقول ابن مجير الصقلي المصري  
 في وصف حبه وعشقه لمحبوته<sup>(٣)</sup>:

أترى يفيق من الصباية عاشق      قذفت به الأهوال في الأهوال

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٦١.

(٢) معجم الأدباء، ياقوت الحموي، المجلد ٣، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، سنة ١٩٩١،  
 ص ٤٣٥.

(٣) نفع الطيب، الجزء الثاني، ص ١٠٩.

مُغْرِيَّ مُحِبِّ الْغَانِيَاتِ هَفَّتْ بِهِ  
غَرَسِ الْقَضِيبِ عَلَى الْكَثِيبِ بِقَدِّهَا  
تَتَرَدَّدُ الْأَبْصَارُ فِيهَا حَيْرَةً  
غَرَاءَ غَرَّتْهَا الشَّبِيبَةُ فَكَتَسَتْ  
مَمْكُورَةً مَكْرَتِ بَقْلِبِي وَالْهُوَى  
حَلَّتْ حَوَاشِي الْوَفَاءِ وَحَلَلَتْ  
وَقَالَ ظَافِرُ الْحَدَادِ يَتَغَزَّلُ (١):

لو كان بالصبر الجميل ملاذُه  
ما زال جيشُ الحبِّ يَغزُو قلبه  
لم يَبْقُ فيه مع الغرامِ بقيةُ  
من كان يرغبُ في السلامة فليكن  
لا تَغْرُرَنَّكَ بِالْفَتْورِ فإنه  
يا أيها الرِّشَاءُ الذي مِنْ لَحْظِهِ  
دُرٌّ يُلُوحُ بِفِيكَ: مَنْ نَظَامُهُ  
وقناةُ ذاك القَدِّ كيف تَقْوَمَتْ؟  
رَفَقًا بِجَسْمِكَ لا يذوبُ فإنني  
هاروثٌ يَعْجِزُ عن مَوَاقِعِ سِخْرِهِ  
تَاللَّهِ، مَا عَلِقْتُ مَحَاسِنَكَ امْرَأً  
أَغْرِيَتْ حَبِّكَ فِي الْقُلُوبِ فَاذْعَنْتُ  
مَا لِي أَتَيْتُ الْحَظَّ مِنْ أَبْوَابِهِ

هيف الخصور ورُجِّحُ الْإِكْفَالِ  
فَأَتَتْ بِمِيَاكِ عَلَى مُنْهَالِ  
فِي الْحَسَنِ بَيْنَ الْخَالِ وَالْخَلْخَالِ  
تِيَّةِ الدَّلَائِلِ وَعِزَّةِ الْإِدْلَالِ  
يَسْتَضَعِفُ الْمُحْتَالَ لِلْمُخْتَالِ  
فِي الْحَبِّ قَتْلِي وَهُوَ غَيْرُ حَلَالِ

مَا سَاحَّ وَأَبْلُ دَمْعُهُ وَرَذَاذُهُ  
حَتَّى وَهَى فَتَقَطَعَتْ أَقْلَازَهُ  
إِلَّا رَسِيْسٌ تَحْتَوِيهِ جُذَاذَهُ  
أَبْدَأَ مِنَ الْحَدَقِ الْمِرَاضِ عِيَاذَهُ  
مَرَضٌ يَضُرُّ بِقَلْبِكَ اسْتَلْذَاذَهُ  
سَهْمٌ إِلَى حَبِّ الْقُلُوبِ نَفَاذَهُ  
خَمْرٌ يَجُولُ عَلَيْهِ: مَنْ نَبَاذَهُ؟  
وَسِنَانُ ذَاكَ اللَّحْظِ مَا فُولاذَهُ؟  
أَخْشَى بِأَنْ يَجْفُو عَلَيْهِ لِأَذَهُ  
وَهُوَ الْإِمَامُ فَمَنْ تُرَى اسْتِازَهُ؟  
إِلَّا وَعِزُّ عَلَى الْوَرَى اسْتِنْقَاذَهُ  
طَوْعاً وَقَدْ أَوْدَى بِهَا اسْتِحْوَاذَهُ  
جَهْدِي، فَدَامَ نَفُورُهُ وَلِوَاذَهُ؟

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٢٧.

دالية ابن دريد استهوي بها      قوما غداةً نبتُ به بغداده  
دانوا الزخرفِ قوله فتفرّقوا      طمعاً فهم صرّعاه أو شدّأذه  
من قدر الرزق الذي لك أيّما      قد كان ليس يضرّه إنفاذه

### جفون الحبيبة تحول شقائق النعمان إلى بنفسج:

وقال أمية بن أبي الصلت يصف محبوبته يوم وداعها<sup>(١)</sup>:

لا تسألني عن صنيع جفونها      يوم الوداع وسل بذلك من نجا  
لو كنت أملك خدّها للثمته      حتى أعيد به الشقيق بنفسجا  
لو كنت أهجع لاحتضنت خيالها      ومنعت ضوء الصبح أن يتبّجا  
وثبتت في الظلماء كحل جفونها      وعقدت هاتيك الذوائب بالدُّجى

والذي يثبت أن أكثر غزليات أعيان مصر هي من باب النظم ليس إلا، وليست من باب تصوير الفعل، ذكر ردّ أبي بكر الطرطوشي المصري على الوأواء دمشقي، فقد ذكر ابن بسام، أن الطرطوشي «سمع، رضي الله تعالى عنه منشداً يُنشدُ للوأواء»:

قمرأتى من غير وعد      في ليلة طُرقت بسعد  
بات الصباح إلى الصباح      معانقي خدّاً بخدّ  
يحتار فيّ وناظري      ماشئت من خمرو شهد

فقال الطرطوشي: أو يظنُّ هذا الدمشقي أن أحداً لا يحسن نظم الكذب غيره؛ لو شئنا لكذبنا مثل هذا. ثم أنشد لنفسه يعارضه<sup>(٢)</sup>:

قمرأتى من غير وعد      حُفَّت شمائله بسعد

(١) نفع الطيب، الجزء الثاني، م. س. نفسه، ص ٨٩.

(٢)

قَبَلْتَهُ ورشقت مافي  
فرشفت مزن السلسبيل  
ولثمت فاه من الغروب  
وسكرت من رشفي العقيق  
فنزعت من فمه فمي  
وشممت عرف نسيمه الجاري  
وصحوت من رياء القرنفل  
والذم من وصلي به  
وقال أمية بن أبي الصلت يصف محبوبته<sup>(١)</sup>:

جَدُّ بَقَلْبِي وَعَبَثُ  
وَاحْرَبَّ أَمِنْ شَادِنِ  
يَقْتُلُ مِنْ شَاءَ بَعِينِيهِ  
ثُمَّ مَضَى وَمَا أَكْثَرَ  
فِي عُقْدِ الصَّبْرِ نَفْتُ  
وَمِنْ شَاءَ بَعَثُ

التغزل بنساء لابسات ثوب الحداد:

وقال الأمير تميم بن المعز متغزلاً بنساء لابسات ثوب الحداد  
فقال:

دَعَامُ عُهُنَّ فِرَاقُ فِجَادَا  
فَلَمْ أَرِدْ مَعَاكَ أَدْمُوعِهِنَّ  
وَلَمَّا يَتَيَّقَنَّ أَنْ الْفِرَاقِ  
تَأُولِنَ أَنْ لِبَاسِ الْحَدَادِ  
فَنَثْرِنَ مَا قَدِ طَوَّتْ خَمْرُهُنَّ  
وَأَعْجَلُهُنَّ التَّنَائِي فِزَادَا  
يَهِيضُ الْحَشَى وَيَذِيبُ الْفَوَادَا  
يَزُودُ عَشَاقَهُنَّ الْبِعَادَا  
أَحْقُ بِمَنْ صَيَّرَ الْحَزْنَ زَادَا  
لِيَلْبَسْنَ شَعَرَ النِّوَاصِي جِدَادَا

(١) نفع الطيب، الجزء الثالث، ص ٣٥٧.

ولولا مراعاة عين الرقيب      لَبِسْنَ الثياب جهاراً سوادا  
وقال الأمير تميم يتغزل أيضاً:  
رقّ عن الحسّ وهو محسوس      وباین اللمس وهو ملموس  
وغاب عن كل مقلّة فرقاً      وحُبّه في القلوب محبوس  
مباين للعيون منظره      وشخصه في النفوس مغموس  
يشرق من نوره النهار كما      تطلع من شفره الحناديس  
مبتسّم عن مُقبّل يقق      كأنما الدر فيه مغروس  
ما خطّ عشاقه لديه سوى      أن تعتريهم به وساويس  
لولاه لم يعص ربّه أحدٌ      ولا أضلّ العباد إبليس  
فالحناديس هي الليالي الحالكة السواد وهي «لون شعر محبوبته  
واليقق وهو الشديد البياض أي لون مُقبّلها أي قمها».

#### الأمير تميم يعشق الفتيات الشقراوات:

وضعيفة الألباظ ساحرة      زادت لواحظها على السحر  
صفراء يحسبها مُحدّثها      ذهباً يكاد بضاضه يجري  
أي يكاد الناظر يشعر أن لونها الأشقر يسيل على وجهها  
وشعرها. ويتابع وصفه للشقراء بقوله:  
فكأنما خفر الحياء بها      سُقمّ غدت منه على سكر  
وكان رقّة لفظها جمعت      طيب الوصال ولذّة البشر  
فحديثها كالبرء أو كرضاء      المحبوب بعد السُخط والهجر  
إن قل أدته بلا لَبّثٍ      أو طال نصّته بلا هدر  
ترتج من ثقل روادفها      حتى تنوء بدقة الخصر

فكانها قمر على عُصْنٍ      قد لاح في ليل من الشَّعْرِ  
في صفرة كالخمر شاهدةٍ      إنَّ الجمال المحض للصُّفْرِ  
فإذا مشت من لينها اضطربت      مثل اضطراب الموج في البحر  
وكأنها تخطو إذا نهضت      فوق المناصل أو على الجمر

فتصوّر فتاة شقراء بارعة الجمال تمشي وتخطر كأنها تمشي  
على رؤوس السيوف أو على الجمر، فكيف تكون مشيتها؟

### خبر ابن مياح والبدوية مع الخليفة الأمر:

رددت أغلب كتب التاريخ التي اهتمت بتاريخ مصر الفاطمية خبر  
الخليفة الأمر وتسلمته على بدوية حسناء، تزوجها غصباً وفرقها عن  
ابن عم لها، نشأت معه منذ صغرها واسمه «ابن مياح».

وتقول الكتب أن الخليفة الأمر تعلق بها وبني لها القصر  
المعروف «بالهودج» في جزيرة الروضة. وقد تداول المصريون  
أخبار البدوية وابن مياح كتداولهم لقصة عنترة وقيس وليلى وغيرها  
من قصص الحب والغرام.

يقال أن البدوية أرسلت الأبيات التالية لابن عمها ابن مياح:

يا ابن مياح إليك المشتكى      مالك من بعدكم قدم لك  
كنت في حبي طليقاً أمراً      نائلاً ما شئت منكم مدركا  
فأنا الآن بقصر موصدٍ      لا أرى إلا حبيساً ممسكا  
كم تثنيينا كأغصان اللوى      حيث لا تخشى علينا دركا

فأجابها ابن مِيّاح بقوله<sup>(١)</sup>:

بنت عمي والتي غذيتُها  
بُحْتِ بالشكوى وعندِي ضِعْفُها  
لو غدا ينفع منا المشتكى  
مالكُ الأمرُ إليه يُشْتكى  
بالهوى حتى علا واحتبكا  
مالكُ وهو الذي قد أهلكا

لحظ الرشأ يسطاد الأسد:

قال الملك الصالح طلائع بن رُزَيْك يتغزّل<sup>(٢)</sup>:

عازلي عذلك سهم في الحشا  
صار ما بي من غرام كامن  
من رأى قبلي ياريم الفلا  
أسداً يقتله لحظ رشأ  
كيف كتمانِي وسرّي قد فشا  
ظاهراً ينقله واشٍ وشى

الناس طوع يدي الملك الصالح وهو طوع يدي محبوبه:

وقال الملك الصالح يتغزّل أيضاً:

ومهفّف ثَمِل القوام سرت  
ماضي اللحاظ كأنما سلّت يدي  
قد قلت إذا خطّ العذار بمسكه  
ما الشعر دَبّ بعارضيه وإنما  
الناس طوع يدي وأمري نافذٌ  
فأعجب لسلطان يُعدُّ بعدله  
إلى إعطافه النشوات من عينيه  
سيفي غداة الروع من جفنيه  
في خدّه ألفيّه لا لاميه  
أصداعه نفضت على خديّه  
فيهم وقلبي الآن طوع يديه  
ويجور سلطان الغرام عليه

(١) نفع الطيب، ابن بسام الشنتريني، الجزء الثاني، م.س. ص ٢٩١.

(٢) ديوان الملك الصالح طلائع بن رزيك، ط ١، العراق، النجف الأشرف، المكتبة الأهلية،

سنة ١٩٦٤، ص ٨١.

متقبح لفررت منه إليه

كررت طرفي في بديع فنونه  
ورد يبرّد لوعتي بمعينيه  
وتمام قامته وسحر جفونه  
لسروا بضوء من هلال جبينه

والله لولا اسم الفرار وأنه  
وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

ظبيّ يحير في الملاحة كلما  
أشكو إليه صبابتي فيجيبني  
قسماً به وبوردة من خده  
لو أن ركبا في الفلاة تحيروا

---

(١) ديوان طلائع بن رزيك، ص ١٦٢.



## شعر الهجاء

إذا تعمقنا بالأسباب التي تدعو الشعراء لنظم القصائد الهجائية في الآخرين نجدها تنقسم إلى سببين:

السبب الأول: وهو الخصومة الشخصية المباشرة التي تولد بين الشاعر وبين المهجو لخلاف على إرث أو ملكية شيء أو على مركز أو حسداً من شاعرية الشاعر الخصم.

والسبب الثاني: هو الخصومة السياسية والدينية. وفي التاريخ الإسلامي لا فرق بين السياسة والمذهب الديني، فالمذهب الديني هو المذهب السياسي للدولة وللخليفة والسلطان والشاعر.

لذا نجد أن أكثر قصائد الهجاء التي نظمها الشعراء المصريون تندرج تحت هذين العنوانين، ما عدا القصائد التي سطرها الشعراء الشوام، شعراء الدولة الكردية في هجاء الخلفاء المصريين ومصر، والشماتة بما حلّ بهم على يد الأكراد.

والهجاء هو كلام موزون مقفى يصور الخصم بما ليس فيه ويظهر حقد الشاعر وضعيفته وحسده ضد المهجو. وقد راوحت معاني الهجاء في قصائد شعراء مصر الفاطمية، بين الذم والاحتقار والاستهزاء تارة، وبين السخرية والتقريع والشتم طوراً.

وبعض الشعراء هجا أخصام الفاطميين من باب التكبُّب والتقرب منهم. وكما اختلفت قصائد مديح الخلفاء عن قصائد مديح الوزراء وكبار القادة، كذلك سنجد أن قصائد هجاء أعداء الدولة الفاطمية من أمويين وعباسيين تختلف عن هجاء أعداء الوزراء وكبار القادة والموظفين.

أما هجاء صغار الموظفين والعامَّة، فهي أصدق أنواع الهجاء، لأنها قيلت بسبب خصومة مباشرة بين الشاعر والمهجو، دون أن تدخل الخصومة السياسية فيها.

### هجاء الخلفاء المصريين:

يقول ابن ظافر الأزدي أن عبيد الله المهدي / وقد سمَّاه / - عبد الرحمن بن سعيد المنعوت بالمهدي - نظم قصيدة طويلة يتباهى بها على العباسيين مطلعها<sup>(١)</sup>:

طربت ولم أطرب إلى الخرد العرب وما الهزل من شأني ولا اللهولي أرب  
ولم أستطع الحصول على هذه القصيدة كاملة، وقال الأزدي أن أبا الحسن أحمد بن يحيى المنجم ردَّ عليه بقصيدة جاء فيها:

ألسـت قـريـباً كـنت تـدعـو إلى امرئ سواك إمام كان عندك مرتقب  
فصرت الذي قد كنت تزعم أنه إمامك يا مخذول ذا أعجب العجب  
متى صار مولى الباهليين ملحقاً بآل رسول الله يوماً إذا انتسب  
فلأنك في دعواك إنك منهم كمن يدعي أن النحاس من الذهب

(١) أخبار الدول المنقطعة، ابن ظافر الأزدي، ط ١، القاهرة، معهد الآثار الشرقية، سنة ١٩٧٢، ص ٤.

وهجاه أبو بكر الصولي بقوله:

ولو كنت منهم ما انتهكت محارماً  
ولم تقتل الأطفال في كل بلدة  
فكم مصحف حرّفته، فرماده  
وعمك يكنى بالشلعلع ساقط  
يذبون عنها بالأسنة كالشهب  
وتركب من أماتهم شرّ مرتكب  
مقدّمة للريح من حيث ما شهب  
وجدك مولى بأهل اللوم فأتبّ

وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم من معاصري عبيد الله المهدي، مما يعني أن أمر الطعن بنسب الفاطميين كان قائماً منذ قيام الخليفة المهدي بأمر الدولة. ولكن السؤال الذي يتبادر لذهننا: لماذا لم يقم الخليفة العباسي الراضي بجمع علماء المسلمين وعلماء الأنساب وبتسيطر محضر يثبت فساد انتساب عبيد الله المهدي إلى علي وفاطمة عليهما السلام؟ ولماذا انتظر العباسيون مئة سنة أخرى وسطروا هذا المحضر؟ ولو قام الراضي بجمع العلماء والنسابة وأصدر، محضر الطعن سنة ٣٠٠ هجرية فلربما ردّ عليه المهدي بأدلة وقرائن تثبت صحة انتسابه لأهل بيت النبي وعترته الطاهرة، وكنا نحن كمؤرّخين محايدين نقارن محضر الطعن ومحضر إثبات النسب ونحكم على صحة هذا أو خطأ ذاك.

أما ادعاء أبي بكر الصولي من إقدام المهدي على قتل الأطفال وهتك الحرمات وركوب الأمهات فهي لا تعدو عن كلام وشتائم وهجاه، لأنّ المؤرّخين الذين أرخوا لهذه الحقبة من تاريخ المغرب، حدّثونا عن المجازر التي ارتكبت بحق الشيعة والتشيع في هذه البلاد، كابن الأثير، والمقرئزي، وابن خلدون. أما ادعاءات أبي بكر الصولي، فلا أثر لها في كتابات المؤرّخين.

كما أنّ إقدام الصولي وغيره على هجاء عبيد الله المهدي لا يعتبر من ضمن الشعر المصري الفاطمي، وسنلاحظ أن طيلة الحكم المصري الفاطمي، لن نجد قصيدة هجاء واحدة بحق الخلفاء المصريين، باستثناء آخر خليفة مصري وهو الخليفة العاضد لدين الله، والقصائد التي قيلت في هجائه، لم تكن موجهة إليه مباشرة، بل كانت موجهة للدولة الفاطمية المصرية التي أزالها الأكراد الأيوبيون، وإن قيلت هذه القصائد فقد قيلت على السنة شعراء أكراد أيوبيين وليس على لسان الشعراء المصريين. فالشعراء المصريون قتل من قتل منهم، أمثال عمارة اليمني وهرب من هرب. ومن بقي في مصر انزوى في بيته، هذا إذا ترك له الأكراد بيتاً وسكت، بل توقّف عن نظم الشعر، لأن الدولة الكردية الجديدة، كانت دولة «الجوعانين» التي يهملها امتلاء بطونها لا امتلاء عقولها.

### هجاء الأمير حسن ابن الخليفة الحافظ:

عندما خرج الأمير حسن ابن الخليفة الحافظ عن طاعة والده: وجمع حوله جيشاً من الأوباش والزعران، هجاه بعض الشعراء ومنهم الشاعر المعتمد بن الأنصاري حيث قال فيه<sup>(١)</sup>:

لم تأت يا حسنُ بين الوري حسناً      ولم تر الحقّ في دنيا ولا دين  
قتل النفوس بلا جرم ولا سبب      والجور في أخذ أموال المساكين  
لقد جمعت بلا علم ولا أدب      تيه الملوك وأخلاق المجانين  
والملاحظ أن الهجاء هو لحسن، سببه تصرفاته الحمقاء بحق الناس والدولة.

(١) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، الجزء الثامن. م.س. ص ٣٤٧.

## هجاء ناصر الدولة بن حمدان:

عندما وقعت الفتنة بمصر وبدأت المجاعة والشدة التي دامت سبع سنوات، كان من أهم أسبابها تعدي الأتراك بقيادة ناصر الدولة بن حمدان على الخليفة والخلافة، ونهبهم للقصور الفاطمية ولمصر والمصريين، وبعد أن استطاع الخليفة المستنصر القضاء على ناصر الدولة، هجاه أبو علي الفكيك بقوله<sup>(١)</sup>:

ولئن غلطت بأن مدحتك طالباً جدواك مع علمي بأنك باخل  
والدولة الغراء قد غلطت بأن سمّتك ناصرها وأنت الخازل

## هجاء الوزير شاور:

قال عرقه الكلبى يهجو الوزير شاور<sup>(٢)</sup>:

إن أمير المؤمنين الذى مصر حماه وعلّي أبوه  
نص على شاور فرعونها ونصّ موساه على شيركوه  
وعندما قتل صلاح الدين الأيوبي شاوراً هجاه بقوله:

لقد فاز بالملك العظيم خليفة له شيركوه العاضدي وزير  
كأن ابن شاذي والصلاح وسيفه عليّ لديه شُبر وشبير  
هو الأسد الضاري الذي جلّ خطبه وشاور كلب للرجال عقور  
بغى وطغى حتى لقد قال قائل على مثلها كان اللعين يدور  
فلارحم الرحمن تربة قبره ولا زال فيها منكر ونكير

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٣١٠.

(٢) ديوان العرقلة، م.س. ص ١٠٨.

## هجاء وزراء الدولة الفاطمية:

وكان بمصر أيام الخليفة العزيز والوزير يعقوب بن كلّس شاعر  
اسمه الحسن بن بشر الدمشقي، وكان كثير الهجاء، فهجا يعقوب بن  
كلّس وموظفيه بقصائد منها<sup>(١)</sup>:

قل لأبي نصر كاتب القصر      والمتأتّي لنقض ذلك الأمر  
انفض عرى الملك الوزير      تفز منه بحسن الثنا والذكر  
واعطِ وامنع ولا تخف أحداً      فصاحب القصر ليس في القصر  
وليس يدري ماذا يراد به      وهو إذ ادري فما يدري

وهجا ابن كلّس وقائده الفضل بن صالح والخليفة العزيز بقوله:  
تنصّر فالتنصّر دين حقٍ      عليه زماننا هذا يدلُّ  
وقل بثلاثة عزّوا وجلّوا      وعطلّ ما سواهم فوعطل  
وقال أبو محمد القاسم بن أحمد الرسّبي<sup>(٢)</sup>:

توقُّ معزّ الدين شوّم ابن كلّسٍ      ولا تقبلن منه مقال مدّلسٍ  
فإنّ أردناه لكافور شربة      فزاد على تقديرنا ألف مجلس

## هجاء الأفضل بن بدر الجمالي:

قال الشاعر المصري المدعو: الناجي يهجو الوزير الأفضل بن  
بدر الجمالي<sup>(٣)</sup>:

قل لابن بدر مقال من صدّقه      لا تفرحنّ بالوزارة الخلقه

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الأول، م.س. ص ٢٩٨.

(٢) يتيمة الدهر للثعالبي، ج ١، ص ٤٣٠.

(٣) خريدة القصر الجزء الثاني، ص ١٠٣.

إن كنت قد نلتها مراغمةً فهي على الكلب بعدكم صدقه  
 وفي هذا البيت إشارة إلى إقدام بدر الجمالي والد الأفضل على  
 إجبار الخليفة المستنصر بالله على تسميته الأفضل خلفاً لوالده  
 بدر الجمالي في الوزارة، وأن الأفضل لم ينلها عن جدارة بل  
 اغتصبها بالقوة.

### هجاء الوزير عباس:

وعندما أقدم الوزير عباس الصنهاجي على اغتيال الخليفة الظافر،  
 وإقامة ولده الفائز مكانه وهو لم يبلغ الخامسة من عمره، للاستفراد  
 بالحكم، أقدمت نساء القصور الفاطمية على إرسال الرسائل وفيها  
 خصلات شعورهن لفارس المسلمين أبي الغارات، والي الإسكندرية -  
 آنئذٍ - طلائع بن رزيك، يستنجدنه لتخليص مصر والإمامة والخلافة  
 من تسلط الوزير عباس. فلبى أبو الغارات النداء، وهاجم مصر وقتل  
 الوزير عباس. فمدحه الفقيه عمارة على هذا العمل ووصف عودته  
 المظفرة بقوله<sup>(١)</sup>:

|                                   |                            |
|-----------------------------------|----------------------------|
| لكم يا بني رُزِيك - لا زال ظلكم - | مواطن سحب الموت فيها مواطر |
| سللتم على عباس بيض عزائم          | قهرتم بها سلطانه وهو قاهر  |
| ولو لم تغيبوا فاز بالنصر فائز     | وخلص من ظفر المنية ظافر    |
| حفظتم لآل الحافظ الحرمة التي      | رعى حقها منكم قديم وآخر    |
| أبوك سقى في مثلها ابن مدافع       | كؤوساً بها خمر المنية دائر |
| وأنت كفيت العاضد بن محمد          | عدواً أتاه ثائر أو هو ثائر |

(١) ديوان عمارة اليميني، الجزء الأول، ص ٤٦٢.

فأنتم لهذا البيت كَفَّ وساعد وأنت لهذا الدست سمع وناظرُ

### هجاء أعداء الدولة الفاطمية: بني أمية

قال ابن هانئ الأندلسي يذكر عزَّ مصر والمصريين ويطالبهم  
بأخذ ثأرهم من بغداد ويطالبهم بالأَ ينسوا ما فعله بنو أمية بأهل  
بيت النبي وأنصارهم<sup>(١)</sup>:

وللعزَّ في مصر يُرَدُّ سريزُه إلى ناعب بالبين ينعق أسحم  
وللملك في بغداد إن رُدَّ حكمه إلى عضد في غير كفَّ ومعصم  
لأنَّ حكم الإسلام في بغداد أصبح بين زقَّ وساقيه. وأصبح  
خليفتهم:

إلى شلوميت في ثياب خليفةٍ وبضع لحام في إهاب مُورِّمٍ  
سوام رتاعٍ بين جهلٍ وحيرةٍ وملكٌ مضاعٌ بين تركٍ وديلم  
ويعود ويحمس الفاطميين على الثأر من بني أمية:

ولا عذَّبَ الماءُ القراحُ لِشاربٍ وفي الأرض مروانيةٌ غير آيِّمٍ  
ألا أن يوماً هاشمياً أظلمهم يطير فراش الهام عن كل مجثم  
كيوم يزيد والسبايا طريدةً على كلِّ موار المِلاط عثمثم  
وغد غصت الببداء بالعين فوقها كرائم أبناء النبي المكرم  
فما في حريم بعدها من تحرج ولا هتك سِترٍ بعدها بمحرَّم  
ويطالب بأخذ الثأر (الوتر):

ألا إن وترأفيهم غير طائعٍ وطلابٍ وترٍ منكم غير نُومٍ

(١) ديوان ابن هانئ الأندلسي، م. س. ص.



ويصف الأمويين بقوله:

أناس هم الداء الدفين الذي سرى  
همُ قد حوا تلك الزناد التي ورت  
وهم رشحوا تيمما لإرث نبيهم  
على أي حكم الله إذ يافكونه  
وفي أي دين الوحي والمصطفى له

ويصف كيف بدأوا الشر فيقول:

بأسيف ذاك البغي أول سلها  
وبالحقد حقد الجاهلية أنه  
وبالثأر في بدر أريقت دماؤكم  
وقيد إليكم كل أجر دصلدم

هجاء النصارى:

كان النصارى واليهود من الطوائف المقدّمة على غيرها في  
الدولة الفاطمية، باستثناء عهد الحاكم بأمر الله، الذي ذاقت كل  
الطوائف مرارة أحكامه المتقلّبة.

وكان سبب تقديم هاتين الطائفتين لتمرّسهما وخبرتهما الطويلة  
بأعمال الدواوين والحسابات والطبابة. لذلك جاء منهم الكثير من  
الوزراء والكتاب، منهم من أسلم فعلياً ومنهم من تسترّ بالإسلام،  
ومنهم من بقي على دين النصرانية أو الموسوية.

قال ابن الخلال الشاعر يصف تحكّمهم بالمصريين أيام الخليفة  
الحافظ:

إذا حكم النصارى بالفروج وغالوا بالبغال وبالسروج

وذلت دولة الإسلام طرّاً وصار الأمر في أيدي العلوج  
فقل للأعور الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج  
وقال الفقيه عمارة يهجو أحد الموظفين النصارى وقد وصله  
خبر أنه يذمه ويتكلم بحقه بالفحش:

الله أعلى وأعلم بما جرى وهو أحكم  
لقد جرت لي أمور من مثلها يُتوجّم  
بليت من كل نذل بذمنا يُتَهجّم  
على القبيح بالفظ من المحال يُترجّم  
يغتابني ثم يبدو بوجهه يُتَبَسّم  
ويستبيح لعرضي ليزدرية ويُتَأَمّم  
يارب أنت بصير وأنت بالغيب أعلم  
إني عن الفحش ناء متقشّف متبرّم

وإن من رام صنع الجميل مع غير مسلم  
يكون هذا جزاه من كل نغل ومجرم

### هجاء اليهود:

وكان وضع اليهود في مصر الفاطمية مرتاحاً كوضع النصارى،  
بالرغم من أن النصارى الأقباط، هم أهل مصر الأصليين وأطباع  
اليهود، هي هي، في كل عصر ومصر.

قال الشاعر عبد المحسن الإسكندراني المعروف بابن الرقيق  
يهجوهم<sup>(١)</sup>:

(١) خريدة القصر، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.

يا يهود هذا الزمان أنتم حميرٌ وتيوس بكم تقاس التيوس  
حين أضحى شمويل فيكم رئيساً وبقدر المرؤوس يأتي الرئيس  
هو ثور ورُبُّه كان عجلًا من قديم وصهره جاموس

### هجاء منشأ ابن إبراهيم القزاز الكاتب اليهودي:

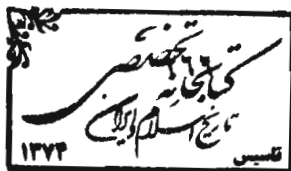
عندما تسلّم الخليفة العزيز مقادير الخلافة، وكانت أمه كما يقال  
- نصرانية - قرّب النصارى واليهود منه وأطلق أيديهم في الحكم  
فبغوا وتسلّطوا. ومن هؤلاء منشأ ابن إبراهيم القزاز اليهودي، وكان  
منشأ من أكبر موظفي الدولة الفاطمية في دمشق فظلم الناس وتحكّم  
وحكم. فهجاه الشعراء، ووصلت أهاجيه إلى الخليفة العزيز.

قال الشاعر الواساني - أبو القاسم الحسين بن الحسين بن  
محمد يهجو منشأ بن إبراهيم القزاز الكاتب اليهودي<sup>(١)</sup>:

إن منشأ قد زاد في التيه وزاد في شامنا تصديه  
فلا ابن هند ولا ابن ذي يزن ولا ابن ماء السماء يدانيه  
ويشير إلى كرهه للإمام عليّ (ع) بسبب دحيه باب خبير:

وهو مغيظ على الوصي ومن يعزى إليه ومن يواليه  
يذكر أيام خيبر بهم وهم قذى جال في مآقيه  
وقد حكي أن فاه أطيّب من سُرمي واني ممّن يعاديه  
ومن يقول القبيح فيه ومن أصبح بالمعضلات يرميه  
وقد عزله الخليفة العزيز وسجنه.

(١) بيتمة الدهر للشعالي، الجزء الأول، ص ٣٥٣.



وقال الواساني يهجو الحاكم المصري في دمشق بسبب إطلاقه يد منشأ ابن إبراهيم في أذية أهل الشام، وكان هذا الحاكم أسود اللون زنجي وهو يوسف بن علي بن جعفر بن فلاح الكتامي المصري.

يبدأ الواساني قصيدته بقوله<sup>(١)</sup>:

كنت على باب منزلي سحراً أنتظر الشاكري يسرج لي  
فمربي ظلام أسود كالفيل عريض الأكتاف ذو عضل  
أشغى له منخر ككوة تنور وعين سجاء كالشعل  
ومشفر مسبل كخب رحى على نيوب مثل المدى عُصَل  
مشقّق الكعب أقدع اليد والرجل طويل الساقين في سمل  
ومنها في هجائه أيضاً:

فكر نحوي عجلان يعثر في مرط كساء مبرغت قمل  
وقدم مذى والمذّي يقطر من غرموله في الذيل كالوشل  
وظن أنني صيد فأبرز لي فيشلة كركبة الجمل  
سوداء قد طوقت بطوق خرا أصفر تُزهي به على الحجل  
وقال: ليج داركم لأولجها فيك وإن كنت لم تببل فببل

ويتابع في وصف فيشلتة قائلاً:

هذا على أنها مؤدبة من الفياشل المروضة الذلل  
وطال والله ما خدمت بها الملوك خلف الستور والكلل  
وكنت أغشاهم على فرش الخز بلا سقطة ولا زلل

(١) يتيمة الدهر، م.س. ص ٣٦٥.

لأنها صنعتي وصنعة آبائي      قديماً في الأعصر الأول  
ويتابع في هجائه فيقول:

في فيه نتن وتحت عصعصه      عين تمجّ الصديد في دغل  
له إذا ما علوته نَفْسٌ      أمضى من السيف في يد البطل  
يصرع طير السماء في الأفق      الأعلى ويُوهي مخارم القلل  
أنتن من كل ما يقال إذا      بالغ في الوصف ضارب المثل

وروى ابن بسام الشنتريني في ذخيرته أن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، سمع بهذه القصيدة، فجمع مجلس شعره وقال: أريد سماع هذه القصيدة مُغْنَاةً من رجل حسن النشيد جميل الصوت، «ف قيل له: لا أحد يجاري إلقاء ولا صوت الذي قيلت»، أي يوسف بن جعفر الفلاح، فاستقدمه من الشام، وأجبره على إلقائها بمجلسه مُغْنَاةً. ولم انتهى يوسف بن جعفر من إلقائها، سأل الحاكم: لماذا لم تقطع لسانه؟. واعتبر عدم معاينة الواساني عليها دليل صدقه وإدانة ليوسف بن جعفر، فعزله عن ولاية الشام<sup>(١)</sup>.

### هجاء موظفي الدولة الفاطمية:

عندما كان علي بن أحمد الجرجرائي يعمل كاتباً في إحدى الدواوين أيام الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي، ضبطه يتلاعب بالأرقام والحسابات، فقطع يديه من المرافق، ثم عفا عنه ورفع في الوظائف حتى كلفه بالوزارة.

(١) راجع: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ابن بسام الشنتريني، الجزء السابع، ص ٩٤.

ولما كان أقطع اليدين لا يستطيع التوقيع على المعاملات صنع  
 نفسه ختماً يختم به المعاملات ويوقعها عنه القاضي أبو عبد الله  
 القضاعي. وكانت علامة ختمه: «الحمد لله شكراً على نعمته». وأخذ  
 يتظاهر في تعامله مع الناس بالأمانة الزائدة. فهجاه الشاعر المصري  
 المدعو: جاسوس الفلك بقوله<sup>(١)</sup>:

يا أحمقاً أسمع وقل ودع الرقاعة والتحامق  
 أقممت نفسك في الثقة وهبك فيما قلت صادق  
 فمن الأمانة والتقى قطعت يدك من المرافق  
 هجاء قاض:

قال الشاعر أبو الشرف الجرجاوي يصف قاض مخاتل<sup>(٢)</sup>:

قاض إذا انفصل الخصمان ردهما إلى الخصام بحكم غير منفصل  
 يبدي الزهادة في الدنيا وزخرفها جهراً ويقبل سراً بكرة الجمل  
 مهلّل والدهر لافي وقت هيللة ويلزم الصمت وقت القول والعمل  
 وما أسميه لكني نعت لكم نعتاً أدلكم فيه على الرجل

هجاء الكاتب المعروف بالجعل:

قال الفقيه عمارة اليمني يهجو الكاتب المعروف بالجعل<sup>(٣)</sup>:

لو كان للشعر عند الله منزلة ما ساغه الله من أشدائه الجعل  
 إن كوسج النتف خديه وشاربه فإن لحيته فوق الخصى حصل

(١) الدرّة المضية، م. س. ص ٣١٤.

(٢) الخطط المقرينية، الجزء الأول، ص ٤٦٩.

(٣) النكت العصرية، م. س. ص ٣١٢.

يا كاتباً فوق خُصِّيهِ وعانته من المداد ومن حبراسته كُتِلُ  
ومن يَحْكُ أكالاً تحت عصعصه لا تَأْكُلَنَّ مع الأملاك إن أكلوا  
وقال عمارة اليمني يهجو الكاتب ابن دخان وكان يمنعه من  
مقابلة الملك الصالح طلائع بن رزيك<sup>(١)</sup>:

من كلِّ فَدْمٍ لا يزال لسانه مغرى بحرف الرءاء أو بالقاف  
ويبدو أن ابن دخان كان ألثغ يلفظ الرءاء قافاً أو غيناً.

إن كان يحسب أن خسة أهله تحميه من حمتي ومرزعاقي  
فالأسد تفترس الكلاب إذا غدت أطوارها والأسد غير ضعاف  
دعني أثقل بالهجاء لجامه إن البغال كثيرة الأخلاف  
لا تأمنن أبا الرذائل بعدها واحذر أمانة سارقٍ خطاف  
فالمرتجي عند اللئام أمانة كالمرتجي ثمر أمن الصفصاف

هجاء ابن كازوك لفرضه الخوات والجالات على أهل الغربية<sup>(٢)</sup>:

بان عتاً أهل المحبة واعتضنا بأهل البغضاء والشنان  
نحن أشقى بختاً وأتعس حظاً إذ قضانا بصفقة الخسران  
وصفقة الخسران هو ابن كازوك جابي الضرائب والعشور في  
منطقة الغربية في الإسكندرية:

وأخسّ الورى وأهونهم بين الرعايا قدراً على السلطان<sup>(٣)</sup>  
إذرعانا ببغض الخلق مذ كان وكانوا كل قاص ودان

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٦٩٩.

(٢) خريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٤٩.

(٣) أهونهم أي أكثرهم ذلاً وهواناً.

رجلٌ صيغ من حمأ شيب بالشره  
والزنا والبغاء والجهل والإفك  
ما ظننا من قبله أننا لنلقى  
يتلقَّاك كالحأ عابس الوجه  
وله إخوة أفعالهم في المال  
فعل الذئب بالحملان

ويتوجَّه لصاحب ديوان الضرائب بقوله:

حَرَ قلبي على متوليِّ الباب      وقولي لصاحب الديوان  
أيها الالمعي أعوزك الرعيان      حتى استرعت بالذؤبان؟

ويتوجَّه لابن كازوك ومن ورائه يطالبهم بأن يكفوا بلاءهم عن  
الناس ويكتفوا بما يجبوه من الولايات والحمايات والغرامات  
والجعالات فيقول:

فاتركونا معاشر الجند واغنوا      بدرُّور الأرزاق كلَّ أوان  
والولايات والحمايات والغرم      وأخذ الأفعال من كلِّ خان  
والمعاصير والسواقي وتسويغ      الضياع المفردات الحسان

وينصحهم بالاكْتفاء بما يجبوه من ضرائب للدولة ويكتفوا بها  
بل يرتعوا في نداها ولحمها الطيب ويكفوا شرهم عن المصريين:

وارتعوا في جَزُور الدولة      الهامي نداها في أطيِّب اللُّحمان  
واشغلونا بما به يُشغَل الهرُّ      لنفَع أو خيفة العدوان  
بالطحال المسدود أو طَرَفِ      الرية أو بالمعلاق والمُصران



## هجاء كتاب الدواوين المرتشين ومن يحميهم من المسؤولين:

قال رضي الدولة داود بن مظفر ابن مقدم المحلي من المحلة الكبرى بديار مصر، يهجو موظفي الدولة لكثرة فرضهم الرشوة ولهم حمت يحمونهم من كبار المسؤولين<sup>(١)</sup>:

وقد بكرت تلوم على خمولي كأن الرزق يجلبه احتيالي  
تقدر أنني بالحرص أحوي الثراء وذاكم عين المَحَالِ  
تقول إنارات إرشاد قولي هُبَلْتُ أَلَا تَهَبُّ إِلَى الْمَعَالِي  
فلو أدليت دلوك في دلاء مَتَّخَتْ بِهِ مِنَ الْمَاءِ الزَّلَالِ  
وكم أدليت من دلو ولكن بلا بَلَلٍ يُرَدُّ عَلَى قِذَالِي  
وكم عَلَّقْتُ أَطْمَاعِي رَجَاءً بِخُلْبِ بَارِقٍ وَوَمِيضِ آلِ  
فلا أنا بالكفاف النزر راضٍ ولا أنا عن طلاب الكُرْسَالِ

وبعد أن يستعرض حالته وصعوبة تحصيله الرزق، يضع اللوم على موظفي الدولة لكثرة فرضهم الرشوى لهم ولكبار المسؤولين الذين يحمونهم فيقول:

أمن أجل العناء أحلتموني على بغاء ذي داء عضال  
يكلّفني مع البرطيل «جهرأ» وذلك بيننا سبب التقالي  
فمالي ماله فيه مجال ومالي ليس يفضل عن عيالي  
وكُتِّابُ لَهُمْ أَبْدَاءُ حُمَاةٌ تُعَدُّ لَهَا الرقي مثل الصُّلالِ  
وكلهم يجرُّ إليه نفعاً فعادته احتجابي واعتزالي  
بأيدي تبتدرن إلى الرشوى كأيدي الخيل أبصرت المخالي

(١) خريدة القصر وجريدة العصر. القسم الثاني، ص ٤٧.

ويبدو كأن ابن مقدم المحلاوي كان معقبا للمعاملات ووسيطاً بين أصحاب المعاملات وبين الموظفين فأقصوه وحرموه نصيبه من الرشاوى فهجاهم.

ويتابع واصفاً علاقته بهؤلاء الموظفين فيقول:

ولست أزورهم إلا بشعر أنمقه وذلك جُلّ مالي  
فأغشى بالمحال الصرف منه مجالسهم فأرجع بالمُحال  
وكم قبّلت من كفي ولكن يهون على مُقبّلها سبالي  
وأحضر من ركاب في ركاب إلى أن خفّ من ثقل طحالي  
وهذا يستطيل عليّ زهواً وذاك يعلني كأس المطال  
وقد علموا وإن لم يصرفوني بيأس أن سيصرفني ملالي  
وحالي كل يوم في انتقاص ومن باب التمثل قول حالي

هجاه الطبيب علي بن رضوان طبيب الخليفة المستنصر:

كان علي بن رضوان أسود اللون وكان بينه وبين الطبيب  
البغدادي ابن بطلان مراسلات ومنازعات، وقد هجاه، ابن بطلان  
بقوله<sup>(١)</sup>:

فلما تبدى للقوابل وجهه نكصن على أعقابهن من الندم  
وقلن وأخفين الكلام تَسْتُرّاً ألا ليتنا تركناه في الرحم  
وقال أبو الصلت المصري يهجو طبيباً اسمه جرجس وكنيته أبو  
الخير<sup>(٢)</sup>:

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، الجزء الثاني، ص ٢٤١.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي أصيبعة، م.س. الجزء الثالث، ص ١٧٧.

إنَّ أبا الخير على جهله      يخفُّ في كفته الفاضلُ  
عليه المسكين من شؤمه      في بحر هلك ماله ساحل  
ثلاثة تدخل في دفعة      طلعتة والنَّعشُ والغاسل  
وقال فيه أيضاً:

لأبي الخير في العلاج يد ما تقصر  
كلُّ من يستطبّه بعد يومين يُقبر  
والذي غاب عنكم وشهدناه أكثر

### وصف خرفان (خَرْفُ):

وقال ابن الرقيق الإسكندراني يصف رجلاً خرفاً اسمه ابن عبد  
القوي<sup>(١)</sup>:

قل لابن عبد القوي يا خَرْفُ      علام ذا التيه منك والصلفُ  
لا يغررنك الثياب أبيضها      فإنما منك تحتها جِيفُ  
فالدر مستودع حشا صدف      وأنت درّ في جوفه صدف

### وصف رمد العين:

قال ابن مكنسة يصف رمد العين<sup>(٢)</sup>:

مالنهاري كأنَّهُ الغَسَقُ      ومالليلي ماشقُّهُ الفَلَقُ  
ومالعييني أرى بها عَجَباً      تَغْرَقُ في مائها وتحترق

(١) خريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٢٢٤.

(٢) خريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٢١٢.

ولي طبيبٌ تشكو مرادُهُ  
شِيفُهُ تطرد الشفاء إذا  
وإن تمادى عليّ زرتكمُ  
لم يبق من صيغَةِ المدام سوى  
طَبِعي ووجهُ البخيل في قَرْنِ  
يا عينُ حَتّامَ أنتِ باكيةُ  
وتستغيثُ الجفونُ والحدق  
مَرَزْنَ بعيني وكحلُهُ الأرق  
وقائداي العِصِيّ والحَلَقُ  
جفونِ عَيْنِ كأنها الشَّفَقُ  
هذا وهناك ليس ينطلق  
قد نَفَذَ العَيْنُ فيك والوَرِقُ

### وصف أعور:

وقال الرقيق يصف أعور اسمه نصر<sup>(١)</sup>:

لنصر حُبْرٌ يَحْقُقُ الحَبَرَ  
وأعور العين قُبْحٌ منظره  
ماكنت أدري قبيل انظره  
من قال إن الإله خالقه  
فهو على حالتيه نَقن خرا  
أثرفي عين دهرنا عَوْرًا  
أن المسيح الدجال قد ظهرا  
فإنه بالإله قد كفرًا

### هجاء أهل يافا:

قال خالد بن سنان الإسكندراني الشاعر يذم أهل يافا<sup>(٢)</sup>:

مقامي بين أظهر أهل يافا  
تصوّر أنه يعدو عليها  
ولو علموا بأنّي ذولسان  
مقام غضنفر بين الكلاب  
فتنبحه وتسرع بالذهاب  
يغادر عرضهم خَلَقَ الإهاب

(١) م.س. نفسه. ص ٢٢٤.

(٢) معجم الأذباء، الجزء الأول، ص ٥١٩.

## هجاء الرشيد بن الزبير:

قال أبو الفتح بن قادوس يهجو الرشيد ابن الزبير وكان أسود اللون<sup>(١)</sup>:

يا شبه لقمانٍ بلا حكمة      وخاسراً في العلم لا رسخا  
سلخت أشعار الورى كلها      فصرت تدعى الأسود السالخا  
وقال فيه أيضاً:

إن قلت من نار خُلِقْتَ      وفقت كل الناس فهما  
قلنا: صدقت فما الذي      أضناك حتى صرت فحما

## هجاء إبليس:

وقال القاضي الفاضل علي بن عبد الرحيم البيساني يهجو قواداً لتشبهه بإبليس في الغواية<sup>(٢)</sup>:

مالك يا إبليس من خلفنا      تطلبنا بالماء والزاد  
أمس من الجنة أخرجتنا      بحية من ذلك الوادي  
واليوم قد عدت إلى جنة      من وجنات ذات إيقاد  
بالأمس في إخراجهِ والدأ      واليوم في إخراج أولاد  
تريد أن تهبطنا ثانياً      إلى متى أنت بمرصاد  
يا شيخُ سر عناً في دهرنا      ما جاء معشوق بقواد

(١) معجم الأدباء، الجزء الأول، ص ٥١٩.

(٢) ديوان القاضي الفاضل، ص ٣٢.

## هـاء الءولة الفاطمية بعد تءميرها

بعد نجاح الانقلاب الأيوبى الكردى فى مصر واستيلاء الأكراد على الحكم، قام بعض الشعراء الأكراد والشوام بهـاء العاضء، آخر خليفة فاطمى وهـاء الءولة الفاطمية وإظهار الشماتة بها وبالمصريين.

### هـاء ابن أبى حصيبة ورد عمارة عليه وجاهياً:

لم تكن عملية إءءام الفقيه عمارة اليمنى بتهمة تءبير انقلاب مضاء على الأيوبيين، بنت ساعتها، بل كانت كما يقول المثل العاملى: «ليست رمانة»، بل «قلوب ملآنة» بالحقء والغلُ من قبل الأكراد الأيوبيين على عمارة، بسبب وفائه للءولة الفاطمية، رغم اختلافه المذهبى مع أهلها وخلفائها ووزرائها. وأول هذا الحقء، كان عند إءءام الخليفة العاضء على إسكان نجم الءين أيوب فى قصر اللؤلؤة تكريماً وتشريفأ له. وكان أن أقءم الشاعر المصرى الأءب بن أبى حصيبة فى جلسة سمر، على مءء نجم الءين أيوب والءم بالفاطميين، وكان الفقيه عمارة أءء الشعراء الءاضرين فى اللؤلؤة.

قال المقرئزي أثناء وصفه لقصر اللؤلؤة: «ولما قدم نجم الدين أيوب من الشام على ولده صلاح الدين يوسف، وخرج الخليفة العاضد لدين الله إلى لقائه، أنزله بمنظرة اللؤلؤة. فسكنها حتى مات سنة ٥٦٧هـ. واتفق أن حضر يوماً عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليميني، والرضي أبو سالم يحيى الأحذب ابن أبي حصيبة الشاعر في قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد، فأنشد ابن أبي حصيبة نجم الدين أيوب قصيدة قال فيها<sup>(١)</sup>:

يا مالك الأرض لا أرضى له طرفاً      منها وما كان منها لم يكن طرفاً  
 قد عَجَلَّ اللهُ هذي الأرض تسكنها      وقد أعدَّ لك الجنَّات والغرفا  
 تشرفَّت بك عمن كان يسكنها      فالبس بها العزَّ ولتلبس بك الشرفا  
 كانوا بها صدفاً والدار للؤلؤة      وأنت للؤلؤة صارت لها صدفا  
 فلما سمع الفقيه عمارة هذا الغدر وهذه الخيانة والخسة، انتفض بوجه ابن أبي حصيبة راداً عليه مدافعاً عن الفاطميين والدولة الفاطمية بقوله:

أثمت يا من هجا السادات والخلفا      وقلت ما قلت في ثلبهم سُخفا  
 جعلتهم صدفاً حلُّوا بلؤلؤة      والعرف ما زال سكنى اللؤلؤ الصدفا  
 وإنما هي دار حلِّ جوهرهم      فيها وشفَّ فأسناها الذي وصفا  
 فقال للؤلؤة عجباً ببهجتها      وكونها حوت الأشراف والشرفا  
 فهم بسكناهم الآيات إذ سكنوا      فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا  
 والجوهر الفرد نور ليس يعرفه      من البرية إلا كلَّ من عرفا

(١) الخطط المقرئزية، الجزء الأول، ص ٤٦٩.

لولا تجسّمهم فيه لكان على ضعف البصائر للأبصار مختطفاً  
فالكلب يا كلب أسنى منك مكرمة لأنّ فيه حفاظاً دائماً ووفاً  
أبعد هذا الدفاع عن الفاطميين وفي مجلس نجم الدين أيوب إقامة  
أو حياة للفقير عمارة؟.

### الأكراد الأيوبيّون عيونهم على مصر وخيراتها:

نحن نعلم أنّ الهدف من مجيء الأكراد الأيوبيين إلى مصر،  
كان ظاهره، محاربة الفرنجة ووحدة الصف العربي الإسلامي بين  
مصر والشام، هذا من جهة مصر والزعماء المصريين، أما من جهة  
الشام. وأكراد الشام، فكانت النوايا مبيّنة: السيطرة على مصر ونهب  
خيراتها. فالعماد الأصفهاني وهو من الجوقة الأيوبيّة، نظم سنة  
٥٦٢هـ قصيدة يشير فيها إلى النوايا المبيّنة وقد وجهها إلى  
نجم الدين أيوب في الشام والد صلاح الدين الأيوبي وشقيق  
أسد الدين شيركوه جاء فيها<sup>(١)</sup>:

أخوك وابنك صدقاً منهما اعتصما بالله، والنصر وعُدٌّ غير مكذوب  
هما همامان في يومئذٍ وغى وقرئ تعوذاً ضرب هام أو عراقيب  
غداً يُشبان في الكفار ناروغى بلفحها يصبح الشبان كالشيب  
بملك مصر ونصر المؤمنين غداً تحظى النفوس بتأنيس وتطريب  
ويستقرّ بمصر يوسف وبه تقرّب بعد التنائي عين يعقوب  
فالفاطميون عند العماد الأصفهاني كفّار وعند الفقيه عمارة

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الثاني، ص ٢٦٩.



سكنوا الآيات والمصاحف. فمن صدّق؟ وكلاهما من أهل السنة؟.

وأرسل العماد الأصفهاني يحرض صلاح الدين الأيوبي على الفتك بالخليفة العاضد وإنهاء حكم أهل بيت النبي (ص) في مصر<sup>(١)</sup>:

والذي يدّعي الإمامة بالقا هرة ارتاع إنّه مقهورُ  
عاد من مصر يوسف وإلى يعقوب بالتهنئات جاء البشير  
فلأيوب من إياب صلاح الدين يوم به تُوقى النذور  
ولكم عودة إلى مصر بالنصر على ذكرها تمر العصور  
فاستردوا حق الإمامة ممن خان فيها فإنه مستعير  
عجباً هذا القول، ابن فاطمة وعلي يستعير الإمامة من كردي أبق  
قاتل، وليت هنا المصيبة، بل المصيبة أنّ ٧٥٪ من عالمنا الإسلامي  
اليوم يعتقد هذا الاعتقاد.

وقال يحرض عمّه أسد الدين شيركوه على إقامة كربلاء جديدة  
في مصر وقتل أبناء بنت النبي (ص)<sup>(٢)</sup>:

يا شيركوه بن شاذي الملك دعوة من نادى فعرف خير ابن بخير أب  
تملّ من ملك مصر رتبة قصرت عنها الملوك فطالت سائر الرتب  
فتحت مصر وأرجوان تصير بها ميسراً فتح بيت القدس عن كئيب  
ردّ الخلافة عبّاسية ودع الدعويّ فيها يصادف شر منقلب  
لا تقطعنّ ذنب الأفعى وترسله فالحزم عندي قطع الرأس كالذنب

(١) م.س. ص ٣٧٢.

(٢) م.س. ص ٤٠٤.

لقد أصبح أسد الدين شيركوه والعماد الأصفهاني من أبناء  
الحسب والنسب، والعاقد العلوي الفاطمي الطالبى الهاشمى القرشى  
الذى سطر الكتب والمجلدات والمؤلفات فى حسبه ونسبه الشريف،  
دعياً مجهول الحسب والنسب.

وبعد نجاح الانقلاب الكردى الأيوبى، نظم العماد الأصفهانى  
قصيدة يهنئ بها نور الدين محمود زنكى جاء فيها<sup>(١)</sup>:

أوردت مصر خيول النصر عادمة ثنى الأعتة إقداماً على اللجم  
وأصبحت بك مصر بعد خيفتها للأمن والعز والإقبال والكرم  
ملوكها لك صاروا أعبداً وغداً بها عبيدك أملاكاً ذوى حرم  
ولم يكذب العماد الأصفهانى، فقد شرح هذا الوضع المؤرخ  
المصرى، المقرئى، ووصفه وصفاً دقيقاً كيف أصبح المصرى  
خدماً فى داره وحارساً على باب بساتينه عند الأكراد الأتین من  
الشام.

### وصف سرقة نهر النيل وجره إلى الشام:

الرمز فى اللغة والشعر، أسلوب تحريضى يحرض المستمع  
والقارئ والمتلقى على الغوص فى معانى البيت الشعرى: وعندما  
يصف لنا المقرئى كيف هجم الأكراد مثل الجراد على خيرات مصر  
ونهبوها، فلا نستبعد أن يعنى الشاعر بهذا البيت تصوير ضخامة  
وعملية نهب مصر، حيث يقول العماد الأصفهانى مادحاً

---

(١) م.س. ص ٤٤٤.

صلاح الدين، بعد أن وصله شيءٌ من منهوبات قصور الخلافة في القاهرة<sup>(١)</sup>:

يا صلاح الدين الذي أصلح الفاسد      بالعديل من خطوب الزمان  
أنت أجريت نيل مصر إلى الشام      نوالاً أم سال نيل ثاني  
وصلت أعطيانك الغرَّ غزراً      فتلقَّت أمالنا بالتهاني  
خَلَعُ راقَت العيون ورَقَّت      وعلا وصفها عن الإمكان  
مذهبَات كأنَّها خلع الرضوان      قد أهديت لأهل الجنان  
مشرقَات بطرزها الذهبيات      الحسان الرفيعة الأثمان  
فالعمامات كالغمامات والطروز      بروق كثيرة اللمعان

وبالطبع فثياب الخلفاء الفاطميين هي ثياب الرضوان هدية من الله لأهل الجنة، ومن غيرهم أهل الجنة.

وفي العاشر من محرم سنة ٥٦٩ هـ، توفي العاضد وأعلن الخبر في جميع الممالك الإسلامية بوفاته، وبدفن الدولة الفاطمية المصرية. فنظم العماد الأصفهاني شماتة بموته هاجياً له وللدولة الفاطمية<sup>(٢)</sup>:

توفِّي العاضد الدعي فما      يفتح ذوبدعة بمصرف ما  
وعصر فرعونها انقضى وغدا      يوسفها في الأمور محتكما  
وانطفأت جمرة الغواة وقد      باح من الشرك كل ما اضطرما  
وصار شمل الصلاح ملتئماً      بها وعقد السداد منتظما

(١) م.س. ص ٤٤٦.

(٢) م.س. ص ٤٩٦.

لما غدا معلناً شعار بني العباس      حقاً والباطل اکتتما  
عاد حريم الأعداء منتهك      الحمى وفيء الطغاة مقتسما  
قصور أهل القصور أخرجها      عامر بيت من الكمال سما  
أزعج بعد السكون ساكنها      ومات ذلاً وأنفه رغما  
يتساءل القارئ لهذه القصيدة:

- لماذا شعار بني العباس هو شعار الحق وشعار أبناء بنت  
النبي هو شعار الباطل؟

- لماذا يعتبر الخلفاء المصريون طغاة رغم أنهم صدّروا الحرّية  
إلى جميع أنحاء العالم وأنّ الأكراد الأيوبيين هم صانعو الحرّية؟  
- لماذا يسمو الكردي المخرب ويعمر بيته وترمى قصور الخلفاء  
المصريين بالتقصير والقصور!.

- هل أصبح الإكراه وإذلال الساكنين الوادعين فخراً؟

وبعد إقامة أول خطبة عباسية في مصر، هلّ لها العماد  
الأصفهاني وكبّر ونظم قصيدة في هذا المعنى، وكان العاضد  
لا يزال مسجوناً من قبل صلاح الدين في الإقامة الجبرية  
بقصره<sup>(١)</sup>:

قد خطبنا للمستضيء بمصر      نائب المصطفى إمام العصر  
واشعنا بها شعار بني العباس      فاستبشرت وجوه النصر  
وتركنا الدعي يدعو ثبوراً      وهو بالذلّ تحت حجر وحصر  
عرف الحق أهل مصر وكانوا      قلّة بين منكر ومقرّ

(١) كتاب الروضتين، الجزء الثاني، م.س. ص ٥٠٤.

وشبه العمد مصر بالبنت البكر وهو الذي افترعها دون الآخرين  
وفض بكارتها:

هو فتح بكر، ودون البرايا، خصنا الله بافتراع البكر  
ونشرنا أعلامنا السود قهراً للعدا الزرق بالمنيا الحمر  
واستعدنا من ادعاء حقوقاً تُدعى بينهم لزيد وعمرو  
والذي يدعى الإمامة بالقاهرة انحط في حضيض القهر  
ويروي المقدسي أبو شامة مقطوعة في هجاء الدولة الفاطمية  
ومدح الأيوبيين دون ذكر صاحبها يقول فيها<sup>(١)</sup>:

أستم مزيلي دولة الكفر من بني عبید بمصر إن هذا هو الفضل  
زنادقة شيعية باطنية مجوس وما في الصالحين لهم أصل  
يسرون كفراً يظهرون تشيعاً ليستتروا شيئاً وعمهم الجهل

وإذا كان المقدسي أبو شامة قد جمع كل هذه النصوص  
المعروفة المصدر والمجهولة في شتم وهجاء الفاطميين والدولة  
الفاطمية؟ يكفي، رداً عليها، قصيدة الشريف الرضي، التي جاء فيها:

أحمل الضيم في بلاد الأعادي وبمصر الخليفة العلوي  
من أبوه أبي ومولاه مولاي إذا ضامني البعيد القصي  
لف عرقي بعرقه سيّداً الناس جميعاً: محمّد وعليّ

ونحن نلاحظ أنّ الشاعر الوحيد الذي اختص بهجوم هو العمد  
الأصفهاني، فقط، وهو موظف في ديوان الإنشاء عند أسد الدين

(١) م.س. ص ٥١٧.

شيركوه ونور الدين محمود زنكي في دمشق، أما العرقله، فهو إذا  
تَفَلَّتْ ببعض الأبيات فيبيته المشهور:

ذِ الأتراك والعربا وكن في حزب من غلبا  
يدل على الأسباب التي دعته إلى تفلتت بعض الأبيات.

وقد لاحظنا كيف رفع العاد الأصفهاني من وتيرة هجائه  
وشماتته بالمصريين بعد أن ذاق حلاوة وطلاوة بعض المسروقات  
التي وصلتته من قصور الخلافة المصرية..

### شعر المدح

شعر المدح هو الشعر الذي يمجد فيه الشاعر محاسن غيره من  
صفات خلقية وفكرية ودينية وتاريخية، كرفعة الحسب وعمق  
النسب، ومن إقدام وكرم خلق ويد وعفة ونزاهة وسماحة.

وقد تميّز شعر المديح لدى شعراء مصر الفاطمية عن غيره من  
شعر المديح لدى شعراء بني العباس ومعاصريهم من سلاطين  
وملوك بصدق العاطفة واحترام الشاعر للممدوح قلباً وقالباً. وبعده  
عن التكلّف واصطناع المعاني الغير موجودة في الممدوح، فجاءت  
قصائدهم وصفاً دقيقاً لصفات موجودة فعلاً في ممدوحهم. وكان  
ذلك لسببين:

**السبب الأول:** هو أنّ الخلفاء هم سليله بيت النبوة وعتره النبي  
وأهله وأبناء فاطمة البتول وسيد البلغاء علي بن أبي طالب - عليهم  
السلام أجمعين -

**والسبب الثاني:** أنّ الكرم المنقطع النظير والرواتب المرتفعة

التي أغدقها الخلفاء والوزراء والأمراء والقواد على الشعراء، جعل من هؤلاء الشعراء شركاء في الحكم ومستشارين، لا مدّاحين. ويكفي أن نطلّع على دواوين بعض هؤلاء الشعراء كديوان الأمير تميم وديوان عمارة اليمني، وديوان المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي وديوان أبي الرقعق وشعر غيرهم من شعراء مصر الفاطمية لنتأكد من صدق عاطفة هؤلاء الشعراء تجاه ممدوحهم، وإيمانهم بصدق وصحة الصفات التي وصفوهم بها.

وما ردّ عمارة اليمني على هجاء ابن أبي حصيبة للخليفة العاضد إلاخير دليل وأفضل قرينة على تماهي هؤلاء الشعراء مع ممدوحهم.

### مدح الخلفاء:

قال الشاعر سعدون الورجيلي يمدح الخليفة المهدي بالله! قصيدة، قيل أنّ المهدي عندما سمع أولها بكى، فتوقف الشاعر عن القول، فأوماً إليه المهدي بعد أن مسح عبرته بكمّه أن أكمل وكان قد قال<sup>(١)</sup>:

قف بالمطبيّ على مرابع دور      لبست معالمهنّ ثوب دثور  
لعبت بها حتى محت آثارها      ريحان: ريح صباً وريح دبور  
فلما انتهى إلى قوله:

وسفیهة هبت تصدّ عن النوى      ويد النوى ملكت عنان مسيري  
خافت عليّ من الخطوب لأنني      من قبل غبت فإبّت بعد دهور

(١) كتاب المقفّ الكبير. م.س. ص ٩٥.

ثم اجتمعنا بعد ذاك فيالها مأسورة جمعت على مأسور  
فلما سمع المهدي هذا البيت بكى وتلقى دموعه بكمه فتوقف  
سعدون الورجيلي عن النطق، فأوما إليه المهدي أن قل. فتابع قائلاً:

أعني بن فاطمة تصدّين امرأ بنت النبي وعطرة التطهير  
كفّي عن التثبيط إنّي زائر من أهل بيت الوحي خير مزور  
هذا أمير المؤمنين تضعضعت لقدومه أركان كل أمير  
هذا الإمام الفاطمي ومن به أمنت مغاربها من المحذور  
والشرق ليس لشامه وعراقه من مهرب من جيشه المنصور  
حتى يفوز من الخلافة بالمنى ويفاز منه بعدله المنشور  
يا من تخير من خيار دُعائه أرجاهم للعسر والميسور  
حتى استمال إليه كل قبيلة ورمى إليه قياد كل عثور  
أشبّهت موسى وهو حيّتك التي تُلقى فتلقف إفك كل سحور

وقال يعقوب بن إسحاق يمدح الخليفة المهدي بالله<sup>(١)</sup>:

أأنت أمير المؤمنين على الظمى أحب إلى قلبي من البارد العذب  
فوالله ما أدري إذا غبت ساعة وداداً وشوقاً أين عقلي ولا لبّي  
فديتك يا خير البرية كلّها إمامي الذي أرجو به الفوز من ربّي  
أتيت ببرهان من الله واضح وفسرت ما استعنى علينا من الكتب  
فأصبح دين الله بعد دروسه جديداً كما أنبأ به جدك المنبي  
وقد سعد الأشياخ منك بنظرة وفازوا بها دوني فأوجعني قلبي  
قدمت على الأيام في كلّ نعمة مليكاً على أهل المشارق والغرب

(١) عيون الأخبار، فنون الآثار، السبع الخامس، م.س. ص ١٥٥.



فلما انتهت الأبيات إلى المهدي بالله سلام الله عليه، أمر بدخوله من ساعته، فدخل إليه وأنشد الأبيات بين يديه.

وتزايدت العلة بأمير المؤمنين المهدي بالله سلام الله عليه، حتى كانت وفاته بالمهدية في ليلة الثلاثاء للنصف من شهر ربيع الأول أحد شهور سنة ٢٢٢هـ، وعمره يوم وفاته صلوات الله عليه ورضوانه، ورحمته، وبركاته، وسلامه، ثلاث وستون سنة، لأن مولده كان في سنة ستين ومائتين، وكنم أمير المؤمنين القائم بامر الله سلام الله عليه، خبر وفاته مائة يوم، ثم أظهر نعيه، يوم الثلاثاء لخمس بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، وأظهر عليه من الحزن ما لم يعرف من أحد من قبله، فنيح عليه في أمصار المغرب ومدنها، وبواديها، ورثي بمراثي كثيرة، وممن رثاه صلى الله عليه وآله عثمان بن سعيد الصيقل من أهل القيروان شعراً<sup>(١)</sup>:

|                        |                       |
|------------------------|-----------------------|
| وهت مرة الصبر فانجلت   | ورتل عرى الحزم فاجتثت |
| وأى سبيل إلى سلوه      | وأوعية الدمع قد فضت   |
| وكيف العزاء وقد خدشت   | خدود الخرائد وأريدت   |
| جنود التجلد قد ولت     | وألوية الوجد قد صفت   |
| وداهية قد أتت فجأة     | فمنها المسامع قد سكت  |
| توالت فلم أر لي مذهباً | كان المسالك قد سدت    |
| فأومات أرمق نحو السما  | وأرئو إليها هل انشقت  |
| ألا ليت شعري هل ميّزت  | أكف المنية من بزّت    |

(١) عيون الأخبار، فنون الآثار، السبع الخامس، م.س. ص ١٥٦.

وهل درت الأرض من ضمّت  
وليت يد الدهر قد شلت  
لو قد ترى أنه استحييت  
سجاماً على الخد قد سحت  
صروف الخطوب إذا كرت  
تضمّن قلبي وما قضت  
شؤون جفونك فانهلت  
جبال البسيطة أم دُكت  
ظننت وأضعافه قد صمّت  
ولا عذر إن لم تفض يا مهجتي  
ومالت من الوجد فانهدت  
لإحدى الكبائر إذ حلت  
عليه السلام لها قرت  
أبو القاسم المصطفى خزّت  
لفقد الخليفة فاسودت  
وقابلها نوره ابيضت  
تباريه بالجود لا هبت  
واستنشقت عرفه حنت  
له ينزل الغيث لأدرت  
فلم تتمالك بأن أروت  
وأخفت الأرض فأغبرت  
لفرط الرزية فاعتلت

وهل علمت من رمته الخطوب  
فليت الحوادث لم تخترم  
إمامي الذي اخترمته المنون  
وقائلة إذا رأته عبرتي  
جزعت وقد كنت جلدأعلى  
وكيف العزاء ولم يدر ما  
لأية أهدوثة أسعدت  
أكورت الشمس أم زلزلت  
فقلت لها الخطب فوق الذي  
فلاغرو أن سفحت عبرة  
ثوى علم الأرض فارتجت  
وكادت تنزل بالراسيات  
فلما تجلّى إمام الهدى  
ولو لم يعزيها بتدبيره  
فالبست الأرض جلبابها  
ولم أبدى القائم المرتضى  
وأقسمت الريح إذ بان من  
فلما سرت نفحات الإمام  
فأزمعت المزن إذ غاب من  
فلما رأته سبب كفاً الإمام  
فأولع بالجو أظلامه  
وذابت نفوس الورى رقبة

فلولا الإمام وإنعاشه      قلوب الرعيّة لانفتت  
فيا حجة الله في أرضه      عزاءك عنها وإن حلت  
ليهنّي الخلافة ما أحرزت      من المجد والشرف المصلت

وقال الشاعر الفزاري يمدح الإمام المنصور بالله ويسأله العفو  
عن أخطائه<sup>(١)</sup>:

لعمرك ما أوس ابن سعد بقومه      ولا سيد الأوبار قيس ابن عاصم  
ولا كان ذو الجدين بين كتائب      لها ميم من بكر وحيّ اللهازم  
ثم ذكر كبراء العرب وملوكها      وذوي البأس منها إلى أن قال:

ولا كان قعقاع ابن ثور إذا احتبى      جليسا له لم «يشقى» بين الأقدام  
بأمنع منّي في جوار خليفة      عطوف على أهل البيوتات راحم  
كريم الأيادي والمسامي تمّت به      أبوة صدق من نؤابة هاشم  
شريف الأداني والأقاصي مقدّم      إذا ما عددنا فضل أهل المكارم  
له من إمام المرسلين و«ضؤه»      عليّ معال ثابتات الدعائم  
معال هي الفخر الصحيح وغيرها      معالي مجاز بين واه وسالم  
ومن ذا يقيس الشمس في رونق الضحى      إلى كوكب في غيبه الليل عاتم  
وما عذر مشحوذ اللسان مثقّف      يرى الشكر في الأنعام ضربة لازم  
أبيت أمير المؤمنين سوى التي      يزيد ثناء ذكرها في المواسم  
تقى وندى ما بين حلم ونجدة      وعفو وإمضاء على كلّ ظالم  
وكذّبت أطماع البغاة فأدبروا      لأعقابهم ما بين خاز ونادم

(١) عيون الأخبار، وفنون الآثار، السبع الخامس، م.س. ص ٣٠٨.

رجوا من فساد الملك ما أطمعتهم  
 فصبّ عليهم محصدات كأنها  
 ولولا حذار من عقابك أرفجوا  
 وأني لأدري أنّ أبغض من بها  
 ظلوم وكذاب المقال وفاجر  
 وللكذب المشتقّ في القلب سورة  
 أمنت بك النكد اللثام وبغيهم  
 بقافية لو حصّلت لتطايرت  
 أيحسبها المغرور تنشد بعده  
 وما هي إلا كالقسي إذا انحنّت  
 وإنّ التي أنشدتها بثنائكم  
 رأيت عدواً باسماً غير عابس  
 يكاسرني والعين أعدل شاهد  
 وكان غراب البين قد طار قبله  
 وأني لأرجو منك أجراً يقرّني  
 ولا شيء إلا في يد الله إن قضى  
 ومدّبها الوهاب نفساً كريمة  
 فمثلي يبقى شكره وثنائوه  
 تغنّى بها الركبان في كلّ بلدة  
 أمانيهم والله ليس بنائم  
 شأبيب قطر كوكف الغيم ساجم  
 فعافوا وعاف الناس طير الأشائم  
 إليك وأن أولاك نصح مداوم  
 وباغ وعات مستحلّ المحارم  
 أضرّ من الداء العياء الملازم  
 وتسوية من جاهل غير عالم  
 شعاعاً ولم تثبت على فكر ناظم  
 وتنقل من قرطاسها المتقادم؟  
 أعاليه تطرح من جياذ الدراهم  
 محبّرة ما دام نسل لآدم  
 وكان زماناً عابساً غير باسم  
 على غيب ود أو دفين سخائم  
 يهزّ ذنابه كسير القوادم  
 على رغم مجدوع المفاطس راغم  
 بها يسرت في كفّ أروع صارم  
 معودة بذل النهى والكرائم  
 ومثلك يرجى للأموال الجسائم  
 ويحدو بها خوص الركاب الرواسم

مدح الخليفة القائم بأمر الله ابن المهدي بالله:

قال خليل بن عدنان بن إسحاق التميمي مخاطباً الخليفة القائم بأمر الله<sup>(١)</sup>:

ولقد ركبت الخيل أحمل سكّتي مثل النعامة  
ونصرت آل محمّد وأذقت شانيم جِمَامَهُ  
والخيل تعرف أنّني في الحرب أصدقها شهامة  
وأعزّها نفساً وأكرمها وأكثرها صرامة  
لا والذي خصّ الخليفة بالخلافة والإمامة  
وحباه بالنبأ العظيم وبالفضيلة والكرامة  
ولقد وفيت لمن هويت كما وفي كعب بن مامة  
لا خير في الدنيا لمن لا يرتجى داراً مقامه

مدح الخليفة المنصور بالله ابن القائم:

قال داعي الدعاة جعفر بن منصور اليمني يمدحه بعد انتصاره على مخلد بن كيداد الخارجي صاحب الحمار<sup>(٢)</sup>:

يهنيك نصراً بما قد حزت من سبب      يا سيّد الخلق من عجم ومن عرب  
في كلّ يوم يرينا الله معجزة      من نصرة لك تجلو غمّة الكرب  
وأنت في كلّ حال تبتني رتباً      في المجد فازدّد علا في المجد والرتب

(١) عيون الاخبار وفنون الآثار، السبع الخامس، م.س. ص ١٩٢.

(٢) م.س. نفسه. ص ٢٧٤.

وَيَصِفُ مَعَارِكَهُ مَعَ مَخْلَدِ بْنِ كَيْدَادٍ فَيَقُولُ:

وَسَيِّدَ الْخَلْقِ إِسْمَاعِيلَ حَيْثُ نَزِدُ فِي مَوْكَبِ الْخَيْلِ مِثْلَ الْبَدْرِ وَالشَّهَبِ  
فَارْتَاعَ بَعْضَ نَوَاحِي الْخَيْلِ وَاضْطَرَبَتْ  
وَسَيْفَ جَدِّيهِ أَعْنِي ذَا الْفَقَارِ بِهِ  
إِلَى الرَّشَادِ اسْتِقْدَادَاتِ جَمْرَةِ الْعَرَبِ  
يَا بَنَ الْأَيْمَةِ يَا تَاجَ النَّبِوَةِ يَا  
مَنْ لَا نَظِيرَ لَهُ فِي الْمَجْدِ وَالْحَسَبِ  
إِلَهَ أَعْطَاكَ مَلَكًا وَارْتَضَاكَ لَهُ  
لَمَّا اصْطَفَاكَ بِلَا شَكٍّ وَلَا كَذِبِ  
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا دَائِمًا أَبَدًا  
حَمْدَ امْرِئٍ فِي مَزِيدِ اللَّهِ مَرْتَبِ

ومدحه محمد بن سعيد الأبروطي بقوله<sup>(١)</sup>:

تَقَلَّدَهَا مِنْ هَاشِمٍ خَيْرِ هَاشِمٍ وَأَشْرَفَهَا بَنِيَانِ مَجْدٍ وَأَرْفَعَا  
تَحَمَّلَ مِنْهَا مَا لَوْ أَنَّ أَقْلَهُ عَلَى كَاهِلِ الدَّهْرِ انْكَفَا وَتَضَعُضَعَا  
أَطَّلَ عَلَى الدُّنْيَا فَلَمْ يَبْقَ جَانِبِ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا اخْضَرَ نَبْتًا وَأَمْرَعَا  
رَمَى الْخَائِنَ الدَّجَالَ إِذْ حُمَّ حَيْثُ فَمَارَاحَ حَتَّى عَادَ شَلُوعًا مَوْزَعَا  
فَلَمْ أَرْكَالَ الْمَنْصُورِ بِاللَّهِ نَاصِرًا لَدِينِ وَلَا أَحْمَى لِمَلِكٍ وَأَمْنَعَا  
هُوَ الْمَلِكُ الْمَخْصُوصُ بِالنَّصْرِ مَلِكُهُ وَحَافِظُ مَا قَدْ كَانَ ضَاعَ وَضِيْعَا  
أَلَمْ تَرِ يَوْمَ الْقَيْرِوَانَ وَقُوفَهُ وَقَدِ كَادَتْ الْأَكْبَادُ أَنْ تَتَّصِدَعَا  
فَأَبْرَزَ وَجْهًا لِلْحَفِيظَةِ أَيْضًا يَقَابِلُ وَجْهًا لِلْكِرِيهَةِ أَسْفَعَا  
إِذَا اسْتَقْبَلَ الْأَبْصَارَ وَهِيَ طَوَامِحُ ثَنَاهَا وَلَمْ تَسْتَكْمَلِ اللَّحْظُ خُشْعَا  
إِمَامَ الْهُدَى أَقْبَلَتْ وَالدهْرُ مُقْبِلٌ وَقَدْ عَادَ عَوْدَ الدَّهْرِ رَطْبًا فَأَيْنَعَا  
وَمَا أَحَدٌ يَسْعَى لِيَدْرِكَ غَايَةَ مِنَ الْفَخْرِ إِلَّا كُنْتَ بِالْفَخْرِ أَشْفَعَا

(١) كتاب المقفى الكبير، م.س. ص ١٧٤.

## مدح الخليفة المعز لدين الله:

كان الخليفة المعز لدين الله أكثر الخلفاء تشبهاً بجدّه الإمام علي - عليه السلام - في الحكمة والبلاغة والشجاعة والكرم والعفة وحب العفو، لذلك شطّ فيه بعض الشعراء في مدائحهم وشبّهوه بالذات الإلهية، وكان لمغالاتهم في مدحه، حجّة أخذها المؤرّخون المعارضون للدولة الفاطمية وللإسلام الشيعي، لإخراج الفاطميين وفرق الشيعة من الملة الإسلامية. ومن هذه القصائد، القصيدة التي قالها ابن هاني الأندلسي، وقد جاء فيها<sup>(١)</sup>:

|                            |                           |
|----------------------------|---------------------------|
| ما شئت لا ما شاءت الأقدار  | فاحكم فانت الواحد القهار  |
| وكانما أنت النبي محمد      | وكانما أنصارك الأنصار     |
| أنت الذي كانت تبشّرنا به   | في كتبها الأحبار والأخبار |
| هذا إمام المتّقين ومن به   | قد دُوخ الطغيان والكفار   |
| هذا الذي ترجى النجاة بحبه  | وبه يُخطّ الإضر والأوزار  |
| هذا الذي تُجدي شفاعته غداً | حقاً وتخدم إن تراه النار  |
| من آل أحمد كلّ فخر لم يكن  | يُنمى إليهم ليس فيه فخار  |

وبقية الأوصاف التي أسندها ابن هاني للخليفة المعزّ تدحض مزاعم المتخرّصين، وصفاتهم هي:

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| أبناء فاطم هل لنا في حشرنا | لجأ سواكم عاصم ومُجار   |
| أنتم أحبّاء الإله وآله     | خلفاؤه في أرضه، الأبرار |

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، م.س. ص ١٠١.

أهل النبوة والرسالة والهدى  
 والوحي والتأويل والتحريم  
 إن قيل: من خير البرية لم يكن  
 لو تلمسون الصخر لانبجست به  
 وفيهته بدخول مصر بقوله:

أُعزِّد دين الله إن زماننا  
 ها أن مصر غداة صرت قطينها  
 شرفت بك الآفاق وانقسمت  
 جلّت صفاتك أن تحدّ بمقول  
 والله خصك بالقرآن وفضله  
 بك فيه بأوَّجَلِّ واستكبار  
 أخرى لتحسدها بك الأقطار  
 بك الأرزاق والآجال والأعمار  
 ما يصنع المصداق والمكثار  
 واخجلتي ما تبلغ الأشعار

وبالرغم من كلّ هذه الصفات والنعوت التي أسبغها ابن هاني  
 على الخليفة المعزّ، يعتذر خجلاً لأنه لم يبلغ بشعره ما بلغه القرآن  
 الكريم في تكريم أهل البيت.

وقال ابن هاني يمدحه أيضاً:

ملك أناخ على الزمان بكل كل  
 يمضي المنايا والعطايا وادعاً  
 وافى بهيبة ذي الفقار كأنما  
 وكان جدك في فوارس هاشم  
 اعليك تختلف المنابر بعدما  
 أوتيت فضل خلافة كنبوة  
 أخليفة الله الرضى وسبيله  
 فأذلّ صعباً في القياد جموحاً  
 تعبت له عزماته وأريحا  
 وشحته بنجاهه توشيحا  
 منهم بحيث يرى الحسين ذبيحا  
 جنحت إليك المشرقان جنوحاً  
 ونجى إلهام كوحى يوحى  
 ومناره وكتابه المشروحا



نطقت بك السبع المثاني السنأ  
أخشاك تُنسي الشمس مطلعها كما  
صُورَت من مَلَكُوتِ رَبِّكَ صورةً  
أقسمت لولا أن دعيت خليفة  
شهدت بمقدمك السموات العلى  
وهذه الصفات التي وصف الشاعر بها الخليفة المعزّ سنجدها  
ملازمة لمدائح الشعراء في الخلفاء المصريين طوال قرنين ونيف من  
الزمن، فصفاة المهدي بالله هي نفسها صفاة المعزّ لدين الله هي  
نفسها صفاة العاضد لدين الله.

وقال أيوب ابن إبراهيم يمدحه بقوله<sup>(١)</sup>:

يا ابن الإمام المرتضى وابن الوصي  
الله أعطاك الخلافة واهباً  
نلت الخلافة وهي أعظم رتبة  
فمنعت حوزتها وحطت حريمها  
وعندما ودّعه القائد خليل بن إسحاق منطلقاً لقتال بعض الخوارج  
خاطب الخليفة المعزّ بقوله<sup>(٢)</sup>:

وما ودّعت خير الخلق طراً  
ولكنني طلبت به رضاه  
فعاش مملكاً ما لاح نجم  
ولا فارقتّه عن طيب نفس  
وعفو اللّو يوم حلول رمس  
على الثقلين من جنّ وإنس

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الاول، ص ٨٧.

(٢) م.س. نفسه. ص ٨٧.

## صفات الخليفة بنظر الشعراء المصريين:

كتب الشاعر تميم بن المعز يصف أخاه العزيز فقال:

ما أنت دون ملوك العالمين سوى      روح من القدس في جسم من البشر  
نور لطيف تناهى منك جوهره      تناهياً جاز حد الشمس والقمر  
معنى من العلة الأولى التي سبقت      خلق الهيولى وبسط الأرض والمدر  
فأنت بالله دون الخلق مُتَّصِلٌ      وأنت لله فيهم خير مؤتمر  
وأنت آيته من نسل مرسله      وأنت خيرته الغراء من مضر  
لوشئت لم ترض بالدنيا وساكنها      مثوى وكنت مليك الأنجم الزهر  
ولو تفاظنت الألباب فيك درت      بأنّها عنك في عجز وفي حصر

ففي هذه الأبيات نرى الشاعر يمدح الإمام العزيز بالله ليس كغيره من الملوك لأنّ نفس الإمام الشريفة اللطيفة هي روح قدسية حلّت في جسم كثيف ترابي، وأنّ هذه النفس اللطيفة تناسب العقل الكلي - الذي سمّاه الشاعر هنا العلة الأولى - وبما أنّ العقل هو أول ما خلق الله فهو سابق لخلق الهيولى، ولما كان العقل الأول هو أقرب مبدعات الله إليه سبحانه، فكذلك الإمام الذي هو مثل العقل، أقرب المخلوقات إلى الله على هذه النسبة، وهو متصل بالله تعالى لأنّ ممثوله العقل الأول متصف بالله تعالى، وأنّ الإمام آية الله تعالى من نسل النبي محمد لأنّ ممثوله العقل هو آية الله الكبرى، وهكذا يستمر الأمير تميم في استغلال هذه الآراء والعقائد الفاطمية في مدح شقيقه الإمام العزيز بالله بحيث لا نستطيع أن نصل إلى فهم أشعاره في هذا المديح دون التوسل إلى ذلك بتطبيق «نظرية المثل والممثل»<sup>(١)</sup>:

(١) راجع: الحياة الأدبية الفكرية في مصر، محمد كامل حسين. م.س. ص ١٦٤.

## مدائح الخليفة العزيز بالله:

كان العزيز أكثر الخلفاء الأئمة سماحة خلق ودمائة أخلاق ومُجِبّاً للأمن والسلام والدعة. لذلك نجد المدائح التي قيلت فيه، تمجّد الخلافة والإمامة والصفات النبوية التي ورثها عن أجداده.

ومن مدائح الأمير تميم به:

عزيزُ به عزّت خلافة هاشم  
تباشرت الدنيا به وبملكه  
فيا بن الذين استنبط الوحي عنهم  
ويا بن الملوك الشمّ من آل هاشم  
إذا عدّ قومٌ للفخار عشيرةً  
وقال يمدحه أيضاً:

سما فطال النجوم مبتدئاً  
يبذل قبل السؤال نائله  
أبلج يستعصم الأنام به  
وللمعالي عليه أبّهة  
ياملكاً أمّ ماله أبدأ  
جود يصب الأنام عارضه  
يابن معزّ الهدى وحسبك أن  
يا صفوة الله من بريّته  
إنك من معشرهمُ جمعوا  
وجاد عفواً فأخجل المطرا  
ثم يلاقي العفاة معتذرا  
ويسمع الدهر منه ما أمرا  
تملأ قلب الشجاع والبصرا  
تفقدته قبل يبلغ الكبرا  
منك وينهلُ مزنه دُرّاً  
تغدوبه سامياً ومفتخرا  
وسرّ عليائه الذي ظهرا  
شمل المعالي ودوخوا البشرأ  
وديوان الأمير تميم يضم العديد من قصائد المدح في الإمام المعزّ والإمام العزيز وكلّها تمجّد حسبهم ونسبهم الشريف وورعهم

وتقاوم وانتسابهم للعترة النبوية الطاهرة، كما تشير إلى همهم الأول والأخير: الذب عن الإسلام ونشر راياته في مشارق الأرض ومغاربها.

ويقول المقداد بن الحسن يمدح الخليفة العزيز<sup>(١)</sup>:

هذا الإمام وبغية الله التي      ماجلها خلق ولا مغبوب  
حرب الجيوش وعاد يحرب ماله      بعطائه فكأنه المحروب  
وقال فيه أيضاً:

إمام إذا ما قدر الأمر أبرمت      سوابق علم الله ما كان قدراً  
تردى رداء النصر حتى كأنما      تكنى أبا المنصور حتماً لينصرا  
وقال يمدحه:

إمام تتوج تاج الفخار      فوافق مفرقه واعتدل  
يعز التراب إذا مشى      عليه فتكثر فيه القبل  
وقال سلمان بن فلاح في مدح الخليفة العزيز أيضاً:

فلأنثرن فرائد الدهر التي      من حقه في وصفه أن تنثرا  
بل لا أزال مدى حياتي داعياً      أن لا يزال مملكاً ومعمراً  
والله أهل أن يجيب دعاء من      لو أنه يهديه كونا قصراً  
وقال عبد المحسن الصوري يمدح الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين<sup>(٢)</sup>:

جفن على شوك القتادة يطبق      وجوى إلى حيث اللبنة يسبق

(١) الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، م.س. ص ٢٥٥.

(٢) ديوان عبد المحسن الصوري، ابن غلبون. م.س. ص ٣٢٠.

ويكون كالظن البعيد لعائدي  
أيطيق كتمان الصباية من له  
وكأن مادام قلبه من جفنه  
وكان وجنته حنيئة عاكف  
إلحق سرائرك التي أركبتها  
لا تعجبنا لناظري إذا هما  
فالشاهدان الشاهدان على الهوى  
أنا للنوى إن لم أشد مع النوى  
حيث الصوارم والجماجم صخبه  
وبحيث عهد المشرفية للطلی  
ظلمات ذي القرنين كن مسالكي  
ورأيت نوراً في نزار كلما  
وبحيث مصر للغيوث كفاية  
يلقاك نور الحق قبل لقاءه  
أل النبي هم النبي وإنما  
أبت الإمامة أن تليق بغيرهم  
فترى الأكارم إنما اكتسبوا الندى  
وكانما خلق العزيز نسالهم  
أمطلق الدنيا ثلاثاً بالندى  
كم موزد ما زلت تشرع مضدري  
فاسير والحدثان لي مستيقظ  
سبقت لعبد المحسن الحسنی بكم

كمدى فما ينفك أو يتحقق  
في كل جارحة لسان ينطق  
نار يطير لها شرار محرق  
والدمع قنيديل عليه معلق  
(تحت) الدموع فأنها لا تلحق  
سفاوحا وفي يدك القواد الأشوق  
سالاك ما فعل الأسير المطلق  
عزمي إلى حيث التفروق يفرق  
والبيض بالبيض الرقاق تفلق  
من عهدنا لك بالمودة أوثق  
فأنشق لي منها صباح مشرق  
القاء من وصب وتلقى الأينق  
بغيوث راحته التي تتدفق  
فيها وبينكما دروب تغلق  
بالوحي فرق بينهم فتفرقوا  
أهل الرسالة بالإمامة أليق  
من فضل ما جادوا به وتصدقوا  
من قبل خلقه جسمه فتخلقوا  
زهداً فليست بالثلاث تطلق  
عنه ورايات العلى لي تخفق  
وأعود وهو من المهابة مطرق  
وبحبكم فطريقه تستطرق

ولقد تبين عجزه عن مدحك كل التبين وهو غال مغرق

وقال أبو الرقعمق يمدح الإمام العزيز بالله<sup>(١)</sup> بقصيدة مطلعها:

قلبي - لك الخير - بالأفراح معمور مستبشراً جذل بالفتح مسرور

يقول فيها:

خُذْ فِي هَنَاتِكَ مِمَّا قَدْ عُرِفَتْ بِهِ  
وَأَحْكَ الْعَصَافِيرِ صَصَى صَصَى  
فَفِيكَ مَا شِئْتِ مِنْ حُمُقٍ وَمَنْ  
كَمْ رَامَ إِدْرَاكَه قَوْمٌ فَأَعْجَزَهُمْ  
لَا تَنْكُرُنَّ حِمَاقَاتِي لِأَنَّ بِهَا  
وَلَسْتُ أَبْغِي بِهَا خِلاً وَلَا بَدَلاً  
لَا عَيْبَ فِي سِوَى أَنِّي إِذَا طَرَبُوا  
وَالْأَخْدَعَانَ فَمَا زَالَا يُرَى بِهِمَا  
وَذَا الْفَعَالَ مَعَ الْإِعْرَاضِ مُطَرِدٍ  
فَذَا وَذَاكَ وَفَذَا ثَمَّ ذَاكَ وَذَا  
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِمَّا قَلْتَهُ عَيْبًا  
أَقُولُ لِلنَّفْسِ لِمَا اسْتَشَعَرْتَ جَزَعًا  
إِنَّ الْإِمَامَ نِزَارًا مَدَحَهُ فَثَقِي  
هُوَ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَ اللَّهِ مِنْ أَحَدٍ  
مُسْمَرٌ فِي الْمَعَالِي ذَيْلٌ مَجْتَهَدٍ

(١) يتيمة الدهر، الجزء الأول، ص ٣٢٧.

## قصيدة ذات الدوحة:

يقول الشاعر الإسكندراني يمدح الخليفة العزيز:

سئمت من البين الذي ليس يصدق  
أمّدح رهطاً غير رهط محمد  
ولا فضل لي في ذابل الفضل فضل من  
أئمة دين الله مذاق دينه  
محبّتهم فرض على الناس واجب  
هم العروة الوثقى، هم منهج الهدى  
ولولا هم لم يخلق الله خلقه  
هم دوحة الدين التي تثمر الهدى  
تجير من الأيام من يستظلها  
سقاها غمام الوحي علماً فأينعت  
جرت في تخوم المحكمات عروقتها  
هم الأصل منها والأئمة فرعها  
إلى أن تسامت بالعزيز ولم تكن  
فباهت على الأيام أيامه التي  
سحائب جود لا يغيب غمامها  
لئن فقد الناس المعز لدينه  
تجددت الدنيا علينا بيمينه  
ولا الجود ممنوع ولا المجد خامل  
تضوّع نشر العدل في كلّ بلدة  
ملأت قلوب العارفين محبة

فلمست بغير الحق والصدق أنطق  
وفي الجيد عهد للإمام مؤثّق  
بهم يحرم الله الأنام ويرزق  
وأنوار هذا الخلق من قبل يخلق  
وعصيانهم كفر إلى النار موبق  
هم الغاية القصوى التي ليس تلحق  
ولم يك في الدنيا ضياء ورونق  
وباليمين والتقوى تظل وتسبق  
وتحي من الموت الجهول وتطلق  
بمكنون علم الله فالدين مونق  
وفوق الثريا فرعها متعلّق  
ففي كلّ عصر نورها يتألق  
بغير أبي المنصور لو كان يلئق  
تكاد لها صمّ الجنادل تورق  
ويحر سماح بالندى يتدفق  
لقد قام بالدين العزيز الموفق  
فلا العيش مذموم ولا الدهر أخرق  
ولا العرف مقطوع ولا النكر مطلق  
ونشر الثناء الطيب للطيب يعبق  
فكل على مقداره يتشوّق

فلا صامت إلا بحبِّك ناطق  
فضائل مولانا العزيز جليلة  
غرست على بيت من الشعر دوحة  
فألفت من بيت بيوتاً كثيرة  
فسبع وسبع عن يمين ويسرة  
بمدح أمير المؤمنين لأنها  
عليه صلاة الله ما لاح كوكب  
وتلك هي الأبيات السبعة الأولى

كسى الدين والدنيا نزاراً جلابياً  
١- كسى الشرق والغرب الإمام غرائباً  
٢- كسى الدين من لا دين له إلا بحبه  
٣- كسى الدين والدنيا العزيز جلابياً  
٤- كسى الدين والدنيا نزاراً هداية  
٥- كسى الدين والدنيا نزاراً جلابياً  
٦- كسى الدين والدنيا نزار جلابياً  
٧- كسى الدين والدنيا نزار جلابياً

أما الأبيات السبعة الثانية فهي كالتالي:

١- كسى الدين والدنيا نزار جلابياً  
٢- كسى الدين والدنيا نزار جلابياً  
٣- كسى الدين والدنيا نزار جلابياً  
٤- كسى الدين والدنيا نزار سلامة  
٥- كسى الدين والدنيا حدائق نعمة  
من اليمن والإيمان فالشك مغلق  
من اليمن والإقبال فالدهر مطرق  
مجددة في نعمة ليس تخلق  
تزيد على طول الزمان وتسبق  
فروض ترى الإيمان بالزهر مونق



٦- كسى الدين بالمعروف والجود جنة تحصنه ممن يحيد ويمرق  
٧- كسى عدله الايام نوراً وبهجة فها السن الايام بالشكر تنطق  
فإذا تمعننا جيداً بالطريقة التي اتبعها الشاعر في إنهاء قصيدته  
التي شبهها بالدوحة وجعلها أغصان من بيت الشعر الأساسي الذي  
اعتبره الجذع، نجد أنه قسم هذا البيت إلى ست نوتات صوتية فرعية  
ونوتة أساسية استعملها في بداية كل بيت. وبدأ يستعمل هذه  
النوتات من أولها إلى آخرها ثم عاد بها واستعملها من آخرها إلى  
أولها وهذه النوتات هي:  
النوتة الأساسية: كسى.

#### النوتات الفرعية:

- ١ - الدين.
- ٢ - والدنيا.
- ٣ - نزار.
- ٤ - جلابياً.
- ٥ - من اليمن.
- ٦ - والإيمان.

أما القافية فلم يعتبرها نوتة صوتية لأنها مماثلة لبقية القوافي.  
«فالشاعر هنا قد ألزم نفسه بأن يبني بيتين من الشعر على كل  
كلمة من كلمات البيت الأخير، وأن يفرع عن يمين وشمال هذا البيت  
الأخير أربعة عشر بيتاً، سبعة أبيات عن يمين. وسبعة عن شمال

حتى تتخذ القصيدة شكل الدوحة، وما رأينا أحداً من شعراء العربية يتلاعب بمثل هذا التلاعب قبل هذا الشاعر الفاطمي<sup>(١)</sup>.

### مدح الخليفة الحاكم بأمر الله:

كانت تصرفات الحاكم بأمر الله مصدراً لهجوم المؤرخين على الفاطميين بشكل خاص، وعلى الطوائف الإسلامية الشيعية بشكل عام، كما كانت مصدراً لتحريض وتعبئة الأمة الإسلامية على الشيعة والتشيع، لذا نجد الكثير من شتائم للحاكم نثراً وشعراً، أما مدائحه فقد مُجيت وأحرقت كما أحرقت التراث الإسلامي الشيعي الفاطمي المصري بمعظمه.

عندما ولد الحاكم، مدحه عمه الأمير تميم بن المعز بقوله:

|                              |                          |
|------------------------------|--------------------------|
| ليهن الملك مالكة الجديدُ     | ووارثه وإن رغم الحسودُ   |
| أتيت به أبا المنصور فرداً    | تنير به الليالي وهي سود  |
| يلوح عليه منك هديٌّ وفضلٌ    | ويظهر فيه منك حجىٌ وجود  |
| وليد كانت الدنيا تُرَجى      | ولادته وترقبه السعود     |
| وكم رَصَدَتْهُ آمالُ البرايا | حوافل قبل يظهره الوجود   |
| وكم رجيت الخلافة أن تراه     | كما يرجوا أحبته العميد   |
| إلى أن تمَّ أمر الله فيه     | ولام السعد واقترب البعيد |
| وأعطيت الخلافة ما تمَّت      | به والله يفعل ما يريد    |
| عزيزي نزارِي مليك            | له الدنيا ومن فيها عبيد  |
| فآيات القرآن له تراث         | وأبناء النبي له جدود     |

(١) راجع: أدب مصر الفاطمية، محمد كامل حسين، م.س. ص ١٧٥.

ومدحه محمد القيسي بقوله<sup>(١)</sup>:

إن كان قد غاب العزيز فلم يغب  
إن سار سار الفخر تحت ركابه  
من لم يكن مستمسكاً بلوائه  
وقال أيضاً:

تألق برق الحق في سحب الهوى  
وأشرقت الأحكام بالحاكم الذي  
تكلم هذا الدهر عنه بعدله  
وأصبحت الأيام بيضاً نواضراً  
فسح علينا منه غيثاً وأمطرا  
به عاد غصن الدين رياناً أخضرا  
وأفصح بالقول الزمان وخبراً  
وعاد غنياً كل من كان مُقتِراً

في مدح الحاكم أيضاً:

وأنشد علي بن منصور المعروف بابن القارح قصيدة على وزن  
منهوكة أبي نواس يمدح فيها الحاكم بأمر الله، منها قوله:  
إن الزمان قد نضُر بالحاكم الملك الأغر  
في كفه عضب ذكر فقد دعا على القصر  
من غره على القرر يمضي كما يمضي القدر  
في سرعة الطرف نظر أو السحاب المنهمر  
بادر بإنفاق البدر بدر إذا لاح بهر  
وقال محمد بن القاسم المعروف بصناعة الدوح في مدح الحاكم،  
وقد حدثت زلزلة في مصر<sup>(٢)</sup>:

(١) الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، م.س. ص ٣٠٩.

(٢) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ١٩٨.

بالحاكم العدل أضحي الدين معتليا نجل العلا وسليل السادة الصلحا  
مازلت مصر من كيد يراد بها وإنما رقصت من عدله فرحا  
وقال حسين بن أحمد الواسطي يمدح الإمام الحاكم بأمر الله<sup>(١)</sup>:

من مثلكم يا آل طه أنتم سببٌ إلى البركات والغفران  
بكم عرفنا الله جلَّ جلاله وضمنكم للحق خيرُ ضمان  
ومن قصيدة يمدح بها الخليفة الحاكم بأمر الله قال الشاعر  
العالمي عبد المحسن الصوري<sup>(٢)</sup>:

ما طوَّلَ اللَّيْلَ القَصِيرَا ونَهَى الكَوَاكِبَ أَنْ تَغُورَا  
حَتَّى إِذَا مَا الحَاكِمَ المَنْدُ حُورُ قَامَ لَهَا نَصِيرَا  
ظَهَرَتْ دَلَائِلُ لَمْ تَجِدْ مِنْ دُونِ دَوْلَتِهِ ظَهَيْرَا  
يَا مَسْتَمِدًّا مِنْ مَنَاقِبِهِ يَسْطُرُهَا سَطُورَا  
هَلْ كَانَ عِنْدَكَ أَنْ فِي الأَقْلَامِ مَا يُقْنِي البُحُورَا  
وفي قصيدة ثانية يقول قصيدة مطلعها<sup>(٣)</sup>:

خَلَا طَرْفُهُ بِالسُّقْمِ دُونِي يُلَازِمُهُ إِلَى أَنْ رَمَى سَهْمًا فَصَرْتُ أُسَاهِمُهُ  
عدد أبيات القصيدة خمس وعشرون، تغزَّل واشتكى من السهر،  
وذكر المحرَّم وظلم بني أمية، ونصح الباكين على مصرع الحسين  
أن يتركوا البكاء عليه إلى الصوارم، وأن الظالمين خسروا الدارين، ثم  
امتدح تدبير الوزير (برجوان) وذكر وقعة باسيل ملك الروم مع  
المسلمين على عهد العزيز بالله واندحاره أمام المسلمين. وهكذا

(١) الدرر المضية في أخبار الدولة الفاطمية، م.س. ص ٣٠٩.

(٢) ديوان عبد المحسن الصوري، ابن غليون. م.س. ص ٨.

(٣) م.س. نفسه. ص ٩.

انتهت القصيدة ولم يرد مدح الحاكم بأمر الله إلا في بيت واحد، هو:  
وَجَدَّدَ عَهْدَ الْمُصْطَفَى بَعْضُ أَهْلِهِ وَحُكْمُ فِي الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ حَاكِمُهُ

مدح الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم:

قال داعي الدعاة هبة الله الشيرازي يمدح الخليفة الظاهر ابن الحاكم<sup>(١)</sup>:

قد عزّ دين الله بالظاهر      مولى الأنام الباطن الظاهر  
نجل الإمام الحاكم المجتبي      وابن الإمام الطيّب الطاهر  
يا ابن رسول الله يا خير مَنْ      أنشئ من باد وحاضر  
من ذا يباريك وضوء الضحى      مقتبس من نورك الباهر  
يا ظاهراً، وجه التقى ناضر      مستبشّر من وجهه الناضر  
يا ملجأ الضعفا ومنجّاهم      ويا مقبلاً عثرة العائر  
أنت الذي قد تمّمت من أحمد      حقاً مقام القلب والناظر  
أنت الثريا والورى كالثرى      وأنت قصوى مفخر الفاخر  
يا صفوة الأبرار يا خير من      قد قام من ناهٍ ومن أمر  
يا «بلد الله الأمين» الذي      قد زاغ عنه بصر الكافر  
وكاسر أباطل ما أبدعوا      نفسي فداء الكاسر الجابر  
صلّى عليك الله سبحانه      ما يُسمَعُ التغريد من طائر

ومدحه الحسن بن أحمد الكاتب المعروف بابن الخياط<sup>(٢)</sup>:

جمعت لمصر جوامع الأوطار      مولى الملوك وسيّد الأنهار

(١) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، م.س. ص ٢٤١.

(٢) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١١٤.

ظهرت إمارات الرضى من ربنا      بالظاهر بن الحاكم بن نزار  
وغدا يقسم نيله في أرضه      كما يفيض به على الأقطار  
هو ماؤه حيناً وحيناً ماله      يهمني على القاصين والحضار

وإذا قارنا بين تشبيه ابن الخياط للخليفة الظاهر بالنيل وتشبيه  
ابن هاني الأندلسي لجده المعز لدين الله «بالواحد القهار»، لرأينا  
هزال الصورة الشعرية عند ابن الخياط وترهلها. وعند الشيعة  
الإمامية اعتقاد بأن الدنيا كلها خلقت لأجل أهل بيت النبي، فما يكون  
النيل أمام الدنيا؟.

وجاء أيضاً في قصيدة ابن الخياط:

عصر الإمام الظاهر المولى الذي      أبدأ أنتيه به على الأعصار  
شمس الملوك ووارث البيت الذي      أنواره غطت على الأنوار  
أمنت رعيته وخاف عدوه      وتبدل الأشرار بالأخيار

ومدحه أبو القاسم عبد العزيز بن أبي الكرام بقوله<sup>(١)</sup>:

يا من تتوج بالخلافة فاكتست      غرراً بغيره وجهه وحجولا  
إن المعدك في المعاد ذخيرة      بلغ المراد وأدرك المأمولا  
لولا الرسول، ولا دفاع لفضله      ما كنت أذفع أن تكون رسولا

وقال فيه أيضاً:

يا ذا الذي يُزهي علي بحسنه      وهو الخلافة بالإمام الظاهر  
ملك يلين إذا استلين تعطفأ      ويعز في الهيجاء عزة قادر

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١٥٧.

## مدح الخليفة المستنصر:

قال المؤيد في الدين، داعي الدعاة، هبة الله بن موسى الشيرازي  
يمدح الخليفة المستنصر وكان حين تولى الخلافة طفلاً:

الله ينصر راية المستنصر      بالله مولانا الإمام الأظهر  
ويديم دولته ويجبر كسرنا      في «الظاهر» الغصن الرطيب الأخضر  
السيد المولى الموارى في الثرى      غَضُّ الشباب بنور وجه أقمري  
صلّى الإله على مقدّس روحه      أبداً وجسم في ثراه مطهر  
ويخاطب الخليفة الطفل بقوله:

أشبهت عيسى في الذي أوتيته      طفلاً من النعماء ولما تُقصر  
أنت الذي يعنو الزمان لبأسه      صِغراً فتلبسه لباس مُسخر  
يا بن النبي المصطفى ووصيه      وبتوله وابن الصفا والمشعر  
صلّى عليك الله ما كشف الدجى      عن وجهه ضوء الصباح الأزهر  
وفي قصيدة ثانية خاطبه بقوله:

يا إماماً كلّ الفخار وراء      في قياس إليه وهو أمام  
أنت مما تقدّمت به الأقدام      في كلّ مُعْجَزٍ قُدَّام  
بكم آدم استجار بدياً      واستفاد الفخار نوح وسام  
وكلّيم الإله بعد خليل      ومسيح قوائم الصوام  
يا وليّ الإله يا من به      تقبل مناصلاتنا والصيام  
يا وليّ الإله صلّى الله      عليك ما غردت بشجو حمام  
وتجلّى صبح وأظلم ليل      وتقضى عام وأقبل عام

وقال فيه أيضاً<sup>(١)</sup>:

نجل النبي المصطفى      مولى به العشواء تجلو  
وابن الأولى بهداهم      فينابدأ خُرْمٌ وجرلٌ  
الراكعين الساجدين      عليهم ياقوم صلّوا  
الطاهرين الظاهرين      فجَلّ مولانا وجرلوا  
مولى مواليه الأعزُّ      كما مَعَاديه الأذلُّ  
ذو نسبة بالمصطفى      والمرضى يسمو ويعلو  
يامن ملوك الأرض ملكُ      يديه والعُبدانِ كُلُّ  
وله ملائكة السماء      جميعها خيلٌ ورخلٌ  
صلى عليك إلّهُنا      مادام بَعْدُ ودام قَبْلُ

المستنصر ثامن الخلفاء وثامن الكواكب السبعة:

وقال ولي الدين أحمد بن حران الكاتب يمدح المستنصر<sup>(٢)</sup>:

إنّ الحقائق قد تبلى نورها      لما تتوّج بالهدى المستنصرُ  
هو ثامن الأملاك قام وثامن      الأفلاك أعلى في النفوس وأكبرُ  
سادت معاليه كواكب سبعة      بضياؤها تحيا النفوس وتبصرُ  
شرف الزمان بهم فصارت أرضه      فلَكَأهُمُ فيها كواكب زهُرُ

وقال ابن أبي حصينة في مدحه أيضاً<sup>(٣)</sup>:

هو حجة الله العليّ فلا تكن      متعلقاً أبداً بغير حباله

(١) ديوان المؤيد في الدني داعي الدعاة، م.س. ص ٢٤٣.

(٢) الدرّة المضيّة، م.س. ص ٤٥٤.

(٣) الدرّة المضيّة، م.س. ص ٤٥٥.



وعلاسرير الملك من آل الهدى  
أوفى البرية كلَّها بعهوده  
لورام تحويل الزمان ونقله  
عن طبعه لأماله عن حاله  
وقال عبد الباقي التنوخي يمدحه ويذكر بأخذه بغداد<sup>(١)</sup>:

أنت الذي نطق الكتاب وبشّرت  
تمحى برؤياك الذنوب كأنما  
هذا الإمام معدّ أفضل كل من  
سائل بني العباس عنه فعندهم  
لما طغى فرعونهم صارت إلى  
لم يكف أن دكّت أسرة ملكه  
من يعتقده في من سواك إمامة  
صغنا لك الأشعار يامن  
بقدمك العلماء والأخبار  
رؤياك عند المذنب استغفار  
وَلَدَت مَعَدُّ قَبْلَهُ وَنَزَار  
خبر الذي هو عندنا استخبار  
أن حاط منك به قُوَى ودمار  
حتى حواه بعد ذاك أسار  
فإمامه خزي له وشنار  
صيغت الآيات فيه فضاعت الأشعار

الناس آمنون في عهد المستنصر:

ومدحه ابن أبي حصينة المعري أيضاً<sup>(٢)</sup>:

ظهر الهدى وتجمّل الإسلام  
مستنصر بالله ليس يفوته  
حاط البلاد وبات تسهر عينه  
قصر الإمام أبي تميم كعبة  
لولا بني الزهراء ما عرف التقى  
وابن الرسول خليفة وإمام  
طلب ولا يعتاص عنه مرأ  
وعيون سكان البلاد نيام  
ويمينه ركن لها ومقام  
فينا ولا تبع الهدى الأقسام

(١) م.س. نفسه. ص ٤٥٧.

(٢) ديوان الشاعر ابن أبي حصينة، الجزء الثاني، ص ٢٤٦.

يا آل أحمد تُبَّتت أقدامكم وتزلزلت بعداكم الأقسام  
لستم وغيركم سواء أنتمُ للدين أرواح وهم أجسام  
يا آل طه حُبُّكم وولاؤكم فرض وإن عدل الوشاة ولاموا  
وإشارة ابن أبي حصينة إلى حالة الأمن والأمان التي ينعم بها  
المصريون سببها حالة الفوضى وانعدام الأمن التي كان يعيشها أهل  
بر الشام، رغم وقوعهم تحت حكم الخلافة المصرية. لكنَّ حكامهم  
كانوا يخطبون لمن يدفع أكثر. لذلك كانت عواصم الشام مهددة  
بالانقلابات السياسية والعسكرية الكثيرة.

### مدح الخليفة المستعلي:

قال الشاعر عبد الباقي التنوخي يعزِّي بالمستنصر ويبايع  
المستعلي بالله<sup>(١)</sup>:

وليس ردى المستنصر اليوم كالردى ولا رزؤه أمرٌ يقاس به أمرٌ  
لقد هاب ملك الموت إتيانه ضحى ففاجأه ليلاً وما طلع الفجر  
وأجرت عليه حين مات دموعها السماء وقال الناس: لابل هو القطر  
وقد بكت الخنساء صخراً وأنه يبكيه من فرط المصاب به الصخر  
وقُدَّها المستعلي الطهرُ حسبما عليه قديماً نصّ والده الطهر  
وفي هذا البيت إشارة إلى أنَّ المستعلي ورث الخلافة والإمامة  
بالنصّ من والده المستنصر، والتاريخ أشار إلى أنَّ المستنصر نصّ  
على ولده البكر والأكبر نزار الذي كان له من العمر حين وفاة أبيه

(١) الدرّة المضيئة، م. س. ص ٤٥٧.

خمسون سنة، وبينما كان للمستعلي من العمر تسع عشرة سنة. ولا يعقل أن يرتكب الإمام المعصوم غلطة. شنيعة بحق الإمامة والخلافة والإسلام كمثل هذه الغلطة، لأنَّ بها ستكون نهاية الإمامة والخلافة وهكذا كان، فسبب انشقاق الإسلام الشيعي الإمامي في مصر إلى مستعلية ونزارية، دقَّ أول اسفين في نعش الإمامة والخلافة والدولة.

وقال ابن عبد الباقي في المستعلي أيضاً:

إن كان قد أوصى مَعَدًّا فانظروا      المستعلي العالي ابنه وتبصروا  
تجدوا الإمام أبا تميم نيِّراً      ما غاب حتى لاح منه نَيْرُ  
وكذا الإمامة كالحديقة لم تزل      غصن بها يذوي وآخر يُثْمِرُ

وقال أيضاً:

عاد عود العلياء غَضًّا طرياً      واستجدَّ الزمان خلقاً رَضِيًّا  
ورأينا المستعلي العالي الجدَّ      كأنما به رأينا النبيَّا  
وشهدنا معه المعزَّ مع القائم      يتلو المنصور والمهديا  
وحباهم وعدأ به فأتاهم      إنَّه كان وعده مأتيا  
صلوات الإله تترى عليه      آخر الدهر بكرة وعشيا  
وكان المستعلي اسمه أحمد      فقال ابن عبد الباقي أيضاً يمدحه

ويذكر بأهمية هذا الاسم وأهميته لمصر:

لقد فضَّل الخلاقُ أحمد في الوري      وفضَّل في البلدان من أجله مصرا  
تَحَدَّى رسول الله اسماً وكنية      وطهراً فأضحى مثل آبائه طهرا  
فيارب هنيئاً به وأطل به      كوالده المنصور الباع والعُمرا

ومدحه محمد بن محمد الحسن بن بقوله (١):

سليـل النبي و فرع الوصي طال فخاراً وطاب اختياراً  
وارثُ الخِلافة حقّ له إذا ما سواه ادّعى واستعاراً  
وإن تميّزوا فيه بعد اليقين فحاميم أكرم من أن تُمارى  
وقد ذكّر الشاعر الناس بقوله تعالى في سورة الشورى الآية ٢٣:  
﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى﴾. - وهذه الآية هي  
إحدى الآيات التي تفسرها الشيعة الإمامية أنها نزلت في الإمام علي -  
عليه السلام - وأنها نصاً صريحاً بولايته وإمامته وخلافته للنبي (ص).

ومدحه الحسن بن حيدرة بقوله:

مَلَكُ التي ما أن تنال بحيلة بل مؤلِّدٌ يقضى بها وإن جاز  
سرّاً تنقل كابرأ عن كابرٍ حتى أتته بمحضها الأسرارُ

مدح الخليفة الأمر:

قال محمد بن محمد الحسن بن يمدح الخليفة الأمر (٢):

أهدى الزمان لنا بشائر سعه ووفى لأبناء الرجاء بوعده  
واستلّ من جفن المعالي صارماً يفري الخطوب القادحات بحده  
نور النبوة والإمامة أصبحا يتالقان على ضياء فرنده

ومدحه الحسن بن حيدرة أيضاً فقال:

نخر الخِلافة أبدته سعادتها وكان في عينها من قبل مكتتما  
سرّ من الله تخفيه إرادته عن الجهول وتبديه لمن علما

(١) الدرّة المضيّة، ص ٤٥٨.

(٢) الدرّة المضيّة، م.س. ص ٤٥٩.

وقال فيه أيضاً:

ورث الخلافة كابرأ عن كابر شهدت بذاك بواطن وظواهرُ  
شفع النبوة بالخلافة إنّه فيها بأحكام المهيمن أمرُ  
ومدحه محمد بن القاضي الموفق فقال:

يا عاشر الخلفاء والمحيي لهم ذكرأ روايتنا له عن طاها  
أخجلت بالكرم السحائب بعدما كانت تُفاخرُ بالندی وتباها  
وحسمت أدواء القنوط لأنفس فجعلتها تقوى على تقواها  
فأسلم على رغم الليالي أمراً فيها فأنت سناؤها وسناها  
وقال فيه أيضاً:

إمام تذل الحادثات لعزّه يعيد ويبيدي والليالي رواغم  
تداركنا والمكرمات دوائرُ يعمّ صداها والمعالي معالم  
وقال ظافر الحداد يمدح الخليفة الأمر أيضاً:

لأمر الأمر انتهت الليالي على حالي وفاقٍ واختلاف  
فهنّ لحزبه كالشهد لكن لمن عاداه كالسمّ الزعافِ  
مدحتك واختصرت وذاك معنى أشير به لأفهام لطافِ  
ومدحك في كتاب الله نصٌ وحسبك منه كافٍ أيّ كافِ  
وقال أيضاً:

صلّى الإلاه عليك يا بن رسوله وهدي لطاعتك الوري لسبيله  
فبك استقرّ الحقُّ وأنّضح الهدى وأبان للثقلين وجه دليله  
يا بن الأئمة من ذؤابة هاشم شرفٌ سما بفروعه وأصوله  
ومبيد ملك الروم بالنصر الذي نطقت به الآيات من إنجيله  
أنت الذي بعث الإله لنا به آباءة فتمثّلوا بمثوله

ماذا يقول المادحون وقد بدا  
 وتقول مكة عند ذاك وطيبة  
 هذا ضياء الله والمعنى الذي  
 هذا ابن من أدناه منه إلهه  
 هذا ابن من نطق الذراع لجده  
 أغنت هباتك قطر مصر عن الحيا  
 الأمر المنصور والجبل الذي  
 هو واحد والناس طراً بعضه  
 وقال ظافر الحداد يمدح الخليفة الأمر أيضاً:

هذا الإمام إمامي حاضر بادي  
 هذا مقام سماع كل مرتبة  
 ها غرة الأمر المنصور مشرقة  
 يا ابن الأولى سلفوا من هاشم ولهم  
 كم قدر مدحي ومدح الخلق فيك وقد  
 يا عروة فاز المستمسكون بها  
 فخر ألفسقاط مصر إذ حلت به  
 نهر تنافسه الدنيا وتحسده  
 لأنك وارث ملك الأرض قاطبة  
 وسوف تكمل ما استوجبت حوزته  
 بجند نصرك فرسان ملائكة  
 بها أمدأباك الله في أحد  
 بقيت يا جملة الفضل التي عظمت

فاليوم أشرف أيامي وأعيادي  
 تسمولها في المعالي نفس مرتاد  
 في الدست يبهجها مدحي وإنشادي  
 مدح يكرره الشادي على النادي  
 مدحت بالوحي وهو السابق البادي  
 أنت الشفيح وأنت المرشد الهادي  
 مستوطناً ولوادي النيل من وادي  
 عليك دجلة في أكناف بغداد  
 ومدعيه سواك الغاصب العادي  
 بمُنزَل الوحي لا أخبار آحاد  
 لا ما يرى الناس من خيل وأجناد  
 وفي حنين وبدر أي إمداد  
 عن أن تُقاس بأمثال وأنداد

فأنت للخلق روحٌ طاهر وبه يحيا ولولاك أضحى رمّ أجساد  
وينهي القصيدة بذكر عوايد الخلفاء المصريين في الأعياد فيقول:  
فاخطب، وصلّ، وعيّد وانحر البدن العظمى، وثنّ بأعداء وحساد  
إشارة إلى خطبة العيد وصلاتها، وتوزيع الهدايا والعطايا في  
الأعياد ونحر أكثر من ثلاثة آلاف رأس ما بين غنم وبقر يبدأها  
الخليفة بيده فينحر ما لا يقل عن مائتي رأس بقر.

### مدح الخليفة الحافظ لدين الله - أبو الميمون عبد المجيد:

قال الشاعر الإسكندراني ظافر الحداد يمدح الخليفة الحافظ لدين  
الله<sup>(١)</sup>:

إن الخلافة لم تزل عن أصلها بل أصبحت في ملك ناظم شملها  
صارت إلى من لحوها غيره ما كان مضطرباً بأسر ثقلها  
وفي هذين البيتين إشارة إلى الخطر الذي تهدد مركز الخلافة  
الشيوعية الفاطمية في مصر بعد وفاة الأمر، لأنّه لم يتخلف بوريث  
يرثه، مما اضطر للبحث عن وريث فكان عبد المجيد، «أبو الميمون»-  
وقال فيه أيضاً:

يا حجة الله التي وجبت على أهل الزمان بفرعها وبأصلها  
واعتبر انتقال الخلافة والإمامة من الأمر إليه كانتقال النبوة  
والإمامة والخلافة من النبي (ص) إلى الإمام علي (ع):  
ورث ابن عمّ محمّد من بعده حقّ الخلافة منصفاً في نقلها

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢٦٢.

وورثت أنت عن ابن عمك حقها  
يا حافظاً للدين حُفُظَ حياطة  
يا ابن النبوة والخلافة والألى  
الفرض طاعتكم وطاعة غيركم  
إن الصلاة بكم تصحُ وذكركم  
قد كان قبلك نيل مصر مقصراً  
حتى وليت فأدركتها رحمةً  
وقال يمدحه أيضاً:

فجرى قياس خلافه في شكلها  
بسياسة ما شوهدت من قبلها  
نهضوا بصعب المكرمات وسهلها  
تَبَعُ لها بضرورة من أجلها  
تتميمها في فرضها أو نفلها  
والناس في جزع لو اُفد مَحَلها  
يتتابع الغيث الغزير بمثلها

يا من مضى فاعتضت عن أيامه  
الحافظُ الدين الذي غمر الوري  
إن قالت الشعراء فيه فأفصحت  
ولئن أطال المادحون فلم يدع  
أنت ابن من ركب البراق إلى العلا  
وأمامه جبريل حتى استفتحا  
يا ابن البتول لقد سما بك منصبٌ  
أغليت سعر الشعر بل أعليته

أوفى نظام المدح في مولانا  
عدلاً وعمّ جميعهم إحسانا  
فأله أنزل مدحه قرآنا  
لهم كلامُ الله فيه مكانا  
ليلاً يؤمّ عيانها الأعيانا  
باب السماء فجاوزه وبانا  
في المجد فاق ترابه كيوانا  
لما بذلت لأهله الأثمانا

وقال أبو الحسن الأخفش الدمشقي يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

ذَكَرَ الدَّوْحَ بِشَاطِئِي بَرْدَى  
وَالصَّبَا تَمْرُحُ فِي أَرْجَائِهِ  
يَتَمَنَّى الْقِرْنَ أَنْ يَلْبَسَهُ  
وَحَبَابَ فِيهِ يَطْفُو بَرْدَا  
فَتَصَوِّغُ الْمَوْجَ مِنْهُ زَرْدَا  
بَيْنَ أَبْطَالِ الْوَعْيِ لَوْجَمَدَا

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٤٠.



رَكَدَتْ سَارِحَةً الرِّيحُ بِهِ      فَجَرَتْ خَيْلًا وَمَرَّتْ سَرْدًا  
 يَنْثُرُ الْبَدْرُ عَلَيْهِ فِضَّةً      وَتَذِيبُ الشَّمْسُ فِيهِ عَسْجِدًا  
 رَشَّالْوَلْمُ تَكُنْ رِيْقَتُهُ      قَهْوَةً صَافِيَةً مَا عَرَبَدَا  
 تَحْجِبُ الْكَلَّةُ مِنْهُ قَمْرًا      وَيَحْوِزُ الدَّرْعُ مِنْهُ أَسَدًا  
 قَمْرٌ إِنْ هَزَّ مَحَافِي الْوَعْيِ      هَزَّ مَنْ عَطْفِيهِ غَصْنًا أَمْلَدَا  
 لِيَتَّهَمُوا إِذْ مَنْطَقُوا أَعْطَافَهُ      بِالنِّثْرِيَا قَلْدُوهُ الْفِرْقَدَا  
 طَافَ بِالرَّاحِ التِّي لَمْ تَدْرِغْ      بِحَسَامِ الْمَزْجِ إِلَّا زَبَدَا  
 فَعَلَاهَا دُرُّهُ يَا قَوْتَهُ      ذَابَ سَقْمًا جَسْمَهَا فَاطَّرَدَا  
 صِرْفُ جِرْيَالٍ يَرَى تَحْرِيْمَهَا      مَنْ يَرَى الْحَافِظَ فَرْدًا صَمَدَا  
 بَشَّرْ فِي الْعَيْنِ إِلَّا أَنَّهُ      مِنْ طَرِيقِ الْعَقْلِ نُوْرٌ وَهَدَى  
 جَلُّ أَنْ تَدْرِكُهُ أَعْيُنُنَا      وَتَعَالَى أَنْ تَرَاهُ جَسَدَا  
 فَهُوَ فِي التَّسْبِيحِ زُلْفَى رَاكِعٍ      سَمِعَ اللهُ بِهِ مِنْ حَمْدَا  
 تَدْرِكُ الْأَفْكَارُ فِيهِ نَبَأُ      كَادَ مَنْ إِجْلَالُهُ أَنْ يُعْبَدَا

### مدح الخليفة الفائز:

قال الفقيه عمارة يمدح الخليفة الفائز بنصر الله، ويمجد مقام الإمامة والخلافة اللذين يمثلهما الخليفة الفاطمي:

هذا المقام الذي لولا كرامته      ما أشرقت في السماء السبعة الشهبُ  
 نور النبوة في ذا الدست مؤتلفُ      بالناظرين ونار العزم تلتهب  
 تمسي وتصبح في إيوانه أبدأ      بيض المنى والمنايا السود تصطب  
 في صدره فائز بالنصر محتجب      بنوره وبتاج العزِّ معتصب  
 انظر إلى وجهه تنظر إمام هدى      خير الوري رضي الأملاك أم غضبوا  
 لا يستوي وملوك الأرض في شرف      إلا كما يتساوى الصفر والذهب

لولا الصلاة عليكم ما استجيب لمن يدعو ولا رفعت عن دعوة حُجْبُ  
 وأنتم العروة الوثقى فلا انفصمت وحبكم في دخول الجنة السبب  
 لله في أهل هذا القصر سابقاً من الإرادة من أسرارها عجب  
 وقال يمدحه ويقارن بين تسميته خليفة وبين تسمية النبي (ص)  
 لجدّه عليّ بن أبي طالب وصياً بمناسبة الإحتفال بعيد الغدير:

ورثت الهدى عن نص عيسى بن حيدر وفاطمة لانصّ عيسى ابن مريم  
 وقال أطيعوا لابن عمي فإنه أميني على سرّ الإله المُلْتَمِ  
 كذلك أوصى المصطفى في ابن عمّه إلى مُنْجِدِ يَوْمِ الْغَدِيرِ وَمُتْهِمِ  
 علىّ يستوي فيه قديمٌ وحادثٌ وإن كان فضل السبق للمتقدّمِ  
 ملكت قلوب المسلمين ببيعةٍ أمدّت بعقدٍ من ولائك مُبْرَمِ  
 وأوتيت ميراث البسيطة عن أب وجدٍ مضى عنها ولم يتقسّمِ  
 لك الحقّ فيهادون كلّ منازع ولو أثنى نال السماك بسُلْمِ  
 ولو حفظوا فيك الوصيّة لم يكن لغيرك في أقطارها دور درهم  
 ليُعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ جَلُّ جلاله أفادك معنى العلم قبل التعلّم  
 وأنك نور للهدى متجسّدٌ ولست كأجساد من اللحم والدم  
 وأنك محروس المكانة عنده حراسة معصوم البصيرة ملهم  
 ولولا التغالي قلت فيك مقالة يخلدها في جبهة الدهر ميسمي  
 ولكن كفاني أنك خالد المناقب في أيّ من الذكر محكم  
 وكلّ زمان أو مكان رضيتم به فهو في الإسلام أكرم موسم

إذا كان هذا القول يصدر من شاعر سنيّ المذهب ويعتبر نفسه  
 غير مُغالٍ بالخلفاء المصريين، فلن نلوم الشعراء المصريين الشيعة  
 إذا غالوا أمثال ابن هاني الأندلسي وغيره.

## مدح الخليفة العاضد:

الخليفة العاضد هو آخر الخلفاء الفاطميين والمدائح التي قيلت فيه لا يختلف مضمونها وتوجهاتها عن مدائح أجداده الثلاثة عشر خليفة السابقين، فهم من نبعة الخلافة وشجره الإمامة لا يعلو عليها عال ولا يسبقها في مجال الفخر مجال.

وكيف وإذا كانوا يعملون ليلاً نهاراً من أجل سعادة شعبهم ورعاياهم وأتباعهم في الدنيا والآخرة؟.

وفي ديوان عمارة اليمني الكثير من القصائد العاضديات وسنكتفي باجتزاء بعضها، وهي كافية لإيفاء الموضوع حقّه لأنها من غرر المدائح ودرر الكلام.

قال الفقيه عمارة يمدح العاضد في معرض رثائه للوزير الملك الصالح طلائع بن رزيك:

|                               |                              |
|-------------------------------|------------------------------|
| وأشدّ ما كلّفت خاطر شاعر      | صعب المعاني في الكلام الأسهل |
| لكن مدح العاضد بن محمد        | مفتاح أبواب الكلام المعضل    |
| لو كنت أمدح غير آل محمد       | لرفعته فوق السماك الأعزل     |
| والشعر بالقرآن يخفى نوره      | كالنجم يخفى بالضياء المنجلي  |
| قوم إذا ما أسندوا خير العلى   | جاؤوا بأصدق مسند عن مرسل     |
| ورثوا الإمامة حاضرًا عن غائب  | وتداو لوها آخرًا عن أوّل     |
| من «ظافر» أو «فائز» أو «عاضد» | بيت خلافته على النصّ الجلي   |
| أوصى إليك بها ابن عمك بعده    | نصّاً كما نصّ النبيّ على علي |

وقال يمدحه أيضاً: العاضد بقية الله في الأرض:

خلعت عليك مواسم الأيام      حَلَى الجلال وجرَّة الإعظام  
جلت الخلافة منك فوق سريرها      كنز الهدى وذخيرة الإسلام  
وبقية الله التي ببقائها      تجري الأمور على أتمّ نظام  
بالعاضد المهديّ قُدسَ ذُكره      صحّت لنا الأيام بعد سقام  
متحدّر من نسل حيدر طاهر      إنَّ الطهور العذب نسل غمام  
شاهدته لم أدْرِ هل شاهدته      بمقام ملك أم بدار مقام  
حجبت جلاله قدره أبصارنا      واستأذنت لبصائر الأفهام  
هذا ابن مقتلع الدروب بخيبر      في الله وابن مكسّر الأصنام  
هذا ابن بنت المصطفى وبنو الفتى      أولى من الأصحاب والأعمام  
وهو يذكّر بالخلاف الإسلامي      السنّي الشيعي الطويل: أهل البيت  
أولى بالخلافة من الصحابة وأولى      من أبناء عمهم بني العباس.

ويحث الناس على المزاحمة للفوز بنظرة من العاضد فيقول:

هذا الذي حسدت ثرياه الثرى      حسد الجباه مواطن الأقدام  
زاحم لعلك أن تفوز بنظرة      منه فتحرز أوفر الأقسام

## مدائح الوزراء الفاطميين

يجد المطلع على أدب مصر الفاطمية أن أوصاف ونبوت الوزراء تبقى ضمن الأوصاف الإنسانية ولا تصل إلى مراتب الإمامة والنبوة والذات الإلهية، فهذه الأوصاف حُصِّصت فقط للأئمة الخلفاء.

ومن أهم الأوصاف والنبوت الجديدة التي تميّز بها الوزراء الفاطميين هي رتبة كفيل الخلافة والإمامة، بما معناه أن الوزارة أصبحت شركة تأمين مهمتها تأمين حماية الخلافة والإمامة من كل شر وأذى وتعدّ. وقد ردّها معظم الشعراء المصريين والدمشقيين في مدائحهم للوزراء المصريين.

### مدح جوهر الصقلي:

كان جوهر الصقلي أول قائد فتح مصر وأول وزير ومدبر لأحوال الدولة الفاطمية في مصر وقبل مصر. وكان وقتها منصب الوزير لم يتبلور بعد. وعندما تواترت الأخبار بدخول جوهر الصقلي مصر. قال ابن هاني الأندلسي:

تقول بنو العباس هل فتحت مصر فقل لبني العباس قد قضي الأمر

وقد جاوز الإسكندرية جوهر      تطالعه البشري ويقدمه النصر  
وقد أوفدت مصر إليه وفودها      وزيد إلى المعقود من جسرها جسراً  
فما جاء هذا اليوم إلا وقد غدت      وأيديكم منها ومن غيرها صفر

ويصف الجيوش الفاطمية بأنها جيوش الإله فيقول:

وقد أشرفت خيل الإله طوالعاً      على الدين والدنيا كما اطلع الفجر  
وذا بن نبي الله يطلب وتره      وكان حراً أن لا يضيع له وتر

ويقول في مدح جوهر الصقلي:

غدا جوهرٌ فيها غمامة رحمة      يقي جانبها كلَّ حادثة تعرؤ  
كأنِّي به قد سار في الناس سيرة      توذّلها بغداد لو أنّها مصر  
وتحسدها فيه المشارق أنّه      سواءٌ إذا ما حلّ في الأرض أو القطر  
وليس الذي يأتي بأول ما كفى      فشذّبه ملك وسدّبه ثغر  
فما بمداه دون مجد تخلف      ولا بخطاه دون صالحه بُهْر  
سننت له فيهم من العدل سُنَّةً      هي الآية المجلى ببرهانها السحر  
وأوصيته فيهم برفقك مردفاً      بجودك معقوداً به عهدك البر  
يقول رجالٌ شاهدوا يوم حكمه!      بذاتُ عمر الدنيا ولو أنّها قفر

وقد أثبت التاريخ أنّ مصر فعلاً قد عمرت طيلة العهد الفاطمي  
وأصبح الشعب المصري أغنى شعوب العالم وأترفهم وأكثرهم  
رفاهية ودعة. وكان ابن هانيء تنبأ بهذا الأمر ويتابع مخاطباً  
المصريين:

فحسبكم يا أهل مصرٍ بعدله      دليلاً على العدل الذي عنه يفتر  
رضينا لكم يا أهل مصر بدولة      أطاع لنا في ظلّها الأمن والوفر

وقال أيضاً علي بن عبدالله التونسي يخاطب أمير المؤمنين عليه السلام، ويذكر القائد جوهرأ من قصيدة<sup>(١)</sup>:

وإن اعتلى حسن الثناء بجوهرٍ  
بدرٌ يسير بأنجمٍ وغضنفرٌ  
صان الخلافة باذلاً من دونها  
ومكائداً جاشت أمام جيوشه  
فإذا مضى الخطيئ في آثارها  
وإذا الأئمة عدت أسيافها  
وإذا كريم الطبع قرّبه من النّاء  
ذو النية الخلاء يصفو مذهباً  
والله قدّم وعده لوليّه  
والخيل حافية إذا لم تنتعل  
فلقد كرمتم قايداً ومقوداً  
يجتزأ من أجم الرماح أسوداً  
رأياً على جلّ الخطوب سديداً  
فتركن ركن عاداته مهدوداً  
لم يلق إلا مشرعاً موروداً  
لم يلق إلا الأول المعدوداً  
ئين كان المستعاب بعيداً  
ويطيب أعراقاً ويكرم عوداً  
فتنجزوا بعداكم الموعوداً  
في وسط مرتكم النجيع حديداً

وقال عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي، من قصيدة طويلة يمدح جوهرأ أيضاً<sup>(٢)</sup>:

الأفليقر الله عين الهدى فكم  
لئن خبرت عن أرض مصر فإنها  
فبورك للإسلام في نيل ثاره  
فشدت عرى الإسلام بعد انفصامها  
وقام بحق الله في الخلق قائم  
جلبت بها من نعمة لشكورها  
إلى الأرض تومي سهلها ووعورها  
وهنيت الدنيا بعدل أميرها  
وردت عواري الملك من مستعيرها  
أنار سبيل الحق بعد دثورها

(١) عيون الأخبار، وفنون الآثار، السبع السادس، م.س. ص ١٦٠.

(٢) م.س. نفسه. ص ١٦١.

نوادبها من ويلها وثبورها  
 ومرت عليها بارحات طيورها  
 وقد [زادت البؤس] بأكناف دورها  
 أصاغت إلى ضليلها وغرورها  
 فقصرَ ذاك الرأي باقي قصيرها  
 ففضَّ من الأعداء صلدَ صخورها  
 وبانت له آراؤه عن جسورها  
 فأكرم بها من روضةٍ وغديرها  
 حصيدَ رمته جذوةً بسعيرها  
 حروفٌ بدت للشكل بين سطورها!  
 فقدماً عصيتم ربكم بصدورها  
 فبدلتم معروفها بنكيرها  
 بتبديل غاويها وكفر كفورها  
 بأقبح من منهاجها ومسيرها  
 وهل يدرك الأوتارَ كفُّ وتورها  
 ولا تعدُّ الدنيا [بِوَالِ صغيرها]  
 بها من يدي مجتثها ومبيرها  
 وإن رَغِمَتَ أَنَا فُكْمٌ لمعيرها

ولما فشا طغيان مصر وأكثرت  
 فجاء مقيماً قدحها غير فائز  
 وقابلت النعمى بكفر فأصبحت  
 غداة أبتُ الإنفاقَ شرَّ عصابة  
 رأت أن قطعَ الجسرِ وصلُ حياتها  
 وصادمها من جوهرٍ صلدُ صخرةٍ  
 وأجرى بحارَ الجيش فوق بحارها  
 وما شعروا إلا به وسطاً دارهم  
 ففرقهم أيدي [سبا وكأنهم]  
 كأن رقاب القوم والهام وسطها  
 فقل لبني العباس شيموا سيوفكم  
 وليتم أمور الناس شرَّ ولايةٍ  
 فإن قلتهم إنا قتلنا أميةً  
 فإننا وجدناكم تسيرون بعدها  
 سفكتم دماً قلتم طلبنا بثاره  
 دمٌ من كرامٍ لا تطلُّ دماؤها  
 ولا بد أن تسقوا بكأس سقيتم  
 الأسلموا تلك العواري فإنها



## مدح الوزير يعقوب بن كلس:

قال الشاعر العاملي عبد المحسن الصوري يمدح يعقوب بن  
كلس<sup>(١)</sup>:

رَدَّ الكَتَائِبَ فاستغنت سياستُهُ      عَن نصر كلُّ مُحلَّى الوجه مكتوب  
فرائه في ملوك الأرض رايته      وجيشه فيهم جيشُ التجارِبِ  
راوه بدرأ وكم هموا بزورته      غزوا وذا الدهرُ ذو عكسٍ وتغليبِ  
مهلاً وزير أمير المؤمنين فقد      غرقت بالفكر في بحرِ الأعاجِبِ  
هل حاز طرفك أطراف البلاد فما الـ      محجوبٌ عنك من الدنيا بمحجوبِ  
أم هل بلغت ولم تبرح بحضورته      أقصى الحواضرِ منهم والأعاريبِ  
أم هل بلغت مُقيماً كلما بلغت      صُفرٌ من الخيل في ركضٍ وتقريبِ  
إذا أتى الرأي منسوباً إليك أتى      في الرُوع يُغني عن الجردِ المناسِبِ  
وحيثُ ترمي به في الناس تثبته      وللضراغِمِ إثباتُ المخالِبِ  
ومدحه أبو الرقعمق بقصيدة جاء فيها<sup>(٢)</sup>:

قد سمعنا مقالهُ واعتذاره      وأقلناهُ ذنبه وعثاره  
والمعاني لمن عنيتُ، ولكن      بكِ عرُضتُ فاسمعي يا جاره  
من مراديه أنه أبد الدهر      رتراه مُحلاً لأزراره  
عالم أنه عذابٌ من الله      مُباح لأعين النظاره  
هتَكَ اللهُ ستره فلكم هتُّ      ك من ذى تَسْتَرِ أستاره  
سحرتني الحاظه وكذاك      ل ملِّح لحاظه سَحَّاره

(١) ديوان عبد المحسن الصوري، الجزء الأول، م. س. ص ٥٥.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، أبو منصور الثعالبي، الجزء الأول، ط ٢، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة ١٩٥١، ص ٣٢٦.

ما على مؤثر التباعد والإع  
وعلى أنني، وإن كان قد عدت  
لم أزل لا عديت من حبيب  
ويقول أيضاً فيه:

لم يدع للعزیز في سائر الأرب  
فلهذا اجتباها دون سواه  
لم تشيئ له الوزارة مجدداً  
بل كساها وقد تخرمها الده  
كل يوم له على ثوب الده  
ذو يد شأنها الفرار من البخ  
هي قلت عن العزيز عداه  
هكذا كل فاضل يده تم  
فاستجزه فليس يامن إلا  
فإذا ما رأيته مطرقاً يغ  
لم يدع بالذكاء والذهن شيئاً  
لا، ولا موضعاً من الأرض إلا  
زاده الله بسطة وكفاه  
وقال فيه أيضاً:

راض لو أثر الرضى والزيارة  
ببالهجر، مؤثر إيثاره  
أشتهى قربه وأبى نفاه

ض عدواً إلا وأحمد ناره  
واصطفاه لنفسه واختاره  
لا، ولا قبل رفعت مقداره  
رجلاً وبهجة ونضاره  
روكراً الخطوب بالبذل غاره  
ل وفي حومة الوغى كراهه  
بالعطايا وكثرت أنصاره  
سى وتضحى نفاة ضراه  
من تقياً بظله واستجاره  
مل فيما يريد أفكاره  
في ضمير الغيوب إلا أناره  
كان بالرأي مدركاً أقطاره  
خوفه من زمانه وحذاره

وأعاد الندى وأغنى الضعيفا  
ى فاعناه أن يسأل السيوف  
مُهجة حرة ورأيا حصيفا  
وترد الردى وتلقى الصفوفا

إن يعقوب قد أفاد وأقنى  
سَل سيفاً من البصيرة والرا  
بإذلاً للعزیز دون جماء  
لم تزل دونه تخوض المنايا

ناصحاً مُشفقاً محبباً ودوداً  
 ليس يَخْشَى فساد امرتولاً  
 ما رأينا قط إلا رأينا  
 ورأينا قرماً كبيراً همماً  
 لَذَّ طَعْمُ العطاء وهو إذا جا  
 خلق منه، منذ كان كريماً  
 ويريش الفقير بالبذل والجود  
 وقال عبد المحسن الصوري، ابن غلبون في مدح عيسى بن  
 نسطورس<sup>(١)</sup>:

فإذا أتى الخَطْبُ الأجلُ  
 فكانَ ذِكْرِي بَدْلَهُ  
 منعَ النَّوَابِ ذِكْرُهُ  
 مَرِضَ الشَّامَ لِبُعْدِهِ  
 وأتتْ أعزُّهُ مَذْلَالاً  
 وإذْ لكِ اتَّخَذَ الزُّمَامُ  
 ثمَّ اسْتَمَلَّ خِصَالَهُ  
 وتساوينا في الحَمْدِ جِينَ  
 وأراكِ يا عيسى لِفَضْلِ  
 أوثَ أمورِ المُلِكِ مِنِّي  
 فوَلِيَّتْهَا لهُ ما  
 ذَكَرْتُ سَيِّدَنَا الأَجَلُ  
 وَنَدَاهُ كانَ نَدِيَّ وَقَضَا  
 مِن أن تَحُلَّ بِحَيْثُ حَلَا  
 وَلِكَ وَنَهَ فِيهِ أَبْلَا  
 عَمَّ مَخَافَةَ أن تَذِلَّا  
 نُنْ لِنَفْسِهِ قَيِّداً وَغُلَا  
 فَقَدِ اسْتَمَالَ بِمِ اسْتَمَلَا  
 تَساوينا كَرَمًا وَقَضَلَا  
 السَّبْقِ بِالتَّفْضِيلِ أُولَى  
 لِكِ إلى المُجَلِّيِّ والمُعَلَّى  
 نَظَرَ المُوَلِّيِّ فِي المُوَلَّى

(١) ديوان عبد المحسن الصوري، م. س. ص ٣٥٩.

إِنِّي لِأَذْكَرُ كَيْفَ كُنْتُ بِظُلِّ عَزِّكَ مُسْتَظِلًّا  
مَا سَهَلَ النُّكْبَاتِ لَوْ كَانَ الْوُضُوءُ إِلَيْكَ سَهْلًا

وقال أيضاً يمدح الأمير أبا الجيش حامد بن ملهم بطبرية:

قَدْ سَلَّمَ النَّاسَ إِلَيْكَ الْمَدَى  
إِنْ كَانَ يَوْمٌ فِيهِ بَوْسٌ فَمَا  
لَوْ أَجْدَبَ الْعَامُ فَكُلُّ أَمْرٍ  
مَا عَرَفْتُ كَفُّكَ غَيْرَ النَّدَى  
تَسْتَوْحِشُّ النُّعْمَةَ مِنْ أَهْلِهَا  
فَارْفُقْ أبا الْجَيْشِ عَلَى النَّاسِ  
يُلْحِقُ فِي النَّجْدَةِ وَالْبَاسِ  
يَلْقَاكَ مِنْهُ طَاعِمٌ كَاسِ  
وَقَائِمٌ الْمُرْهَفِ وَالْكَاسِ  
حَتَّى تُتَلَّقِيَهَا بِإِنْسَانِ

وقال أيضاً يمدح أبا منصور عيسى بن نسطورس:

أَلَمْ فَازْكَرْهُ مَا نَسِي  
لَأَشْتَنْغَلَنْ بِهَا أَوْ تُظَنَّ  
فَتَى يُسْتَدَلُّ بِلَيْلِ الْمِدَا  
أَخُو هَمَّةٍ فَتَكْتُ بِالنُّجُومِ  
فَأَمَّا تَنَاهَى إِلَيْهِ التُّنَا  
كَذَلِكَ مِنْ شَانِهِ أَنْ يَكُو  
أَلَمْ يَكْ دَاعِي النَّوَى أَخْرَسَا  
أَحَقُّ أَمْرٍ أَجْلَسْتُهُ الْعُلَى  
أَقُولُ عَلَى غَفْلَةٍ لِلزُّمَا  
إِذَا الْمَجْدُ مَا بِالْجَدِّي أَرَا  
وَمَا زِلْتُ قَبْلَكَ أَهْدِي الْقَرِيْبِ  
خَيَالِكَ فِي غَسَقِ الْجِنْدِسِ  
عَزَائِمِ عَيْسَى بْنِ نَسْطُورُسِ  
يَدْعَى صُبْحِ الْفَاطِظَةِ الْمُشْمِسِ  
وَحَصَّتْ بِفَتْكَيْتِهَا مَبْخَسِي  
فَقُلْ لِلْمُجِدِّبِ بِهِ أَحْبِسِ  
نَ وَقَفَا عَلَى الْأَنْفَسِ الْأَنْفَسِ  
فَفَهُمْنَا دَعْوَةَ الْأَخْرَسِ  
لِيَفْعَلَ أَمْرَيْنِ فِي مَجْلِسِ  
نِ وَالْأَفْعَهْدِي بِهِ مُبْلَسِي  
هُ إِذَا مَا جَدَدْتُ بِهِ مُتْعِسِي  
خَصَّ إِلَيَّ كُلَّ مَرَزِيئَةٍ مُوَكْسِي

## مدح الوزير: أبو محمد الحسن بن عمار:

قال أبو الحسن محمد بن عثمان الملقب بالفصيح بمدح الحسن بن عمار<sup>(١)</sup>:

وعندك إذا ما أشكل الأمر نفسه بطوناً له محمودة وظهور  
وأخذُ بأطراف البلاد وإنّها تموج بمن في أرضها وتمور  
لقد بات يرعى سرب آل محمد حلّيم إذا طاش الرجال وقور  
وزاد حمى الإسلام منك مُشيعُ إذا نام عنه الذائدون شهورُ  
وجهزت جيش الله أمرهُدوه فزحفٌ وأما همسُهُ فزئير  
جرى لجة فيه الحديدُ ورفرفت على قصب المزان فيه طيور  
فلا يحسب الأعداء صمتك رهبة وأنت - وإن أغفلتَهَن - قدير  
وإن السيوف الحاكمية قُطِعُ وعند رقاب الخالعين تؤور  
إذا ما اجتبى للأمر قومُ دَرَه عليهم بتقويم الأمور خبيرُ  
أمين أمين الله قادرة وإن ترفع قدراً أن يقال وزير

## مدح الوزير المغربي:

كان الوزير المغربي شاعراً مقدّراً للشعر وللکلمة المنظومة، بل كان ناقداً. وقد أتينا على شيء من شعره ونقده.

قال الشاعر ابن حيّوس يمدحه<sup>(٢)</sup>:

بالحول نلت ونال الناس بالحيل فسُدّ جميع الوري مستوجياً وطُل  
هذي الفضائل لم نعرف لها شهباً ضلّ الوري حين قالوا الفضلُ للأوّل

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ٦٤.

(٢) ديوان ابن حيّوس، للجزء الثاني، ص ٤٥٤.

ويتعجب كيف أن الله ألهم الإمام المستنصر بتكليفه بالوزارة

فيقول:

الله رأي إمام الخلق كيف سرى  
ألفى الوزارة لم تسند إلى وزر  
أشرقت حين تركت الشمس شاحبة  
وراح نقعك في أجفانها كحلاً  
قد أصبحت صفحات الملك مشرقة  
فاحكم بسعدك فيما أنت فاعله  
وقال يمدحه ويشير إلى الأمن والسلام الذي ساد مصر والدولة  
الفاطمية في وزارته فقال:

ورأى الناس من زمانك في اليقظة  
جلّ عن سائر العصور فقد قيل  
أمنوا مذ قضى على الدهر خرق  
تبعث رأيك الولاية فعفت  
ثم أنعمت صافحاً عن ذنوب  
كم قريب لديك سكنه فضلك  
لم يُجلك السلطان عن رأيك  
ويصف الوزارة وإقدامه عليها فيقول:

أخفق المترف الجنوح إلى  
وحمى حوزة الوزارة قسراً  
فالعوادي موصولة كالأيادي  
وعسير على العدى هدم عز  
الخفض وفاز المخاطر المقدام  
من لديه الإرغام والإنعام  
والرزايا مثل العطايا جسام  
شيدته السيوف والأقلام

وبنوا المغرببي أهل المعالي قعدوا عن طلابها أو قاموا

### مدح الوزير البابلي:

قال الشاعر ابن حيّوس يمدح الوزير البابلي ويصف وزارته  
وكان قد صرف عنها ثم أعيدت إليه مجدداً:

وزارة لوت الأعناق خاضعة لعزّها وعهدنا ليها صيدا  
فارقته لا كغيث حُدَّ عن بلدٍ يشكو الظما بل كروح فارقت جسدا  
وعدت واليوم قد ألوت به فتن لأجلها ذمّ عيش طالما حُمدا  
فعمت في كفّ كفّ الخطب حين سطا ونُبتَ في صرفِ صرفِ الدهر حين عدا  
ويصف ثقة الخليفة المستنصر به فيقول:

إن الإمام حمى الملك الأعزّ بمن لا تستطيع الليالي حلّ ما عقدا  
تصفّح الناس ثم اختار أحسنهم فيه وفي بيته رأياً ومعتقدا  
أعدّ للبعث ذخراً من ولائهم يبقى إذا كُله نخر صالح نفدا  
ولم تزل في اجتياح الإفك منصلاً وفي جهاد عداة الدين منصلاً  
معظماً قبل تعظيم الإمام له والسيف يخشى ويرجى سلّ أو غمدا  
متى تزره لعلم واكتساب غنى فاض الندى بياناً والبنان ندا  
إن السعادة عمّت مذ خصصت بها فأسلم على رغم حُسادٍ وكبت عدا  
رُقت الإمامة في قول وفي عمل فبلُغت بك هذا المرتقى الصُعدا  
هل كنت في القوم إلا بانياً شرفاً ومصلحاً فاسداً أو موضحاً رشدا  
عمّمت بالجود حتى لم تدع أملاً وبالتجاوز حتى ما بسطت يدا  
ما حدث عن آية في العفو منزلةً ولا نبذت حديثاً فيه قد وردا  
وليس يلقاك مأمور بمعصية إلا ندى طالما أخفيته فبدا

بَدَّدت وفرك في فرض ونافلة      وسنَّة فجمعت السؤدَدَ البَدَدَا  
وقال الشاعر أبو الحسن التهامي يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

صعبٌ أبيُّ النفس سهلُ الندى      إنَّ المعالي شدَّةٌ في سماح  
تذكَّرُ التيجانُ آباءه      به وتلك القسَمات الملاح  
يختم ما استفتح أبأؤه      وللعلى خاتمة واففتاح  
شرفنت نفسي بامتداحي له      فقدت عَجَلت بثوب امتداح  
لما أناخ الجود في كَفِّهِ      نادى بأعلى صوته لابرّاح

مدح الوزير «أبو محمد اليازوري»:

أبو محمد عبد الرحمن بن علي اليازوري، كان وزيراً بَدَّ الوزراء  
بحكمته ورجاحة عقله وحسن تصرفه. قدمَ للدولة الفاطمية وللخليفة  
المستنصر أروع الأمثلة في الحكمة والتبصُّر، لكنَّ مصيره كان  
مصير كلِّ محسود، المؤامرات ثم القتل.

أكثر مدائحه كانت بلسان الشاعر المصري ابن حيَّوس. قال  
يمدحه<sup>(٢)</sup>:

يروق فُوَادُهُ نَائِيٌّ وَعَوْدٌ      يَغْذُّ السِيرَ لَانَائِيٍّ وَعَوْدٌ  
ويصحبه الهنود إلى الأعداي      مشيحاً لا القدود ولا النهود  
وقد شاكل الشاعر بين النأي أي الابتعاد والعود أي العودة وهما

(١) ديوان أبي الحسن التهامي، شرح وتحقيق علي نجيب عطوي، ط ١، بيروت دار الهلال،  
سنة ١٩٨٦، ص ٨٩.

(٢) ديوان ابن حيَّوس، الجزء الأول، ص ١٨٥.



صفتان من صفات الفرسان أي يروق فؤاده الكرّ والفرّ، ويكره  
ويشيع بنظره عن الناي والعود وهما من آلات الطرب، فلا يطرب  
بهما بل لا يطرب اليازوري إلا:

ويطربه صليل البيض فو ق القوانس لا البسيط ولا النشيد  
مؤمّله يفيد غنى وعزاً وشانيه بغصّته يفيد  
وكل هذه النعوت والأوصاف هي في خدمة الخلافة الفاطمية  
والخلافة:

حللت من الخلافة في مكان به عُدِمَ المباشرُ والحسود  
ولم يحلم بشرواك التمني ولا جاد الزمان ولا وجود  
وقال يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

علوت بحكم لا يقارنه هوئى ومحض وفاء لا يقارنه خَثرُ  
وعدل سواءً فيه سخطك والرضى ودينٌ سواءً فيه سرّك والجهرُ  
وطبّقت الأفاق أخبارك التي إذا نشرت في بلدة كسد العطر

ويذكر موقعه من الخلافة والخليفة المستنصر فيقول:

أحلّك فوق الخلق قدراً ورتبةً وديناً وديناً من له الخلق والأمر  
خليل أمير المؤمنين بك انجلت حنادسُ لا شمسُ جلتها ولا بدر  
كفاك الردى من أنت ناصرُ دينه فلم يفتخر إلا بأفعالك الدهرُ  
فقد حان هذا العصر منك ومنهما فضائل لم يظفر بأيسرها عصرُ  
وأهدت إلى مصرٍ دمشق على النوى نظائر ما تهويه دارينُ والشحرُ

(١) ديوان ابن حيوس، الجزء الثاني، ص ٢٧٦.

وقال يمدحه ويصف ما حلّ بالمعز بن باديس الصنهاجي عندما  
تصرّف تصرفاً غير لائق بحق اليازوي، حيث لم يأت بنفسه إلى  
القاهرة لتهنئته، واكتفى بتكليف سفيره بالقاهرة للقيام بواجب  
التهنئة. والقصة موجودة أثناء الحديث عن وزارة اليازوي<sup>(١)</sup>:

|                            |                             |
|----------------------------|-----------------------------|
| منيع الجناب إذ الدهر صَالَ | سريع الجواب إذا السيف صَلَّ |
| فما ارتحل المجد مذخَلَهُ   | ولا انفصل الحمد منذ اتصلَّ  |
| تخيّره ذو العرش للمسلمين   | غياثاً كفى الدين أن يبتذلَّ |
| يحلّونه بسواد القلوب       | ضناً به عن سواد المقل       |
| رعاهم بطرف كثير الدنوُّ    | وقلب من الله جمُّ الوجل     |
| وقد بات يحرسهم لم ينم      | ومذطلّ يكلوهم ما غفلُ       |
| يا علم المجد وقاضي القضاة  | ويا سيد الوزراء الأجلَّ     |
| سطوت على الدهر لما اعتدى   | وقد كان ذا ميل فاعتدل       |
| وجردت رأيك قبل السيوف      | فاغنى مواضيها أن تُسلَّ     |
| واعملته وأطرحت الرماح      | لما في عواملها من خطل       |
| وإن الإمام مَعْدَأْرَاك    | خير مُوعِدٌ لأمْرَجَلُّ     |
| فقلدك الحكم في ملكه        | كما قلد المشرفي البطل       |

ويصف ما فعله بالمعز بن باديس الصنهاجي فيقول:

|                            |                         |
|----------------------------|-------------------------|
| أَنخَبَ بصنهاجة النائبات   | ففات زعيمهم وما أمل     |
| وكان يُسمي مُعِزّاً قُمْدُ | تحديته صار يدعى مُدَلَّ |

(١) ديوان ابن حيوس، الجزء الثاني، م.س. نفسه، ص ٤٨٦.

## مدائح بدر الجمالي وابنه الأفضل وأحمد ابن الأفضل «كتيفات»:

قال الشاعر علقمة بن عبد الرزاق العليمي يمدح بدر الجمالي<sup>(١)</sup>:

نحن التجار وهذه أعلامنا      ذُرُّ وجودِ يمينك المبتاعُ  
قلِّبْ وفتشْها بسمعك إنمَّا      هي جوهرٌ تختاره الأسماعُ  
كسدت علينا بالشَّام وكلمَّا      قلَّ النفاق تعطلَّ الصُّنَاعُ  
فأتاك يحملها إليك تجارُها      ومطَّيُّها الأمال والأطماعُ  
حتى أناخوها ببابك والرجا      من دونك السمسار والبياعُ  
فوهبت ما لم يعطه في دهره      هَرَمٌ ولا كعبٌ ولا القعقاعُ  
وسبقت كلَّ الناس في طلب العلى      والناس بعدك كلُّهم أتباع  
يابدر، أقسمُ لوبك اعصتم الورى      ولجوا إليك جميعهم ما ضاعوا

وقال ظافر الحداد يمدح بدر الجمالي في معرض مدحه لولده  
الأفضل، ويروى في مدائحه ما قام به أمير الجيوش من عملية إنقاذ  
لمصر وللوضع الاقتصادي المصري<sup>(٢)</sup>:

يا أفضل الناس أفعالاً وتسمية      وأعدل الخلق نفساً حُرَّةً وأبا  
لم يعدم الملك نصراً من سيوفكما      فيما نأى من قديم الدهر أو قرُباً  
أما أبوك الذي ردَّت عزائمُه      للملك فيما مضى الحقَّ الذي اغتصبا  
وأمن الأرض بالخوف الذي نهبت      أدنى سراياه فيها أمن من نهبا

وفي قصيدة أخرى يمدح بدر الجمالي بقوله:

يا بن محي الملك من بعد النوى      وهوى كلِّ من يابى السحب  
ومجير الدولة الغرَّاء من      جور باغ رامها بالسَّلْبِ

(١) اتعاظ الحنفاء، الجزء الثاني، ص ٣٣٠.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ابن الإسكندرية، م.س. ص ٣٦.

وميّز الأرض بالأمن وقد  
والذي لبّي مجيباً صوتها  
ثم شامت منه برقاً صادقاً  
فأتاه سيله محتملاً  
وقال يمدح بدر الجمالي شاهنشاه<sup>(١)</sup>:

وكم للحُبِّ مثلي من صريع  
وأغيد من ظبَاءِ الحسن حياً  
شربنا من شمائله شمولاً  
لقلبي الثأرُ فيه عند عيني  
لئن عاصيتُ عذّالي عليه  
فإن نوال شاهنشاه قبلي  
إذا أعطى تبلّج في العطايا  
ملوك إن دجاليل جَلَوْه  
كان الخيل تحت النقع منها  
نثرن عجاجة في كل فج  
مناقب سطرتهن المواضي  
وقال حسن بن زيد الأنصاري يمدح بدر الجمالي شاهنشاه أمير

الجيوش<sup>(٢)</sup>:

أطارق طيف أم خيال مُرَجَّم  
سرى وكان الأفق صفحة لُجّة

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ١٢٧.

(٢) م. س. نفسه، ص ٧٠.

وكم للكُرى من مِنَّةٍ قَبْلَ هذه  
وما شِيمُ الأيامِ أن تَمْنَحَ المُنَى  
ولكن رَأَتْ نُعْمَى شَهِنشاهَ في الورى  
ومنها:

إذا كَسِفتْ شمسُ النهارِ فإنها  
وما أَطْلَعَ الأفقُ النجومَ لريبةٍ  
وليس صَليلاً البَيضِ إلا لأنَّهُ  
وما عَرَدَ ابنُ الأيكَ إلا بِمدجِه  
لخجلتْها من نُورِهِ تَتَلَنَّمُ  
ولكنه عُجْباً بِها يَتَبَسَّمُ  
بِنُصْرَتِهِ يومَ الوغى يترنَّمُ  
لو أن غِناءَ ابنِ الأراكَةِ يُفهمُ  
وقال المعوَجُ الرقي يمدح بدر

لا ذنِبَ للطُّرفِ إن زَلتْ قوائِمُهُ  
حملتْ بأساً وِجوداً فوقَه وندى  
قالوا افتَّصَدتْ فما عقلُ العَلامِعا  
كفَّ الطَّبِيبُ دعا كَفًّا نَقَبْلُها  
وقال أمية بن أبي الصلت في

تردي بِكلِّ فتى إذا شهد الوغى  
قد لَوحتْ يَدُ الهواجرِ فاغتدى  
تخذوا القنا أشطانهم واستنبطوا  
تعطي الذي اعتطكهُ سمرُ القنا  
وأنا الغريبُ مكانه وزمانه  
نثر الرماح على الدروب كعوباً  
مثل القنائة قضافةً وشحوباً  
في كلِّ قَلْبٍ في الطعان قليباً  
أبدأ فتغدو سالباً مسلوباً  
فاجعل صنيعك في الغريب غريباً

(١) بدائع البدائ، علي بن ظافر الأزدي، م.س. ص ٣٤٧.

(٢) نفع الطيب، الجزء الثاني، م.س. ص ١٠٦.

وأقدم الشاعر ابن مكنسه على رثاء رجل نصراني، فغضب منه الوزير الأفضل وأبعده عنه دون أن يقطع راتبه، فأرسل إلى الوزير الأفضل يعاتبه ويتقرب منه بقوله<sup>(١)</sup>:

بمثلي بمصر وأنت ملكٌ      يقال ذا شاعر فقيرٌ  
عطاؤك الشمسُ ليس يخفى      وإنما حظي الضريرُ  
وقال ابن الشخباء العسقلاني يمدحه<sup>(٢)</sup>:

والله أكرم أن يعذب مهجّةً      غذيت بأخلاق العلاء أعضاؤها  
فإذا طمت جسم الخطوب عرامة      أربى على فيض الحياء حباؤها  
لو كان ينكر ملكها رتب العلاء      أحدل كان شهودها أعداؤها  
شابت بك الأيام عن جهالاتها      وتوقرت من أهلها سفهاؤها  
وبعدل حكمك زال عنا ظلمها      وبنور مجدك أشرقت ظلماؤها  
نار اعتزامك ما يبوح ذكاؤها      وسماء عزك ما تغيب ذكاؤها  
وعراض فضلك لم تضق أرجاؤها      وعفاة جودك ما يخيب رجاؤها  
وقال ابن الصياد يمدح الوزير الأفضل بن بدر الجمالي<sup>(٣)</sup>:

أضحت لوائتُ شُرُداً من بأسه      فلديهم سعة الفضاء مضيئُ  
لم يضربوا طنباً لخوفهم فهم      مثل الوعول إذا حواها النئيقُ  
إن غابَ فيهم وجهه فخياله      ليلاً كما هو في النهار طرُوقُ  
لوهبتِ الرياحُ اغتدى لسماعها      قلبُ الشجاع القلبِ وهو خفُوقُ  
جعلوا الهزيمة عنه براً إذ لهم      لسواه في شقِّ العصى عُفُوقُ

(١) الخريدة، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، م.س. ص ٢٠٣.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٦٤١.

(٣) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٤٤.

وقال الشريف ابن هبة الله العلوي يمدح الأفضل<sup>(١)</sup>:

ما خلتُ والأيامُ ذاتُ عجائبِ      أني أَعُدُّ من المتاعِ الكاسدِ  
وأكونُ للدهرِ الخؤونِ عقيرةً      وأعاضُ مِنْهُ شامتاً من حاسدِ  
فأسالمُ الخصمَ الذي لا يُتَّقَى      وأثيبُ عذالي ثوابَ الحامدِ  
أحبُّ من الفتیانِ كلَّ مشيِّعٍ      ركوبِ إلى العلياءِ ظهرَ الشدائدِ  
يضمُّ على فضلِ العفافِ ذيولَهُ      ويرغبُ عن ضمِّ الثُّدي والنواهدِ  
إذا دَحَرَت فيه النعامي حسبتهُ      حبيكَ دروعِ أو متونَ قلائدِ  
ينمَّ بسرُّ القاعِ حتى تخاله أسدُ      تعارَ حصاهُ من عقودِ الخرائدِ  
نزلنا به والشمسُ يُهدي شعاعها      له التبرِ إلا أنه غير جامدِ  
لدى روضةٍ قد نَشَرَ العَصَبَ نبتُها      ونَثَّرَ فيها النورُ دُرَّ القلائدِ  
كانَ ذيولَ الأفضلِ انسحبت بها      يُضمُّها منه أريجَ المحامدِ  
كريمٌ أَعَدَّ المالَ وقفاً على الجَدَا      فاضحى نداءه قاصداً كلَّ قاصدِ  
إذا مَدَّ يومَ الفخرِ باعاً لمفخرِ      حوى طَرْفِيهِ من طريفِ وتالدِ  
ومنها:

جمعتَ سعودَ المشتري ووقارَهُ      إلى بأسِ بهرامٍ وحذقِ عُطاردِ  
ومنها:

وما نمتَ عن شاني وقد نامِ دونهُ      رجالٌ فلم أنبذ حياةً لرايدِ  
ولو كنت ممن يجعلُ الفحشَ لفظه      لنبَّهَهُم مني عقابُ القصائدِ  
وعَضَّ لحاظَ القومِ في كلِّ مجمعٍ      قوافٍ كأطرافِ الرماحِ الحدائدِ  
أَغْضِي على ضيمٍ وعزُّكَ ناصري      وأخْفِقُ في مجدٍ ونُجْحِكَ رائدي

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ١٢٨.

وقال حسن بن زيد الأنصاري يمدح الوزير الأفضل<sup>(١)</sup>:

خَلَعَ الزمانُ عليَّ حُلَّةَ مَفْخَرٍ      شَرَفًا بِمَدْحِ الْأَفْضَلِ الْمِفْضَالِ  
أَضْحَى به ليلي نهاراً بَعْدَ ما      غَبَرَتْ به الأيامُ وهي لِيالِ  
قَرَمٌ إِذا ما جالَ في رَهَجِ الوَعَى      أَضَحَّتْ به الآجالُ في الأوجالِ  
وتَهْرُزُ كَفَّاهُ طَوالَ ذَوابِلِ      تَغْدُو بها الأعمارُ غَيْرَ طَوالِ  
يَلْقَى المَدائِحَ بِالمَنائِحِ واهباً      وَيُصَدِّقُ الأَقوالَ بِالأفْعالِ  
وَسَمَّتْ به العَلِيَّيا فَأصْبَحَ حافِظاً      ما ضَيَعَ الأَغفالُ بِالإغفالِ  
وَإِذا أَتَتْ مِنْه سوابِقُ نِعْمَةٍ      كَفَلَتْ مَواهِبُهُ لَها بِنِوالِ  
وقال يمدحه أيضاً<sup>(٢)</sup>:

مَجْداً فَقَدَ قَصَرَتْ عَن شائِكَ الأُممُ      وَأَبَدَتْ العِجْزَ مِنْها هذِهِ إِلهِمُ  
أخِيمةً ما نَصَبَتْ الآنَ أَمَ فَلكُ      وَيَقْظَةُ ما نَراهُ اليَومَ حُلُمُ  
ما كانَ يَخْطُرُ في الأَفكارِ قَبْلَكَ أَنْ      تَسْمُو عَلوّاً عَلى أَفقِ السُّها الخِيمُ  
حَتى أَتَيْتَ بِها شَماءَ شاهِقَةٍ      في مارِئِ الدَهرِ مِنْ تِيبِ بِها شَمَمُ  
إِنَّ الدَليلَ عَلى تَكوينِها فَلكاً      أَنْ اِحْتَوَتْكَ وَأَنْتَ النَاسُ كَلَهُمُ  
يَمُدُّ مَنْ في بِلادِ الصِينِ نَاطِرُهُ      حَتى لِيَبصِرَ عِلْماً أَنَّها عَلمُ  
تَرى الكِناسَ وَأَرامَ الظَبائِ بِها      أَضَحَّتْ تَجاوِرها الأَسادُ والأَجَمُ  
والطيرُ قَد لَزِمَتْ فيها مَواضِعَها      لَما تَحَقَّقْنَ مِنْها أَنَّها حَرمُ  
لِديكَ جِيشٌ وَجِيشٌ في جِوانِبِها      مُصَوِّرٌ وَكِلا الجِيشِينَ مُزْدَجَمُ  
إِذا الصَّبابُ حَرَكَتَها ما جَ مَوكِبُها      فَمُقَدِّمٌ مِنْهُمُ فيها وَمُنْهَزمُ  
أَخيلُها خَيلُكَ اللاتِي تُغَيِّرُ بِها      فَلِيسَ تُنزِعُ عَنها الحُزْمُ وَاللُّجَمُ

(١) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٨١.

(٢) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٦٨.



عَلِمْتَ أَبْطَالَهَا أَنْ يُقَدِّمُوا أَبَدًا  
أَمْنَتُهُمْ أَنْ يَخَافُوا سَطْوَةَ لِرْدِي  
كَانَهَا جَنَّةٌ فَالْقَاطِنُونَ بِهَا  
عَلَّتْ فَخَلْنَا لَهَا سِرًّا تُحَدِّثُهُ  
إِنْ أَنْبَتَتْ أَرْضُهَا زَهْرًا فَلَا عَجَبُ  
يَا خِيْمَةَ الْفَرَجِ الْمِيْمُونِ طَائِرُهَا  
ومنها:

فكَلَّمَهُمْ لَغْمَارَ الْحَرْبِ مَقْتَحِمٌ  
فَقَدِ تَسَالَمَتِ الْأَسْيَافُ وَالْقِمَمُ  
لَا يَسْتَطِيلُ عَلَى أَعْمَارِهِمْ هَرَمٌ  
لِلْفَرَقْدَيْنِ وَفِي سَمْعِيهِمَا صَمٌّ  
وَقَدِ هَمَّتْ فَوْقَهَا فِي كَفِّكَ الدَّيْمُ  
أَصْبَحَتْ فَالْأَبَهِ تَسْتَبْشِرُ الْأَمَمُ

مَا قَالَا لِقَطْ مَذْشُدَّتْ تَمَائِمُهُ  
لَوْ كُنْتَ شَاهِدَ شِعْرِي حِينَ أَنْظِمُهُ  
أَزْرَتِكَ الْيَوْمَ مِنْ فِكْرِي مُخَبَّرَةٌ  
تَرَى النُّجُومَ لِلْفَظِي فِيكَ حَاسِدَةٌ  
وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

وَكَمْ لَهُ نَعَمٌ فِي طِيِّهَا نِعَمٌ  
إِذَنْ رَأَيْتَ الْمَعَالِي فِيكَ تَخْتَصِمُ  
فِي نَاطِرِ الشَّمْسِ مِنَ الْأَلْيَافِ سَقَمٌ  
تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا فِي الْمَدْحِ تَنْتَعِمُ

فَأَنَابَ قَبْلَ وَقُوعِهَا وَتَنَصَّلَا  
فِي الْإِذْنِ أَنْ يَطَأَ الْبَسَاطَ مُقْبِلَا  
أَصْبَحْتَ أَنْتَ بِنَصْرِهَا مُتَكَفِّلَا  
عَنْهَا فَلَمْ يَعْرِفْ إِلَيْهَا مَدْخَلَا  
فَضْلًا وَقَدَّرَ أَنْ تُسَمَّى الْإِفْضَلَا  
وَحَبَاكَ مِنْ عُزْرِ اللَّيَالِي مُجْزِلَا  
وَمَلَانَ بِالْإِشْرَاقِ أَبْصَارَ الْمَلَا  
طَرَفٌ إِلَيْكَ مِنَ الشَّعَاعِ تَأْمَلَا

هَمَّ الزَّمَانُ عَلَى الْوَرَى بِجَنَائِي  
فَلَوْ اسْتَطَاعَ النُّطْقُ أَصْبَحَ سَائِلَا  
اللَّهُ أَكْرَمُ أَنْ يُضَيِّعَ دَوْلَةً  
سَدَّتْ أَيَادِيكَ الطَّرِيقَ عَنِ الرَّدِّي  
وَلِقَدْرَاكَ اللَّهُ أَسْنَى خَلْقِهِ  
أَتَاكَ مَا لَمْ يُؤْتِ خَلْقًا مِثْلَهُ  
خَلَعَ خَلَعَنْ مِنَ الْعُدَاةِ قُلُوبَهُمْ  
لَمَا بَرَزَتْ بِهَا بَهْرَتٌ فَلَمْ يُطِقْ

(١) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٧١.

غَضَّتْ وَقَدْ نَظَرْتَكَ مِنْ أَجْفَانِهَا  
وَبَدَأَ عَلَيْكَ التَّاجُ نُظْمَ دُرَّةٍ  
وقال في مدحه أيضاً:

أَعْطَاعَ أَمْرَكَ فِي أَعْدَائِكَ الْقَدْرُ  
أَيَّامَكَ الْغُرْمُ مَصْقُولٌ عَوَارِضُهَا  
أَخْمَلْتَ ذَكَرَ مَلُوكٍ كُنْتَ خَاتِمَهُمْ  
أَيْنَ الَّذِي أَنْتَ مَبْدِيهِ مُعَايِنَةٌ  
وما يدانيك في العلياء من أحدٍ  
بعضُ الْوَرَى أَنْتَ لَكِنْ فُقْتَهُمْ شَرْفًا  
لله عَزْمُكَ مَا أَمْضَى مَضَارِبَهُ  
ظَنُّوا حُسَامَكَ سَيْفًا فِي يَدِي مَلِكٍ  
ومنها أيضاً:

لم تجتمع يده والسيف يومَ وَغَى  
بَثَّ اللَّهُ رَاغِبًا فِي الْحَمْدِ يُحْزِرُهُ  
يَرْضَى وَقَدْ غَضِبْتَ بِيضُ السِّيُوفِ لَهُ  
تَخَالَ رَاحَتَهُ وَالْمَشْرِفِي بِهَا  
يَلْقَى الْكِتَابَ فَرْدًا وَهُوَ مُبْتَسِمٌ  
ومدحه بقوله أيضاً:

سَرَى وَاصِلًا طَيْفُ الْكَرَى بَعْدَ مَا صَدَأَ  
وَلَمَّا أَتَى عُطْلًا مِنَ الدُّرِّ جِيدُهُ  
سَلَّ اللَّيْلَ عَنْهُ كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةً  
أَبَانَتْ لَهُ طُرُقَ الْمَكَارِمِ نَفْسُهُ

شَمْسُ الضُّحَى فَبِوَاجِبٍ أَنْ تَخْجَلَا  
فَطَلَعَتْ بَدْرًا بِالنَّجُومِ مُكَلَّلَا

وَلَا دَنْتُ أَبَدًا مِنْ مُلْكِكَ الْغَيْرُ  
كَأَنَّ أَصَالَهَا مِنْ رِقَّةٍ بُكْرُ  
وَأَنْجُمُ اللَّيْلِ فِي الْإِصْبَاحِ تَسْتَتِرُ  
مِنَ الْفَضَائِلِ مِمَّا تَنْقُلُ السَّيْرُ  
هِيَاهُ لَا يَسْتَوِي التَّحْجِيلُ وَالْغَرُّ  
إِنَّ الْحِجَارَةَ مِنْهَا الدُّرُّ وَالْمَدْرُ  
حَيْثُ الصَّوَالِحُ بِيضٌ وَالطُّلَا أَكْرُ  
فَعَايَنُوا مَلَكًا فِي كَفِّهِ قَدْرُ

إِلَّا تَفَرَّقَتِ الْأَجْسَامُ وَالْقَصْرُ  
فَالْمَدْحُ مُحْتَقَبٌ، وَالْمَالُ مُحْتَقَرُ  
فِي وَسْعِ الذَّنْبِ عَفْوًا حِينَ يَقْتَدِرُ  
سَحَابَةٌ ظَلٌّ فِيهَا الْبَرْقُ يَسْتَعْرُ  
وَيَبْذُلُ الْأَرْضَ رِفْدًا وَهُوَ مُحْتَقِرُ

فَهَلْ خَطَأً أَهْدَى الزِّيَارَةَ أَمْ عَمْدًا؟  
نَظَّمْتُ دَمُوعِي فَوْقَ لَبَاتِهِ عِقْدًا  
يُخْبِرُكَ عَنْ أَمْضَاهُمَا فِي الْوَرَى حَدَا  
بِغَيْرِ دَلِيلٍ وَالْمَكَارِمُ لَا تُهْدَى

ومذ صار للإسلام سيفاً وللطُّبَا  
لأضحى ندى كفيك للنيلِ ثانياً  
ولو قاس بين اللجّتين مُحَقِّقُ  
وقال أبو الفضل جعفر بن المفضل المعروف بشلعلع يمدح  
الوزير نجم الدين بن مصال<sup>(١)</sup>:

شكرتُكَ غيرَ مُلتَمِسٍ مزيداً  
ولولم ألقَ منه سوى التلقِي  
ولا شيءٌ أُمّنت على زماني  
فيا كهفَ الوَرَى لقد أتقاني  
وصالحنِي على دَخلٍ ومَكْرٍ  
وإن أصمت عن الشكوى فحالي  
خضوعُ الفقر في عزِّ التعازي  
وقال فيه أيضاً:

حجبوك يا نجمَ الهدى فأضلُّنا  
والنجمُ يهدي ما بدأ فإذا اختفي  
فتجلُّ للأبصارِ تجلُّ من العمى  
وقال ابن أبي الشخباء العسقلاني في مدحه أيضاً:

يا ماجداً نصرَ الشريعة حيث لا  
والنصب منسوب اللواء وشائع  
ويعني بالنصب: مناصبة أهل بيت النبي العداء، وانتشار بغض

(١) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ١٢٧.

شيعة علي وفاطمة في صفوف الناس. ويتابع قائلاً:

عمّت عوارفه فمامن موضع  
سائل به ودم الفوارس سائلٌ  
واليوم قد كتبت سنابك خيله  
فهناك تلقى الصدر لا متضايقٌ  
والشمس تهوى أن تقبل كفة  
فاقنع بما ملكت يداك من العلا  
وقال ابن الشخباء يمدحه أيضاً:

ما زال يختار الزمان ملوكه  
قل للآلى ساسوا الورى وتقدّموا  
تجدوه أوسع في السياسة منكم  
إن كان رأياً شاوروه أحنفاً  
قد صام والحسناث ملء كتابه  
ولقد تخوفك العدو بجهدده  
إن أنت لم تبعث إليه ضمراً  
خطروا إليك فخاطروا بنفوسهم  
عجبوا الحلمك أن تحوّل سطوة  
لا تعجبوا من رقة وقساوة  
ويصف موقعه من الخلافة الفاطمية والإمامة فيقول عن رأي  
الخليفة المستنصر فيه:

فلذاك عدك حين يعرض عارضٌ  
لورام قسطنطينة لا جلقاً  
وسطى البنان وعد غيرك خنصراً  
بك لم يدع في أرضها متنصراً

ولقد قضت أي الكتاب لكل من نصر الشريعة أن يُعانَ وينصرا  
وقال ظافر الحداد يمدح أبا علي كتيفات، أحمد بن الأفضل بن  
بدر الجمالي بقصيدة منها<sup>(١)</sup>:

حوى الملك مَلِكُ أغاث النفوسا      فأئني نفيس تولى نفيسا  
وإن تك أفعال آبائه بدوراً      فقد تَبَدَّتْ فيها شموسا  
وحقُّك يا باني الأفضلين      يميناً بدت بزّه لا غموسا  
لقد سستما الملك والعالمين      فأعجزتما ملكاً أن يسوسا

### مدح الوزير المأمون البطايحي:

عندما زيد في نعوت الوزير ابن المأمون البطايحي قال ابن  
قادوس يمدحه<sup>(٢)</sup>:

قالوا اتاه النعت وهو السيد      المأمون حقاً والأجلُّ الأشرفُ  
ومغيث أمة أحمد ومجيرها      مازادنا شيئاً على ما نعرف  
قال ظافر الحداد الإسكندراني يمدح الوزير المأمون بن  
البطايحي في قصيدة منها<sup>(٣)</sup>:

إنَّ الخلافة ما اصطفتك لنفسها      حتى اختبرت لكل أمرٍ أحمد  
فاشتقت الألقاب فيك لأنها      وصفٌ جميل في صفات تُوجدُ  
فدعتك بالمأمون وهي جبلَّةٌ      ممّا يثبُّتها ليدك المولدُ

(١) أخبار الدول المنقطعة، ابن طافر الأزدي، ط ١، القاهرة، مطبوعات المعهد العلمي  
الفرنسي للآثار الشرقية، سنة ١٩٧٢، ص ٩٥.  
(٢) الخطط المقريرية، الجزء الأول، ص ٤٤١.  
(٣) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٢٢،

تاج الخلافة وهو تاج فضائل  
وإذا وجيه الملك قيل فإنه  
نعم الذخيرة أنت للأمر الذي  
يزهى بك التشريف والخلع التي  
ما خاب فيك دعاؤنا ورجاؤنا  
كم من قريح القلب في ظلم الدجى  
وضعيفة تحنو على أطفالها  
وقال يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

تقضي الجواهر دونه والعسجدُ  
وجه له من كل فضل مُسعدُ  
ينحو أمير المؤمنين ويقصد  
جلت وجوه طرفها المتوقدُ  
والله يعلم ما نقول ويشهدُ  
ودعاؤها لك دائماً يترددُ  
فلهم نوالك كل وقت يُوردُ

ملك لو اقتدت البحار بجوده  
أبدأ يسابق جوده أنفاسه  
غمر البرية نائلاً فكأنه  
قاضي القضاة ومن نشيد بعدله  
نصح الخلافة فهي شاكرة له  
ساس الأمور لها برأي صائب  
شكرته حتى الطير في أوكارها  
للحرب والمحراب منه مواقفٌ  
للسيف والقلم النحيف بكفه  
نظر الإمام له بعين حقيقة  
فراه عيناً للزمان بصيرة  
إن هم فهو جنانه أو قال

لم ينج من تيارهن سفين  
بالمكرمات فمالهن سكون  
بجميع أرزاق العباد ضمير  
هادي الدعاة ومن إليه ندين  
حزماً تميد الأرض وهورزين  
إن كان منه شراسة أولين  
فلها بطيب ثنائته تلحين  
عمرت بها الدنيا وعز الدين  
فعل يكون به منى ومنون  
لم ترمها بين الشكوك ظنون  
والناس هذب حولها وجفون  
فهو لسانه أوصال فهو يمين

(١) م.س. نفسه. ص ٣١٩.

وكفاه من يثني عليه خليفةُ  
أحدُ الرواة لمدحه جبرين  
أصبحت سيفاً للخلافة خالياً  
حيث ازدهى بك عاتق وجبين  
فافخر فانت وزيرها ومشيرها  
وأمينها وظهيره الميمون

### مدائح آل رُزَيْك:

يجد المطلع على ديوان الفقيه عمارة اليميني أن علاقة عاطفية كانت تربطه بهذه العائلة المصرية، فهو إن مدحها، وصفها بصفات توازي صفات الإمامة والأئمة، وإن رثاها، بكأها بكاء الوالد لولده، وإن مدح غيرهم حتى ولو كانوا من أعدائهم، أشار إليهم واعتذر عن عدم قدرته على تناسيهم. وخاصة زعيمهم ومؤسس ملكهم وعائلتهم، الملك الصالح، طلائع بن رزيك، ولربما حافظ الشعب المصري على ذكر هذه العائلة حتى اليوم، بعدم تغيير اسم الساحة التي كان ينثر فيها الملك الصالح الدنانير على الفقراء والشعراء والمساكين: ساحة الملك الصالح، فهي باقية إلى اليوم لم يستطع الأيوبيون ولا المماليك ولا الأتراك انتزاعها من ضمير المصريين، ولا من قلوب أبناء مصر وعقولهم.

قال الفقيه عمارة يمدح الملك الصالح طلائع بن رزيك وأخوته وأولاده وآل رُزَيْك<sup>(١)</sup>:

ألقى الكفيل «أبو الغارات» كلـكـله  
على الزمان فضاغت حيلة النُوبِ  
بين الندى والردي زجراً وتكرمة  
فكل قلب رهين الرعب والرَّغْبِ

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٤٦.

ويحكي قصة تمرد الوزير بهرام على الخليفة، وإقدام شريفات  
قصر الحضرة إلى إرسال الرسائل وشعورهن بداخلها، يستنجدن  
بأبي الغارات - طلائع بن رزيك:

لما تمرّد بهرام وزمرته جهلاً ورامواقراع النبع بالغرب  
صدعت «بالناصر» المحي زجاجتهم وللزجاجة صدع غير مُنشعب  
أسرى إليهم ولو أسرى إلى الفلك الأعلى خافت قلوب الأنجم الشهب  
ظنّوا الشجاعة تنجيهم فقارعهم أبو شجاع قريع المجد والحسب  
وأبو شجاع هو شقيق الملك الصالح، بدر بن رزيك.

وسقوا بأسكر سُكر لا انقضاء له من قهوة الموت لا من قهوة العنب  
حلّ الردي بينهم بالحيّ فانقرضوا وما حلول الردي بالحيّ من عجب  
الم تر القوم لما أن طغوا وبغوا واستحقبوا الذم ما عاشوا على الحُقب  
وأنكروا من ظهور الخيل ما عرفوا واستوثبوا فخانتهم ولم تشب  
ويصف صولات وجولات آل رزيك في حربهم ضد بهرام فيقول:

لله عزمة «محي الدين» كم تركت بتربة الحيّ من خدّ امرئٍ تَرِب  
سما إليهم سمّو البدر تصحبه كواكب من سحاب النقع في الحجب  
في فتية من «بني رُزيك» تحسبهم عن جانبيه رُحى دارت على قطب  
قوم إذا الحرب قامت سوقها جلبوا من النفوس إليها أنفس الجلب  
كانّ لمع المواضي في أكفهم صواعق في الوغى تنقض من سحب  
فما تروح بها الأرواح في صُعدٍ إلا وتغدو بها الأجسام في صَبَبٍ  
ويخص الملك الصالح زعيم آل رُزيك بقوله:

رقّاهم رتبته العليا أخوهم لم يأخذ الملك بالتدرّج في الرتب  
تلقّب «الصالح الهادي» وليس به مع صدق أفعاله فقد إلى اللقب



مُتَوَجِّحٌ مِنْ بَنِي رُزَيْكَ تَنْسِبُهُ بِيضُ الْمَسَاعِي إِلَى جَرْتُومَةِ الْعَرَبِ  
وَقَدْ نَسَبَهُ الْفَقِيهَ عِمَارَةَ إِلَى الْعَرَبِ.. عَلِمًا أَنَّ اسْمَهُ يَدُلُّ عَلَى أَصْلِهِ  
الْأَرْمَنِيِّ، بَيْنَمَا أَشَارَ مُحَقِّقُ دِيوَانَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ طَلَّاحُ بْنُ رُزَيْكَ إِلَى  
إِنَّهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْعَرَبِ إِلَى أَرْمِينِيَا<sup>(١)</sup>.

زَاكِي الْأُرُومَةِ إِلَّا أَنَّ مَنْصِبَهُ فِي الْمَجْدِ أَعْظَمُ أَنْ يَعْزَى إِلَى نَسَبِ  
مَا أَلِيقَ التَّاجَ مَعْصُوبًا بِمُفْرَقِهِ وَرَبِّ مَعْتَصِبٍ بِالتَّاجِ مَغْتَصِبِ  
وَصَامِتٍ أَعْرَبَتْ عَنْهُ زَمَاجِرُهُ بِنَاطِقٍ مِنْ صَهِيلِ الْخَيْلِ مِصْطَخِبِ  
كَالسَيْلِ وَاللَّيْلِ لَا يَنْجُو طَرِيدُهُمَا مِنَ الْمُنِيَّةِ فِي الْإِمْعَانِ بِالْهَرَبِ  
بَيْتٍ مِنَ الْمَجْدِ لَمْ يُمَدِّدْ لَهُ عَمْدٌ سِوَى الْوَشِيحِ وَلَمْ يُشَدِّدْ إِلَى طَنْبِ  
أَغْرَابِلِجٍ وَضَّاحٍ تَخْرُلُهُ صَيْدِ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَذْقَانِ وَالرُّكْبِ

العرقلة يشرب الخمرة ويبولها في نهر يزيد:

وقال العرقلة يمدح الملك الصالح طلائع بن رُزَيْكَ<sup>(٢)</sup>:

سَقْيَانِي كَأَسْأَعَى نَهْرَ «ثُورَا» وَذِرَانِي أَبُولَهَا فِي يَزِيدِ  
وَبِالتَّكْيِيدِ ضَمَّنَ الْعَرَقْلَةَ هَذَا الْمَعْنَى السَّمِجَ لِمَا فِيهِ تَعْرِيفٌ بِاسْمِ  
يَزِيدٍ، تَقَرُّبًا مِنَ الْمَلِكِ الصَّالِحِ، وَتَابِعَ يَمْدَحَهُ بِقَوْلِهِ:

أَنَا مِنْ شِيعَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ لَسْتُ مِنْ سَنَةِ الْإِمَامِ وَلِيَدِ  
وَالْعَرَقْلَةَ كَذَّابٌ فَهُوَ مِنْ شِيعَةِ الدَّرْهَمِ وَالِدِينَارِ

مَذْهَبِي مَذْهَبٌ وَلَكِنِّي فِي بَلَدَةِ زُخْرَفَتٍ لِكُلِّ بَلِيدِ  
كُنَّا الصَّالِحَ بْنَ رُزَيْكَ فِي كُلِّ قَرِيبٍ مِنَ الدُّنْيِ وَبَعِيدِ

(١) راجع: مقدمة ديوان طلائع بنم رزيك.

(٢) ديوان العرقلة، م.س. ص ٢٢.

ملك لم تزل ثياب عداه في حداد وثوبه من حديد  
 ووزيره في الفضل أوفى من الفضل بن يحيى في ظلّ ملك الرشيد.  
 فاق عبد المليك في العلم والحلم بليغٌ يفوق عبد الحميد  
 كل يوم عداؤه في هبوطٍ حيث كانوا ومجده في صعود  
 وله ناصر من الله فيهم مثلما بختُ نصر في اليهود  
 فاز بالفائز الإمام الذي أصبح مصباح شيعه التوحيد  
 صفوة من محمد وعليّ ليس من سعدهم ولا من سعيد  
 سيف هذا الإمام لأقلّ حدّك ولا زلت نار قلب الحسود  
 أنت بين الملوك واسطة العقد وقطب الرحي وبيت القصيد  
 وكتب العرقله يشتكي منعه من الدخول إلى أحد بيوت آل رزيك.  
 وكان منعه الحارس ويسمى عز الدين<sup>(١)</sup>:

على بابكم يا آل رزيك شاعرٌ قنوع كفاه منكم الودّ والبشر  
 وقد ردّه البوابُ جهلاً بوجهه «كماردّها يوماً بسوئته عمرو»  
 وهو يستعمل شطر أبي فراس الحمداني الذي وصف تصرف  
 عمرو بن العاص حين كشف عن عورته أمام علي بن أبي طالب (ع)  
 في حرب صفين، مما دفع بالإمام علي أن يبصق عليه ويشيح  
 بوجهه عنه، فذهبت القصة مثلاً: حافظ عمرو بن العاص على حياته  
 بسوئته. وإذا قالها العرقله، فهي من باب التزلف والمداهنة.  
 وقال أيضاً:

تمنيّتكم حتى إذا ما طر بتم بعدتم وما بيني وبينكم بشرٌ

(١) ديوان العرقله، م.س. ص ٤٨.

وقد كان مشتاقاً إليّ طلائعُ  
وحتى حسينٌ وهو سيدٌ مذهبي  
وزاد عليّ الدهرُ نجلَ محمد  
وما كلُّ ماضٍ كالحسام لدى الوغى  
ولكنَّ عز الدين قد ناب عنهم  
والعرقلة هو القائل بعد الانقلاب الكردي الأيوبي في مصر  
الفاطمية<sup>(١)</sup>:

أصبح الملك بعد آل عليّ  
وغدا الشرق يحسد الغرب للقوم  
ما حواها إلا بحزم وعزم  
لا كفرعون والعزيز ومن كان  
ويعني أن صلاح الدين الأيوبي ليس كفرعون والعزيز ولا مثل  
كافور الإخشيدي / الأستاذ/.

وليس بكثير عليه فقليل ما نجد شاعراً كالفقيه عماره اليمني  
وفاءً. فمن قول العرقلة:

ذرا الأتراك والعربا  
وقال الفقيه عماره يمدح بدر بن رزيك، وآل رزيك:

أرى الناس جسماً آل رزيك رأسه  
دعوا يا بني الأخبار «يحيى» و«جعفراً»  
ولا تذكروا «كعباً» و«عمراً» و«عنترأ»  
و«بدر» له تاجٌ و«رزيك» جوهر  
فكلّ بني «رزيك» يحيى وجعفر  
فخادمهم كعب وعمرو وعنتر

(١) م.س. نفسه. ص ٢٨.

## وصف مقتل الوزير عباس بن تميم الصنهاجي:

قال الشريف أسعد الجواني، أبو البركات أسعد بن علي الحسيني  
يمدح الملك الصالح ويذكر نوبة مقتل الوزير عباس الصنهاجي<sup>(١)</sup>:

لئن كنت قد نجيت عباس من ظبا      فرنجة لمالم يجد عنك مستعفى  
وأنقذته من أسره وهو ذاهل      يرد عن الأحوال في المأزق الطرفا  
فقد سقته إذ فر منك إلى مدى      تمدداه نحو مقلته الحتفا  
وما فر من وقع الأسنان صاغراً      وجدك إلا حين لم ير مستخفى  
وقل الطعان المر للملك الذي      يراه حياً عندما يهب الالف

### مدح الملك الصالح:

وقال الشريف أسعد الجواني يمدح الملك الصالح طلائع بن  
رزيك<sup>(٢)</sup>:

إن في كف ابن رزيك لمن      يبتغي الرغد لأمالاً خصابا  
وبيمن فارس الإسلام قد      أجري البحر الذي عب عبابا  
كم له في الشام من معجزة      ومقام لم يكن إلا احتسابا  
جرب الإفرنج من أفعاله      في صناديدهم أمراً عجابا  
ويقول فيه أيضاً:

ومن هو إدراك المعالي فإنه      يعد المنايا من ملابسه طمرا  
قريع الرزايا والقنايقرع القنا      خطير العطايا يستقبل الجدا خطراً  
يخطط بالخطي في النقع موطناً      يحوز العلا والموت يلحظه شراً

(١) خريدة العصر، الجزء الأول، ص ١١٩.

(٢) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ١٢٠.

إذا اهتزَّ بالفسطاط غرباه لم يدع فؤاداً بأقصى روضة لم يمتم زعرا

وقال القاضي الجليس ابن الحباب السعدي يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

سيوفك لا يُفْلُ لها غرار فنوم المارقين بها غرار  
يجردها إذا أخرجت سُخْطُ على قوم ويغمدها اغتفار  
طريدك لا يفوتك منه ثار وخصمك لا يقال له عثار  
وفيما نلته من كل باغ لمن ناواك - لو عقل - اعتبار  
فمرياً صالح الأملak فينا بما تختاره فلك الخيار  
فقد شفعت إلى ما تبتغيه لك الأقدار والفلك المدار  
ولونوت النجوم له خلافاً هَوَتْ في الجوى بذروها انتشار  
عدلت وقد قسمت وكم ملوك أرادوا العدل في قسم فجاروا  
ففي يد جاحد الإحسان غلُّ وفي يد حامد النعمى سوار  
ويصف مقتل والي الإسكندرية طرخان بن سليط الذي ثار عليه  
فيقول:

لقد طمحت بطرخان أمان له ولمثله فيها بوار  
وحاول خطة فيها شماس على أمثاله وبهانفار  
هل الحسبُ الغنيُّ بمستقلُّ إذا ما عزه الحسب النفار  
أتتك بخائن قدماه سعياً كما يسعى إلى الأسد الحمار  
وشان قرينه لما أتاه كما قد شان أسرته قدار  
ووقف القاضي الجليس ذات يوم في دار الوزارة يخطب مادحاً  
الملك الصالح نثراً وشعراً فقال: هو الوزير الكافي والوزير الكافل،

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، م.س. ص ١٩١.

والملك الذي تُلقى بذكره الكتاب وتهزم باسمه الجحافل. من جدّد  
رسوم المملكة، وقد كاد يخفيها دثورها، وعاد به إليها ضيائها  
ونورها:

وقد خفيت من قبله معجزاتها فأظهرها حتى أقرّ كفورها  
أعدت إلى جسم الوزارة روحه وما كان يرجى بعثها ونشورها  
أقامت زماناً عند غيرك طامثاً وهذا أو أن قُرئها وطهورها  
من العدل أن يحيا بها مستحقّها ويخلعها مردودةً مستعيرها  
إذا خطب الحسناء من ليس أهلها أشار عليه بالطلاق مشيرها  
فقد نشرت أيّامه مطوى الهمم، وانتشرت رفات الجود والكرم،  
ونفقت بدولته سوق الآداب بعدما كسدت، وهبّت ريح الفضل بعد ما  
ركدت، إذا لها الملوك بالقيان والمعازف، كان لهوه بالعلوم  
والمعارف، وإن عمروا أوقاتهم بالخمّر والقمر، كانت أوقاته معمورة  
بالنهي والأمر:

ملك إذا الهى الملوك عن اللها خمارٌ وخمُرٌ هاجر الدلّ والدنّا  
ولم تنسه الأوتاد أو تارقينة إذا ما دعاه السيف لم يثنه المثنى  
ولو جاد بالدنيا وعاد بضعفها لظنّ من استصغاره أنّه ضنّا  
ولا عيب في إنعامه غير أنّه إذا منّ لم يتبع مواهبه منّا  
ولا طعن في إقدامه غير أنّه لبوس إلى حاجاته الضرب والطعنا  
والأعجب من ذلك، أنّ العماد الأصفهاني يستكثرها على المادح  
والممدوح، فيقول: «ولا شك أنّ هذه الأبيات لغيره»<sup>(١)</sup>.

(١) خريدة العصر، الجزء الأول، م.س. ص ١٩٤.

ومدحه المهذب بن الزبير بقوله<sup>(١)</sup>:

وتلقى الدهر منه بليث غاب  
تخال سيوفه لما انتضاها  
وتحسب خيله عقبان دجن  
إذا قدححت بجنح الليل أورت  
وإن جَنَحَتْ مع الإصباح عدواً  
كان الشمس حين تثير نقعا  
وما اضطربت رماح الخطأ إلا  
وما تَنَدَّقُ يوم الروع حتى  
عجبت لها تصافح من يديه  
ولا يشفى لها أبداً غليلٌ  
إذا القيت عيون الروم زرقاً

وقال ابن الصياد يمدحه ويذكر قتله أنولد (أرناط) مقدم

الصلبيين الفرنجة<sup>(٢)</sup>:

عن سيف دين الله سلَّ أرناطا  
والمشرفية قد حكمت في جيشه  
قد شام طير الكفر منه مفسراً  
هو ملبس جث العدا في الحرب من  
فجياده تشكو مزاحمة القنا  
حيث المنية كأسها يُتَعاطى  
في العلِّ والنَهْلِ القطا الفُرَّاطا  
أشغى وعاین مخلباً عَطَّاطا  
حلل النجيع مجاسداً ورياطا  
وترد فرسان الرماح سياتا

(١) م.س. ص ٢٠٥.

(٢) م.س. ص ٢٤٣.

هو فارس الإسلام يحفظ بالظُّبَا  
 كم قد أنار من الأسنّة أنجما  
 فتخاله ملكاً رمى بشهابه  
 من دينه الأطراف والأوساطا  
 لما أثار من العجاج غطاطا  
 في الروع شيطان الحروب فشاطا  
 وقال أيضاً المهذب بن الزبير يمدح الملك الصالح طلائع بن  
 رزّيك<sup>(١)</sup>:

أَقْصِرْ - فَدَيْتُكَ - عَن لَوْمِي وَعَن عَذْلِي  
 مَن كُلِّ طَرْفٍ مَرِيضِ الْجَفَنِ تَنْشِدُنَا  
 إِنْ كَانَ فِيهِ لَنَا وَهُوَ السَّقِيمُ شِفَاءً  
 إِنْ الَّذِي فِي جَفُونِ الْبَيْضِ إِذْ نَظَرْتُ  
 كَذَاكَ لَمْ يَشْتَبِهْ فِي الْقَوْلِ لَفْظُهُمَا  
 وَقَدْ وَقَفْتُ عَلَى الْأَطْلَالِ أَحْسَبُهَا  
 أَبْكَى عَلَى الرَّسْمِ فِي رَسْمِ الدِّيَارِ فَهَلْ  
 وَكَلَّ بِيضَاءً لَوْ مَسَّتْ أَنْامُلُهَا  
 يُغْنِي عَنِ الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ مَبْسِمُهَا  
 بِالْخَدِّ مِئْيَ آثَارِ الدَّمُوعِ كَمَا  
 كَانَ فِي سَيْفِ الدِّينِ مِنْ خَجَلٍ  
 هُوَ الْحَمَامُ الَّذِي يَسْمُو بِحَامِلِهِ  
 إِذَا بَدَأَ عَارِيًّا مِنْ غِمْدِهِ خَلَعَتْ  
 وَإِنْ تَقَلَّدَ بِحَرًّا مِنْ أَنْامِلِهِ  
 مِنَ السِّيُوفِ الَّتِي لَاحَتْ بِوَارِقِهَا  
 أَوْ لَا فَخَذَلِي أَمَانًا مِنْ يَدِ الْمُقْلِ  
 الْحَاظُهُ «رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي تُعَلِّ»  
 فَرُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ  
 نَظِيرِ مَا فِي جَفُونِ الْبَيْضِ وَالْخَلَلِ  
 إِلَّا كَمَا اشْتَبَهَا فِي الْفِعْلِ وَالْعَمَلِ  
 جَسْمِي الَّذِي بَعْدَ بَعْدِ الظَّاعِنِينَ بُلِي  
 عَجِبْتُ مِنْ طَلَلِ يَبْكِي عَلَى طَلَلِ  
 قَمِيصَ يَوْسُفَ يَوْمًا قَدْ مِنْ قُبُلِ  
 لِحُسْنِهَا فَلَهَا حَلِيٍّ مِنَ الْعَطَلِ  
 لَهَا عَلَى الْخَدِّ آثَارٌ مِنَ الْقُبَلِ  
 مِنْ عَزْمِهِ مَا بِهِ مِنْ حُمْرَةِ الْخَجَلِ  
 زَهْوًا فَيَفْتَكُ بِالْأَسْيَافِ وَالِدُولِ  
 غِمْدَ الدَّمَاءِ عَلَيْهِ هَامَةُ الْبَطْلِ  
 رَأَيْتَ كَيْفَ اقْتَرَانُ الرِّزْقِ بِالْأَجْلِ  
 فِي أَنْمُلٍ هِيَ سُحْبُ الْعَارِضِ الْهَاطِلِ

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٠٦.



فجاءنا لبني رُزَيْكَ مُعْجِزُهَا  
تبدو شمساً هم أقمارها فْتَرَى  
قد غَايَرَت فيهمُ السمرَ الرقاقَ رقا  
إن عانقوا هذه في يوم معركة  
ولقد لقوا كلُّ من غاروا بمُشْبِهِهِ  
وضارب الرومَ رومٌ من سيوفهم  
وهزهم لصهيل الخيل تحت صهيل  
فالدُمُ حَمْرٌ وأصواتُ الجيادِ لهم  
والخيلُ قد أطرَبَتْها - مثلما طربوا -  
من كلِّ أجردةٍ مختالٍ بفارسِهِ  
وكلُّ سَلْهَبَةٍ للريحِ نِسْبَتُهَا  
أفارسَ المسلمين أسمع فلا سَمِعَت  
مقالَ ناءٍ غريبِ الدارِ قد عدمَ الأ  
يشكو مصائبَ أيامٍ قد اتسعت  
يرجوك في دفعها بعد الإله وقد  
وكيفَ ألقى من الأيامِ مَرزِيئَةً  
لولا همُ كنتُ أفري الحادثات، إذا  
وكيف أخلع ثوبَ الذلِّ حيث كَفِيهِ  
فما تخافُ الردى نفسى وكم رضيتُ  
إنى امرؤٌ قد قتلت الدهرَ معرفةً  
إن يزوماءُ الصُّبا عودي فقد عَجَمَت  
تجاوزت بي مَدَى الأشياخِ تجربتي

بأيةٍ لم تكن في الأعصُرِ الأوَّلِ  
شُهَبَ القَنَا في سماءِ النقعِ لم تَقُل  
قُ البيضِ خلفَ سُجوفِ النقعِ في الكلِّ  
لاحت لهم بتلظي تلك كالشُعَلِ  
حتى لقوا النُجْلَ عند العَرَضِ بالنُجْلِ  
وطاعنَ العُربِ أعرابٌ من الأسَلِ  
البيضِ ما هزَّ أعطافَ القَنَا الخَطَلِ  
أصوات مَعْبَدٍ في الأهزاجِ والرَّمَلِ  
أفعالهم، فهي تمشي مِشْيَةَ النَّمْلِ  
إلى الطَّعانِ جريحِ الصُّدرِ والكَفَلِ  
لكنها لو بَغَتْها الريحُ لم تُنَلِ  
عِدَاكَ غيرَ صليلِ البيضِ في القُلَلِ  
نصارَ لولاك لم يَنطِقِ ولم يَقُلِ  
فضاقَ منها عليه أوسعَ السُّبُلِ  
يُرَجَى الجليلُ لدفعِ الحادثِ الجَلَلِ  
جَلَّتْ ولي من بني رُزَيْكَ كلُّ ولي  
نابت، بنهضةٍ ماضي العزمِ مُرْتَجِلِ؟  
لُ الحرِّ بالعزِّ وَخَدُّ الأيُنُقِ الذُّلِّ  
بالعجزِ خوفَ الردى نفسٍ فلم تُبَلِ  
فما أبيتُ على يأسٍ ولا أملِ  
منى طروقُ الليالي عودَ مُكْتَهَلِ  
قدماً وما جاوزت بي سنَّ مُقْتَبَلِ

وَأَيْنَ ضَوْءِ الضُّحَى مِنْ ظِلْمَةِ الْأَصْلِ  
تَعَاظَمَ لَيْنَالِ الْمَجْدِ بِالْجَيْلِ  
ظَنًّا وَيَصْغُرُ فِي الْإِفْهَامِ عَنِ زُحْلِ  
(أَجَابَ دَمْعِي وَمَا الدَّاعِي سِوَى طَلَلِ)  
زَهْوًا عَلَى مَدْحِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْبَطْلِ

وَأَوَّلُ الْعَمْرِ خَيْرٌ مِنْ أَوَاخِرِهِ  
دُونِي الَّذِي ظَنَّ أَنِّي دُونَهُ فَلَهُ  
وَالْبَدْرُ تَعَظَّمَ فِي الْإِبْصَارِ صَوْرَتُهُ  
مَا ضُرَّ شِعْرِي أَنِّي مَا سَبَقْتُ إِلَى  
فَإِنْ مَدَحِي لِسَيْفِ الدِّينِ تَاهَ بِهِ

وقال يمدحه أيضاً: (١)

أَنْ الْقُلُوبَ مَوَاقِدُ النَّيْرَانِ  
فِي الْقَوْمِ وَهِيَ مَرَابِضُ الْغَزْلَانِ  
مَا غَادِرُوا فِيهَا مِنَ الْغُدْرَانِ  
قَلْبِي عَشِيَّةً سَارَ فِي الْأَطْعَانِ  
أَرِي تَضَاءَ لَدُونِهِ الْقَمْرَانِ  
سَرَقَتْ شَمَائِلُهُ غُصُونُ الْبَانِ  
غُصْنُ الْأَرَاكِ يَمِيدُ فِي نَعْمَانِ  
مَنْ نَاطِرِيهِ إِذَا رَنَّا نَصْلَانِ  
أَضْحَى لَصَارِمِ طَرْفِهِ جَفْنَانِ  
مَنْ حَاجِبِيهِ لِلْحِظِّهِ قَوْسَانِ  
نَارًا تَلْفَعُ لِلدُّجَى بَدَخَانِ  
جَوْزَاؤُهُ، وَالرَّاقِصِ السُّكْرَانِ  
إِعْجَامِهَا وَالِدَّالُ فِي الدَّبْرَانِ

أَعْلِمْتَ حِينَ تَجَاوَزَ الْحَيَانَ  
وَعَرَفْتَ أَنَّ صَدُورَنَا قَدْ أَصْبَحَتْ  
وَعْيُونُنَا عِيُوضَ الْعَيُونِ أَمَدَهَا  
مَا الْوُخْدُ هَزُّ قَبَابِهِمْ بَلْ هَزُّهَا  
وَبِمَهْجَتِي قَمَرٌ إِذَا مَا لَاحَ لِلْسَّ  
قَد بَانَ لِلْعِشَاقِ أَنَّ قَوْمَهُ  
وَأَرَاكَ غُصْنًا فِي النَّعِيمِ [تَمِيلُ] إِذْ  
لِلرَّمْحِ نَصْلٌ وَاحِدٌ وَلِقْدُهُ  
وَالسَّيْفُ لَيْسَ لَهُ سِوَى جَفْنٍ وَقَدْ  
وَالسَّهْمُ تَكْفِي الْقَوْسِ فِيهِ وَقَدْ غَدَا  
وَلرَّبُّ لَيْلٍ خَلَّتْ خَاطِفَ بَرِّقِهِ  
كَالْمَائِلِ الْوَسْنَانَ مِنْ طُولِ السُّرَى  
مَا بَانَ فِيهِ مِنْ تُرْيَاهُ سِوَى

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٠٩.

تسقي الرياض بجدول ملآن  
أبدأ نجوم الحوت والسرطان  
-دون الورى- وجذيمة أخوان  
شهب الدجى عوضاً من الخلآن  
أهوا عن الإخوان بالخوان  
أسلت عن الأوطار والأوطان  
حتى تصير مكسر الصلبان  
عن قومك الماضين من غسان  
قدما فسل عن حادث الجولان  
فاسندر روايتها إلى حسان  
بقلوب أهلها من الخفقان  
أوتيت من ملك ومن سلطان  
لعلاك يسجد شامخ البنيان  
كالأسد حين تصول في خفان  
أن البحار تحل في غدران  
جرداء خالية من السكان  
يشرون تحت كواكب الخرصان  
هو في العديد ورملة سيان  
بسطاك بعد العز دار هوان  
-وهم لك الضيفان- بالذيفان  
بصوارم سللت من الأجفان  
بشبا ضربا صادق وطعان

وترى المجرة في النجوم كأنها  
لولم يكن نهراً لما عامت به  
نادمت فيه الفرقدين كأنني  
وترفعت هممي فما أرضى سوى  
وأنفت حين فُجعت بالأحباب أن  
واعترضت من جود الوزير مواهباً  
يا كاسر الأصنام قم فانهض بنا  
فالشام ملكك قد ورثت ثرائه  
فإذا شككت بأنها أوطانهم  
أورمت أن تتلو محاسن ذكرهم  
مازلت أرض العدا بل ذاك ما  
وأقول إن حصونهم سجدت لهما  
والناس أجدرب بالسجود إذا غدا  
وقد بعثت إلى الفرنج كتائباً  
لبسوا الدروع ولم نخل من قبلهم  
وتيمموا أرض العدو بقفرة  
عشرين يوماً في المغار و ليلة  
حتى إذا قطعوا الجفار بجحفل  
أغريتهم بحمى العدا فجعلته  
عجلت في تلك العجول قرأهم  
لما أبوا ما في الجفان قرئتهم  
وثللت في يوم العريش عروشهم

مِنْهُ وَمَنْ دَمَهُمْ مَعَا بَحْرَانِ  
فِي يَوْمِ حَرْبِهِمْ مِنَ الْأَقْرَانِ  
مِمَّنْ تَحَارَبُ بِالنَّجِيعِ الْقَانِي  
كَشَقَائِقِ نِثْرَتِ عَلَى الرَّيْحَانِ

أَلْجَأَتْهُمْ لِلْبَحْرِ لِمَا أَنْ جَرَى  
مُدِيحَ الْوَرَى بِالْبَاسِ إِذْ خَضِبُوا الظُّبَا  
وَلَأَنْتَ تَخْضِبُ كُلَّ بَحْرٍ زَاخِرٍ  
حَتَّى تَرَى دَمَهُمْ وَخَضِرَةَ مَائِهِ  
وَمِنْهَا فِي وَصْفِ الْأَسْطُولِ:

وَطَفَّتْ عَلَيْهِ مَنَابِتُ الْمَرْجَانِ  
لَمْ يَأْتِ فِي حِينٍ مِنَ الْأَحْيَانِ  
مَنْ فَتَكَهَا وَلَهَا الْعُدَاةُ شَوَانِي  
وَفَعَلَنْ فَعَلَ كَوَاسِرِ الْعَقْبَانِ  
فِيهَا الْقَنَا عِوَضًا مِنَ الْأَشْطَانِ  
أَسْرَاهُمْ مَغْلُولَةَ الْأَذْقَانِ  
فِي كُلِّ بَكَرٍ عِنْدَهُمْ وَعَوَانَ  
شَعْبَانَ كِي يَتَلَاءَمَ الشَّعْبَانَ  
دَوِ الشَّامُ وَهُوَ عَلَيْكُمَا قِسْمَانِ

وَكَأَنَّ بَحْرَ الرُّومِ خُلِقَ وَجْهُهُ  
وَلَقَدْ أَتَى الْأَسْطُولُ حِينَ غَزَا بِمَا  
أَحْبَبَ إِلَيَّ بِهَا شَوَانِي أَصْبَحَتْ  
شُبُهْنَ بِالْغَرْبَانِ فِي الْوَانِهَا  
أَوْ قَرْنَهَا عُدَدَ الْقِتَالِ فَقَدْ عَدَّتْ  
فَاتَتْكَ مُوقِرَةً بِسَبِي بَيْنَهُ  
حَرْبٌ عَوَانَ حَكَمَتْكَ مِنَ الْعَدَا  
وَأَعَدَّتْ رُسُلَ ابْنِ الْقَسِيمِ إِلَيْهِ فِي  
وَالْفَالُ يَشْهَدُ بِاسْمِهِ أَنْ سَوْفَ يَغْ

وقال ابن قصير الاسكندراني يمدح الملك الصالح أيضاً<sup>(١)</sup>:

فِي حَقِّ سَاكِنِهِ أَجَلٌ عُقُوقِهِ  
تُغْنِيهِ يَوْمَ الرُّوعِ عَنِ الْبَرِيْقِهِ  
أَوْ مَا حَوَاهِ ثَغْرُهُ مِنْ رِيْقِهِ  
فِي سَرْدِ مَا طَلَّهِ وَفِي تَحْقِيقِهِ

الصَّبْرُ عَنِ بَانَ الْحَمَى وَعَقِيقِهِ  
ظَبِي ظُبَا الْحَاظِلِ فَتَاكَةُ  
سِيَانِ عِنْدِي الْخَمْرُ فِي الْبَرِيْقِهِ  
لَا فَرَقَ بَيْنَ خِيَالِهِ وَوَصَالِهِ

(١) خريدة القصر، الجزء الاول، ص ٢٤٦.

ومنها:

وضياءٍ بهجتها كبعض شروقه  
د كماله، والغصن عند بسوقه  
فتكلف السلوان غير مطيقه  
وعداته رفق الهوى برفيقه  
ذا العذل عند ذوي النهى بطريقه  
يُصغى لزور العذل أو تنميقه  
فيه، ملام الصب في معشوقه  
في عُرصة البداء من مسبوقه  
تبليغها للحر من توفيقه  
في الفضل عند الناس في عيوقه  
مثل العقاب مُغرِّدًا في نيقه

والله مال للشمس في إشراقها  
كالرئيم حال نفاهه والبدر عند  
لا تجعل الهجران بعض عقوبتي  
وأرفق فمن دين المرؤة في الهوى  
والله ما صدق الملام ولا جرى  
كل الجوارح في يديه فأيتها  
فذر الملام فحبذاه لذكوره  
يا راكب المهري أضحي ظله  
بلغ إلى الملك الهمام أمانة  
حتام حظي في الحضيض؟ وإنه  
مثلى بمصر وأنت مالك رقه

ومنها:

يُضطرُّ سامعها إلى تصديقه  
لجعلت عرضك روضةً لأنيقه  
منهيه كذاك فسوقه بفسوقه  
كم بين خالصه إلى سئوقه  
من ليس ينفق باطل في سوقه  
من ليس ينفق باطل في سوقه  
وأعمل بكل الجهد في تطليقه

والله حلفة صادقٍ وبربها  
لو كنت أَرْضَى الشِعْرَ خَطَّةً فاضلٍ  
إن الحديث صلاحه بصلاح  
والصيرفي يبين عند محكّه  
ولقد أشاع الناس أنك في الورى  
ولقد أشاع الناس أنك في الورى  
أبطل بنور العقل سلطان الهوى

فأجابه الملك الصالح بن رزيك بقصيدة منها:

نفق التأدب عندنا في سوقه وبدا اليقين لنا بلمع بروقه

أهدى لي القاضي الفقيه عرائساً  
فأجلت طرفي في بديع رياضه  
أدب سعى منه إلى غاياته  
ولقد علمت بأن فضلك سابق  
فلذا اقتصررت ولم أر الإمعان في  
وأرى الزمان جرى على عاداته  
والشوق في قلبي تضرّم وهجّه  
والدمع من عيني يسحّ فهل يرى  
نزهت في بستانِ نظمك ناظري  
يا من تدلّ فنون ما يأتي به  
أنت امرؤ من قال فيك مقالة  
وأنا أرى تقديم حاجة صاحبي  
وكذا الكريم فمهملّ لاموره  
هذا النجاح، فكل ما قدر مته

وقال الحسن بن علي الأسواني المعروف بالمهذب ابن الزبير  
يمدح الملك الصالح طلائع بن رزيك<sup>(١)</sup>:

كان في سيف سيف الدين من خجل  
هو الحسام الذي يسمو بحامله  
إذا بدا عارياً من غمده خلعت  
من عزمه ما به من حمرة الخجل  
زهواً فيفتك بالأملاك والدول  
غمد الدماء عليه هامة البطل

(١) الطالع السعيد، الجامع لاسماء نجباء الصعيد، أبو الفضل جعفر بن ثعلب الادفوي، ط ١،  
القاهرة، الدار المصرية، سنة ١٩٦٦، صفحة ١٩٩.

وإن تقلد بحرأمن أنامله  
 من السيوف التي لاحت بوارقها  
 فجاءنا لبني رزيك معجزها  
 وقال فيه أيضاً:

للمرح نصل واحد ولقدّه  
 وترى المجرّة في النجوم كأنها  
 لو لم يكن نهرألمعامت به  
 نادمت فيه الفرقدين كأنه  
 من ناظريه إذا رنانا نصلان  
 تسقي الرياض بجدول ملآن  
 أبدأ نجوم الحوت والسرطان  
 -دون الوري- وجذيمة أخوان

### مدح ضرغام:

وبعد مقتل آل رزيك ومحو آثارهم، أسند منصب الوزارة إلى  
 ضرغام. فمدحه الفقيه عماره: ويصف منصب الوزارة والمهمات  
 المطلوبة منه:

همّ الزمان بها فمذككلفتها  
 وأجبت داعية الفرنج بديهة  
 اطفأت جمرتها بإخوتك الألى  
 لم أدر والتشبيه يقصر عندهم  
 طالت بأيديهم قصار صوارم  
 وحلّطتم أنصاركم بنفوسكم  
 أضحى يوالي نصرها ويوالي  
 قبل الروية بارتحال رجال  
 يتسنّمون غوارب الأهوال  
 أغيوث نُزل أم ليوث نزال  
 بانث بها الأعمار غير طوال  
 والناس من مولى لكم وموالي

ويصوّر عمارة الوزارة بأنها هي التي ترنو بطرفها لضرغام  
 وهي المحتاجة إليه وليس العكس:

هل للوزارة حاجة أم حجة  
 ترجو تتمتها ببعض كمال

هذا الذي ما زال طرفك دائماً  
 هذا الذي عضلوكِ عنه لتخرجي  
 وأحقُّ من وزر الخلافة، من مشى  
 واختصَّ بالخلفاء وانكشفت له  
 وتصرف الوزراء عن آرائه  
 يرنو إليه في الزمان الخالي  
 من عزة حرمت ومن إجلال  
 في حرة الإعظام والإجلال  
 أسرارها بقرائن الأحوال  
 كتصرف الأسماء بالأفعال

### مدح شاور:

عندما أقدم شاور على اغتيال ضرغام رغم تحالفهما على قتل آل  
 رزيك واستئصال شأفتهم وأخرهم رُزَيْك بن الملك الصالح. وقدموا  
 رأسه في «طشت» إلى شاور، وهو بدار الوزارة - تألم الفقيه عمارة  
 لهذا المنظر وقال:

اعزز عليّ أباشجاع أن أرى      ذاك الجبين مضرّجاً بدمائه  
 ما قلبته سوى رجال قلبوا      أيديهم من قبل في نعمائه  
 وجلس شاور في دار الوزارة فقال بمدحه دون أن يعرض بآل  
 رزيك، بل العكس يذكر أيامهم الواعدة معتذراً من شاور إذا ذكرهم  
 بجميل الصنع وذكر بهم<sup>(١)</sup>:

صحت بدولتك الأيام من سقم      وزال ما يشتكيه الدهر من ألم  
 زالت ليالي بني رُزَيْك وانصرمت      والحمد والذم فيها غير منصرم  
 كأن «صالحهم» يوماً وعادلهم      في صدر ذا الدست لم يقعد ولم يقم  
 ويصف عملية الانقلاب على آل رزيك فيقول:

(١) ديوان عمارة اليميني، الجزء الثاني، ص ٩٤٧.



هم حرّكوها عليهم وهي ساكنة  
كنا نظنّ - وبعض الظنّ مائمه -  
فمذ وقعت وقوع النسر خافهم  
ولم يكونوا عدواً ذلّ جانبه  
وما قصدت بتعظيمي عداك سوى  
ولو شكرت لياليهم محافظة  
ولو فتحت فمي يوماً بذمّهم  
والله يأمر بالإحسان عارفة

والسلم قد يُنبتُ الأوراق في السّلمِ  
بأنّ ذلك جمع غير منهزمِ  
من كان مجتمعاً من ذلك الرخمِ  
وإنما غرقوا في سيلك العَرَمِ  
تعظيم شأنك فاعذرني ولا تلمِ  
لعهد ما لم يكن بالعهد من قدَمِ  
لم يرض فضلك إلا أن يسُدّ فمي  
منه وينهي عن الفحشاء في الكلمِ

مدح أسد الدين شيركوه:

قال حسان بن نُمير الكلبي - العرقلة - يمدح وزير العاضد أسد  
الدين شيركوه ويذكر بمقتل شاور<sup>(١)</sup>:

رحلت من الشقيف: إلى العراق  
ونكست الأعداي منه قهراً  
وما نخشى على الإسلام بأساً  
وشاوركم تشاور كلّ خبّ  
اتصبر إن أتتك بحار خيل  
متى رفعت لك السودان رأساً  
وعيشك ماله من مصر بُدّ  
هو الأسد الذي ما زال حتى

بعزم كالمهندة الرقاق  
ومجدك في ذرى الجوزاء باق  
إذا هلك الجميع وأنت باق  
وتنفق عند مثلك بالنفاق  
وقدما ما صبرت على السواقى  
وقد خلاهم مثل الزقاق  
ومن عندي ثلاثاً بالطلاق  
بنى مجدأ على السبع الطباقي

(١) ديوان العرقلة، م.س. ص ٦٨.

عمارة يمدح نجم الدين أيوب ويطالبه بإعادة رواتبه ومستحقّاته  
المقطوعة منذ دخولهم مصر:

قال الفقيه عمارة يمدح نجم الدين أيوب والد صلاح الدين  
ويطالبه بإعادة رواتبه المقطوعة منذ خمس سنوات<sup>(١)</sup>:

ثغر الزمان بنجم الدين مبتسم      ووجهه بدوام العزيتّسّم  
أيامه الغر لا زالت مخلّدة      ساعاتها فرصّ للأجرتغتّم  
ويعبّته قائلًا:

هل أنت مُصغٍ إلى دعوى أخبرها إلى علاك فأنت الخصم والحكم  
ما زال في الثغر لي رزق سحائبه      تهمني على روض آمالي وتنسجم  
ولكن عندما أتى نجم الدين وأولاده؟؟

حتى ملكت فلانجم أسيربه      إلى علاك ولا نار ولا علم  
واليوم خمسة أعوام محرّمة      لم يسقني لك لاطل ولا ديم  
ويذكره كيف كانت حالته من الملوك المصريين:

وكان لي من ملوك النيل قبلكم      مكانة عرفتها العرب والعجم  
وبالرغم من الخصومة المذهبية بين عمارة وبين الفاطميين فلم  
يقطعوا رواتبه:

وكان بيني وبين القوم ملحمة      في حربها السن الأديان تختصم  
وما تزال إلى داري عوارفهم      تمشي إلى بابها الإكرام والنعم  
ويذكره بنفسه ومن هو:

ولست بالرجل المجهول موضعه      ولا لنزير من الإحسان أغتّم

(١) ديوان عمارة، الجزء الثاني، ص ٩٣٧.

وإنما أنا ضيف الملوك ولي دون الضيوف لسان ناطق وفم  
ويذكر نجم الدين أيوب أنه كان معزراً مكرماً عند أخيه أسد  
الدين شيركوه. والحقيقة غير ذلك فقد كره الأيوبيون عمارة وكره  
عمارة الأيوبيين. فهو شاعر عربي كريم الحسب والنسب واليد  
عاش بين خلفاء أئمة عرب هاشميين قرشيين يقدرون الكلمة  
ويعرفون قيمتها. أما هؤلاء الأكراد الأيوبيون «فياذوب» يفهمون لغة  
التخاطب اليومي. أي أنّ لا الشعر ولا الآيات الكريمة ولا الحديث  
النبوي الشريف يهزّ كيانهم أو عقلهم، فهمهم كروشهم وقروشهم  
وفروجهم، ويذكر بالملك الصالح طلائع بن رزيك:

— لهفي على أسد الدين الهمام وكم جرت عليه دموع العين وهي دم  
— قد كان يرفعني في صدر مجلسه العالي ويبسط أنسي حين احتشم

مدح آخر وزير مصري فاطمي: صلاح الدين الأيوبي:

عندما يبدأ الفقيه عمارة بمدح صلاح الدين يبدأ بتصوير ألمه  
وشكواه من الحالة الجديدة التي وصلت إليها مصر فيقول<sup>(١)</sup>:  
أيأأذنّ الأيام إن قلت فاسمعي لنفثة مصدور وأنة موجع  
وعى كلّ صوت تسمعين نداءه فلا خير في إذن تنادى فلا تعي  
ويصف ما حلّ به بعد سيطرة الأيوبيين على الحكم في مصر:  
تقاصر بي خطب الزمان وباعه فقصر من ذرعي وقصر أذرعي  
واخرجني من موضع كنت أهله وانزلني بالجور في غير موضعي

(١) ديوان عمارة اليماني، الجزء الثاني، ص ٦٨٦.

وبدل أن يمدح صلاح الدين الأيوبي يمدح الخلفاء المصريين

الشيعة:

فَيَمَّمْتُ مِصْرًا أَطْلَبُ الْجَاهَ وَالْغِنَى      فنلتها ما في ظلِّ عيشٍ مُّمنَعِ

وزرت ملوك النيل إذ زاد نيلهم      فأحمد مرتادي وأخصب مرتعي

وفزت بألف من عطية فائز      مواهبه للصنع لا للتصنعِ

وكم طوّقتني من يد عاضدية      سرّت بين يقظي في العيون وهُجّعِ

ولا يكتفى أن يذكر صلاح الدين بكرم الخلفاء المصريين فيُعدّدُ

له كرم الوزراء المصريين أيضاً:

وجاد ابن «رزّيك» من الجاه والغنى      بما زاد من مرمي رجائي ومطمعي

وليست أيادي شاورٍ بذميمة      ولا عهدا عندي بعهدٍ مُضَيِّعِ

وبالرغم من أن الوزير شاوراً قد قتل على يد صلاح الدين، فلم

يردع هذا الأمر الفقيه عمارة على مدحه وتذكير صلاح الدين الأيوبي

به في نفس القصيدة التي مدحه فيها، ويتابع قائلاً:

ملوك رعوالي حرمة صار نبتها      هشيمار عتّة النائبات وما رُعي

وردت بهم شمس العطاء لرفدهم      كما قال قوم في عليّ ويوشعِ

مذاهبهم في الجود مذهب سُنّةٍ      وإن خالفوني في اعتقاد التشيعِ

وبعد هذه المداخلة يبدأ الفقيه عمارة بمعاتبة صلاح الدين. وكيف

يصيخ له صلاح الدين السمع وقد صدرّ قصيدته بمدح الخلفاء

والوزراء المصريين أعداء صلاح الدين فيقول:

فقل لصلاح الدين - والعدل شأنه -      مَنْ الْحَكْمُ الْمُصْغِي إِلَيَّ فَأُدَّعِي

أقمت لكم ضيفاً ثلاثة أشهر      أقول لقلبي كلّما ضاق وسّعِ

أعلل غلماني وخيلي ونسوتي      بما صغت من عذر ضعيف مُرَقِعِ  
وضايقني أهل الديون فلم يكن      سوى بابكم منهم ملاذي ومفزعِي  
فياراعي الإسلام كيف تركتنا      فريقي ضياع من عرايا وجُوعِ  
ولما اغص الريق مجرى حلوقنا      أتيناك نشكو غصّة المتوجّعِ  
ويذكره بأنه مسلم سنِّي شافعي وأنه فقيه في الشافعية علّه يرق  
له قلبه ويعيد له رواتبه فيقول:

فإن كنت ترعى الناس للفقهِ وحده      فمنه طرازي بل لثامي وبرقعي  
ألم ترو عني «للشافعي» وأنتم      أجلُّ شفيح عند أعلى مشفّعِ  
ملكتم عنان النصر ثم خذلتني      وحالي بمرأى من علاك ومسمعِ  
فحالك لا توسع عليّ وتلتفت      إليّ التفات المنعم المتبرّعِ  
ويذكره بأن راتبه المقطوع مقرّر من قديم الزمان:

وهاجرت أرجومك إطلاق راتب      تقرر من أزمان «كسرى» و«تبع»  
فيا واصل الأرزاق كيف تركتني      أمد إلى نيل المنى كفّ أقطعِ  
غدا الأمر في إيصال رزقي وقطعه      بحكمك فابذل كيفما شئت أو امنعِ  
وأرسل له معاملة إطلاق الراتب لكي يوقع عليها، ولكن بدل أن  
يوقع على إطلاق راتبه وقّع على معاملة تعليقه على جذع نخلة:

وقد صدرت في طيّ ذا النظم رقعةً      غدا طمعي فيها إلى خير مطمعِ  
أريد بها إطلاق ديني وراتبي      فاطلقهما والأمر منك ووقّعِ  
إلى ههنا أنه في حديثي وانتهى      وما شئت في حقّي من الخير فاصنعِ  
فصنع به شراً ولم يصنع به خيراً. وكانّ بي والفقير عمارة يظن  
أن الحرية الفكرية التي كانت تسود مصر الفاطمية الشيعية هي نفس  
الحرية التي سادت مصر الكردية الأيوبية.

وقد ظن عمارة أنه يخاطب الملك الصالح طلائع بن رزيك بشعر يعلمه فيه مقاطعة مجلسه بسبب سبّ الشيخين أبي بكر وعمر (رض) فيه، أو أنه يرد عليه بقصيدة يرفض ترك التسنن والدخول إلى التشيع، أو أنه يخاطب الوزير شاور. فكانت الحرية في مصر الفاطمية سبباً في قتله.

### مدح كبار الموظفين في مصر الفاطمية:

كنا قد أشرنا إلى أنّ مدائح الخلفاء كانت تصل لتشبيهم بالأنبياء، حتى أن بعض الشعراء توصل لتشبيهم بالذات الإلهية، أما مدائح الوزراء فكانت أكثر ما تصل، تصل إلى كفالة الخلافة من أي شر وحماية الإسلام والمسلمين ولكن بتوجيه من الخلفاء. أما مدائح كبار الموظفين فهي لا تصل إلى المستوى الإلهي أو الإسلامي العام بل تبقى أسيرة معان عادية موجودة في كل إنسان مميّز.

### مدح القاضي المكين أبي المعالي ابن الحباب السعدي:

قال الفقيه عمارة يمدح القاضي المكين، ابن الحباب السعدي:  
وَحَقَّ الْمَعَالِي يَا أَبَاهَا وَصَنُوهَا      يَمِينِ امْرِيءِ عَادَاتِهِ الْقِسْمُ الْبِرُّ  
لَقَدْ قَصَّرَتْ عَمَا بَلَّغْتَ مِنَ الْعُلَا      وَأَحْرَزْتَهُ أَنْبَاءُ دَهْرِكَ وَالْدَهْرُ  
مَتَى كُنْتُ - يَا صَدْرَ الزَّمَانِ - بِمَوْضِعٍ      فَرْتَبْتِكَ الْعُلْيَا وَمَوْضِعَكَ الصَّدْرُ  
وَقَالَ ابْنُ غَلْبُونٍ يَمْدَحُ جَيْشَ ابْنِ الصَّمْصَامَةِ<sup>(١)</sup>:

١ - يَا جَيْشُ يَا ابْنَ مُحَمَّدٍ      يَا صَاحِبَ الْمَالِ الْوَسَاعِ

(١) ديوان عبد المحسن الصوري، م.س. ص ٢٨٨.

٢- يَأْمَنُ يُجِيبُ الدَّاعِيَيْنِ إِلَى النَّدَى وَالِى الْقِرَاعِ  
٣- أَدْعُوكَ لِمَا أَنْ دَعَا حَبَالِي مِنَ الْحَدَثَانِ دَاعٍ

### مدح أهل البيت:

قال سعيد بن مكي النيلي يمدح أهل بيت النبي وعترته<sup>(١)</sup>:  
قَمْرًا أَقَامَ قِيَامَتِي بِقَوَامِهِ لِمَ لَا يَجُودُ لِمُهْجَتِي بِذِمَامِهِ  
مَلَكَتُهُ قَلْبِي، فَاتْلَفَ مُهْجَتِي بِجَمَالِ بَهْجَتِهِ وَحَسَنِ قَوَامِهِ  
وَبِنَاطِرِ غَنَجٍ وَطَرْفِ أَحْوَرٍ يُصْمِي الْقُلُوبَ، إِذَا رَنَا، بِسِيَامِهِ  
وَكَأَنَّ خَطَّ عِذَارِهِ فِي حَسَنِهِ شَمْسٌ تَجَلَّتْ وَهِيَ تَحْتَ لِثَامِهِ  
وَكَأَنَّهُ مِنْ خَمْرَةٍ مَمْرُوجَةٍ بِالرُّسْلِ عِنْدَ رِضَاعِهِ وَفِطَامِهِ

\* \* \*

ومنها في مدح أهل البيت عليهم السلام:

دَعَا (سَعِيدٌ) هَوَاكَ، وَاسْتَمْسِكَ بِمَنْ تَسْعَدُ بِهِمْ، وَتَرَاحَ مِنْ أَثَامِهِ  
بِ-(مُحَمَّدٍ)، وَبِ-(حَايِدَرَ)، وَبِ-(فَاطِمِ) وَبِوُلْدِهِمْ عَقَدُوا الْوَلَا بِتَمَامِهِ  
قَوْمٌ، يُسَرُّوْا لِيَهُمْ فِي بَعْثِهِ، وَيَعْضُ ظَالِمُهُمْ عَلَى إِبْهَامِهِ  
وَتَرَى وَلِيَّيْ وَلِيَّهُمْ، وَكِتَابُهُ بِيَمِينِهِ، وَالنُّورُ مِنْ قُدَامِهِ  
يَسْقِيهِ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ (مُحَمَّدٍ) كَأَسَاءَ، بِهَا يَشْفِي غَلِيلَ أَوَامِهِ  
بِيَدَيْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَسْبُ مَنْ يُسْقَى بِهِ كَأَسَاءَ بِكَفِّ إِمَامِهِ  
ذَلِكَ الَّذِي لَوْلَاهُ مَا اتَّضَحْتَ لَنَا سُبُلُ الْهَدَى فِي غُورِهِ وَشَاوِهِ  
عَبَدَ الْإِلَهَ، وَغَيْرُهُ مِنْ جَهْلِهِ مَا زَالَ مَعْتَكِفًا عَلَى أَصْنَامِهِ

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، الجزء الرابع، ص ٢٠٤.

ما (أصف) يوماً، و(شمعون الصفا) مع (يوشع) في العلم مثل غلامه  
وقد عاقب العماد الأصفهاني الشاعر النيلي لمدحه أهل البيت  
حيث قال:

«من ها هنا دَخَلَ في المَغَالاة، وخرج عن المصافاة، فقبَضنا اليد  
عن كَتَبِ الباقي، ورددنا القَدَحَ على السَّاقِي. وما أحسنَ التَّوَالِي،  
وأقبحَ التَّغَالِي»<sup>(١)</sup>.

### مدح نقيب الطالبين:

إذا قارنا بين مدائح الأئمة الخلفاء المصريين وبين مدائح نقيب  
الطالبين في مصر والدولة الفاطمية، نجد تقارب معاني مدائحهم،  
لانتماء الفريقين إلى العترة النبوية الطاهرة، وتبقى العصمة ومشاركة  
الأنبياء والأئمة في صفاتهم من اختصاص الأئمة الخلفاء.

قال ابن حيّوس يمدح نقيب الطالبين الشريف فخر الدولة أبا  
يعلى حمزة بن الحسن<sup>(٢)</sup>:

فخرها وابن فخرها معدن السؤدد      ربُّ العلاءِ رَبُّ العفافي  
الشريف الأعراف والنفس والهمة      والمكرمات والأوصاف  
وحمدت الزمان عندهم أمم      غير عافي ذراه من ألف عاف  
لم يذموا بظله العيس في مشتي      ولا مربعٍ ولا مصطافٍ  
مجتديه مُجدٍ وراجيه مَرَجُو      وأضيافه ذوو أضياف

(١) م. س. نفسه ص ٢٠٨.

(٢) ديوان ابن حيّوس م. س. ص ٢٨٧.



ليس يخلو من الندى وهو يقظان      ويغشاه طارقاً وهو غاف  
يا قليل الآلاف في رتب المجد      انفراداً وواهب الآلاف

ثم تتغير نغمة المديح ويبدأ التقارب مع مدائح الأئمة الخلفاء:

كم أخ في الزمان فاق أخاه      بفعال بهايبين الشافي  
مثل مافات عبد شمس ثناءً      حازه هاشم بن عبد مناف  
طاف كل باب دارك يرجو      ما يرجي الحجيج عند الطواف  
أنتم عصمة الأنام ولو بنتم      وكلا ردوا بغير خلاف  
قد حللتهم صدور أندية الفخر      وحسب الكرام بالأطراف  
وقال يمدحه أيضاً<sup>(١)</sup>:

ما كان قبلك في الزمان الخالي      من يسبق الأقوال بالأفعال  
حتى أتيت من ارتياحك ما كفى      نل السؤال وهيبة الآمال  
لم يكفك الترف الذي ورثته      حتى شفعت معالياً بمعالي  
ونسجت سيرة آل برمك منعماً      في الشد ما عفى على الإرقال  
فإذا لبست من الثناء ملابساً      جُداً رضوا بملابس أسمال  
خص الإله محمداً من بينكم      لزال محروساً بأكرم بال  
وأبو الرسول فجدكم أولى به      من دون إخوته بلا إشكال  
أنى يكون شريكه في عمه      كشريكه في عمه والخال  
نسب بنو العلات عنه بمعزل      وبذاك تقضي سورة الأنفال  
شمخت بفخر الدولة الهمم التي      حازت مدى الإعظام والإجلال

(١) ديوان ابن حيوس، الجزء الثاني، ص ٥٠١.

وقال الشريف الأخفش يمدح الشريف إمام بن حيدرة الحسيني الطالببي قاضي بلبيس<sup>(١)</sup>:

لنجران، فالبرقُ الحجازيُّ أبرقاً  
شريفٌ يدُ الشرعِ انتقتُ منه قاضياً  
وَعُسْفَانَ، فالْمُزْنُ اليمانيُّ أودقاً  
خلائقُهُ في العدلِ تُرضى وتُرتجى  
فكان لهذا الدين أفضلَ مُنتقى  
إِذَا مَا تَعَدَّى مَارِدٌ لِسَمَائِهِ  
وسطوته في الحقِّ تُخشى وتُنقى  
يُثَبَّتُ مَنْ لَمْ يَرَقْ فِي ذُرْوَةِ الْعُلَا  
وَلَمْ يُبِطْ بِالتَّثْبِيتِ إِلَّا لِيَسْبِقَا  
وَحَذُّ حَذْرًا مِنْهُ إِذَا كَانَ مُضْعِقَا  
هو الغيثُ يَمْمُهُ إِذَا كَانَ مُمَطْرَا  
بِكْفِيهِ إِلَّا خَيْفَةً أَنْ يُفَرِّقَا  
وما أَصْفَرُ لَوْنُ التَّبْرِ عِنْدَ اجْتِمَاعِهِ  
وَلَا بَاتَ بَابٌ مِنْكَ دُونِي مُغْلَقَا  
وقال أبو الرقعمق أيضاً يمدح نقيب الطالبين الرسي<sup>(٢)</sup>:

عَجَبٌ مَا مِثْلُهُ عَجَبٌ  
قَرَقَرْتُ بَطْنِي فَوَاحَزَنِي  
فَعَلُّوَابِي غَيْرَ مَا يَجِبُ  
هَرَبًا مِنْ شَرِّهَا هَرَبًا  
ذَقْنُ مَنْ بِالسَّلْحِ يَخْتَضِبُ  
زَهَبَ النَّاسُ فَمَا أَحَدٌ  
فَعَسَى أَنْ يَنْفَعَهُ الْهَرَبُ  
حُزْنِي أَنِّي مُذْزَمِنٌ  
يَشْتَهِي أَنْ تَنْفِخَ الْقِرْبُ  
وَلَكُمْ بِثَنَاءِ عَلِيٍّ طَرِبٌ  
مَا لِعِبْنَاهُ وَلَا لِعَبْوَا  
وَكُوُوسِ الصَّفْعِ دَائِرَةٌ  
وَرُؤُوسِ الْقَوْمِ تَسْتَلِبُ  
وَأَنْتَ خَبْنَاهَا وَهَامَهُمْ  
مَلُوهَا اللَّذَاتُ وَالطَّرِبُ  
وَأَكْفُ الْقَوْمِ تَصْطَخِبُ

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٤٢.

(٢) بيتيمة الدهر، ج ١، م.س. ص ٣٣٤.

وكان الصَّفْعَ بينهم  
 والعمى منهم وإن شغلوا  
 سوف يدرون أيما رجل  
 بسيفٍ وشركها أدم  
 وعجيب والحسين له  
 أن شربي عنده رنق  
 وله الورد المعاذ به  
 وهو الغيث الملت إذا  
 وإلى الرسي ما جونا  
 سيد شادات علاه له  
 وله بيت تمذله  
 حسبه بالمصطفى شرفاً  
 رتبة في العرشامخة  
 ذاك فخر ليس تنكره  
 ولأنتم من بفضالهم  
 وإليكم كل منقبة  
 وبكم في كل معركة  
 وبكم في كل عارفة  
 وإذا سمر القنا اشتجرت  
 ومدحه بقوله أيضاً:

باح وجداً بهواه  
 حين لم يُعط مناه  
 مغرم أغرى به السقم فما يرجى شفاه

كَادُ يُخْفِيهِ نَحُولَ الْجِسْمِ حَتَّى لَا تَرَاهُ

لَوْ ضَنَّأَ يُخْفِي عَنِ الْعَيْنِ لِأَخْفَاهُ ضَنَّأَهُ

حَبِّذَا الرَّسُّوِيُّ مَوْأَى رَضِي النَّاسُ وَلَاه

جَعَلَ اللَّهُ أَعَادِيهِ مِنَ السُّوءِ فِدَاهُ

فَلَقَدْ أَيَّقَنَ بِالْأَثَرِ وَةَ مَمْنُ حَاحِلَ ذَرَاهُ

مِنْ رَقِي حَتَّى تَنَاهَى فِي الْمَعَالِي مُرْتَقَاهُ

فَاتُ أَنْ يَبْلُغَ فِي السُّوِ دِدِوَالْمَجْدِ مَدَاهُ

مَلِكٌ مُذْ كَانَ بِالسُّطُوَةِ مَمْنُوعِ جِمَاهُ

بِحَرْجُودٍ لَيْسَ يَذْرِي أَيْنَ مِنْهُ مُنْتَهَاهُ

لَمْ يَخِضْ مَنْ كَانَ إِبْرَاهِيمُ فِي النَّاسِ رَجَاهُ

لَا، وَلَا يَفْرُقُ مَنْ صَزُ فَزَمَانُ إِنْ عَرَاهُ

مَنْ بِهِ اسْتَكْفَى أذَى الْأَيَّامِ وَالِدَهْرِ كَقَاهُ

كَيْفَ لَا أُمْدَحُ مَنْ لَمْ يَخْلُ خَلْقُ مَنْ نَدَاهُ

وقال أبو الرقعمق يمدح الأمير تميم بن المعز الشاعر<sup>(١)</sup>:

وَبِإِحْسَانِ تَمِيمِ عُذْتُ مِنْ عَظْمِ مَصَابِي

بِالْأَمِيرِ السَّيِّدِ الْمَاجِدِ وَالْقَرْمِ الْبَابِ

وَالْهَمَامِ الْمَنْعَمِ الْمَفْضَلِ وَالْبَحْرِ الْعُجْبَابِ

وَالَّذِي لَا فَرْقَ مَا بَيْنَ جَدَاهُ وَالسَّحَابِ

تَنْثَنِي مِنْهُ إِلَى ذِي كَرَمِ رَحْبِ الْجَنَابِ

رَافِعِ دُونَ بِنْنِي الْأَمَالِ أَسْتَارِ الْحِجَابِ

(١) بيتمة الدهر، ج ١، م.س. ص ٣٢٩.

للم أزره قسطاً إلاً      بتُّ محموداً الأيابِ  
ذكره أعذب في الأنفس      من ذكر الشبابِ  
ولقد رقت عن الماء      وعن طبع الشرابِ  
أكثر في الرأي، والفضلُ      وقسُّ في الخطابِ

وأبو الرقعمق شاعر ماجن داعر سكيّر، لا يهمنه الأوصاف الدينية  
التي ينتمي إليها الأمير تميم، فهو يراها محض هراء وخرافات، بينما  
الشرب والمجون والسكر هي أهم بكثير من أية صفات مقدسة  
أخرى.

## مدح الدولة الفاطمية

في معرض المدائح المعزية، مدح ابن هاني الأندلسي الدولة الفاطمية، ونعوتها هي نعوت دولة الرسول محمد بن عبد الله (ص)، خليفة الله على الأرض:

لكم دولة الصدق التي لم يقم بها  
إمامية يُخبرها رُونُ سعيها  
تردُّ إلى الفردوس منكم أرومة  
ولما التقت أسيافها ورماحها  
أجزتُ عليها عابراً وتركتها  
كأنَّ المنايا تحت جنبي أرائك

ويقارنها بالدولة الأموية فيقول:

وما عرفت كزَّ الجياد أميةً  
ولا جردوا نصلًا تُخاف شباته  
ولم تدم في حرب دروع أمية  
بني هاشم، قد أنجز الله وعده  
ونادت بثارات الحسين كتائبٌ  
تمطِّي شرعاً في قناها المعارك  
ولا حملت بزَّ القنا وهو شابك  
ولكنَّ فولاداً غداً وهو أنك  
ولكنهم فيها الإمام عوارك  
واطلع فيكم شمسها وهي دالك

ولا يسعنا إلا أن نذكّر بقول الشريف الرضي: عندما أقدم الخليفة العباسي (القائم بالله) على إصدار محضر طعن بنسب الأئمة الفاطميين المصريين الخلفاء، وكان الحاكم حينها لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، ومما جاء فيه:

مامقامي على الهوان وعندي      مِقْوَلٌ صارم وأنفٌ حمي  
أحمل الضيم في بلاد الأعداي      وبمصر الخليفة العلوي  
من أبوه أبي ومولاه مولاي      إذا ضامني البعيد القصي  
لف عرقي بعرقه سيّدا      الناس جميعاً محمّد وعلي

مدح أقرب إلى الغزل بالدولة الفاطمية:

قال ابن الكيزاني يمدح الخلفاء الفاطميين بشعر غزلي رقيق<sup>(١)</sup>:

أيّ طريّق أسالك      وأيّ قلب أمالك  
وأيّ صبر أبتغي      وهو بكم مستهلك  
أدارني حبّكم      كما يدار القالك  
أنثني وكلّ عضو      فيه منكم شرك  
أخلصت فيكم باطناً      فيه هوى لا يدرك  
جلّ فمافي صفوه      شوّب ولا مشترك  
ولاؤكم لي مذهبٌ      وذكركم لي نُسكُ  
ومهجتي مملوكةٌ      يا حبذا المُمأكُ  
وإن أردتم فأحقنوا      وإن أردتم فاسفكوا

(١) خريدة العصر، الجزء الثاني، ص ٢٩.

ما أنتم ممن يُخلى حُبُّه ويُثَرَكُ  
 وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله بن موسى الشيرازي  
 يمدح الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup>:

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| ولايتي لآل طه عصمة            | تنعشني بعد عثار وزلل          |
| هم الأولى بهم تجلى ربنا       | لخلقه سبحانه عز وجل           |
| هم الأولى جدّهم خير الرسل     | هم الأولى ملتّهم خير الملل    |
| فديت خير أمة قد أخرجت         | للناس تنفي الريب عنّا والخلل  |
| الراكعون الساجدون في الدجى    | والطاهرون الطيّبون والذبل     |
| الفاطميون الصناديد الأولى     | هم من جبال الفضل والفخر القلل |
| قد أورثوا مجدهم المولى الذي   | ما وضعت مثلاً له ذات حبل      |
| مولى ترى منه الأولى فوق الثرى | والدين والدنيا جميعاً في رجل  |
| الظاهر بن الحاكم الزاكي الذي  | حكّمه الله تعالى فعدّل        |
| متّعكم ربّي بما أولاكم        | من دولة تعبدها كلّ الدول      |
| وخصّكم بالصلوات دائباً        | هداه من زكّى وصلّى وابتهل     |

وقال الأمير تميم يمدح الدولة الفاطمية:

|                          |                         |
|--------------------------|-------------------------|
| إمامة مهديّة اللواء      | ودولة دائمة البقاء      |
| محفوفة بالعز والبهاء     | عممت بالعدل بني حواء    |
| سالمة من فتن الأهواء     | ولم تزل تسعى على سيّساء |
| حتى غدا الظالم في اختفاء | وعاد ميل الدين لأستواء  |

(١) ديوان المؤيد في الدين. م.س. ص ٢١٤.



وقال المؤيد في الدين داعي الدعاة هبة الله الشيرازي يمدح  
الفاطميين<sup>(١)</sup>:

الراكعون الساجدون في الدجى والطاهرون الطيبون والنبيل  
الفاطميون الصناديد الأولى هم من جبال الفضل والفخر القل  
وقال فيهم أيضاً:

أهل بيتٍ عليهم نُزِلَ الذكرُ وفيه التحريم والتحليل  
هم أمان من العمى وصراطٌ مستقيم لنا وظلٌ ظليلٌ  
هاكم منهم بمصر إماماً هو بالنفي للشكوك كفيل  
جده المصطفى، أبوه عليٌّ أمه صفوة النساء البتولُ  
الإمام الذي له دعوة الحق ومادون علمه تعليل  
دعوة قد دعا بها الأرض طراً فاجابت حُزونها والسهول  
فله في الهند ناس وجيلٌ وله بين عرصة الروم جيلٌ

وقال الفقيه عمارة في الفاطميين في معرض مدح الخليفة  
العاقد:

يا عاضد الدين من المهد ووارث القائم والمهدي  
كم للعدى من غارة فيكم يعصر منها عرق اللبدي  
والله ما فوق الثرى مثلكم في الأم والوالد والجدُّ  
لما غدوتم أمةً وحدكم غدوت فيكم أمةً وحدي

(١) ديوان داعي الدعاة، م.س. ص ٢١٣.

ويقول الكاتب محمد كامل حسين تعقيباً على قصيدة للشاعر  
عمارة اليميني<sup>(١)</sup>:

وهكذا اضطر هذا الشاعر السني إلى أن يتأثر بما كان في مصر  
في العصر الفاطمي، وأن يتأثر بعقائد الفاطميين، فأكثر منها في  
شعره، بل بلغ به تأثره بالفاطميين إلى أن يرثيهم ويثني عليهم في  
الوقت الذي تخلى عنهم جميع المصريين، وشمته بهم أعدائهم  
العباسيون وجمهور أهل السنة، فعمارة اليميني السني المذهب كان  
وفياً لهم الوفاء كله، فأنشد قصيدته التي مطلعها:

رمىت يادهر كف المجد بالشَّلَلِ وجيده بعد حسن الحلي بالعطل  
وهي أهم قصيدة ذكرت في مدح دولة أو في رثاء دولة، وقد  
أشرنا إليها مراراً في الكتب السابقة كما أثبتناها في الكتاب الأول،  
ومجزأة في فصل لاحق.

---

(١) راجع: أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ٢٥٧.

## شعر العتاب والاعتذار

في العتاب والمعاتبه جلاء للقلوب وإعادة لوصل الود المنقطع، هذا، إذا كان هناك ودّ من الطرفين، أما إذا كان أحد الطرفين حاقداً يضمّر الشر للآخر، فلا نفع للعتاب ولا المعاتبه.

وكان الوليد بن هشام، من ولد عبد الرحمن الداخل المدعو في التاريخ الفاطمي - أبو ركوة - قد خرج على الخليفة الحاكم بأمر الله، فحاصره الحاكم في برقة بطرابلس الغرب واعتقله واقتيد إلى مصر بعد أن طيف به على حمار أعرج وخلفه قرد يصبّ عليه اللبن ويصفعه على قفاه، وبعد تطويفه، اعتقل، فأرسل قصيدة إلى الخليفة الحاكم يعتذر منه ويطلبه بالعفو، ورغم أنّ العفو كان صفة ملازمة للخلفاء الفاطميين، لم يعف الحاكم عنه. وممّا جاء في هذه القصيدة<sup>(١)</sup>:

فررت ولم يغن الفرار ومن يكن مع الله لم يعجزه في الأرض هاربٌ  
ووالله ما كان الفرار لحاجة سوى فزعي الموت الذي أنا شاربٌ

(١) نفع الطيب، المجلد الثاني، ص ٦٥٩.

وقد قادنني جرمي إليك برمّتي      كما اجتزّ ميّتاً في رحى الحرب سالبٌ  
 وأجمع كلّ الناس أنّك قاتلي      فياربّ ظنّ ربّه فيه كاذبٌ  
 وما هو إلا الانتقام وينتهي      وأخذك منه واجباً وهو واجب  
 وقال المسبّحي عن لسان الحاكم بأمر الله، أنّه كان يودّ العفو  
 عنه، ولكن جرت أمور أدّت إلى قتله.

وعندما أقدم الوزير المغربي على تحريض أبي الفتوح بن جعفر  
 الحسني أمير مكة على إعلان الإمامة والخلافة لنفسه، وإطاعه بتمكّك  
 مصر، اعتقله الحاكم وأودعه السجن، بعد أن تراجع أبو الفتوح عن  
 دعوته. فكتب الوزير المغربي قصيدة يعتذر فيها إلى الحاكم. ومما  
 جاء في هذه القصيدة<sup>(١)</sup>:

سلامٌ ملء أسمع النديّ      يفيض حياً عليه من الحيّ  
 تجوزبه ملائكة كرامٌ      على قصر الإمام أبي عليّ  
 تحية نازح يزداد شوقاً      لدى خطرات ذي البين الوصيّ  
 وما يعتدّ من ذنب ولكن      تهيب سطوبة الليث الجريّ  
 وخاب بأن يلمّ به عقابٌ      على حقّ من الملك الأبّي  
 وألثم تربة فيماتولى      هناك لفيصل الخطب الجليّ  
 أياملك أيشعّ البحر خوفاً      لساكب فضله العذب الهنيّ  
 موالاة على الأيام كانت      لكم تدعى لآل المغربّي  
 فهل بعد التفرّق من زمان      يضم قوادم الشمّل القصيّ  
 فجاد عليه أمير المؤمنين بالصفح والعفو. وقد عاش الوزير

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس، ص ٢٧٥.

المغربي حتى أيام المستنصر، وقد كلف بالوزارة أكثر من مرّة.

ولما كان الخلفاء والوزراء المصريون لا يتركون مجالاً لشاعر أن يعاتب لأنّ حقّه يصله دون منّة، إضافة إلى المخصّصات السنوية من كسوة وهدايا بمناسبة الأعياد وهي كثيرة، لذلك لن نجد شعر العتاب في مصر إلا بعد مجيء الأكراد الأيوبيين. وأكثر ما وجدناه، في ديوان الشاعر عمارة اليمني.

في معرض مدحه الأمير جمال الدين فرج وهو أحد أمراء الأكراد، قال عمارة يعاتب بني أيوب<sup>(١)</sup>:

|                                 |                               |
|---------------------------------|-------------------------------|
| قصائدي لم تزل في كلّ جارحة      | من حسنّها نشوات الخمر والطرب  |
| كانت مكرّمة المثوى منزّهة       | في أرض مصر عن التصريح بالطلب  |
| فأصبحت في جوار النيل ظامئة      | تحوم حول لآل الماء والعشب     |
| حتى كأنّ بني أيوب ما علموا      | بأننيّ في زمنيّ أفصح العرب    |
| ضاقت عليّ ليااليهم وقد رُحِبْتُ | للوافدين إلى الساحات والرّحَب |
| حتى كأنّ أذى قلبي يطيب لهم      | كالعود لولا حريق النار لم يطب |

وأرسل عمارة إلى صلاح الدين الأيوبي قصيدة مكتوبة وضع لها العنوان التالي: «شكاية المتظلم ونكاية المتألّم» جاء فيها<sup>(٢)</sup>:

|                              |                              |
|------------------------------|------------------------------|
| أيا أذن الأيام إن قلت فاسمعي | لنفثة مصدر وأنة موجه         |
| وعى كلّ صوت تسمعين نداءه     | فلا خير في أذن تنادي فلا تعي |
| تقا صرّبي خطبُ الزمان وباعه  | فقصّر من ذرعي وقصّر أذرعي    |

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٢١٧.

(٢) م.س. نفسه، ص ٦٨١.

ويصف كيف كانت حالته أيام الخلفاء المصريين وكيف أصبحت  
مع صلاح الدين الأيوبي:

واخرجني من موضع كنت أهله  
فيممت مصرأأطلب الجاه والغنى  
وزرت ملوك النيل إذا زاد نيلهم  
وفزت بألف من عطية فائز  
وانزلني بالجور في غير موضعي  
فنلتها في ظل عيش مُمنع  
فأحمد مرتادي وأخصب مرتعي  
مواهبه للصنع لا للتصنع  
ويصف كرم الخلفاء والوزراء المصريين فيقول:

وكم طوقتني من يد عاضدية  
وجاد بن رزيك من الجاه والغنى  
وليست أيدي شاور بذيمة  
ملوك رعوالي حرمة صار نبتها  
مذاهبهم في الجود مذهب سنة  
وبعد أن يذكر صلاح الدين بكرم الخلفاء والوزراء الفاطميين رغم  
أنه سني المذهب وهم شيعة يخاطبه بقوله:

فقل لصلاح الدين- والعدل شأنه  
أقمت لكم ضيفاً ثلاثة أشهر  
أعلل غلماني وخيلي ونسوتي  
وهي طويلة يشكو فيها إلى صلاح الدين ما حلّ به من الحكم  
الجديد، وأعدنا ذكرهم لجماليتها وصدقها الاجتماعي:

ولما أغص الريق مجرى حلوقنا  
أتيناك نشكو غصة المتوجع  
ويذكره بأنه فقيه مسلم سني شافعي:  
فإن كنت ترعى الناس للفقه وحده  
فمنه طرازي بل لثامي وبرقعي

ألم تر و عني للشافعي وانتم      أجل شفيع عند أعلى مشفع  
ملكت عنان النصر ثم خذلتني      وجالي بمراى من علاك ومسمع  
وقال في آخر القصيدة أنها مربوط بها معاملة طياً بحاجة إلى  
توقيع لإعادة صرف رواتبه المحبوسة:  
وقد صدرت في طي ذا النظم رقعة      غدا طمعي فيها إلى خير مطمع  
أريد بها إطلاق ديني وراتبي      فأطلقهما والأمر منك ووقع

## شعر الحنين

«مصر أم الدنيا»، هذه الجملة يطلقها الإنسان المصري تعبيراً عن تعلقه بمصر وحنينه إليها كلما بعد عنها. وسنجد في القصائد المصرية الفاطمية شجى وحنيناً مختلفاً عن كلّ القصائد التي قيلت في الحنين إلى الوطن في تاريخ الشعر العربي كله. فمصر وتاريخ مصر ونيل مصر وأوابد مصر، كان لها نكهة خاصة في شعر شعراء مصر الفاطمية.

أبو الرقعق لا ينسى ليالي النيل:

قال أبو الرقعق يصف مصر ولياليها على شاطئ نهر النيل<sup>(١)</sup>:  
لا تكذبنّ فما مصر وإن بعدت      إلا مواطن إطرابي وأشجاني  
ليالي النيل لا أنساك ما هتفت      ورق الحمام على دوح وأغصان  
أصبو إلى هنوات فيك لي سلفت      قطعتهنّ وعين الدهر ترعاني  
كم بالجزيرة من يوم نعمت به      على تصاحب نايات وعيدان  
وعندما كان الأمير تميم بن الخليفة المعزّ الدين الله في مدينة الرملة

(١) بيتمة الدهر، الجزء الأول، م.س. ص ٣٤٩.



بفلسطين، كتب يتشوق إلى مصر وأهله في القاهرة المعزية فقال<sup>(١)</sup>:

أنتم في المنام حلمي وأنتم في انتباهي سؤلي وأنتم مرادي  
كلّ عضو منّي إليكم مشوقّ زائدٌ توقه على الإبعاد  
لم أفارقكم ولكنّ جسمي بان عنكم وحلّ فيكم فؤادي  
فهنيئاً لكم بكائي عليكم وهنيئاً للعين طول السهاد  
كلّما حنّني اشتياقي إليكم قلت لبيك أنت نعم المنادي

الحنين إلى عين شمس:

وقال الأمير تميم يصف حينه إلى عين شمس<sup>(٢)</sup>:

أيّ قلب كوى الفراق وهزّه أيّ لبّ أطاره واستفزه  
أيّ دمع جرى وقلب تلظى وفؤاد تداول البين وخزه  
كم شمسٍ بعين شمسٍ أذيلت لوداع رأى به الحلم عجزه  
موقفٌ جار فيه حكم التصابي وأصاب الأسى العزاء فبزه  
لورآني كُثيّر فيه ماشك بأنّي فيه كثير عزه  
فرقةٌ لاتزال في العين دمعاً عند ذكرى لها وفي القلب حزه

الجيزة جيزة الدنيا:

وقال إبراهيم بن القاسم الملقب بالرشيق عندما غادر مصر سنة

٣٨٧ هـ، يتشوق إلى مصر وأحيائها<sup>(٣)</sup>:

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز. م.س. ص ١٢٨.

(٢) م.س. نفسه. ص ٢٤٣.

(٣) الخطط المقرزية، الجزء الأول، ص ٣٧٠.

هل الريح إن سارت مشرقة تسري  
فما خطرت إلا بكيت صباية  
لأنني إذا هبت قبولاً بنشرهم  
فكم لي بالأهرام أو دير نهية  
إلى جيزة الدنيا وما قد تضمّنت  
وبالمقس والبستان للعين منظرٌ  
وفي بئر دوس مستراد وملعب  
فكم بين بستان الأمير وقصره  
تراها كمرأة بدت في رفارف  
وكم ليلة لي بالقرافة خلتها  
فإذا كل ليلة في مصر هي ليلة القدر.

### إسنا أسنا البلاد:

قال علي بن عرّام يصف شوقه وحنينه لمرايح طفولته بقصيدة  
جاء فيها<sup>(١)</sup>:

وما الحظ منقوصاً بقوصٍ وإنها  
وأسنى بلاد الله إسنا لساكن  
فلست على أسوان أسوان بعدها  
فلا براك الرحمن فيمن أراحني  
مقيلاً ولكن أين مني ظلُّه  
أجل محط للغريب وللسفر  
وخير من الكل الرحيل إلى مصر  
وما أنا مجرٍ ذكرها لي على فكرٍ  
عن الظلّ والماء الزلال الذي يجري  
وسقياً ولكني بعيدٌ عن القطر

(١) الخريدة، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، ص ١٧٦.

أما ابن عمُّه أبو محمد هبة الله بن عَرَام فهو يكره مغادرة مصر  
بتاتاً حيث يقول<sup>(١)</sup>:

لا عزَّ للمرء إلا في موطنه      والذلُّ أجمع يلقاه من اغتربا  
فاقنع بما كان مما قد حُببت به      بحيثُ أنت، وكُنْ للبين مُجتنبا  
واعلم يقيناً بلا شكٍ يخالطه      بأن رزقك إن لم تأته طُلبا  
قلب الفقيه عمارة على مصر دائماً:

تحدّث الناس بهجوم الفرنجة على مصر فكتب الفقيه عارة يعبر  
عن خوفه على مصر وحبّه لها<sup>(٢)</sup>:

يارب إنى أرى مصرأ قد انتبعت      لها عيون الأعداي بعد رقدتها  
فاجعل بها ملة الإسلام باقية      واحرس عقود الهوى من حلّ عقدتها  
وهب لنا منك عوناً نستجير به      من فتنة يتلظى جمر وققدتها

### المهذب بن الزبير يبيت مقهور الفؤاد خارج مصر:

كتب المهذب بن الزبير الغساني المصري يتذكر مصر وأيام  
مصر وهو مسجون في اليمن بسبب وشاية كاذبة<sup>(٣)</sup>:

ياربعُ أين ترى الأحبة يَمَموا      هل انجدوا من بعدنا أم اتهموا  
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما      يسري إذا جنّ الظلام الأنجمُ  
وتعرّضت بالأمسٍ روعي وحشة      لا أوحش الله المنازل منهم

(١) م.س. نفسه. ص ١٨٦.

(٢) ديوان عمارة اليمني، ص ٢٧٢.

(٣) معجم الأدباء، الجزء الثالث، ص ٢٥.

لولاهم ما قمت بين ديارهم      حيران استاف الديار وألثم  
أمنازل الأحباب أين هم وأين      الصبر من بعد التفرق عنهم

وبعد أن يشكو بعده عن مصر وعن أخيه الرشيد يقول:

ما كان بعد أخي الذي فارقته      ليبوح إلا بالشكاية لي فم  
ياراحلاً بالمجد عنا والعلا      أترى يكون لكم إلينا مقدم

فلم علم أخوه الرشيد بهذه القصيدة، أجابه بقصيدة جاء فيها:

ياربع أين ترى الأحبة يَمَمُوا      رحلوا فلا خلت المنازل منهم  
وسروا وقد كتموا الغداة مسيرهم      وضياء نور الشمس ما لا يكتم  
ما ضرهم لو ودعوا من أودعوا      نار الغرام وسلموا من أسلموا  
هم في الحشا إن اعرقوا أو أشاموا      أو أيمنوا أو أنجدوا أو اتهموا  
وهمُ مجال الفكر من قلبي وإن      بعد المزار فصفو عيشي منهم  
أحبابنا ما كان أعظم هجركم      عندي، ولكن التفرق أعظم  
غبتم فلا والله ما طرق الكرى      جفني ولكن سحّ بعدكم الدم  
لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى      إنِّي حفظت العهد لما خنتم  
فأقمت حين ظعننتم وعدلت لما      جرثمُ وسهرت لما نامتم  
يا محرقاً قلبي بنار صباية      لا تنطفي إلا بقرب منكم

وهي قصيدة طويلة، أظهر فيها الرشيد كل براعة فنية وكل عاطفة مكبوتة.

## أجمل أيام قليبوب:

قال الشاعر ظافر الحداد يتذكّر أيام قليبوب<sup>(١)</sup>:

الله أيامي بقليبوب      والعيش مُخَضَّرُ الجلابيب  
والطير في الأغصان فنَّانةٌ      ما بين تلحين وتطريب  
والشمس في المغرب مصفرةٌ      كعاشق من بعد محبوب

من الإسكندرية إلى الفسطاط: غربة:

ولشدة تعلق ظافر الحداد بالإسكندرية يجد نفسه في الفسطاط  
أنه تغرّب عن بلده حيث يقول:

إن كانت الإسكندرية قد      شطّت فأولتني نوى قَدَفَا  
وسكنت بالفسطاط مغترباً      فلقد كسبت بغربتي شرفاً  
وكسبت مالاً لويوفرةً      جدّواي لم أعرف له طرفاً  
لكن ينازعني إلى وطني      شوقٌ إذا استمهلت عسفاً  
وأعاف مصر وعيشها رَغْدٌ      ويشوقني وطني ولو عجفاً

وبالرغم من رغد العيش في مصر والمال الوفير الذي لو وفره  
لما عرف مبلغه لضخامته، فهو يفضّل الإسكندرية لأنّه:

ويهزّني مرح الشباب بها      هزّ القضيبي اللدن منعطفاً  
ما بين أتراب قد اتفقوا      أن يجعلوا ساعاتهم تحفاً  
لهفي على زمن بها وبهم      لو كان ينفع قول: والهفا  
فارقتهم وصحبت بعدهم      حالين: قرع السن والأسفا

(١) ديوان ظافر الحداد، ص ١٢.

وظافر الحداد، «ابن الإسكندرية»، كما أطلق عليه محقق ديوانه،  
حسين نصار، يستحق هذا اللقب، لأن ديوانه البالغ الأربعمائة  
صفحة، نصفه عن الإسكندرية وأهل الإسكندرية.

وقال يتلهف للعودة إليها:

هل لي إلى الثغر من عود ومنقلب      فالعيش منذ رحيلي عنه لم يطب  
ترى أزور القصور البيض ثانية      بالرمل بين غصون التين والعنب  
يا بلدتي إن يغب مغناك عن نظري      فإنه في سواد القلب لم يغب  
واهاً على ذلك العيش الذي ذهب      أيامه فيك بين اللهو والطرب

طوفان نوح من دموعه على بعد الإسكندرية:

قال ظافر الحداد يصف شوقه وحنينه إلى الإسكندرية:

عسى يجري الزمان على اختياري      فيدنيني إلى وطني وداري  
فأدفع عاديات الشوق عنّي      وأخذ من صروف البين ثاري  
سقى الإسكندرية كل غيث      يحاكي بعض أدمعي الغزار  
ولو أنني أرقّت جميع دمعي      وأطلقت الدعاء بلا اختصار  
لأصبح فوقها طوفان نوح      يجلّ عن السواحل والقرار

الإسكندرية أم الدنيا:

وقال الشاعر يمدح أهل الإسكندرية ويتشوق إليها:

ألا يانسيم الريح إن كنت عابراً      على الثغر فاقرني الساحلين سلامي  
فواهاً على الإسكندرية كلما      تنكّد عيشي دونها بدوام  
ديار بها أحباب قلبي ومنشئي      وقومي من فتیان آل جذام  
أسود وغى لا ترتضي نيل مكسب      وإن جلّ إلا من قنأ وحسام

يبيتون خمصاً والمطاعم جَمَّةً  
وما الموت إلا الذلُّ في العيش عندهم  
إذا شئت أصل المجد والفخر فابغهم  
يصونون ما تحوي المآزر من تُقى  
الأهل إلى الإسكندرية أوبَّة  
سكنت بها الدنيا فلما تركتها

تلك هي الإسكندرية بالنسبة لظافر الحداد هي الدنيا وغيرها قبر  
وستان ما بين مالك الدنيا والمدفون بالقبر.

وقال ظافر الحداد أيضاً متغزلاً يصف شوقه وحنينه إلى  
الإسكندرية<sup>(١)</sup>:

برقٌ تَأَلَّقَ من نَعْمَانٍ معترضا  
فظلت أشكو هوى شوقاً كَلَمَحَتِهِ  
ما كنتُ أولَ صَبٍّ مات من جَزَعِ  
كم عاشقٍ نال ما يرجو بلا تعبٍ  
لِلَّهِ من أنَا صَبٌّ في مَحَبَّتِهِمْ  
قد كان يُغْنِيهِمْ قَلْبِي وَيَكْلُوهُمْ  
ساروا وسار فؤادي نحو سيرهم  
في أولِ القومِ شمسُ الحسنِ يحملها  
ممشوقةُ القَدِّ حَوْدٌ كُلَّمَا طَرَحَتْ

أهَّاجَ بينَ ضلوعي عارضاً عَرَضاً  
بين الجوانحِ حَرَى تشتكي حَرَضاً  
خوفَ القَلَى فمضتُ أيامه ومَضَى  
وأخِرِ زاده جورُ الهوى فقَضَى  
ومن بهم كلُّ عضوٍ يشتكي مرضاً  
فلم يجد لهم مذقوضوا عوضاً  
فكلما رَكَّضُوا أَجْمَالَهُمْ رَكَّضاً  
قَدِّ يَمِيسُ بمثلِ العُصنِ فانتفضاً  
سهمَ الهوى وجدتُ قلبي له عَرَضاً

(١) ديوان ظافر الحداد، م. س. ص ١٨٦.

وقال الشريف ابن هبة الله العلوي في وصف وداع الأحبة  
وخلجات النفس الإنسانية في لحظة الوداع<sup>(١)</sup>:

ماذا على الأيام لو هي أحسنَتْ  
وأشدُّ ما لاقيتُ من أحداثها  
وعدُّ الزيادة قد تطاولَ عمره  
ما كنتُ أولَ مستزيدٍ لم يُزَدْ  
وقال أيضاً:

أغرى به الشوقَ اللجوجَ وحرَّضَا  
متبسِّمًا منه الغمامَ كأنَّما  
وعصى الفؤادُ سُلوهُ لما غدا  
هيهات إبراء السقيم من الضنَّا  
ما كان لولا حبُّ مَنْ سَكَنَ الغضا  
زمنٌ مضى فوق المنى فكأنه  
خالفتُ يومَ البين حكمَ تجلدي  
وبمهجتي رشاً أَعْنُ بطرفه  
قد صرَّحَ الهجران فيه لمذنب  
كم يقتضيني الدهرُ حقي عنده  
شَعْرٌ حَمَلْتُ سواده وبياضه  
ما إنْ مدحتُ سواك إلا رِقْبَةً  
فمسحتُ بالأشعار عطفَ عرامه

برق أضاء له على ذات الأضا  
هز القيونُ به الحسامَ المنتضى  
طوع الوشاة فصدَّ عنه وأعرضا  
يوماً إذا كان الطبيب الممرضًا  
يُحْشَى حشاه لذكره جمر الغضا  
حكم تقاضى حسرة ثم انقضى  
لما قضى فيه الفراق بما قضى  
مرضٌ وصحة طرُفه أن يمرضًا  
خاف الرقيبُ على هواه فعرضًا  
الدينُ لي وأنا الغريم المُقتضى  
فوجدت أثقلَ ما حملتُ الأبيضا  
مني لصلِّ حماطة قد نضنضا  
وحملت عذرَ زمانه حتى انقضى

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ١٢٧.



والآن عُذتُ وكننتُ عُوداً ذاوياً      نبتاً بصوب نداكمُ قدر وُضاً  
وحُسدتُ ما شرَّفْتَنِي بِسَمَاعِهِ      حتَّى تمنئى مُفْعَمٌ أن يقرضاً  
وقال القاضي علي بن النعمان بن حيون في وصف صديق<sup>(١)</sup>:

ولي صديق ما مسّني عَدَمٌ      مُذْ وَقَعَتْ عينه على عَدَمِي  
أغنى وأقنى وما يكلفني      تقبيلَ كِفْلِهِ ولا قَدَمِ  
قام بأمرِي لما قعدتُ به      ونمتُ عن حاجتي ولم ينمِ

---

(١) الوافي بالوفيات، ابن أبيك الصفدي، الجزء ٢٢، ط ٢، المانيا شتوت غارت طبعة جمعية  
المستشرقين الألمانية، سنة ١٩٩١، ص ٢٧٥.

## الرشاء

الرشاء لغة، هو تأبين الميت بكلام جميل يتناسب مع الحالة التي تتطلبه. يقوله الإنسان شعراً أو نثراً للتخفيف من آلام أهل الفقيد ومواساتهم، ويذكر فيه مناقب الميت وشمائله الحسنة التي تكون استمراراً لحياته المعنوية بعد موته الجسدي.

والرشاء ليس نواحاً، بل هو أقرب إلى الثناء منه إلى الحزن الخالص، وهو ضرب من التعاطف والتعاون بين الشاعر والمرثي، حيث يعبر الشاعر بمرثيته عن حزن الجماعة كلها وما فقدته في الإنسان المرثي، وبالطبع سيكون هذا الإنسان شخصاً مهماً في مجتمعه وأهله، ولو كان إنساناً عادياً لما قام الشعراء برثائه.

والرشاء يتراوح بين التعزية، والنواح والبكاء على الميت، وذكر مناقبه ومحاسنه، ويصل بعضهم في مرثياته إلى دخول آفاق فلسفية ومثالية تذكر السامع والمتلقي بأن الموت حقٌ ولا مفرّ منه.

والرشاء في مصر الفاطمية يختلف عن شعر بقية الأقطار العربية

والعصور الأدبية، كونه امتزج بأبعاد فلسفية ودينية ومذهبية جعلت من رثاء الخلفاء، رثاء للدين والدنيا كلها، وجعلت من رثاء الوزراء رثاء لكفيل الخلافة والإمامة. أما رثاء الناس العاديين، فكان به بحّة شجن ورنة ألم، تظهر مدى شفافية الشعراء المصريين وعمق إحساسهم بالألم.

### رثاء الأئمة الخلفاء:

بالطبع، سنجد رثاء الخلفاء يتضمن المعاني التي ترفعهم إلى مراتب النبوة وتضعهم في منزلة بين الألوهية والإنسانية وهذا ما لم يرث به أي خليفة من خلفاء بني أمية وبني العباس وسلاطين بني عثمان.

قال الأمير تميم يرثي الخليفة المعزّ لدين الله:

|                             |                            |
|-----------------------------|----------------------------|
| كيف لا تعدم الجسومُ القلوبا | وترى نضرةً الوجوه شحوبا    |
| من يعزّي الجياد أم من يُسلي | مجلس الملك والسرير الكئيبا |
| فقدوا بعدك القلوب اللواتي   | يغتدي الدمعُ بالدماء خضيبا |
| فليذُقْ غيري الحياةَ فإنّي  | لا أرى للحياة بعدك طيبا    |

### رثاء الخليفة الظاهر:

قال ابن حيّوس يرثي الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله:

|                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| لو أنّ شامخ قدر رافعٌ قدرا       | لم يخترم من لإعزاز الهدى ظهرا    |
| أعظم به حدّثا أفضى إلى جدّث      | عرى القلوب من الأوجال حين عرا    |
| رزيةً جَلَبَتْ نَعْمَى وزندُهُدى | لم يَكْبُ إلا كرجع الطرف ثم وَرى |

## رثاء الخليفة المستنصر:

قال عبد الباقي بن علي التنوخي - حظي الدولة - أبو المناقب يرثي الخليفة المستنصر<sup>(١)</sup>:

وليس ردى المستنصر اليوم كالردى ولا قدره أمرٌ يقاس به أمرٌ  
لقد هاب ملك الموت إتيانه ضحى ففاجأه ليلاً وما طلع الفجرُ  
فأجرى عليه حين مات، دموعنا سماء، فقال الناس لا بل هو القطر  
وقد بكت الخنساء صخراً وإنه ليبيكيه من فرط المصاب به الصخر  
وقلّدتنا المستعلي الطهر حسب ما عليه قديماً نص والدّه الطهر

## رثاء الخليفة الظافر:

عندما أقدم الوزير عباس وولده نصر على اغتيال الخليفة الظافر، قامت نساء قصور الخلافة الفاطمية بإرسال شعورهن في كتب أرسلوها إلى فارس المسلمين أبي الغارات طلائع بن رزيك يستنجدنه على عباس وولده وكان من بين هذه الكتب، قصيدة للقاضي الجليس عبد العزيز بن الحباب يرثي فيها الإمام الظافر ويستحثّ فارس المسلمين على الإسراع بالقدوم وإنقاذ الخلافة والإمامة المصرية بقصيدة جاء فيها<sup>(٢)</sup>:

عدتني عن نظم القريض عوادي وشفّ فؤادي شجوه المتمادي  
وأرقّ عيني والعيون هواجع هموم أقضت مضجعي ووسادي  
بمصرع أبناء الوصيّ وعتره النبيّ وآل الذاريات وصاد

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الأول، ص ٣١١.

(٢) معجم الأدباء، الجزء الثالث، ص ٣٠.

ويقصد بها أن الظافر وأهل بيته، أهل بيت النبي وعترته هم من  
تلك عنهم القرآن وذكرهم في سورتي الذاريات وصاد ويتابع قائلاً:  
فأين بنور زُيِّك عنهم ونصرهم وما لهم من منعة وزياد  
أولئك أنصار الهدى وبنو الردى وسم العدا من حاضرين وبادي  
لقد هُدِّرَ كَنَ الدين ليلة قتله بخير دليل للنجاة وهادي  
تدارك من الإيمان قبل دثوره حشاشة نفس أذنت بنفاد  
فلو عاينت عيناك بالقصر يومهم ومصرعهم لم تكتحل برقاد  
وقد كاد أن يطفى تآلق نوره على الحق عاد من بقية عاد

### رثاء الخليفة الفائز:

قال أسامة بن منقذ يرثي الخليفة الفائز بنصر الله<sup>(١)</sup>:

هنا بنعمى قلَّ عن قدرها الشكر وصبر الرزء لا يقوم به الصبر  
مضى الفائز الطهر الإمام وقام بالإمامة فينا بعده العاضد الطهر  
إماماً هدى لله في نقلنا إلى كرامته، وفي إقامة ناسر  
فِعش أبدأ وأسلم لهم يا كفيهم تدافع عنهم كلُّ حادثة تعرو  
ومن قصيدة لأحمد بن الزبير الغساني الأسواني في رثائه<sup>(٢)</sup>:

ماللرياض تميل سُكرا هل سُقِّيَتْ بالمزن خمرا  
أفكربلاء بالعراق وكربلاء بمصر أخرى  
ويقال إن هذه القصيدة كانت فاتحة العز والجاه عليه.

(١) معجم الأدباء، الجزء الأول، ص ٥٢٢.

(٢) م. س. ص ٥٢٢.

## رثاء العاضد:

سنرى أن القصيدة التي رثى فيها الفقيه عمارة الإمام العاضد، ستكون رثاء للدولة الفاطمية ولأيامها الحلوة التي أحس عمارة مسبقاً أنه سيفتقدها وسوف يكون مع الأيوبيين كاليقيم على مآدبة اللثيم. يقول الفقيه عمارة:

أسفي على زمن الإمام العاضد      أسف العقيم على فراق الواحد  
زمنٌ دُفعت إلى سواه وأذعنت      هجمات رأسي في يمين القائد  
جالست من وزرائه وصحبت من      أمرائه أهل الثناء الخالد  
ووجدت من جود الإمام وجودهم      للضيف أوثق عاضدٍ ومساعد  
لهفي على حجرات قصرِكَ إذ خَلْتُ      يا بن النبي من ازدحام الوافد  
وعلى انفرادك من عساكرِكَ الذي      كانوا كأموج الخضمِّ الراكد

## رثاء الوزراء الفاطميين المصريين:

إنَّ أغلب الوزراء المصريين ماتوا قتلاً بسبب تقاتلهم وتنازعهم وتناحرهم على هذا المركز، حيث أصبح الحكم بعد الخلفاء الأقوياء وأخرهم الحاكم بأمر الله، أي بدءاً من حكم الخليفة الظاهر، بيد الوزراء. وبدأ الوزراء يتناحرون على هذا المركز لأنَّ الوصول إليه لا يحتاج نصاً إلهياً كالإمامة. لذلك كان الوزير المنتصر يقتل الوزير المهزوم حتى كانت نهاية آخر وزير فاطمي وآخر خليفة فاطمي على يد صلاح الدين الأيوبي.

والملفت في أمر مرثي الوزراء أنه لم يقم أي شاعر وهم أكثر، برثاء أي وزير مهزوم مقتول، بوجود الوزير المنتصر القاتل إلا

عمارة اليمني، فقد بلغ الوفاء بهذا الشاعر لكل من عاشره من الوزراء المصريين والخلفاء إلى حفر قبره بيده وموته معلقاً على جذع نخلة.

### رثاء جعفر بن فلاح الكتامي:

عندما أقدم الأعصم القرمطي على قتل جعفر بن فلاح والي الشام من قبل الخليفة المعزّ لدين الله ودفن في دمشق، وجد مكتوباً على باب قصره الأبيات التالية<sup>(١)</sup>:

يامنزلألعب الزمان بأهله فأبادهم بتفرّق لا يجمع  
أين الذين عهدتهم بك مرّة كان الزمان بهم يضرّ وينفع  
ذهب الذين يعاش في أكنافهم وبقي الذين حياتهم لا تنفع

### رثاء عمارة لآل رزيك:

رثاء الملك الصالح طلائع بن رزيك:

تعتبر قصائد الفقيه عمارة اليمني في رثاء آل رزيك وخصوصاً رثاء الملك الصالح طلائع بن رزيك من عيون القصائد التي يقولها شاعر في رثاء شخص، كذلك قصائده في رثاء أخوته وأولاده ودولته، وهي نموذج فريد من نوعه في الوفاء، من قبل شاعر لم يعرف التقلّب مع الدول، كما لم يعرف نقل بندقيته من كتف إلى كتف. ومما قاله عمارة في رثاء الملك الصالح<sup>(٢)</sup>:

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ابن العماد الحنبلي، الجزء ٣، ط ١، بيروت، دار الآفاق الجديدة، لا تاريخ، ص ٢٩.

(٢) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٩٧٩.

ليت يوم الاثنين لم تبتسم لي  
صَبَّحَ المجد في صباح ذلك اليوم  
حادث ظَلَّت الحوادث مما  
ترجف الأرض حين تخبر عنه  
طبَّق الأرض من مصاب أبي الغارات  
يا أمير الجيوش هل لك علم  
عُطِّل المدح والنسيب وقامت  
سوف تمضي وحننا مستجدٌ  
ويتَّجه لولده رُزَّيك بقوله:

إن مضي كافل فهذا كفيل  
دولة صالحية خلَّفتها  
وقال يرثيه أيضاً بقصيدة اعتبرها النقاد من عيون القصائد  
نجتزيء منها:

كانَ أبا الغارات لم يُشَنِّ غارة  
ولا لمعت بين العجاج نصوله  
ولا سار في عالي ركائب موكب  
ولا مرحت فوق الطروس يراعه  
ولا قُسمت الحاظه بين مخلص  
ولا قام في المحراب والحرب عاملاً  
تعجبت من فعل الزمان بنفسه  
بم تفخر الأيام بعد طلائع  
أتنزل بالهادي الكفيل صروفها  
تريك سواد الليل فيه قساطله  
ولا طرزت ثوب الفجاج مناصله  
ينافس فيه فارس الخيل راجلُه  
كما مرحت فوق السروج صواهلُه  
جميل السجايا أو عدو يجامله  
من البأس والإحسان ما الله قابله  
ولا شك إلا أنه جُنَّ عاقله  
ولم يك في أبنائه من يماثله  
وقد خيَّمت فوق السماك منازلُه



أناديه قل: كيف شئت فهذه  
سيذبل روض الشعر من بعد يومه  
دعوني فما هذا بوقت بكائه  
ولم لانبكيه ونندب فقده  
ويشبهه بالإمام علي وحمزة:  
وهذا أمير المؤمنين أجل أن  
وحمزة أودي يوم أحد وإنما  
وقال عمارة أيضاً يرثيه ويصف عملية نقل جثمانه من حديقة  
داره إلى مقبرة القرافة:

يامطلق العبرات وهي غزار  
ما بال دمعك وهو ماء سافح  
عاهدت دمعني أن يقر فخانني  
ما أوحش الدنيا غديّة فارقت  
نعش الجدود العائرات مُشَيِّعٌ  
شخص الأنام إليه تحت جنازة  
سار الإمام أمامها فعلمت أن  
ومشى الملوك بها حُفاة بعدما  
فكأنها تابوت موسى أودعت  
لكنّه ماضٍ غير بقية الإسلام  
أوطنته دار الوزارة ريثما

ومقيّد الزفرات وهي حرار  
تذكي به من حرّ وجدك نار  
قلب لسائله الهموم قرار  
قطبارحى الدنيا عليه تدار  
عميت برؤية نعشه الأبصار  
خفضت برفعة قدرها الأقدار  
قد شيعتها الخمسة الأطهار  
حفّت ملائكة بها أنوار  
في جانبيه سكينه ووقار  
وهو الصالح المختار  
بنيت لنقلته الكريمة دار

ويصف مكان الضريح الجديد بقوله:

حتى إذا شيدتها ونصبتها  
وتغاير الهرمان والحرمان في  
أثرت مصرأمنة بالشرف الذي  
وجعلتها أمناً به ومثابة  
ويصف عملية اغتياله فيقول:

غضب الإله على رجال أقدموا  
لا تعجبن لقد رناقة صالح  
واخجلتا للبيض كيف تطايرت  
واحسرتا كيف انفردت لأعبيد  
رصدوك في ضيق المجال بحيث لا  
جهلاً عليك وآخرين أشاروا  
فلكل عصر صالح وقدار  
سفهاً بأيدي السود وهي قصار  
وعبيدك السادات والأحرار  
الخطي متسع ولا الخطار

ويشير إلى دفاع صديقه الأمير المكرم علي بن الزبد عن الملك  
الصالح، حيث روت كتب التاريخ أنه بقي يدافع عنه حتى شالته  
رماح القتلة ومزقته سيوفهم:

ولقد وفي لك من صنائعك أمرؤ  
أوفى أبو حسن بعهدك عندما  
غابت حماتك واثقين ولم يغب  
لا تسألن إلا مضارب سيفه  
لقي المنية دون وجهك سافراً  
حتى إذا انقطع الحسام بكفه  
ألقي عليك وقاية لك نفسه  
هي وقفة رزق المكرم حمدها  
أحللت دار كرامة لا تنقضي  
بثنائه يستمتع السمار  
خذلت يمين أختها ويسار  
فكانهم بحضوره حصار  
فلقد تزيد وتنقص الأخبار  
عن غرة لجبينها إسفار  
وانفل منه مضرب وغرار  
لما انتحتك صوارم وشفار  
وعلى رجال لومها والعار  
أبدأ وحل بقاتليك بوار

## رثاء الوزير شاور:

عندما شاهد عمارة رأس الوزير شاور يحمل على «طشت» يقلبه  
ممالك شاور الخونة قال:

اعزز علي أباشجاع أن أرى ذاك الجبين مضرّجاً بدمائه  
ما قلبته سوى رجال قلبوا أيديهم من قبل في نعمائه

### وفي وصف مقتل الوزير عباس الصنهاجي:

قال الشاعر المصري ابن أسعد، يصف مقتل الوزير عباس  
الصنهاجي قاتل الخليفة الظافر<sup>(١)</sup>:

وأنفق أموالهم في هلاكهم وأظهر ما قد كان عنه ينافق  
ومدّ يداهم طولوها إليهم وحلّت بأهل القصر منه البوائق  
سقى ربّه كأس المنيا وما انقضى له الشهر إلا وهو للكأس ذائق

### رثاء أهل الدولة:

كذلك سنجد مرثي أهل الدولة كمرثي الوزراء، تختلف عن  
مرثي الخلفاء، فالصفات المقدّسة التي وصف بها الخلفاء في  
مدائحهم هي نفسها تكرّرت في مرثيهم.

---

(١) الوافي بالوفيات، ابن أبيك الصفدي، الجزء ١٦، ط ٢، ألمانيا، شتوت غارت، طبعة جمعية  
المستشرقين الألمانية، سنة ١٩٩١، ص ٦٤٨.

## رثاء ست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله:

قال أبو القاسم عبد الرحمن بن أعين الطبيب يرثي السيدة العزيزية<sup>(١)</sup>:

عجباً للحمام يفتك صُلب الوجه      فينا إلا انثنى استحياء  
يتحدى الرجال فقدأ على      مرّ الليالي ولا ينسى النساء  
لو يردّ البكاء شيئاً بكينا      مَنْ فَقَدْنَا بعد الدموع دماء  
أيها الدمع كُفْ أو كُفْ فلو كُفَّت      عيونٌ ما كان ذاك كفاء  
جُلّ هذا المصاب عن قدر صخر      غير أن انرى الورى الخنساء  
هل عزاء لفقدنا ما فقدناه      وفقداننا عليه العزاء

وهي قصيدة طويلة ينهيها بن أعين بتعزيتة الخليفة الظاهر بقوله:

في بقاء الإمام عَمَّنْ فقدناه      عزاءً فيكشف الغُمَاء  
حسبنا الظاهر المُبدّل بالضرَاء      من حسن رأيه سرَاء  
والى الله يرجع الخلق والأمر      إليه وخلقه كيف شاء  
وأحقّ الأمور لله بالتسليم      ما كان منه حتماً قضاء

وهي قصيدة عادية، بل أقل من عادية، خلت من أي معنى مستجد، أو حزن مثير للشجون، علماً أن السيدة العزيزية، كانت الحاكم الفعلي لمصر وللممالك الإسلامية التابعة لها إبان حكم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله.

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١٤٧.

## رثاء جدّة العاضد:

قال الفقيه عمارة يرثي جدّة العاضد:

لو كان ينفع أن تجود بمائها عين لجادت أعين بدمائها  
لكنّ خطب الموت أصبح علّة قصرت خطى الآمال دون شفائها  
أو ما ترى الدنيا استمرّ خلفها في عهدا حتى على خلفائها  
طرقت جناب العاضد بن محمد بفاء من يرجى الغنى بفاءها  
ورث النبيّ سريرة ما في الوري لولاك من ينبيك عن أنبائها  
وقد يعزّ عليّ ذكر فقيده عوّضتها عن مدحها برثائها  
لم أرثها بالشعر إلا بعدما أضحى لسان الدهر من شعرائها  
غدرت بها الأيام وهي عبدها وكذا الليالي وهي بعض إمائها  
يادهر مالك لم تمنّ بعثقها أو لم تكن يادهر من عتقائها  
هلا حفظت لها أجدّ فضيلة أن الإمام يُعدّ من أبنائها  
إن لم تُعدّ من الرجال فإنهم هزّوا قنا الرايات عن آرائها  
ومنها:

في كلّ عضو حسرة لفقيده أضحى بنو الزهراء من أعضائها  
شمس بنوك الغرّ بورك فيهم يابدرها الهادي نجوم سمائها  
أما إذا كان الجمام فريضة لا بد حتماً من وجوب قضائها  
فليهنها أن المنيّة إنما نزلت بها في عزّها وعلائها

وإذا قارنا بين قصيدة بن أعين وقصيدة الفقيه عمارة، فالأولى تشبه صوت منشار حديدي يقطع في حديدة صدئة، والثانية صوت عود بيد عواد ماهر اتقن صنعته، فحوّل الحزن إلى فرح، والشجن إلى شجى. فهل سمعت أن أحداً هنا الآخرين بالموت غير الفقيه

عمارة. فصور عمارة الشعرية في مرثيته، تنساب انسياباً من نبع  
رقراق صاف.

### الوزير المغربي يرثي صهره الشريف الطالبي:

قال الوزير المغربي، أبو القاسم الحسين بن علي في رثاء صهره<sup>(١)</sup>:  
يا ناعي الدين والدنيا أشد بهما      من حيث سال بآل الله واديه  
هذي معالي قريش غاض آخرها      ومجد هاشم زار الترب باقيه  
قل يا أبا حسن والقول ذو سعة      لولا حجاب من الثرياء يثنيه  
هُنَّيت ربعاً برغم المجد تسكنه      تلقى أباك علياً في مغانيه

### رثاء أخ الأفضل بن بدر الجمالي:

عندما توفي المظفر أخو الأفضل بن بدر الجمالي رثاه ظافر  
الحداد، وعزى الأفضل به بقوله<sup>(٢)</sup>:

إذا كان عُقبى ما يسوء التصبر      فتعجيله عند الرزية أصبرُ  
وغاية أحزان النفوس سلَّوها      فأولى بها تقديمه وهي تؤخر  
ولم تعدم الدنيا فقيداً وإن سما      ووجهك فيها مشرق النور أزهـر  
وما قيمة الدنيا قياساً لفعلها      حيالك كلاً فهي أدنى وأحقر  
وإن كان تأثير الفراق مثيره      فقد نال من فارقت ما هو أفخر  
غدافي جوار الله حيث يزوره      سحابٌ حياً من رحمة الله يهـمر  
فلن قبروا جثمانه فثناؤه      مع الدهر في الأفواه ما ليس يُعبرُ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٥١٣.

(٢) ديوان ظافر الحداد والإسكندراني، م: س. ص

بقاؤك يُسلي النفس عن كلِّ فائت  
وجودك يحيي الهالكين وينشر  
سلمت مُفدَى النفوس جميعها  
وعمرك ممتدَّ الحياة مُكرِّرُ  
رثاء الأمير عقيل:

قال الأمير تميم يرثي أخاه عقيلاً:

قسمة الموت قسمة لا تجور  
يستوي كلُّ من تفاوت فيها  
نحن في غفلة وللموت فينا  
كدر الموت صفو عيش وهل  
أين آبائي الذين تفانوا  
أين جديّ حسين بن عليّ  
أين مهديّنا المملّك والقائم  
أين تلك الجيوش والعزة القعساء  
فرقتهم يد المنون فبادوا  
لم يعش للمعزّ نسل سوانا  
فأصابت يد المنون عقيلاً  
لم يجاوز حدّ الثلاثين إلا  
صار من بعد ذلك الأنس وحشاً  
أه من لوعة لها في سواد العين  
كيف يبقى امرؤ تولى  
فسأبكيك يا عقيل بقلب

كلّ حيّ بكأسها مخمور  
لا أمير يبقى ولا مأمور  
طالب مدرك مُجدُّ قدير  
في الأرض عيش ما شابه تكدير  
وبهم كانت الليالي تنيزُ  
أين زيد المفجّع الموتور  
أين المعزّ والمنصور  
والجمع العديد الكثير  
وحوتهم بعد القصور قبور  
كل ميت بنجله مذكور  
وهو مثل القضيب غصّ نضيرُ  
بليالٍ ليست لها تكثير  
وهو في قعر حفرة مهجور  
دمعٌ وفي الفؤاد زفير  
أبوه وأخوه فحبله مبتور  
فيه من حزنه عليك سعيّر

## وقال الأمير تميم يرثي جارية له:

لهفي على مافات من قربها      لهفأله في كلّ عضو سقام  
أنعى إلى الإطراب أخلاقها      ولذة الإيناس يوم الندام  
أنعي إلى العود وأوتاره      ذاك الغنا الجائز حدّ التمام  
أنعي إلى الإحسان إحسانها      وشدوها العذب كسجع الحمام  
يا حبذا وُضُّك لولم يبن      وحبذا قريبك لو كان دام  
ما كنت إلا كبدي قُطعت      ومقلتي بانّت وقلبي استهام  
وكنت قد دافعت عنها العدا      فكيف لي عنك بدفع الجمام  
لو كان غير الموت لم يستطع      رميك دوني بجليل العظام

## الملك الصالح طلائع بن رزيك يرثي نفسه:

قال الملك الصالح يرثي نفسه<sup>(١)</sup>:

يادهرُ حسبك ما فعلت بنا      أترك تطلب عندنا إحنا  
كم نتّقيك بكلّ سابغة      وسهام كيدك تخرق الجفنا  
ما تنفع الدرع الحصينة من      عما قليل يلبس الكفنا  
كلا ولا الأيام تقبل عن      أرواحنا رشواً ولا ثمننا  
لو بالثريا حلّ معتصمٌ      منها كان له الثرى وطنا  
ولقديهم ما أصابكم      فقدُ الحسين الطهر والحسنا  
وبنيهم إذ طوّحت بهم      أيدي زمانهم هنا وهنا  
وأرى الأئمة جاردهم      في فعله بهم فكيف أنا  
لي أسوءُ بهم الغداة إذا      أصبحت في الأحداث مرتها

(١) ديوان الملك الصالح، طلائع بن رزيك، م.س. ص ١٦٢.



وقد صدق حدسه وقتل بعد نظم هذه القصيدة.

## رثاء الأهل والأبناء والأقارب:

قال الفقيه عمارة يرثي زوجته أم ولده سيف الملك:

نَبَّهتني حمامة بسُحيرِ      عند تغريدها على الأغصان  
هتفت بي وقد تحدر دمي      فوق خديّ أحمرًا كالجمان  
زدت همًّا بنوحها فوق همّي      واعتراني حزنٌ على أحزاني  
قلت: ماذا التغريد؟ قالت دهاني      في خليلي ريب من الحدثان  
قلت: إن كنت قد عدمت خليلًا      فأنأقد عدمت ظبية بان  
كملت عفةً ودينًا وفخرًا      وبهاء يزهو على كيوان  
أصلها طيبٌ وفرعٌ زكي      مورق العود يانع الأغصان  
وعدمت السلو واعتضت عنه      زفرات اللهب والنيران  
وخلت بعدها الديار فأضحت      موطنًا للذئب والغربان  
بعد عهدي بها أنيسة رسم      فرمّلتها المنون بالشنان  
غدرتنا الأيام بعد اجتماع      بددت شملنا من الأوطان  
فصغيرٌ باك بقلب قريح      وكبيرٌ ينوح بالأشجان  
ويح قلبي لما حدى حادي      الموت وساروا بنعشها للمكان  
انزلوها في التراب رغماً برغمي      ثمّ صارت رهينة الأكفان  
غيبوا شخصها فغاب صوابي      وبهائي ومهجتي وجناني  
كان أنسي بها قديماً وقدماً      كنت أسطوبه على الأزمان  
تركتنني فرداً أكابد شبلي      وأردُّ النواح بالألحان  
فسلام عليك ما غرّد الطير      على أيكّة من الأغصان

وحبائك الإله منه نعيماً دائماً ثابتاً مع الولدان  
 في خلود من الجنان مقيم مع حريم النبي مع رضوان  
 فبينما الأمير تميم يبكي ما كانت تؤمنه له جاريتته من ملذات،  
 يبكي عمارة ما تؤمنه زوجته له أيضاً، ولكن ليس الملذات، بل  
 ما شرعه الله في كتابه: السكينة السلوى، الخليفة، كمال العفة  
 الدين، البهاء، الأصل الطيب، الفرع الزكي، والعود المورق اليانع  
 الأغصان.

وقد أصيب عمارة بفقده أربعة من أولاده: محمد - إسماعيل -  
 حسين - عطية، ولكننا لا نملك معلومات تشير إلى أيهم الأكبر.

قال عمارة يرثي ولده محمداً:

سأبكي على ابني مدتي وحياتي ويبكيه عني الشعر بعد مماتي  
 وأقطع أيامي عليه بلوعة تعبر عن مكنونها عبراتي  
 وكنت أرجي أن يكون محمداً ذخيرة أمالي وكنز حياتي

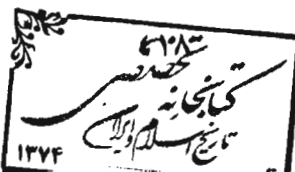
ونعلم من المرثية أنه كان له من العمر ستة عشر ربيعاً:

وما عشت إلا ست عشرة حجة سقى عهد من الله من سنوات  
 محمداً لا تبعد فإن حشاشتي تكدر صافياً بقرع صفاتي  
 لقيت الردى مستبشراً غير أنه لقاء رمى شملي بسهم شتات  
 ووارحمتا بل حسرتا لنواظري سرت بيننا مخذولة النظرات  
 وما زلت أرجوه إلى أن رأيت على الرغم مني ساكن الحركات  
 فقبلت وجهاً كان لي منه قبلة أصلي إليها من جميع جهاتي  
 وأليت لا أسلوه حتى أزوره وإن قريباً كل ما هوأت

وقال يرثيه أيضاً:

فيا ولدي ويا كبدي تَيَقِّنْ  
اسلِّي النفس عنك وكيف أسلو  
كأنك يا محمد لم تدافع  
رزقتك بعد إدراكي بعام  
بأن أباك مغلوب اليقين  
وبي ظمأ إلى العذب المعين  
صدور نوائب الأيام دوني  
فلم تبعد سنينك عن سنيني  
وفي هذا البيت إشارة إلى أن  
محمد هو ولده البكر. وقال يرثي  
ولده إسماعيل:

حسبت الدهر في ولدي  
أو الأيام تنعشه  
وأن الموت يمهلـه  
سأبكي ما استطعت على  
فصار مجاور الديماس  
فكم دهري يعاندني  
فيا ويلى ويا حَرَبِي  
وليت الموت عاجلني  
ولم أره على الأعواد  
فهَمِّي قد برى جسدي  
إلى إسماعيل أشواقِي  
وإسماعيل لي شغل  
وإسماعيل لا أسلوه  
سأبكيه وأنـدبه  
يساعدني ويسعدني  
من الأسقام والمحن  
ويحنولي ويرحمني  
بُنَيُّ كَان يَأْلِفَنِي  
رهن اللحد والكفن  
ويفضحني ويثكلني  
ويا همِّي ويا حزنِي  
وليت الدهر أهلكني  
مرتحلأ عن الوطن  
واضناني وانحلني  
تزيد على مدى الزمن  
عن اللذات يشغلني  
حتى الموت يصدعني  
بنوح زائد الشجن



ومن قصيدة ثانية يرثيه فيها، نعلم أنه كان له من العمر سبع سنوات:

ترحلت إسماعيل عنافاً وحشت  
وما عشت إلا سبعة من سني الوري  
فوارحمتا بل حسرتا لفراقه  
سأبكي عليه ما ترئم طائرُ  
منازلنا مأهولة العرصات  
سقى عهدن الله من سنوات  
ويا أسفي لوا اشتفي بأساة  
وما غرَّدَ القمريّ على شجراتِ  
وقال يرثي ولده حسين ويبدو أنه كان مريضاً طال مرضه:

حرت في طبّه و حار الأطبّاء  
من مداواته ولم يقف الداءُ  
لهف نفسي غداة سار إلى  
يا خليلي ساعداني بنوح  
واندباه عني فقد كلّ فكري  
كل عام للموت عندي نصيبُ  
وخابت ظنوننا للأمانى  
ولم ينجح الدوا في آوانِ  
الترب وقد رحلوه عن أوطاني  
أوبدمع فلا تعذلاني  
والمراثي ملّت حديث لساني  
في سراة البنين والإخوان

وقال يرثي ولده عطية:

عطية إن ذقت طعم الحمام  
هوى كوكب منك بعد الطلوع  
ولو لم تكن قمرأ زاهراً  
فإن فراقك عندي أمرُ  
ذوى غصنٌ منك بعد الثمرُ  
لما متّ عند خسوف القمر

وفي قصيدة ثانية نعلم أن عطية هو آخر ولد مات من أولاده:

عطية إن صادفت روح محمّد  
فسلم عليهم - لا شقيت - وقل لهم  
وأنى أرى أولاد غيري حسرةً  
أخيك وصنويك العليين من قبل  
سقيتُ أباكم بعدكم جرعة الثكلِ  
فأبكي على نسلي وفقدان ما يُسلي

## أدب الطّف

الطّف هو المكان الذي قتل فيه الحسين بن علي (ع) في كربلاء. لذلك أطلق مؤرّخو الأدب على الشعر العلوي الهاشمي مصطلح أدب الطّف، حيث أنّ أي قصيدة ترثي أهل البيت، يجب أن تذكر مقتل الحسين وبنيه (ع). لأنّ فاجعة كربلاء وشهداء الطّف شكلوا المنعطف التاريخي في الفكر الإسلامي الشيعي الإمامي، وأصبح الخروج على الظلم والظالمين في كلّ زمان ومكان وفي كلّ عصر ومصر واجباً على المسلم الشيعي الإمامي، وبه يكتمل دينه.

قال ابن هاني الأندلسي يرثي أهل البيت في معرض مدحه للخليفة المعزّ لدين الله:

الا أنّ يوماً هاشمياً أظلمهم      يُطيرُ فراش الهام عن كلّ مجثم  
كيوم يزيد والسبايا طريدةً      على كلّ موار الملاط عثمّم  
وقد غصّت البیداء بالعين فوقها      كرائم أبناء النبي المكرم  
فما في حريم بعدها من تحرّج      ولاهتك ستر بعدها بمحرّم  
فإن يتخرّم خيرٌ سبطي محمّدٍ      فإنّ وليّ الثار لم يتخرّم

الاسائلوا عنه البتول فتخبروا      أكانت له أمًا وكان له ابنم

ويشير إلى ما تبقى من الأمويين في الأندلس فيقول:

ولم يبق منهم غير فقع بقرقر      أنل من العفر الذليل وأرغم  
أناس هم الداء الدفين الذي سرى      إلى رَمِّمٍ بالطف منكم وأعظم  
وقال الأمير تميم ابن الخليفة المعز لدين الله يرثي أهل البيت في

قصيدة منها:

ثوت لي أسلاف كرام بكر بلا      هُم لثغور المسلمين سِدادُ  
أصابتهم من عبد شمس عداوة      وعاجلهم بالناكثين حصاد  
فكيف يلذ العيش عفواً وقد سطا      وجار على آل النبي زياد  
وقتلهم بغياً عبيد وكادهم      يزيد بأنواع الشقاء فبادوا  
بثارات بدر طالبوهم ومكة      وكادوهم والحق ليس يُكاد  
فحكمت الاسياف فيهم وسلطت      عليهم رياح للنفاق جداد  
فكم كربة في كربلاء شديدة      دهاهم بها للناكثين كباد

ويتوجّه للمسلمين بقوله:

ألم تعظموأيا قوم رهط نبيكم      أمالكم يوم النشور معاد  
تداس بأقدام العصاة جسومهم      وتدوسهم جُرْدُ هناك جِياد  
تضيمهم بالقتل أمة جدّهم      سفاهاً، وعن ماء الفرات تُذاد  
فماتوا عطاشاً صابرين على الوغى      ولم يجبنوا بل جالدوا فأجادوا  
ولم يقبلوا حكم الدعوي لأنهم      تساموا وسادوا في المهود وقادوا

ويصف كربلاء بعد المجزرة التي حلت بأهل بيت النبي فيقول:

وكم بأعالي كربلاء من حفائر      بها جثث الأبرار ليس تعاد

جواد إذا أعيا الأنام جواد  
وخزني لمن عادهما وبعد  
سبياً إلى أرض الشام تُقاد  
وقتلُ حسين والقلوب شداد  
لقد مجسّوا أهل الشام وهادوا

إذا عُدَّ إيمان وعُدَّ جهاد  
متى قيس بالصبح المنير سواد

أفضت إليه بنو أميّه  
ابن فاطمة الزكيّه  
فما حفظوا نبيّه  
وعدّوا بواظلماء وصيّه  
وهو المعدّل في القضيّه  
أضحى أبو حسن وليّه

وقتلّه عندي الرزيّه  
من النفوس الهاشميّه  
أعظم بذلك من بليّه  
والدماء المشركيّه  
وتعصّبوا لجاهليّه  
غضّة المبدأ طريّه

بها من بني الزهراء كلّ سميدع  
فلهفي على قتل الحسين ومسلم  
تساق على الإرغام قسر أنساؤهم  
يعزّ على الزهراء ذلّة زينب  
وقرع يزيد بالقضيب لسنّه  
ويخاطب بني أميّه بقوله:

متى كان يوماً صخركم كعليهم  
متى أصبحت هند لفاطمة الرضا

وقال يرثيهم أيضاً:

أوما ترى بالبغفي ما  
الغاصبين الواثبين على  
كفروا برّب محمد بغياً  
وشفوا بسبّطيه الحُقود  
ونسوا مقال نبيهم  
من كنت مولاه فقد

ويصف مقتل الإمام الحسين فيقول:

جلّت بسفك دم الحسين  
ماذا أبيع بكر بلاء  
قتلت أميّه هاشماً  
بحقود بدر طالبوهم  
خذلوا النبيّ بقتلهم  
هدموا الشريعة والشريعة

لم تخفف عن رب البرية من فعالهم خفيه  
 ما عذرهم يوم النشور إذا تحاكت البرية  
 وأتى النبي مطالباً بدم ابن فاطمة الرضيه  
 ودم الحسين على البتول وعينها منها بكيه  
 نحروه غير مذممٍ نحر الهدايا للضحيه  
 في كربلاء وجود بالنفس المعطشة الصديه  
 ويصف وصول السيدة زينب مسبية مع نساء بني هاشم  
 وأطفالهم ورأس الحسين على رمح فيقول:

حتى إذا جاءوا يزيد بهنّ واحتضروا نديه  
 أبدى الشمات وقال ثارات الرجال العبشميه  
 اعزز عليّ وقوفهن ثواكلاً فوق المطيه  
 والرأس ملقى وهو يقرع بالقضيب على الثنيه  
 يا عين جودي بالدموع على مصاب الفاطميه

ويحرّض والده الخليفة المعزّ وجيوش مصر الفاطمية بأخذ الثار  
 من بني أمية في الأندلس ومن العباسيين في بغداد فيقول:  
 آليت لا ذقت المنام ولا اضطجعت على هشيّه  
 حتى أزور أمية في كلّ بلقعة قصيه  
 وأذيقهم كأس المنية بالغدوّ وبالعشيّه  
 حتى أقوم بثأر آبائي من العصب الشقيه  
 ويتلهّف عليهم ويشتم عبيد الله بن زياد فيقول:  
 لهفي على النفر الذين مضوا ولم يبقوا بقيه



ذاقوا الردى وتخزّموا بيد الدعويّ ابن الدعويّه  
بيد الغويّ ابن الغويّ ابن الغويّ ابن الغويّه  
الناقضين الناكثين على الشريعة والبريّه

وقال المؤيّد في الدين يحرضّ المصريين على الأخذ بثأر  
الحسين عندما قام الخليفة العباسي.. بحفر قبره<sup>(١)</sup>:

الأمالهذي السما لا تمور      وما للجبال ترى لا تسير  
يرومون آل نبيّ الهدى      ليردى الصغير ويفنى الكبير  
ويُسعر بالنار فيه حريم      حرام على زائريه السعير  
وتقتل شيعة آل الرسول      عتواً وتُهتك منهم ستور  
فوا حسرتا النفوس تسيل      ويا غمّاً الرؤوس تطير  
أيا شيعة الحقّ: طاب الممات      فيا قوم: قوموا سراعاً نثور  
اتهتك حرمة آل النبيّ      وفي الأرض منكم صبيّ صغير  
وقبر ابن صادق آل الرسول      يُمسّ بسوء وأنتم حضور  
فهذا لكم عاد يوم الحسين      لماذا القصور وماذا الفتور  
فمدوا الذراع وحدّ والقراع      فيوم النواصب منكم عسير  
ولّوا «ابن دمنة» أعماله      تبور كما المكر منه يبور  
فقتلاً بقتل وثكلاً بثكل      ذروه تجرّ عليه الشعور  
أظلم من رأينا شيعةً      وفيها سراج الإله المنير  
ويهدّد العباسيين بقوله:

فقل لبني البغي لا تعجلوا      فقد أن للأرض منكم طهور

(١) ديوان المؤيّد في الدين، م.س. ص ٢٥٦.

## مراثي الملك الصالح طلائع بن رزيك لأهل البيت:

يرى المطلع على ديوان الملك الصالح طلائع بن رزيك أنه ينقسم إلى ثلاثة عناوين: شعر الطفّ أو مراثي أهل البيت، ووصف مصائبهم ومقاتلهم، والقسم الثاني، يختص بشعر الحرب والجهاد في سبيل الإسلام، والثالث في الزهد. وقد أوردنا نماذج من شعره العسكري، ونورد الآن نماذج من شعره الطالبّي.

ففي إحدى قصائده يصف ما حلّ بالحسين وصحبه (ع) في موقعة الطفّ<sup>(١)</sup>:

حملوا رؤوسهم الكريمة فوق أطراف الرماح  
وحموا عليهم من جهالتهم حمى الماء المباح  
والخمري كرع بينهم وفي قصيدة ثانية يقول:

هذا الحسين بكر بلاء وثوى وليس له نصير  
وبنو أمية آمنون تدور بينهم الخمور  
لهفي لصرعى في رجالهم وشيعتهم حضور  
وطئت ظهورهم ورُضّت بالخيل لهم صدور  
قتلوا الحسين وما استتبت بعده لهم الأمور  
وقال الملك الصالح أيضاً:

في كربلاء ثوى ابن بنت رسول رب العالمينا  
قف بالضريح وناده يا غاية المتوسلينا

(١) ديوان الملك الصالح، م.س. ص ٧١.

مولاي جسمك ضرّجته  
 لهفي عليك وحسرتي  
 يا من أقرب فضله أهل  
 هل غيره قد كان يدعى  
 أو كان غير أبيك يُدعى  
 أأكون في الحزب الشمال  
 التائبين العابدين الصائمين القائمين  
 العالمين الحافظين الراكعين الساجدين

ولقد عرفت حقوقكم  
 وجعلت دأبي ثلّ بهم  
 يا من إذا نام الورى  
 إنّ الذي أعيي طلائع  
 وقال الملك الصالح أيضاً يرثي

ما للمنازل لا تبين  
 جفّ الثرى إذ خفّ من  
 وأنا الحزين عليهم  
 أم هذه الأشجان فينا  
 ولأن بكّت تلك الربى  
 نعم المعين على تتابع  
 لو لم تحن أسى لما اشـ  
 وبكّت حمائم لا تكاد هنا  
 وُزق مفجّعة لها بالنو  
 وتكاد أصلاد الصخور

وعرفت قوماً غاصبينا  
 حتى أرى ميتاً دفيناً  
 باتوا قياماً ساهرينا  
 فيكم أعيي القرونا  
 شهداء الطفّ في كربلاء:  
 حتى ولا أضحت تبين  
 عرصات هاذك القطين  
 أفربعهم، أيضاً حزين..؟  
 كالحديث لها شجون  
 فمن العيون لها عيون  
 دمعها الماء المعين  
 تنقّت من الحزن الحزون  
 ك تحملها الغصون  
 ح بعدهم لحون  
 لفرط رقّتها تالين

وترى الرياح لها إذا  
وترى الرياح لها إذا  
وإذا تهبُّ جنوبها في  
ما الشأن إلا أن بعد  
كانت أمور فيهم  
فكانتهم آل النبي وقد  
في يوم عاشوراء لما  
وغدت مناهم حين  
لم يقبلوا عهداً لجيش  
ورأوا جميعاً أن إعطاء  
وتيقنوا، أن الحياة  
لهفي على قتلى أبيح بهم  
ما فيهم إلا صريع  
غدر الخؤون بهم هناك  
وخلت ديارهم، كما يخلو  
فعفا الصفا من بعدهم  
والركن صدعه لعظم  
والقبر منذ الفتك فيهم  
يا عاذلي رفقاً فإنك  
كم ذائتُهونٌ من جليل  
فارفض عداهم إن غدوت  
إن البراء من الأعادي  
يا بقعةً (بالطف) حشو

مرت بأيكتها أنين  
مرت بأيكتها أنين  
عصفها فلها جنون  
فراقهم حدثت شؤون  
ما خلُّتها أبداً تكون  
أبادهم اللعين  
خانهم دهر خوون  
عزوا أن تصيبهم المنون  
للفاق به كمين  
اليمين لهم يمين  
الظن، والموت اليقين  
حمى الدين المصون  
بالصوارم أو طعين  
ولم يف الثقة الأمين  
من الأسد العرين  
وبكال فقدهم الحزون  
مصابهم داء دفين  
ما الساكنه سكون  
فيهم عندي ظنين  
مصابهم ما لا يهون  
بدين جدتهم تدين  
للولاء لهم قرين  
ترا بهادني يا ودين

## من هو الإنسان المصري الفاطمي:

الجواب في قصيدة الملك الصالح. يقول الملك الصالح طلائع بن رزيك يعرف عن نفسه<sup>(١)</sup>:

أنا من شيعة الإمام عليّ      حرب أعدائه وسلّم الولي  
أنا من شيعة الإمام الذي ما      مال في عمره لفعل دني  
الإمام الذي تخيّر الله      وبلا مريّة أخا النبي  
قسماً ما وقاه بالنفس لمّا      بات في الفرش عنه غير علي  
ولعمري إذا حلّ في يوم: خمٌ      لم يكن موصياً لغير الوصي  
المُبَرِّئ من كلّ عيب وريب      والمُسَوِّى بغير نقص وعي  
يا ضعيف اليقين أنّ اعتقادي      في «عليّ» على يقين قويّ  
ذكر آل النبيّ عندي البشري      وذكر سواهم كالنعيّ  
قد جرى حبّهم بجسمي كما      احتلّت مجاري الرضاع جسم الصبيّ  
من دعائي إلى الأئمّة أسرع      إليه ولم أكن ببطيّ  
فاجتلب الآن من نظم ابن رزيك      حلياً يفوف نظم الحلبيّ

وقال الشاعر عبد المحسن السوري في رثائهم أيضاً<sup>(٢)</sup>:

١- وَلَاؤُكَ خَيْرٌ مَا تَحْتَ الضَّمِيرِ      وَأَنْفُسُ مَا تَمَكَّنَ فِي الصُّدُورِ  
٢- وَهَذَا نَابَتْ أَحْسِسُ مِنْهُ نَاراً      أَمِنْتُ بِحَرِّهَا نَارَ السَّعِيرِ  
٣- أبا حَسَنِ تَبَيَّنَ غَدْرُ قَوْمٍ      لِعَهْدِ اللَّهِ مِنْ عَهْدِ (الغدير)  
٤- وَقَدْ قَامَ النَّبِيُّ بِهِمْ خَطِيباً      فَدَلَّ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْأَمِيرِ

(١) ديوان طلائع بن رزيك، م.س. ص ١٧١.

(٢) ديوان عبد المحسن السوري، م.س. ص ١٨٦.

- ٥- أشار إليه فيه بكل معنى  
٦- فكم من حاضر فيهم بقلب  
٧- طوى يوم الغدير لهم حقوداً  
٨- فيالك منه يوماً جرّ قوماً  
٩- لأمر سؤلته لهم نفوس  
١٠- ولست من الكثير فيطمئنون
- بَنُوهُ عَلَى مُخَالَفَةِ الْمُشِيرِ  
يُخَالَفُهُ عَلَى ذَاكَ الْخُضُورِ  
(أَنَالَ) بَنَشْرَهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ  
إِلَى يَوْمِ عَبُوسِ قَمَطَرِ  
وَعَرَّتْهُمْ بِهِ دَارُ الْغُرُورِ  
بِأَنَّ اللَّهَ يَعْفُو عَنْ كَثِيرِ

### الفقيه عمارة اليميني المسلم السنّي يرثي أهل البيت:

المشكلة في محبة أهل البيت هي عند المسلمين الشيعة وليست عند المسلمين السنة، فالسنة يحبون أهل البيت ويعظمونهم ويعتبرون ما جرى لهم ونزل بهم من مصائب هو جزء من التاريخ، يجب تناسيه لأنّ في إعادة بحثه و«بحشه» إعادة للإحن والبغضاء بين المسلمين، بينما يرى المسلمون الشيعة أنّ التذكير بهذه الويلات والمصائب، هو تذكير بالظلم في كلّ زمان ومكان، ويجب إعادة صياغته وتصويره لكي يكون حافزاً لكل مسلم، وأينما وجد، للثورة على الظالمين، لذا يعتبرون عدم ذكر هذه المصائب هو موافقة عليها ومن ثم عدم الاعتراف بأحقية أهل البيت في الإمامة والخلافة.

ولكن عمارة اليميني رثي أهل البيت بأروع القصائد وأجمل الكلم.

يقول الفقيه عمارة في قصيدة منها<sup>(١)</sup>:

غصبت أمةً إرث آل محمد سفهاً وشنّت غارة الشنآن

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز، م. س. ص ٢٧.

وغدت تخالف في الخلافة أصلها      وتقابل البرهان بالبهتان  
لم تقتنع أحلامها بركوبها      ظهر النفاق وغارب العدوان  
وقعودهم في رتبة نبوية      لم يبنها لهم أبوسفيان  
حتى أضافوا بعد ذلك أنهم      أخذوا بثأر الكفر في الإيمان

وفي هذا البيت إشارة لتمثّل يزيد بن معاوية بقول ابن الزبعرى:  
ليت أشياخي ببدر شهدوا      جزع الخزرج من وقع الأسل  
وتابع عمارة قائلاً:

حَرَبُ بنو حرب أقاموا سوقها      وتشبّهت بهم بنو مروان  
لهفي على النفر الذين أكفهم      غيث الورى ومعونة اللفان  
أشلاؤهم فرّق بكلّ ثنيةٍ      وجسومهم صرعى بكلّ مكان  
مالت عليهم بالتمالي أمةٌ      باعت جزيل الربح بالخسران

### رأي شيعة مصر الفاطمية بالخلاف الشيعي السني:

لم يكن شيعة مصر الفاطمية، كما اتهمهم مؤرّخو الأكراد، بالغلو  
والخروج عن الملة الإسلامية. وكلّ التهم التي ألصقوها بالمصريين،  
كانت حجةً وسبيلاً لنهب مصر وخيراتها.

يقول المؤيد في الدين هبة الله، داعي دعاة الدولة الفاطمية<sup>(١)</sup>:

ياسائلاً تسأل عني      اعلم بأنّي رجلٌ سنيّ  
أحبّ أصحاب نبيّ الهدى      ديني على حبّهم مبني  
صديقنا الطهر وفاروقنا      مثل سواد العين في عيني

(١) ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة، م.س. ص ٢٨٨.

دعني من الرفض وأصحابه  
هذا طريق الرشدا لا غيره  
وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

برئت من الهبل الأول  
ومن نعثل وبني جنسه  
ومن ناصبٍ غاصبٍ للحقوق  
وحب الصحابة لي معقلٌ  
ولائي صدقٌ لصدیقنا  
أرى الخير والشرم من ربنا  
برئت من الرفض والاعتزال  
فيارب زدني هدى مع هداي  
ومن أدلم بعده أحول  
جميعاً ومن ربة المحمل  
ورافضة قد طغوا في «علي»  
فما دونه لي من معقل  
وفاروق أمتنا الأفضل  
وأعرض عن حجة المبطل  
وصرت من النصب في معزل  
بجاه محمد المرسل

### رثاء الدولة الفاطمية:

لقد عرف الإسلام العديد من الدول بدءاً من دولة بني أمية  
ومروراً بدولة بني العباس، وبالدول التي تفرعت منها وسيّرت  
أمورها، كالدولة البويهية والسلجوقية والصفارية والسامانية  
والغزنوية، والحمدانية والطولونية، والدولة الأيوبية والدولة  
المملوكية والدولة العثمانية. فلم نجد شاعراً واحداً رثى دولة من  
هذه الدول، باستثناء القصائد التي قيلت في رثاء إقليم الأندلس،  
فهي لا تعتبر رثاء لدولة، بل رثاء لحضارة وأمة ودين. والقصائد

(١)



التي قيلت في رثاء أحمد بن طولون وكافور الإخشيدي هي قصائد رثاء لحكام وليست لحضارة. دولة أو دولة. بينما نجد أن مصر الفاطمية هي الدولة الوحيدة التي رثاها الشعراء، رثوا فيها المؤسسات ونظام الحكم، رثوا فيها الحرية الدينية، أو بمعنى آخر رثوا فيها حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي، فالحضارة، هي نمط عيش ومؤسسات، وعندما يقوم الشعراء برثاء المؤسسات ونمط العيش، يعني ذلك رثائهم لحضارة الدولة.

### رثاء عمارة اليميني للدولة الفاطمية:

قال الفقيه عمارة يرثي الدولة الفاطمية ويصف حصار الغزّ الأكراد لقصور الخليفة العاضد وكيف بدأوا بنهبها<sup>(١)</sup>:

|                             |                          |
|-----------------------------|--------------------------|
| قلب الزمان على الخلافة قاسي | ماللزمان جرى بغير قياس   |
| قُطعت يدٌ أضحت قصورك بها    | مهجورة بعد الندى والباس  |
| هذي حصون الروم عطل غزوها    | وغزت دياركم بنو العباس   |
| حتى متى لا ينتهي عن ظلمكم   | أبدأ وما لجراحكم من آسي  |
| أسفي لملك عاضدي عطلت        | حجراته بعد الندى والباس  |
| أخذت بنان «الغزّ» من أمواله | ورجاله بمخانق الأنفاس    |
| وعسى الليالي أن تردّ زمانكم | لدى أعود البانة الميَّاس |
| أبني عليّ والبتول وأحمد     | وكواكب الدنيا وخير الناس |

(١) النكت العصرية، ص ٢٨١.

إذا أردت أن تندب فانذب أهل القصور:

وقال الفقيه عمارة يندب خلفاء بني فاطمة<sup>(١)</sup>:

لا تندبَن ليلى ولا اطلالها يوماً إذا ظعننت بها أجمالها  
واندب هُديت قصور ساداتِ عَفَّتْ قد نالهم ريبُ الزمان ونالها  
درست معالمها لدرس ملوكها وتغيّرت من بعدهم أحوالها  
وإذا مررت بربعهم فلتبكمهم واسأله عن نسوانها ورجالها  
فلسان حال الربع يخبر أنّهم أَقَلَّتْ كواكبهم وغاب هلالها  
كانوا إذا نزل العفاة ببابهم جادوا لها بالمال قبل سؤالها  
وإذا انتضوا أسيافهم يوم الوغى كانت لها الهامات غمد نصالها  
أنبا عليّ في الورى مشهورة بالبأس والتقوى وبذل نوالها  
يادهز إن هُدِمت قواعدُ مجدهم فلهم من العليارؤوس جبالها  
لهم الإمامة والخلافة بعدها صلحت لهم حقاً وهم أكفالها

وقال يرثي الدولة مفضلاً ظلّها في الدنيا والآخرة على ظل الدولة

الأيوبية<sup>(٢)</sup>:

لما رأيت عراض القصر خالية عن الأنيس وما في الربع ساداتُ  
أيقنت أنّهم عن ربعهم رحلوا وخلفوني وفي قلبي حزازاتُ  
ساءلتُ أبله قلبي في السلوّ وقد يقال للبله في الدنيا إصاباتُ  
فقال: رأي ضعيف لا يطاوعني كيف السلوّ وأهل الفضل قد ماتوا  
ياربّ إن كان لي في قربهم طمع عجل بذاك فللتسويف آفاتُ

(١) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٨٥٩.

(٢) ديوان عمارة اليمني، الجزء الأول، ص ٢٧٣.

## رثاء الدولة الفاطمية ومؤسساتها وحضارة مصر أيام الفاطميين:

قال الفقيه عمارة يرثي الدولة الفاطمية ومؤسساتها  
وحضارتها<sup>(١)</sup>:

- في رثاء حضارتهم:

رميت ياد هزُّ كَفَّ المجد بالشلِّلِ  
هدمت قاعدة المعروف عن عجل  
لهفي ولهف بني الآمال قاطبة  
قوم عرفت بهم كسب الألوف ومن  
يا عاذلي في هوى أبناء فاطمة  
بالله زر ساحة القصرين وابكٍ معي  
وقل لأهليهما: والله ما التحمت  
ماذا ترى كانت الإفرنج فاعلة  
مررت بالقصر والأركان خالية  
فملت عنه بوجهي خوف منتقد  
أسبلت من أسفي دمعي غداة خلت  
أبكي على ما تراءت من مكارمكم

وجيده بعد حسن الحلي بالعطلِ  
سُقيت مهلاً ألا تمشي على مَهَلِ  
على فجيعتها في أكرم الدولِ  
كمالها أنها جادت ولم أسلِ  
لك الملامة إن قصَّرت في عذلي  
عليهما لا على صفين والجمل  
فيكم جروحي ولا قرحي بمندمل  
في نسل آل أمير المؤمنين علي  
من الوفود وكانت قبلة الدول  
من الأعادي ووجه الود لم يمل  
رحابكم وغدت مهجورة السُّبُلِ  
حال الزمان عليها وهي لم تحلِ

في رثاء المؤسسات:

«دار الضيافة» كانت أنس وافدكم  
واليوم (أوحش) من رسم ومن طَلِّ  
ويقصد بدار الضيافة قصر الضيافة الذي كان الفاطميون ينزلون  
فيه سفراء الدول والأمراء الضيوف وكبار التجار.

(١) الخطط المقرزية، الجزء الثاني، ص

و «فطرة الصوم» إن أصغت مكارمكم

تشكو من الدهر حيفاً غير محتملٍ

ويقصد بها مؤسّسة دار الفطرة التي كانت مهمتها، جباية فطرة الصوم من الناس وتصنيع الحلويات على أنواعها طيلة ثلاثة أشهر، رجب - شعبان ورمضان - والتوزيع يتم على أهالي القصور ودار الوزارة والموظفين وعامة الناس وكانت الصواني والصدور والجامات التي توزع بها الحلوى لا تعاد، بل تبقى مع الحلوى.

«وكسوة الناس» في الفصلين قد دَرَسَتْ

ورثٌ منها جديد عندهم وبلي

ويقصد بكسوة الناس هي، «رزم» الثياب التي كانت توزع على كلّ موظفي الدولة ومجاوري الجوامع والأنصار والمحازبين كجزء من الراتب. وكانت الدولة توزع ثمانى رزم ثياب في السنة. وكل رزمة تحتوي على ألبسة كاملة (رجالي - ولادي - نسائي) - لجميع أفراد العائلة، اثنان على حساب بيت المال - وست رزم على حساب سهم الإمام أو من حساب قصور الخلافة بمناسبة الأعياد الستة:

رأس السنة الميلادية - عيد الغدير - عيد الفطر - عيد الأضحى  
رأس السنة الهجرية - عيد مولد الخليفة.

وموسم كان في «يوم الخليج» لكم

يأتي تجملكم فيه على الجُمَل

والمقصود بيوم الخليج، هو يوم الاحتفال بفتح السدود حول عمود مقياس ارتفاع النيل، وقد كانت هذه الاحتفالات تدوم أربعة أيام، تنصب فيها خيمة القاتول والخيمة المدورة ويوزع فيها الخلفاء

والأمراء على الشعب المصري مالاً وكسوات والمطيبات وهبات. أقل ما يمكن أن يقال أنها كانت لا تعد ولا تحصى لكثرتها.

و«أول العام» و«العديد» كان لكم فيهن من وبل جود ليس بالوشل والأرض تهتز في «يوم الغدير» لما يهتز ما بين قصر يكم من الأسل والخيل تعرض في وشي وفي شية مثل العرائس في حلي وفي حلل وهو يصف المواكب الاحتفالية واستعراضات الجيوش والخيل التي كان يقوم بها الخلفاء الفاطميون.

ويصف كرمهم فيقول:

ولا حملتم قرى الأضياف من سعة الأطباق إلا على الأكتاف والعجل أي أنهم كانوا يوزعون الأطعمة على الأكتاف وعلى العربات لكثرتها.

رواتب شهرية للمسلمين وللنصارى واليهود:

ولا خصصتم ببراً أهل ملتكم حتى عمتم بها الأقصى من الملل كانت روايتكم للذمتين وللضيف المقيم وللطاري من الرسل

مصانع الغزل والنسيج في تنييس توزع على كل أهل الأرض:

ثم «الطراز» بتنييس التي عظمت منه الصلات لأهل الأرض والدول

عمارة اليمني يعرف أن في هذه القصيدة مقتله:

وقال عمارة في نهاية رثائه الدولة الفاطمية وحضارتها ومؤسساتها متنبئاً بأنه سيقتل بسبب هذه القصيدة:

و«للجوامع» من أحباسكم نعم لمن تصدّر في علم وفي عمل وربما عادت الدنيا بمقلتها منكم وعادت بكم محلولة العقل

والله لا فاز يوم الحشر مبغضكم  
ولا استقى الماء من حرّ ومن ظمأ  
ولا رأى جنة الله التي خَلَفَتْ  
أُثمّي وهداتي والذخيرة لي  
تالله لم أوفهم في المدح حَقَّهُمْ  
باب النجاة هم دنيا وأخرة  
أئمة خلقوا نوراً فنورهم  
والله لا زلت في حبّي لهم أبداً  
«عمارة» قالها المسكين وهو على  
وقد قتل صلاح الدين الأيوبي الفقيه عمارة اليمني بتهمة تدبير  
انقلاب لإعادة الحكم الشيعي الفاطمي إلى مصر.

### أسباب مقتل الفقيه عمارة:

#### يصف المقرئزي مقتل عمارة فيقول (١):

وفيها (سنة ٥٦٩هـ) اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة  
رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، منهم، القاضي  
المفضل ضياء الدين نصر الله، والشريف الجليس، ونجاح الحمامي،  
والفقيه عمارة بن علي اليماني، وعبد الصمد الكاتب، والقاضي  
سلامة العوريس متولّي ديوان النظر، ثم القضاء، وداعي الدعاة  
عبد الجبار ابن إسماعيل ابن عبد القوي، والواعظ زين الدين بن نجا.  
فوشى بن نجا بخبرهم إلى السلطان صلاح الدين، وسأله في أن

(١) السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الأول، القسم الأول، ص ٧٥.

ينعم عليه بجميع ما لابن كامل الداعي من الدور والموجودات كلها فأجيب إلى ذلك. فشنق عمارة وصلب فيما بين بابي الذهب وباب البحر<sup>(١)</sup>. وشنقهم صلاح الدين كلهم وصادر كل أملاكهم وعقاراتهم، ولم يُمكن ورثتهم من شيء البتة. ثم تتبّع من له هوى في الدولة الفاطمية، فقتل منهم الكثير وشرّد الباقي، ومن وقع بالأسر، كوى وجهه وصدره بالنار.

### وقال العماد الأصفهاني عن سبب قتله:

هو أبو حمزة عمارة بن أبي الحسن اليميني. وفد إلى مصر من زمن الفائز، وأقام بها إلى أن نكب فخطب، وهو بمرامه فائز. أمر بصلبه في القاهرة صلاح الدين، في شعبان سنة ٥٦٩هـ في جملة الجماعة الذين نسب إليهم التدبير عليه. وكانوا أدخلوا معهم رجلاً من الأجناد ليس من أهل مصر (كردي شامي)، فحضر عند صلاح الدين وأخبره بما جرى. فأحضرهم فلم ينكروا، ولم يروا الأمر منكراً، فقطع الطريق على عمر عمارة، وأعيض بخرابه عن العمارة ووقعت اتفاقات عجيبة في قتله، فمن جملتها أنه نسب إليه بيت من قصيدة ذكروا أنه يقول فيها:

قد كان أول هذا الدين من رجلٍ سعى إلى أن يدعو سيّد الأمم  
ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه، فأفتى فقهاء مصر بقتله،  
وحرّضوا السلطان على التمثيل بمثله. ومنها أنه كان قد هجا أميراً  
كبيراً (كردياً)، فعدّوا ذلك من كبائره. وجرّ عليه الردى في جرائمه  
وعمل فيه تاج الدين الكندي أبو اليمن بعد صلبه:

(١) م. س. نفسه، ص ٧٥.

عُمارة في الإسلام أبدى خيانة  
فأمسى شريك الشرك في بغض أحمد  
وكان خبيث الملتقى إن عجمته  
وسيلقى غداً ما كان يسعى لأجله  
وبائع فيها بيعة وصليبا  
وأصبح في حبّ الصليب صليبا  
تجد منه عوداً في النفاق صليبا  
ويسقى صديداً في لظى وصليبا  
ومن الخائن يا ترى؟ أبو اليمن ابن الكندي أم عمارة؟؟؟.

ومن المنافق؟، لو كان عمارة وهو المسلم السنّي الشافعي يعرف  
النفاق لكان نافق على صلاح الدين كما نافق القاضي الفاضل  
علي بن عبد الرحيم البيساني وكما نافق تاج الدين الكندي.  
وكانت تهمة الخروج عن الدين والملة جاهزة في جعبة  
صلاح الدين، يلقيها على كلّ من يريد قتله وإسكات صوته، فكما  
رمى عمارة بها، رمى الفقيه السهروردي وقتله أيضاً<sup>(١)</sup>.

رأي الحافظ بن كثير بمقتله:

قال الحافظ ابن كثير<sup>(٢)</sup>:

أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي،  
وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤوس الدولة الفاطمية الذين كانوا  
فيها حكاماً، فاتفقوا فيما بينهم أن يردّوا الدولة الفاطمية، فكتبوا إلى  
الفرنج يستدعونهم إليهم، وعيّنوا خليفة من الفاطميين، ووزيراً  
وأمرء، وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك. ثم اتفق مجيئه، فحرّض  
عمارّة اليمني شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن

(١) راجع: النكت العصرية، ص ٣٩٧.

(٢) البداية والنهاية، الجزء ١٢، ص ٢٧٥.



ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج، إذا قدموا لنصرة الفاطميين، فخرج توران شاه، ولم يخرج معه عمارة، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث، ويداخل المتكلمين فيه ويصافيهم، وكان من أكابر الدعاة إليه والمحرضين عليه، وقد أدخلوا معهم بعض من ينسب إلى صلاح الدين، وذلك من قلة عقولهم وتعجيل دمارهم. والغريب في الأمر أن صلاح الدين وضع كلّ الأمراء الفاطميين في السجن بعد موت الخليفة العاضد، وشتت شمل ألوية الجيوش الفاطمية، ذبح من لواء العبيد خمسين ألفاً وأحرق بيوت لواء الأرمن وهما أقوى لواءين في الدولة الفاطمية، وشتت شمل الأمراء والقواد في العراق والشام والمغرب. ومن بقي في مصر أصبح كما قال المقرئ في حديثه عن أواخر أحداث سنة ٥٦٦هـ: «وفيها دثر بمصر عسكر صلاح الدين وأقاربه وأصحابه، وانكفت أمراء المصريين عن التصرف ومنعوا من كل شيء وأصبحوا واقفين على منازل الأمراء المصريين بأجنادهم. فما هو إلا أن يخرج الأمير المصري من منزله ليصير إلى الخدمة (الوظيفة) على عادته، فإذا بالأمير الشامي، الذي قد أعد له، وقد قبض عليه وشد وثاقه، وهجم بمن معه على داره فملكها بجميع ما تحتوي عليه من أهل ومال وخيول وعبيد وجواري. وما له من إقطاعات. فلم ينتشر الضوء، حتى علت الضججات وارتفعت الصيحات، وثار الصياح من كل جانب، وصار الأمراء الشاميون في سائر نعم أمراء مصر، وأصبح الأمراء المصريون أسرى معتقلين في أيدي أعاديهم. فأل أمرهم إلى أن صار الأمير بواباً على الدار التي كان يسكنها، وصار آخر منهم، سائس فرس كان يركبها، وآخر صار وكيل القبض في بلد كانت له

إقطاعاً، ونحو ذلك من جميع أنواع الهوان»<sup>(١)</sup>.

ولما مات العاضد سنة ٥٦٩هـ، نقل صلاح الدين أهل العاضد، وأقاربه إلى مكان بالقصر ووكل بهم من يحفظهم، وكان الموكل بحفظهم قراقوش، وكانت عدتهم عشرة آلاف شريفة وثمانية آلاف شريف، سجن النساء في قصر والرجال في قصر، كي لا يتناسلوا والنساء الحبالى أولدت في السجن، واستمر هؤلاء الأولاد في السجن من سنة ٥٦٩هـ إلى سنة ٦٧١هـ، أي ١٠٤ سنوات، حين توفي آخر واحد منهم كما قال المقرئ في خطه.

فمن أين أتى عمارة بأحد الأشراف وبإيعه بالخلافة؟

إنَّ البيت الذي قاله عمارة في آخر قصيدته اللامية أكبر دليل على كذب هذه التلفيقات، وقرار قتله كان قد صدر وإلا لما كان قد شعر به.

«عمارة» قالها المسكين وهو على خوفٍ من القتل لا خوف من الزلزل

رأي الدكتور محمد كامل حسين:

يقول الدكتور محمد كامل حسين عن الشاعر عمارة اليميني<sup>(٢)</sup> نحن نعلم أن عمارة كان سنيّ المذهب، بل كان متعصباً لمذهبه ولم يتحول عن هذا المذهب، بالرغم من محاولة الأمراء والوزراء معه لكي يعتنق مذهب الفاطميين، ومع ذلك فإن عمارة تأثر بما كان يجري في مصر، وأسهم مع غيره من شعراء مصر في الإشادة بعقائد الفاطميين، وجارى القوم في عاداتهم، وإن لم يتشيع، لكنه لم يستطع

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٣٢١.

(٢) أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ٢٥٧.

التخلّف عن غيره من شعراء مصر في رثاء أهل البيت في أيام  
مآتهم، وشارك المصريين في احتفالاتهم.

وهكذا اضطر هذا الشاعر السنّي إلى أن يتأثر بما كان في مصر  
من العصر الفاطمي، وأن يتأثر بعقائد الفاطميين، فأكثر منها في  
شعره، بل بلغ به تأثره بالفاطميين إلى أن يرثيهم ويثني عليهم، في  
الوقت الذي تخلّى عنهم جميع المصريين وشمّت بهم أعداؤهم  
العباسيون، وجمهور أهل السنّة، فعمارة اليمني السنّي المذهب، كان  
وفياً لهم الوفاء كلّ، فأنشد قصيدته التي مطلعها:

رمىت يادهر كف المجد بالشلّلٍ وجيده بعد حسن الحلّي بالحلل  
فكانت هذه القصيدة، وما قيل من أنه اشترك مع نفر من الأوفياء  
للفاطميين لإعادة ملكهم، سبباً في القبض عليه معهم وصلبه سنة  
٥٦٩هـ واتهامه بالكفر<sup>(١)</sup>.

أما رأيي فإنّ شعر الفقيه عمارة المسلم السنّي الشافعي في  
الخلفاء الفاطميين والدولة الفاطمية، هو أصدق شهادة على اعتبارهم  
الفريق الإسلامي الأصيل الذي لم يخرج عن الملة الإسلامية، وأنّ  
التهم التي سطرّها مؤرّخو الأكراد بحق الخلفاء المصريين ما هي إلا  
وسيلة وواسطة لطمس الجريمة البشعة التي نفّذها أكراد بني أيوب  
في حق الإسلام المصري الفاطمي الأصيل، إسلام عليّ وفاطمة،  
إسلام العترة النبوية الطاهرة، إسلام السيدة زينب والست نفيسة  
وسيدنا الحسين عليهم صلوات الله أجمعين.

(١) م. س. نفسه، ص ٢٥٧.

## شعر الزهد

منذ ظهور الإسلام، بدأ الشعر العربي يتأثر بالأفكار والفلسفة الإسلامية، وبدأت مصطلحات، الجنة والنار، والبعث والنشور والدنيا والآخرة، وكل الألفاظ التي تدل على زهد الإنسان وتخليه عن ملذات الحياة الدنيا، واستبدالها باللذة الروحية الموعودة في الجنة، تأخذ مكانها في قصائد الشعراء وخطب الخطباء.

وبعد أن قطعت الحضارة الإسلامية في العصر العباسي الأول، أشواطاً في مجالات الرقي المادي والفكري والفلسفي، بدأ العديد من شعراء العصر العباسي الأول والعصور التالية، البحث عن اللذة الروحية في الجنة الموعودة، وقد اشتهر أبو العتاهية في هذا الباب الشعري الجديد، وكذلك أبو نواس في أواخر حياته، فقد نظم قصائد تعتبر من عيون القصائد الزهدية.

والشعراء المصريون، رغم الترف والدعة وسعة العيش وبسطة الرزق والرواتب، فقد نظموا الكثير من قصائد الزهد، خاصة أنهم يعيشون في ظل حكم خلفاء يعتبرون النموذج الأمثل للزهد. فهم أئمة خلفاء، أبناء بنت النبي (ص)، مكلفون بالإمامة والخلافة بالنص الإلهي. لذلك جاءت كل قصائد الشعراء المصريين، من غزل وهجاء

ومدح ورثاء، تشير إلى هؤلاء الأئمة الخلفاء، وإلى تدرّجهم في الإمامة والخلافة من جدّهم، الرسول الأكرم (ص) وأبيهم، الإمام علي (ع). مروراً بالأئمة المنصوص عليهم في القرآن والسنة.

قال الأمير تميم في الزهد<sup>(١)</sup>:

زمن منقض وعمرٌ قصيرٌ      وحياة الغفول عنه غرورٌ  
فاتقِ الله إن أردت نجاةً      إن تقوى الإله فوز كبير  
أي خلق يكون انقص مَن      ليس يدري لأي حال يصير  
وقال أبو الصلت المصري<sup>(٢)</sup>:

سكنتك يا دار الفناء مصدقاً      بأنّي إلى دار البقاء أصيرُ  
وأعظم ما في الأمر أنّي صائرٌ      إلى عادلٍ في الحكم ليس يجورُ  
فيا ليت شعري كيف ألقاه عندما      وزادي قليل والذنوب كثير  
فلإنك مجزياً بذنبي فإنني      بشرٌ عقاب المذنبين جديرُ  
وإن يك عفوّ من غنيٍّ ومُفضّلٍ      فنمّ نعيمٌ دائمٌ وسرور

تضرع إلى الله:

وقال الأمير تميم يتضرع إلى ربّه ويصف القرافة<sup>(٣)</sup>:

ديارٌ أدير بهنّ النعيم      كمُتذرّج الغنائ  
يُنَبِّهُ فيها الأذانُ النيام      إذا مزق الليل سيف الضياء  
فمن ذاكر ربّه خشيةً      ومن مستهلّ بطول الدعاء  
ولا خيرة في حياة امرئ      إذا لم يخف فصل يوم القضاء

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز، م.س. ص ١٥١.

(٢) نفع الطيب، الجزء الثالث، ص ٢٩٧.

(٣) ديوان الأمير تميم بن المعز، م.س. ص ٢٧.

رجوتك يارب لا أنني  
ولكنني مؤمن موقن  
ومالي يارب من شافع  
وإني حنيف بريء إليك  
ومن أقوال أبو الفضل عبد  
الجوهري<sup>(١)</sup>:

ما يصنع الليل والنهار  
على كرام بنني كرام  
وقال أيضاً للخليفة المستنصر:

عساكر الشكر قد جاءت مهتئة  
بالباب قوم ذوو ضعفٍ ومسكنة  
ومن أقوال ابن أبي الشخباء العسقلاني:

أصبحت تخرجني بغير جريمة  
كدم الفصاذ يراق أرذل موضع  
ثقلت موازين العباد بفضلهم  
وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد ابن النضر المعروف بالأديب:

جهاد النفس مفترضٌ فخذها  
فإن جنحت لذلك واستجابت  
وإن جمحت بها الشهوات فاكبح  
عساك تُجلها درج المعالي  
بآداب القناعة والزهاده  
وخالفت الهوى فهي الإراده  
شكيمتها بمقمعة العباده  
وترفعها إلى رتب السعاده

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٣٢٥.

## مناجاة وتضرع:

وقال المؤيد في الدين هبة الله الشيرازي داعي دعاة الدولة  
المصرية الفاطمية يتضرع إلى ربه مناجياً:

يا رب أنت المُرْتَجَى وَمَنْ سِوَاكَ أُرْتَجَى  
أَمْ هَلْ سِوَاكَ فَاتِحُ لِكُلِّ بَابٍ مُزْتَجِحِ  
أَصْبَحْتَ لَا أَذْهَبُ مِنْ تَخَايُورِي وَلَا أَجِي فِي صَدْرِهِ قَلْبٌ شَجِي  
شَيْخاً ضَعِيفاً جَسْمَهُ مَسِيرُهُ فِي الْجِدَجِ  
مُقَلِّقُ الْأَحْشَاءِ مِنْ لِقَائِي بِصَدْرِ خَرَجِ  
هَذَا جِزَاءُ مَنْ قَضَى سَتَيْنَهُمَا مِنْ حُجَجِ  
وَهُوَ لَأَلِّ الْمَصْطَفَى مِثْلَ الصَّبَاحِ الْأَبْلَجِ  
يَخُوضُ فِي بَحْرِ الرَّدَى بِحَبِّهِمْ فِي اللَّجَجِ  
يَا رَبَّنَا اكشِفْ لِي لَنَا هَذَا بِصَبْحِ الْفَرَجِ  
وقال يتضرع لربه أيضاً:

إلهي إنني لأرجو النجاة بوسع رحمة وهأبها  
نبي الهدى والوحي الذي إذا افترت الحرب عن نابها  
وعترته عترة قد علت بأنسابها وبأحسابها  
ولا يتهم لرجال الولاء علامة طهر لأنسابها  
إلهي إنني بآل النبي دهتني الليالي بأوصابها  
فغفراً إلهي فإنني امرؤ «دخلت المدينة من بابها»  
وقال أيضاً:

أقسم بالله لا شريك له وإن هذا لأعظم القسم

إن كان حَقُّ لنجل «فاطمة»  
قوم هم عدّتي الذين لهم  
أو حرمة عند بارئ النَسَمِ  
طنّبت في مفرق السهى خيمي  
وينهى القصيدة بقوله:

سئمت هذه الحياة معرفة  
ريحانتي الموت كي أشقّ به  
منّي بأنّ الوجود في عدمي  
إلى حمى النور في عالم الظلم  
وقال أبو القاسم الحسن بن المعري يهزأ من ناسك<sup>(١)</sup>:

تبدّل من مرقّعة ونسك  
وعنّ له غزال ليس يحوى  
بأنواع المُمسكِ والسفوف  
رضاه ولا هواه بلبس صوف  
كذاك الدهر مختلف الصروف  
فعاد أشدّ ما كان انتهاكاً

### الزهد في الدنيا واجب:

وقال ظافر الحداد يدعو لكبح جماح النفس<sup>(٢)</sup>:

يا نفس ما عيشك بالدائب  
ويك أمّا يكفيك أن تبصري  
بالطفل والبالغ والمبتدي  
من واليد أو وليد أو أخ  
فهل تبقى لك من حُجّة  
أما عجيب أن ذا كُأه  
لو لم يكن شيء سوى الموت كان  
أو لم يكن موتاً لكانت  
فقصّري من أمل خائب  
جنائزاً تُنقل بالراتب  
شبابه والكهل والشائب  
أو من غريب عنك أو صاحب  
إلا غرور الأمل الكاذب  
مُوقر في شره الكاسب  
الزهد في الدنيا من الواجب  
هموم الدهر تنفي رغبة الراغب

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، م.س. ص ١٦١.

(٢) ديوان ظافر الحداد، ص ١٧.



وقال أيضاً:

ما أغدر الدنيا وليس لغدرها  
شمطاء تقتل بعلمها وفعالها  
أثرٌ يقصّر من لاجاة طالبٍ  
مما يزيد بها غرام الخاطب

لذة الدنيا كلذة السمّ في العسل:

وقال ظافر الحداد ينصح بني الإنسان<sup>(١)</sup>:

كن من الدنيا على وجل  
فعمقول الناس لاهيةٌ  
يجرع الإنسان لذتها  
أنت من دنياك في شغل  
كل ما فيها يزول فلا  
يا مريضاً لم يجد الماء  
يا بصيراً ليس يبصر ما  
لو أراك العقلُ أيسره  
وتوقّع بغتة الأجل  
في الهوى والكسب والأمل  
وهي مثل السمّ في العسل  
والمنايا فيك في شغل  
فرق بين الهمّ والجذل  
أنت لو تدري أبو العول  
فيه من عيب ومن زل  
كدت أن تفنى من الخجل

شروط محمد بن سيد الناس اليعمري ستة شروط لكي يطلق على الرجل  
الزاهد لقب متصوف وهي<sup>(٢)</sup>:

ما شروط الصوفي في عصرنا  
وهي وطء العلوق والسكر والسلطة  
وإذا ما هذى وأبدى اتحاداً  
وأتى المنكرات عقلاً وشرعاً  
اليوم سوى ستّة بغير زياده  
والرقص والغناء والقياده  
وحلواً من جهله أو أعاده  
فهو شيخ الشيوخ ذي السجاده

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٧.

(٢) الخطط المقرينية، الجزء الثاني، ص ٤١٤.

وقال ظافر الحداد الإسكندراني ينصح المغترّ بنفسه<sup>(١)</sup>:

إِذَا دَانَتْ لَكَ الدُّوَلُ فَفَكِّرْ كَيْفَ تَنْتَقِلُ  
فَلَوْ سَمَحْتَ بِهَا الْإَيَّامَ لَمْ يَسْمَحْ بِهَا الْإَجَلُ  
فَلَا يَغُرُّ بِكَ التَّسْوِيفُ وَالْأَمَالُ وَالْعِلَلُ  
فَإِنَّكَ إِنْ تَجَدَّ أَمَلًا تَجَدَّدَ بَعْدَهُ أَمَلٌ  
فَمَا يَرُويكُ مِنْ دُنْيَاكَ لَا عِلٌّ وَلَا نَهْلٌ  
وَإِنَّكَ كُلَّ مَا جَمَعْتَ يَبْقَى حِينَ تَرْتَحِلُ  
فَمَا لَكَ مِنْهُ فِيمَا بَعْدُ إِلَّا الْإِثْمُ وَالرَّزْلُ  
وَبَطْشَةُ قَابِضِ الْأَرْوَاحِ لَيْسَ لِأَخْذِهَا مُهْلٌ  
عَجِبْتَ لِأَمْنِ سَاهٍ لَهُ بِحَيَاتِهِ جَذْلٌ

وجيش الموت يطلبه وقد ضاقت به السُّبُلُ  
ومافي قصده شكٌ ولا يدري متى يصلُ  
وسيان الجبانُ لديه عند البطش والبطلُ  
وقال الملك الصالح طلائع بن رزيك: مخاطباً المتكبر<sup>(٢)</sup>:

يَا مَا شِئْتَ تَحْتَ الثَّرَى رَفَقًا فَسَوْفَ تَصِيرُ تَحْتَهُ  
إِنْ قَلْتَ إِنَّنِي أَعْرِفُ الْمَوْلَى الْقَدِيرَ فَمَا عَرَفْتَهُ  
أَوْ كُنْتَ تَعْبُدُ لِلْمَخَافَةِ وَالرَّجَاءِ فَمَا عَبَدْتَهُ  
وقال يخاطب المغرور بالدنيا<sup>(٣)</sup>:

أَيُّهَا الْمَغْرُورُ لَا تَغْتَرَّ فَمَرَعَاكَ خَبِيثٌ

(١) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ٢٤٩.

(٢) ديوان الملك الصالح طلائع بن رزيك، م.س. ص ٦٩.

(٣) م.س. ص ٦٩.

سائق الموت وإن طال بنا العمر الحديث  
إن من جادت على الخلق بجدواه ليوث  
وأولو المجد القديم العهد منهم والحديث  
أصبح اليوم حديثاً وغداً نحن حديث  
وقال أيضاً<sup>(١)</sup>:

يا مريض القلب بالذنب متى بالعفو تبرأ  
كلما جدّد يوماً توبة ضيّعت أخرى  
تشتهي الأجر ولا تفعل ما يكسب أجراً  
أترى بعد زهاب العمر تستأنف عمراً

وقال:

ياراكباً ظهر المعاصي أو ماتخاف من القصاص  
أوماترى أسباب عمرك في انتقاص وانتقاص؟

مناجاة وتضرّع:

قال الفقيه عمارة اليميني يناجي ربّه ويتضرّع إليه<sup>(٢)</sup>:

يا كاشف الضرّ إذ ناداه أيوبُ  
وعالم السرّ والنجوى إذا خفيت  
لعلّ معروفك المعروف ينقذني  
هب لي أمانك من خوف يبببت به  
وقد فزعت بأمالي إليك وفي  
وجامع الشمّل إذ ناجاه يعقوبُ  
ضمائرُ سرّها بالغيب محجوب  
من لوعة جمرها بالثكل مشبوب  
للهمّ في القلب تصعيدٌ وتصويب  
رحاب جودك للعافين ترحيب

(١) م.س. ص ٨٠.

(٢) ديوان عمارة اليميني، الجزء الأول، ص ٢٤٢.

يا الله: استر علي عبدك عمارة:

وقال مناجياً ربه<sup>(١)</sup>:

يا جامع الشمل المبدد  
يا منعماً إحسانه  
يا موضحاً نهج الهدى  
استر علي عبدي إذا  
فعل القبيح تعمداً  
وأعذر ضاك وعُد علي  
وابعث له الفرج القريب  
ومسدّد الرأي المسدّد  
في كلّ حال ليس يجحد  
بشريعة الهادي محمّد  
ما أشرك الكفار وحّد  
فاغفر لمعترف تَعَمُّد  
هفواته فالعود أحمد  
فصبره بالهمّ مُبْعَد

وقال أيضاً:

يا رب هيء لنا من أمرنا رشداً  
ولا تكلنا إلى تدبير أنفسنا  
أنت الكريم وقد جهّزت يا أملي  
وللرجاء ثواب أنت تعلمه  
واجعل معونتك الحسنی لنا مدداً  
فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدنا  
إلى أياديك وجهاً سائلاً ويدينا  
فاجعل ثوابي دوام الستر لي أبداً  
وقال متضرعاً أيضاً<sup>(٢)</sup>:

يا ربّ نفس خنّاقِي  
واستر عليّ فإنّي  
وامنن بتأليف شملِي  
وقد ضرعت إلى من  
وحلّ عقْد وثاقِي  
أخاف هتك خلاقِي  
مهديّ بالفراق  
أقام سبباً طَباقِي

(١) م.س. ص ٣٥٨.

(٢) ديوان عمارة اليمني، الجزء الثاني، ص ٧٢٨.

ومَن إذا شاء أطفأها      بالعفونار احتراقي  
موليَّ غداً وعليه      تَوَكُّلي واعتلاقي  
عَجَل بتفريج همِّي      وكشفه بالتلاقي

### وصف الشيب:

قال أبو القاسم الحسن بن علي المصري يصف الشيب<sup>(١)</sup>:

كتب المشيب سجلاً أميناً للعيون وللرقيب  
فليعرفنَّ به الأجبَّة حسنَ عهدك بالمغيب  
أفليس أوَّلُ وصله من يوم هجران الحبيب

يا ويح مسكّة عارضٍ      خضبت بكافور المشيب  
وأحال بررد مزاجه      نار الصبا بعد الهيب

### وصف الشيخوخة:

وقال أسامة بن منقذ يصف الشيخوخة<sup>(٢)</sup>:

مع الثمانين عاث الضعف في جَلدي      وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي  
إذا كتبت فخطِّي جدُّ مضطرب      كخطِّ مرتعش الكفَّين مرتعد  
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً      من بعد حطم القناني لبّة الأسد  
وإن مشيت وفي كفي العصا ثَقُلْتُ      رجلي، كأنِّي أخوض الوحل في الجَلدي  
فقل لمن يتمنَّى طول مدَّته      هذي عواقب طول العمر والمُددي

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبَّحي، م.س. ص ١٥٩.

(٢) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الأول، م.س. ص ٢٨٥.

## في وصف الشيب والصحبة:

قال خليل بن عدنان بن إسحق التميمي<sup>(١)</sup>:

زهبت أكاليل الوسامة  
وجفاك من غذيتته  
والفانيات إذا رأين  
اعرضن إعراض الجموح  
مَنْ وَدَّنِي فَمَوَدَّتِي  
ومن انثنى عنِّي دعوت  
لأحمل الحقد المقيم  
وإذا تعرّض جاهل  
طوّقتها عن قدرة  
ماخنت عهداً للصدّيق  
ولقد وفيت لمن هويت  
لا خير في الدنيا لمن لا  
وابيضّ مسود الغمامه  
وأطلت من شوق غرامه  
الرأس أصبح كالثغامه  
إذا أبخث له لجامه  
وقفّ عليه إلى القيامه  
له المهيمن بالسلامه  
على الصديق ولا الملامه  
أو ظالم منّي ظلامه  
في جيده طوق الحمامه  
ولا رجعت له ندامه  
كما وفي كعب بن مامه  
يُرْتَجَى دارُ مقامه

(١) عيون الاخبار، فنون الآثار، السبع السادس، م.س. ص ٢٩٩.

## الشعر الحكمي

يجد المستقرىء لأخبار الفلاسفة والحكماء على توالي العصور أنهم يمتازون عن غيرهم ببعض الصفات الحسية والمعنوية التي تساعد الواحد منهم على إيصال حكمته وتجربته إلى قلب وعقل السامع والمتلقي.

وكيف إذا كانت هذه الحكمة مسبوكة بقالب شعري موزون مقفَى، صادرة عن شاعر مرهف الحسّ. والشعراء أكثر الناس إحساساً بالظلم والحرية والفقر والغنى، وكل حالات النفس الإنسانية، وإحساسهم الذي يميّزهم عن غيرهم من الناس، يدفعهم لنظم تجربتهم الحياتية بحكمة بالغة، أو قول، يصبح مثلاً سائراً أو موعظة تقارب النص القرآني معنى وبلاغة.

وكان لشعراء مصر الفاطمية الحظ الوافر من الشعر الحكمي والفلسفي، وشعرهم الحكمي هو نتاج حضارتهم الإنسانية الرائعة والمتقدّمة عصوراً وقرونأ عن غيرها من الحضارات الإنسانية. وفي النص الشعري أفضل دليل وأوفي قرينة على هذا التقدّم.

يقول علي بن عبد الرحمن بن يونس صاحب الزيج الحاكمي<sup>(١)</sup>:

ومن عجب الدنيا سلامة ظالم      وعزّة ذي بخل وذل كريم  
ومن كان في عزّ فصار بذلّة      فقد ذاق في الدنيا عذاب جحيم  
ومن أعظم البلوى كريمٌ أصابهُ      قضاء فأمسى تحت حكم لئيم

وقال داعي الدعاة المؤيد في الدين<sup>(٢)</sup>:

هو الدهر ما صافى بنيه وما صفت      مشاربه يوماً لمن جاء شاربا  
ترى عرفه نكراً وجدّته بلى      وأقواله خبأً وراجيه خائباً  
فلا تفرحن إن كان يوماً مقارباً      ولا تجزعن إن كان يوماً مجانباً  
وصاجبهُ معروفاً بجسمك وأخش أن      تكون له من حيث نفْسِكَ صاحباً

ومن حكم الامير تميم بن المعز<sup>(٣)</sup>:

إذا الدهر أعطاك القيادة مُملَكاً      ودارت بما ترجو عليك سعودةُ  
فلا تغمّ عينُ قلبك حيرةً      وخُذْ وافد من كل ما تستفيدُهُ  
يموت الفتى طفلاً وكهلاً وعبطةً      ويبقى على الأيام والدهر جودهُ  
فكن لجميع الناس فيه مشاركاً      فعمّا قليل سوف تصحور عودهُ  
ولا تتكبر إن قدرك فوق ما      ملكت وإن الكبر ما لا يزيدُهُ  
وزد لِعطاء الله ذلّ تواضعٍ      فإنك والاقوام طراً عبيدةُ

(١) عيون الاخبار وفتون الآثار، السبع السادس، ص ٢٩٩.

(٢) ديوان المؤيد في الدين، داعي الدعاة، م.س. ص ٢٧٩.

(٣) ديوان تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، م.س. ص



أما المنصور بن البيني فهو يعمل ليومه ولساعته، ولا يهمله أمر  
الغد، حيث يقول<sup>(١)</sup>:

يا ثعلباً لقيته أمس صباحاً فخبَّخ  
لابسات الأطاويأ يروعه كلبٌ نَبَّخ  
لست امرءاً إذا اغتدى يعرف في الطير الرُّوح  
إذا أصبت فرحاً سألته من التُّرَّخ  
فما أبالي في غدي أخاب قدحي أم نَجَّح  
وقال أبو عبد الحسين بن سديد الدولة محمد الماسكي<sup>(٢)</sup>:

تَوَصَّلْ إِلَى رَدِّ كَيْدِ الْعَدُوِّ تَوَصَّلْ ذِي الْحَيْلَةِ الْحَازِمِ  
وَصَانِعِ بَعْضِ الذِّي حُرَّتُهُ تَعِشْ عَيْشَةَ الْأَمْنِ الْغَانِمِ  
وَدَعْ مَا نَعَمْتَ بِهِ فِي الْقَدِيمِ وَاَعْمَلْ لِمَا لَزَمَ مِنَ الْقَادِمِ  
لَعَلَّكَ تَسْلَمُ مِمَّا تَخَافُ وَلَسْتَ إِخَالِكَ بِالسَّالِمِ

### الفضل فضلان:

يقول ظافر الحداد<sup>(٣)</sup>:

الفضل فضلان: فضل المرء بالأدب مُقَدِّمًا وَيَلِيهِ الْفَضْلُ بِالنَّسَبِ  
فَفَضْلُ ذِي أَدَبٍ يَغْنِيهِ عَنِ نَسَبٍ وَلَيْسَ ذُو نَسَبٍ غَانٍ عَنِ الْأَدَبِ  
كَنْ ابْنٍ مِنْ شَيْئٍ وَكَسَبَ فَضْلَ مَعْرِفَةٍ يَغْنِيكَ عَنِ فَضْلِ أُمَّ كَسَبَهُ وَأَبٍ  
وَلَا يَغْرُكَ إِنْ بَارَتْ بِضَائِعِهِ فَالْعِلْمُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ لَمْ يَخْبِ

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبَّحي، ص ٧٤.

(٢) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٢.

(٣) ديوان ظافر الحداد، م.س. ص ١٧.

فالعرُّ في الجهل يجني سوء عاقبةٍ والذلُّ بالعلم يجني حسن مُنْقَلَبٍ

### كيمياء القناعة:

وقال ظافر الحداد يصف ما تفعله كيمياء القناعة:

ياراغبأفي غنى وكنزٍ      وكيمياء بغير رمزٍ  
وقعت عند الخبير فاسمع      نصيحتي غير مُسْتَفْزِزٍ  
قناعة المرء كيمياءً      صَحَّتْ وكنزٌ وأيُّ كنزٍ  
فاسعد بها مكسباً وانفق      ماشئت منها بلا تجزِي  
فالناس طول الزمان عنها      لاشك في غفلة وعجز

وقال يصف القنوع وعزة نفسه:

ما أسعد المرء تغنيه قناعتهُ      عن كلِّ مقتدر بالمال والجاه  
يزيده الفقرُ عزّاً فهو يُبْطِنُ ما      يقضي بذلٌ ويبيدي حَالِ تِيَاهِ<sup>(١)</sup>  
تجملاً منه خوفاً أن تشاهده      عينُ العدو بحال العاجز الواهي

ليس هناك أحدٌ مرتاحاً:

وقال ظافر الحداد:

أف لها دُنْيَا فلا تستقرِّ      وعيشُها بالطبع مُرٌّ كَدِرٌ  
جميلةً المنظرِ لكنَّها      أقبحُ شيءٍ عند مَنْ يختبر  
قد وُجِلَ العالم في سجنها      فكل جنسٍ تحت بؤسٍ وُضِرَ  
فقيرُها يطلب نيلَ الغنى      وذو الغنى يجمعُ كي يدخِرَ

(١) تِيَاه: من فعل تاه على ورَّن فعَّال ويقصد الشاعر أنَّ القنوع يظهر نفسه أمام اصحاب المال والحال أنه يتوه حباً بحالته.

فذاك للإملاقِ في حسرةٍ  
 والزاهد العابدِ في كُلفةٍ  
 وخوفٍ ما يلقاهُ من ربِّه  
 وهَمُّه في القوتِ من جلِّه  
 والفاسقُ المذنبُ في وصمةٍ  
 ليس بمأمونٍ ولا آمنٍ  
 منخفِضِ الرتبةِ بين الورى  
 والحوثُ والطيرُ ووَحشِ الفلا  
 فالوحشُ لا يأمنُ من قانصٍ  
 أو جارحٍ يُدرِكها بَغْتَةً  
 والطيرُ في الأقفاصِ سجنالها  
 والملكُ الأعظمُ في خُطَّةٍ  
 وخوفه من ملكٍ غادرٍ  
 إمابسُمٍ أو سلاحٍ، فلا  
 يستشعر الخيفةَ من ملبسٍ  
 فالناسُ في أمنٍ به، وهو في  
 والحوثُ في اللُجِّ على بُعده  
 يُذلي له الصيادُ خيطانَه  
 حتى إذا أوقعه جَرَّه  
 مصائبٌ جَلَّتْ ولكنني  
 حَذَرْتُكَ الدنيا فلا تحتقرِ

وذاك خوفَ الفقيرِ تحت الحَذرِ  
 من شَعَثِ الصومِ وطولِ السَّهَرِ  
 في آخرِ الأمرِ إذا ما حُشِرَ  
 صعبٌ شديدٌ مستحيلٌ عَسِرُ  
 مُسَفِّهَ الرأيِ قبيحِ الأثرِ  
 مُذمَّمٍ في قومه محتقرِ  
 يفتخرِ الناسُ ولا يفتخرِ  
 في كُلفٍ من وِزدها والصدَّرِ  
 أو حايلٍ أو أسدٍ محتزِرِ  
 في الجوالِ يضربُ إلا كَسَرَ  
 تَنوحٍ فيه نَوْحٌ صَبٌّ أُسِرُ  
 من شدةِ الأمرِ وطولِ السَّهَرِ  
 إذا رأى الفرصةَ فيه غدرِ  
 يأمنُ حالي سَفرٍ أو حَضِرِ  
 أو مطعمٍ أو مشربٍ أو حَضِرِ  
 توهُمُ الخوفِ فلا ينحصرِ  
 من مَلَمَسِ الكفِّ ولَمَحِ البصرِ  
 والطُّعْمِ فيها فوق عُقْفِ الإبرِ  
 جرُّ عنيفٍ جارٍ لما قَدَرَ  
 أوردتُ منها نُبذةً المختصرِ  
 نصيحتي عندك نصفُ الخَبِرِ

## ليس هناك من ينجو من الانتقاد:

وقال ظافر الحداد يصف أطباع الخلق:

أرى الناس قد أغروا ببغي وغيبة  
وقد لزموا مني الخلاف، فكلهم  
إذا ما رأوا خيراً تعاموا وأخرسوا  
فليس امرؤ منهم - بناجٍ عن الأذى  
إذا كان ذا دينٍ رموه ببدعة  
وإن كان ذا زهدٍ يقولون: أبله  
وإن كان ذا صمتٍ يقولون: صورة  
وإن كان شريراً فويلٌ لأمه  
وإن كان من بيتٍ يقولون: إنما  
وإن كان مجهولاً فذلك عندهم  
وإن كان مقداماً يقولون: أهوج  
وإن كان ذامالٍ يقولون: ماله  
وإن كان ذا فقرٍ فذلك عندهم  
وإن يكتسب ما لا يقولوا: بهيمة  
وإن جاد قالوا: أحمقٌ ومبذر  
وإن يقنع المسكين قالوا: لعله  
وإن يهول للنسوان سمّوه عاصياً  
وإن تاب قالوا: لم يتب لزهادة  
وإن كان بالشطرنج والنرد لاعباً  
وإن واصل الإخوان بالأكل عندهم

وقدح، ماميز الأمر عاقل  
إلى كل من عادى الخلائق مائل  
وإن عاينوا شراً فكل مناضل  
ولا منهم عن ثلبي متغافل  
وسمّوه زنديقاً، وقالوا: مجادل  
وليس له حزم: وما فيه طائل  
مُمثلة للعي بل هو جاهل  
لما عنه يحكى من تضم المحافل  
يُفاخر بالموتى ومن هو زائل  
كبيض دُميلٍ ليس يُعرف، خامل  
وإن كان ذا جُبْنٍ يقولون: ناكل  
من السُّحْتِ قد أربى، وبئس المآكل  
حقير مهين يزدريه الأراذل  
أتاه من المقدور حظ وطائل  
وإن لم يجد قالوا: شحيح وباخل  
وذلة نفس قد حوتها الرذائل  
وإن عفاً قالوا: ذاك خبث وباطل  
ولكنه خبٌ لعينٍ مُخاتل  
ولا عبَ ذا الألباب قالوا: يُداخل  
فذاك طفيلي وللشرِّ وإغل

يقولون: غَثُّ بارد متثاقل  
 وإن كان فيه تُسْتَباح المَقَاتِل  
 وإن لم يَسُدْ وافاه خصم وخاذل  
 لسِيء ما يَأْتِي وما هو فاعل  
 بمن يَتَحاماه الردى والنوازل  
 ولكن لتخليطٍ لما كان يأكل  
 وليس ينجيه من الويل أجل  
 ذوو حسدٍ قد بان منه التحامل  
 فإن الذي تخشى وتَحْذَرُ حاصل

وإن رَغِبَ المسكين عنهم بزهده  
 وإن رام شَرّاً جَسَّروه لفعله  
 وإن ساد قالوا: دأبنا وثرأونا  
 وإن يعتلُّ يوماً يقولوا: عقوبة  
 وإن صح قالوا: ليس لله حاجةٌ  
 وإن مات قالوا: [لم يمِت] حتفَ أنفه  
 فليس يُنْجِيهِ من القول عاجلٌ  
 وما الناس إلا شامتٌ ومُعاند  
 فلا تتركُنْ أمراً مخافةً قائلٍ

### حذارِ أهل الشرِّ وغوائل الدنيا:

وقال ظافر الحداد يحذر من صحبة أهل الشرِّ، ومن غوائل الدنيا:

يُصِرُّ فها بين غابٍ وذامٍ  
 قليل الجَلِيس، قليل الخصام  
 لكان له كصواب الكلام  
 دنا الغيظُ منك بجيشٍ لُهام  
 كشرِب الدوائِ لدَفْعِ السَّقَامِ  
 يُدْذَمُ مع العجبِ ذَمُّ اللئامِ  
 وَيَرْقِي من الفضلِ أعلى مقامِ  
 قَطوبٌ ببذلِ العطايا الجِسامِ  
 ولو كان في الصدقِ شربُ السَّمَامِ  
 ولو كان فيه حياةُ الدوامِ  
 وحرمةٌ من ليس بالمُسْتَضَامِ

أرى الشرَّ طبعَ نفوسِ الأنامِ  
 فعِشْ إن قدرتَ قليلَ الحديثِ  
 فلو أخطأ المرءُ في صمته  
 وكن أشجعَ الناسِ جِلْماً إذا  
 فصبرُ الحلِيمِ جميل المألِ  
 وإياك والعُجْبِ، إن الكَرِيمِ  
 كما بالتواضعِ يسمو اللئيمِ  
 تنال بِبِشْرِكِ ما لا يَنالِ  
 وَعَوْدُ لسانك صِدْقُ المَقَالِ  
 وإياك من كذبٍ يُطَبِّتُكَ  
 وإن شئتَ عيشَ الغنِيِّ العزیزِ

فَفُزْ بِالْقِنَاعَةِ كَنْزاً يَاقِيكَ  
وَلَا تَتَّبِعْ طَمَعاً إِنَّهُ  
فَمَا لِمَطَالِبِهِ غَايَةٌ  
وَكَافِي الْجَمِيلِ بِأَمْثَالِهِ  
فَإِنَّ الثَّنَاءَ لِمَوْلِي الْجَمِيلِ  
وَمَهْمَا قَدَرْتَ عَلَى ظَالِمِيكَ  
فَإِنَّ أَنْتَ كَافِيَتَهُمْ نَاصِبُوكِ  
وَبَادِرُ بَجُودِكَ قَبْلَ السُّؤَالِ  
وَسِرُّكَ فَكَأَنَّكُمْ كَتَمَ الْبَخِيلِ  
وَرَاعِ الْأَمَانَةَ وَالزَّمْ لَهَا  
وَشَاوِرْ ذَوِي الْحَزْمِ قَبْلَ الدَّخُولِ  
وَإِنْ عَرَضَتْ فِرْصَةٌ لَا تُخَافُ  
وَسَاعِدْ عَلَى الْخَيْرِ مَهْمَا اسْتَطَعْتَ  
وَسُئْسَ أَهْلٌ عَصَرَكَ فِيمَا يَقِلُّ  
وَكَنْ سَائِساً أَمْرَ أَفِي الْمَلُوكِ  
فَقَدْ يَنْتَهِي شَرُّ مَنْ لَا يُخَافُ  
كَمَا يَفْتَكُ النَّمْلُ وَهُوَ الضَّعِيفُ  
وَعَلِّمْ بِلُطْفٍ إِذَا مَا عَلِمْتَ  
وَبَادِرْ بِ«لَمْ أَدْرِ» عِنْدَ السُّؤَالِ  
فَمَنْ صَابَ كُنْتَ شَرِيكاً لَهُ  
وَإِنْ جَعَلُوا وَعَلِمْتَ أَنْفَرَدْتَ  
وَلَا تَخْقِرَنَّ حِكْمَةً تُسْتَفَادُ

وَيُغْنِيكَ دُونَ حَسُودِ مُسَامِ  
لِفَقْرِ الْغَنِيِّ وَذُلُّ الْهُمَامِ  
مَدَى الدَّهْرِ إِلَّا لِقَاءَ الْجِمَامِ  
وَالْإِفْبَالَ شُكْرًا وَالْإِهْتِمَامِ  
يَقُومُ مَقَامَ الْأَيْدِي الْعِظَامِ  
فَعَفْوٌ عَنِ الظُّلْمِ وَالْإِجْتِرَامِ  
وَمَا ثَلَّثَهُمْ بِالْأَذَى وَالْأَثَامِ  
بِلا مِئْتَةَ، وَلِيَكُنْ فِي الْاِكْتِمَامِ  
بَقِيَّةَ مَاءِ غَدَاةِ الْهُيَامِ  
شُرُوطَ الْمَرْوَةِ أَيُّ التَّزَامِ  
عَلَى غَرَرٍ مُطْمَعٍ وَاقْتِحَامِ  
عَوَاقِبُهَا فَلْتَكُنْ ذَا اعْتِمَامِ  
بِمَالٍ وَرَأْيٍ وَجَاهٍ مُحَامِ  
وَيَكْثُرُ حَتَّى يَبْذُلَ السَّلَامِ  
وَسَائِسٌ لِأَمْرِكَ أَقْلُ الْأَنَامِ  
إِلَى غَايَةِ فِي الْأَذَى وَالْعُرَامِ  
بِشُبُلِ الْهَزْبِ الْبَعِيدِ الْمَرَامِ  
كَرَاعِ خَبِيرٍ بِرَعْيِ السَّوَامِ  
إِذَا مَا جَهَلْتَ بِغَيْرِ اخْتِشَامِ  
وَمَنْ زَلَّ بِأَيْنَتِهِ بِاعْتِصَامِ  
بِأَخِذِ الْفَضِيلَةِ بِمَدِّ الرَّحَامِ  
وَحُذْهَا وَلَوْ مِنْ أَقْلِ الطَّغَامِ

فقدَرُ امرئٍ حَسْبُ ما عنده  
فما للرماحِ على طولها  
ولا تَبْخَسَ الناسَ أقدارَهم  
وكن شاكراً أفضلَ ما فيهمُ  
ورَفِّعْ بتبجيلك المستحقَّ  
وقفْ دونَ ما أنت مُستوجب  
ولا حظَّ عيوبك وافطنْ لها  
وأنصِفْ وإن لم تجد مُنصِفاً  
ودمَّ طالبَ الفهم للغامضات  
وإن تُدعَ للخير فانهضْ وهُمَّ  
وكن عالمَ الشرِّ لا عاملاً  
وشَرِّفْ بفضلك مَنْ أنت منه  
وكن بعزِّي الحقَّ مستمسكاً  
فلا تَفْتِنَنَّكَ دنيا الغنى  
وكن في حياتك كالمُبتغي  
فما المال والعيش إلا كطيفِ

مَنْ العلمِ لا مالُه من وسام  
مع البعدِ مثلُ قصيرِ السَّهام  
فما البَخْسُ إلا أقلُّ الحرام  
بغيرِ تغالٍ ودونِ اهتِضام  
ولو كان طفلاً دُوِّينَ احتِلام  
فَقَدْرُكُ مهما تواضعتَ سام  
وكن عن عيوبِ الورى ذاتِعام  
وسامحْ بواجبِ حقِّ لزام  
فمفتاحُ مُغلقها في الدوام  
وإن تدعَ للشرِّ قل: لا همام  
لتخلُصَ من مُوبقاتِ المَرام  
ولا تفتخرْ بالعِظام الرِّمام  
ألا إنها غيرُ ذاتِ انقسام  
ومثَّلُ مُقامك ما في الرِّجام  
من السوقِ زاد البُغد المَرام  
خيالِ سَرى طارقاً في مَنام

### الذل على أبواب الحجاب:

وقال ظافر الحداد ينصح بعدم الوقوف على باب حجاب  
المسؤولين لغرورهم:

أعزُّ الورى من أفاد القنوعا  
وما الذلُّ إلا ركوب الفتى  
على باب ذي جُبةٍ وُعدُهُ

ولومات للضرِّ هزلاً وجوعا  
مطامع تجني عليه الخضوعا  
غرورٌ على كونه مستطيعا

وقال في المعنى نفسه أيضاً:  
جلال العزف في مال القناعه  
فتلك مع النزر القليل خصبٌ  
وذا مالٌ مع الإنفاق يزكو

وذُلُّ الهون في فقر الطماعه  
وتلك مع الغنى أبدأ مجاعه  
وهذا بالصيانة في إضاعه

لا تصحب العلم إلا والغنى معه:

وقال ظافر الحداد في ضرورة تلازم العلم مع المال<sup>(١)</sup>:

مالي وللحادثات الصمُّ تطرقتني  
أرى الزمان يعادي كلَّ ذي أدب  
دعني من العلم والآداب قاطبة  
لا تصحب العلم إلا والغنى معه  
عيش الفتى تحت ذلِّ الفقر منزلةً  
لأركبُنْ بعزمي كلَّ مهلكة  
حتى كأنني لمحذوراتها هدَفُ  
يا ليت شعري ألوم فيه أم خرف  
إن كنت طالب دنيا فالغنى الشرف  
أولاً فحَظُّكَ منه الهمُّ والأسفُ  
لا يستقرُّ عليها من له أنفُ  
إما غنى ترتضيه النفس أو تَلْفُ

لكي تبقى محبوباً من الناس:

يضع ظافر الحداد شروطاً لكي يبقى الفرد محبوباً من الناس  
منها:

أنت صديق الناس ما لم تكنُ  
وإن تعرّضت إلى رفدهم  
فلا يغرّنك ما أظهروا  
فالمرض المؤلم أسبابه  
فاقبلْ ولمني أو خالف ولمُ  
ترغب فيما عندهم من حطام  
كنت عدواً لهم والسلام  
من قلّقي مستعملٍ وابتسام  
صادرةً عن طيّبات الطعام  
نفسك من بعدي أشدّ الملام

(١) م.س. ص ٢١٧.



عسى الرحمان يغني عن فلان وفلان<sup>(١)</sup>:

يقول الملك الصالح طلائع بن رُزيك:

خُضُّ بحار الموت في      النقلة من دار الهوان  
واحمل النفس من الصبر      على حدِّ السنان  
واجتهد أن لا يراك      الناس مبسوط البنان  
فعسى الرحمان يغني      عن فلان وفلان  
وقال أيضاً:

يا نائماً في هذه الدنيا أما أن انتباهك  
المال لا يغنيك في الأخرى ولا ينجيك جاهك

مرعى الإنسان خبيث:

وقال الملك الصالح:

أيها المغرور لا تغتر فمرعاك خبيث  
إنَّ من جادت على الخلق بجدواه ليوث  
وأولو المجد القديم العهد منهم والحديث  
أصبح اليوم حديثاً وغداً نحن حديث  
وقال في الزهد والنصيحة:

أيها المغرور لو فكَّرت لم يخف الصواب  
إن تفرَّ من شَرِّك الدهر فلدهر انقلاب  
وإذا نحن أقمنا فلنا يوماً ذهب

(١) ديوان الملك الصالح، طلائع بن رزيك، ص ١٦٢.

أين من جادت على الأرض لجدواه سحاب  
 وبنى كلُّ منيع زانه الصمّ الصلاب  
 نادٍ في تيه من الأفاق واسمع هل تُجاب  
 وأعالي خطط الفسطاط مهجورٌ يباب  
 والذي فيها من العمران معناه الخراب  
 تُربُّ بالسفح قد عفى عليها التراب

لعن الله المخادع:

يقول ابن أبي حصينة المعري في هذا المعنى<sup>(١)</sup>:

|                                 |                                   |
|---------------------------------|-----------------------------------|
| أحبّ الفتى السمع الذي طلب الغنى | فلما رأى وجه الغنى طلب الحمدا     |
| وأمقت من لا تطلب الحمد نفسه     | ولا يضر الودّ الصحيح ولا ودًا     |
| صديقك ما دام الرخاء وناهش       | بنابيه في الخطب الملمّ إذا اشتدّا |
| لحى الله من يبدي لخلّ مودّة     | ويضمّر في حيزومه ضد ما أبدا       |
| دع الرجل المغتاب يشفى بغيبيتي   | فما غيبة المغتاب إلا ثنا يُهدى    |

لا تلزم من الناس غير طباعهم:

وقال الفقيه عمارة في النصح والحكمة<sup>(٢)</sup>:

|                              |                             |
|------------------------------|-----------------------------|
| هل القلب إلا مضغة تتقلب      | له خاطرٌ يرضى مراراً ويغضب  |
| أم النفس إلا وهدّة مطمئنة    | تفيض ثغاب الهم منها وتنضب   |
| فلا تلزم من الناس غير طباعهم | فتتعب من طول العتاب ويتعبوا |

(١) ديوان ابن أبي حصينة، الجزء الأول، ص ٢٦٦.

(٢) ديوان عمارة اليميني، الجزء الأول، ص ١٩٢.

فإنك إن كشفتهم ربما انجلى  
فتاركهم ما تاركوك فإنهم  
ولا تغترر منهم بحسن بشاشة  
أقول لمغتر بظاهر بشره  
ولا تركن للبحر عند سكونه  
وقد يبسم الضرغام وهو معبس  
تباعدا إذا أولاك ضرباً ولم يزل  
فلا تتصوره بصورة صاحب  
ولا تتسحب واثقاً بحيائه

رمادهم عن جمرة تتلهب  
إلى الشر مذ كانوا من الخير أقرب  
فأكثر إيماض البوارق حُلب  
تَيَقُّظُ فإن الماء يخفيه طُحلب  
وبادر فإن البحر إن هاج يعطب  
وقد يتلظى البرق والغيث يسكب  
أخو الحزم من يخشى الملوك ويرهب  
فليس أبو شبليين غرثان يصحب  
فما ذل إلا واثق يتسحب

## الشعر الفلسفي والديني

ما أن تمت مبايعة المسلمين من مهاجرين وأنصار، المجتمعين في سقيفة بني ساعدة، للصحابي أبي بكر الصديق التيمي (رض)، بغيا ب علي بن أبي طالب (ع)، الذي كان مشغولاً بـدفن النبي (ص)، حتى عُرس الإسفين الأول في ظهر الإسلام لا في نعشه، لأنّ النعش هو محمل الميت والمتوفى، والإسلام لن يكون له نعش ما دام هناك من يقول في مشارق الأرض ومغاربها: الله أكبر.

ففتنة من المسلمين اعتبرت أنّ الخلافة اغتصبت من علي وأهل بيته، وفتنة رأت أنّه لو لم يتدخل الفاروق عمر (رض) ويباع أبا بكر لكانت القبلية الجاهلية عادت وسيطرت على عقول ونفوس المسلمين.

ومن هنا بدأت الشقّة تتسع، والخلاف يزداد، فكانت حروب الجمل والنهروان وصفين. وجاء مقتل الحسين بكر بلاء ليزيد الشقّة والتباعد والحد والإحن والضعينة بين المسلمين. وأخذ كل من طلب الحكم والملك، دعا لأهل البيت ولحكمهم، ومن ثمّ عندما يصل إلى الحكم، بدل من أن يسلمهم إياه، يطاردهم ويشردهم. ويزجّ بهم في السجون. فكانت مقاتلهم من أبشع المقاتل، وكفك بكتاب أبي الفرج الأصبهاني دليلاً.

«وكان الناقمون يتسترون بالتشيع فيدعون في معظم الأحيان أنهم يعملون في خدمة آل البيت، ويمزجون آراءهم الدينية بنظريات الفلاسفة وعقائد الأديان القديمة، ويخرجون من هذا المزيج بتعاليم جديدة يبثونها في صفوف المسلمين»<sup>(١)</sup>.

ومن هذا المنطلق، كثرت الفرق الإسلامية الشيعية منها، والخوارج والمرجئة والقدرية والجهمية والمعتزلة. وقد سطر مؤرخو الفلسفة الإسلامية ومؤرخو الفرق الإسلامية، العديد من الكتب في التعريف عنها، وفي الرد على بعضها. وأكثر الفرق التي شغلت بال المؤرخين وسطر العديد من الكتب في الرد عليها: فرقة الشيعة الإمامية الإسماعيلية.

وكان السبب في تصدّي علماء ومؤرخي المسلمين لهذه الفرقة، وصول أصحابها لإعلان أكبر وأعظم خلافة عرفها التاريخ الإسلامي، خلافة استطاعت بناء أكبر دولة عربية إسلامية، بقيادة واسطة عقد الإسلام والعروبة - مصر - لمدة ثلاثة قرون من الزمن. عاش فيها العرب والمسلمون بعزّ ومنعة وحرية وثراء وترف وفراهة وجاه وسلطة، لم يعرفها العرب والمسلمون إلا في عهد النبي (ص) والخلفاء الراشدين (رض) فقط.

أما لو كانت الفرقة الإسماعيلية لم تصل إلى السلطة وتزاحم العباسيين في كل أنحاء المعمورة وتحصرهم في زاوية بغداد فقط، وتلاحق الأمويين في أقاصي إسبانيا وفرنسا والبرتغال، لكانت مثلها مثل

---

(١) إخوان الصفاء، جبور عبد النور، ط ٣، بيروت، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٠، ص ٧.

الجارودية والأبوطحية والجهمية أو أي فرقة إسلامية اندثرت مع صاحبها. ولكن وصول الشيعة الإمامية الإسماعلية إلى السلطة، وإقدامهم على تطبيق الفلسفة الإسلامية الشيعية الإمامية الجعفرية على المجتمع الإسلامي في مصر والدولة الإسلامية، وتوصلهم من خلال التطبيق العملي للفكر الإسلامي الشيعي الجعفري الأصيل، إلى بناء حضارة إنسانية ونمط عيش وتفكير، ما زال حتى اليوم شعلة وهاجة، ومنازة أجاجة بالإرهابات الحضارية المشعة على الإسلام والعروبة، جعلهم هذا الوصول ضمن دائرة الانتقاد والمساءلة.

ويقول الدكتور محمد كامل حسين عن موقع القاهرة العلمي أيام الفاطميين:

«فالقاهرة المعزية أصبحت مطمح أنظار العلماء ومحط رحال الطلاب. وفي العصر الفاطمي استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية، وأن تبسط آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى، حتى نرى بعض العلماء الكبار الذين كانوا ينقمون على الشيعة عامة والفاطميين خاصة، يقدون على مصر ويتأثرون ببعض الآراء التي كانت سائدة فيها. وأقرب مثل نقدّمه لذلك هو الإمام الغزالي، فقد هاجم الفاطميين في كتبه: القسطاس، والمنقذ من الضلال، والمستظهري، أو الرد على الباطنية، وغيرها من كتبه. ولكنه وفد على مصر في أواخر حياته ووضع كتابه «مشكاة الأنوار»، متأثراً ببعض العقائد الفاطمية، ولا سيما نظريتهم في ترتيب العقول»<sup>(١)</sup>.

(١) أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ٩٠.

ونحن عندما استعرضنا مدائح ومراثي الشعراء الفاطميين، لاحظنا تلازم الفكرة الفلسفية الأساسية - الإمام المعصوم المسمّى بالنص الإلهي - في كلّ القصائد التي قيلت في مدحهم أو في رثائهم أو في أي وسيلة تخاطب معهم. لذلك سنجد أنّ العديد من الشعراء المصريين الفاطميين نظموا الشعر الفلسفي المحض إلى جانب مدحهم أهل البيت، أو رثائهم شهداء الطف بكربلاء، أو وصفهم لمآسي البيت الطالبّي.

### الدنيا خلقت لأجل الخلفاء المصريين:

يقول محمد بن هاني الأندلسي في معرض مدحه للخليفة المعز لدين الله الفاطمي<sup>(١)</sup>:

|                            |                          |
|----------------------------|--------------------------|
| ملك إذا نطقت علاه بمدحه    | خرس الوفود وأفجم الخطباء |
| هو علة الدنيا ومن خلقت له  | ولعلة ما كانت الأشياء    |
| من صفو ماء الوحي وهو مجاجة | من حوضه ينبوع وهو شفاء   |
| من معدن التقديس وهو سلاله  | من جوهر الملكوت وهو ضياء |
| هذا أمين الله بين عباده    | وبلاده إن عُدّت الأمناء  |
| فعليه من سيما النبي دلالة  | وعليه من نور الإله بهاء  |
| في الله يسري جوده وجنوده   | وعديده والعزم والآراء    |
| نزلت ملائكة السماء بنصره   | وأطاعه الإصباح والإمساء  |
| والدهر والأيام في تصريفها  | والناس والخضراء والغبراء |
| لا تسألن عن الزمان فإنّه   | في راحتك يدور كيف يشاء   |

(١) ديوان ابن هاني الأندلسي، م. س. ص.

وفي قصيدة ثانية يرى ابن هاني في خلفاء مصر الفاطمية: أن  
علم الله مفتوحة أبوابه لهم:

ولكنه عن سائر الناس محجوب  
ويرى في المعز أيضاً:

لتضيء برهاناً لهم وتلوها  
أخشاك تُنسي الشمس مطلعها كما  
أنسى الملائك ذكرك التسبيحا  
وأمدّها علماً فكنت الروحا  
صُورَت من ملكوت ربك صورة  
لُدعيت من بعد المسيح مسيحا  
أقسمت لولا أن دعيت خليفة  
شهدت بمفخرك السموات العلى  
وتنزّل القرآن فيك مديحا

مصير الدنيا بأسرها في يد خلفاء مصر:

وفي قصيدة أخرى يقول عن الخلفاء المصريين والمعز:

فقد صارت الدنيا إليكم مصيرها  
وصار له الحمد المضاعف والشكر  
إمام رأيت الدين مرتبطاً به  
فطاعته فوزٌ وعصيانه خُسْرُ  
هو الوارث الدنيا ومن خلقت له  
من الناس حتى يلتقي القطر والقطرُ  
أما القصيدة التي مطلعها:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار  
فاحكم فأنت الواحد القهار  
فقد خرج بها ابن هاني عن الملة الإسلامية ووجب عليه إقامة  
الحد، إلا إذا كانت الصورة الشعرية مجازية على عادة الشعراء.

الأرجوزة المختارة:

الأرجوزة المختارة هي مطولة شعرية بلغت ٢٣٧٥ بيتاً من الشعر،



نظمها واضع أُسسِ المذهب الشيعي الإمامي الإسماعيلي، القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي المتوفّي سنة ٣٦٣هـ. «كتبها النعمان في مدينة القيروان المغربية، في عهد الخليفة الفاطمي الثاني، الإمام القائم بأمر الله الذي حكم من عام ٣٢٢هـ حتى عام ٣٣٤هـ. وتعتبر فتحاً جديداً في عالم التأليف والتعبير عن التاريخ وفلسفة الأديان والقصائد. ففيها التوحيد والتسبيح والتنزيه والوجود وعالم العقول وظهور الرسائل وعدد النطقاء بأصحاب الشرائع في عالم الدين، والأسُسُ والأئمة المستقرّين والمستودعين. بعد ذلك يتعرّض النعمان إلى الحرب التي خاضها الرسول الكريم محمد (ص) والوصي علي بن أبي طالب (ع) في سبيل توطيد وتعميم شريعة الإسلام؛ ثم سلسلة الأئمة وأدواهم منذ عهد آدم حتى عهد الرسول محمد (ص)، وصولاً إلى عصر الخليفة الفاطمي الرابع، الإمام المعزّ لدين الله»<sup>(١)</sup>.

وهناك أيضاً القصيدة الشافية، أقدم ناظمها على نظمها في منتصف القرن الرابع الهجري، أي في بدايات وصول الحكم الشيعي الإمامي الفاطمي إلى مصر، وهي تتضمن الفكر الفلسفي الشيعي المصري منذ بداياته وحتى خروجهم من مصر. وسنجد من خلال الأرجوزة المختارة والقصيدة الشافية أنّ الفكر الفلسفي الشيعي الإمامي المصري لم يخرج عن أساسيات الإسلام ولا الحدّ ولا غالى، فقصائد الشعراء أمثال ابن هاني، هي قصائد شعراء أما هاتان القصيدتان فصاحباهما مسلمان شيعيان إماميان فيلسوفان، عالمان

(١) الأرجوزة المختارة، القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي، ط ١، بيروت، دار الأضواء، سنة ١٩٩٩، المقدمة، ص ٦.

بآداب الدين قبل كونهما شاعرين. وهما هنا ناظران لفكرة فلسفية قبل أن يكونا شاعرين.

أما الفكر الفلسفي الشيعي الإمامي الإسماعيلي بعد سنة ٥٧٠هـ، فلا علاقة للتشيع المصري الفاطمي به، لأن الإسماعيليين قد شطّوا وغالوا في أفكارهم بعد انقراض دولتهم وخروجهم من مصر.

وقد ردّ الإمام ابن قيم الجوزية على القصيدة الشافية والأرجوزة المختارة بقصيدة نونية سماها: القصيدة النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية وقد بلغت أبيات القصيدة النونية ستة آلاف بيت //٦٠٠٠// وهي أكبر مطوّلة شعرية عرفها الشعر العربي قبل سليمان البستاني، ناظم ملحمة الإلياذة في القرن التاسع عشر.

آراء القاضي النعمان الفلسفية: في صفات الله:

يبدأ القاضي النعمان الأرجوزة بقوله<sup>(١)</sup>:

|                         |                             |
|-------------------------|-----------------------------|
| الحمد لله بديع ما خَلَق | عن غير تمثيل على شيء سَبَقُ |
| بل سبق الأشياء فابتداها | خلقاً كما أراد إذ براها     |
| لم يتخذ صاحبة ولا ولد   | ولم يكن جلّ له كفواً أَحَدُ |
| ولاله من خلقه وزير      | ولا شريك له لا ولا ظهيرُ    |
| سبحانه عن ملك جليلٍ     | جلّ عن التشبيه والتمثيل     |
| وعن حدود النعت والصفات  | والظنّ والوهم من الجهات     |

(١) الأرجوزة المختارة، م.س. ص ١٠.

من أنه لم تره الأبصار      وأنه لم تحوه الأقطار  
فهو إليه صمد معبود      موحد معظم محمود

### في صفات النبوة:

وقال عن النبي محمد (ص):  
والحمد لله الذي قد انتجب  
فخصّه بالوحي والنبوة  
محمداً من خلقه لما انتخب  
.....

### في صفات الإمامة:

وعن الإمامة وصفاتها وشروطها قال:

.....  
من بعده أبا الحسين والحسن  
صلى عليهما الذي اختارهما  
فاختصهم بالفضل والكرامه  
وخصّ بالإمرة والأخوة  
فسلم الأمر إليه إذ ظعن  
واختار من بعدهما آلهما  
وجعل الحجة والإمامه  
حتى انتهت إلى الإمام المنتظر  
فيهم فلم تزل عليهم تقتصر  
والإمام المنتظر عند الشيعة الإسماعيلية له نفس صفات الإمام  
المنتظر عند الشيعة الاثني عشرية القاطنين جبال عاملة. فهو الثاني  
عشر واسمه محمد وكنيته المهدي وأشارت إليه الأحاديث القدسية.  
ولكن الإمام المهدي المنتظر إمام الاثني عشرية هو محمد بن الحسن  
(عج)، من صلب الإمام موسى الكاظم، (ع) أما الإمام المهدي  
المنتظر، إمام الإسماعيلية هو محمد، عبيد الله، المهدي، من صلب  
محمد بن إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق - عليهم السلام -.

يقول القاضي النعمان:

إلى الذي قد جاءت الرواية  
عن النبيّ حين قال المهدي  
أشبه من ترונה بي خلقاً  
فيملاً الأرض التي قد دُحيت  
جوراً وظلماً ذلكم من عترتي  
واسم أبيه فاعلموا كاسم أبي  
بوصفه والنعته والحكاية  
يقوم بعد برهة من بعدي  
وسيرة وسنة وخُلُقاً  
عدلاً وقسطاً مثل ما قد ملئت  
سُمِّي باسمي وتكنّى كنيّتي  
فلم تزل أمته في تعب

تمكّ الفاطميين حلناً من أسر التقيّة:

يعتبر القاضي النعمان أنّ مسلك «التقيّة» التي اعتقدها الشيعة  
قسراً، من أجل استمرار المذهب الشيعي، أسراً وسجناً للشيعة  
والتشيع، وهو يحمد الله لعودة العزّ والمنعة إلى المسلمين الشيعة  
عبر الخلفاء المصريين حيث يقول:

فيالهامن عترة مقتولة  
مذغاب عنها ناظر النبيّ  
فشيد المعزُّ لها بنياناً  
ومكّن الله لأولياؤه  
فإذا أتانا الله بالأمان  
لمّا تزل دماؤها مطلولة  
حتى أتاه الله بالمهديّ  
ودعم الملك لها أركاناً  
وطهر البلاد من أعدائه  
وزالت المحنة والبليّة

في الوصيّة:

بعد أن يستعرض القاضي النعمان النبوة والإمامة منذ ظهور: آدم  
- شيت - أنوشا - قينان - مهلائيل - يارد - إدريس - منوشلخ -

لمك - نوح - سام - إبراهيم - إسماعيل - إسحاق - يوشع بن نون  
 - موسى - هارون - شمعون - عيسى - النبي محمد / صلوات الله  
 عليهم جميعاً، وهم أنبياء وأوصياء ولكل نبي وصي ويشير إلى  
 وصية النبي محمد (ص) بالإمامة والخلافة إلى الإمام علي بن أبي  
 طالب وإلى أولاده من بعده فيقول:

ذكر قوم أنه قد أوصى إلى علي في الذي قد نصاً  
 بأهله وماله وعترته وبالقيام بعده في أمته  
 وقال قوم إنما أوصاه بأهله إن جاءه قضاءه  
 وماله قالوا على الكلية ولم يكن أوصاه بالرعيه  
 وقال قوم نحن لسنا ندرى أوصاه أو لم يوصه بالأمر  
 وقيل بل جمع في وصيته بالدين والكتاب كل أمته

ضرورة وجود الإمام وصلاحياته:

ويقول القاضي النعمان في ضرورة وجود الإمام والإمامة في  
 الإسلام:

أجمع من يُعزى إلى الإسلام بأنه لا بد من إمام  
 يجمع إلفة الجميع منهم ويدفع الأعداء طراً عنهم  
 وينفذ الأحكام للخصوم ويقمع الظالم للمظلوم  
 وهو يقيم الحج والحدودا وينصب الجهاد والجنودا  
 ويصلح السبل والبلادا ويقطع البدع والفسادا  
 ويقسم الفياء على المقاتله والصدقات في الوجوه الكامله  
 وهو يقيم لهم الصلاتا ويقبض الجزية والزكاتا

ثم يتحدث عن صفات الإمام عند كل الفرق الإسلامية من شيعة  
وخوارج وجهمية ومعتزلة شعراً.

### في التشكيك في حديث غدير خم:

وقال القاضي النعمان في قصة حديث غدير خم:

لما أتى عن النبي ما ذكر  
ذلك لهم وصححو إسناده  
فاعترضوا جهلاً على النبي  
فقال بعض القوم قد يُسَمَّى  
موليٌّ فكان مخبراً عن حكمه  
للمناس في يوم الغدير واشتهر  
تعللوا ليوجبوا إسناده  
في ما دعى فيه إلى الوصي  
على لغات العرب ابن العم  
بأنه ابن العم لابن عمه

من سقيفة بني ساعدة حتى وفاة عثمان (رض):

ويروى القاضي النعمان قصة انتقال الخلافة من أبي بكر  
الصديق إلى الخليفة الثالث عثمان بن عفان / رضي الله عنهما / ذاكراً  
كل الأحداث التي جرت لعلي وفاطمة (ع).

نجزىء منها:

وقصدوا جماعة الأنصار  
فاجتمع الجميع في سقيفه  
فجاءهم عتيق لاحتياله  
ومنها:

حتى أتوا باب البتول فاطمه  
فوقفت عن دونه تعذ لهم  
فاقتحموا حجابها فعولت  
وهي لهم قالية مصارمه  
فكسر الباب لهم أولهم  
فضربوا بينهم فأسقطت

ومنها:

وقتلهم فاطمة الزهراء أضرم حر النار في أحشائي  
لأن في المشهور عند الناس بأنهم ماتت من النفاس  
ويقول عن خلافة أبي بكر وعمر:

حتى إذا ما انقطعت أيامه وجاءه في ما يرى جمأمه  
صيرها من غير شوري لعمر فسمع الناس بذاك الخبر  
حتى إذا أن وقتته قد انقضى جعلها في ستته  
وعن خلافة عثمان:

لما قضى عثمان واستراحوا منه تداعى الناس ثم راحوا  
إلى عليّ بعده جميعاً قد جمعوا الشريف والوضيعا  
كلهم عليه قد تجمّعوا وأبصروا العيب الذي قد صنعوا  
ثم يروى قصة علي وعائشة وحروبه مع معاوية ومقتله على يد  
ابن ملجم وموت الإمام الحسن ومقتل الحسين، وانتقال الإمامة إلى  
علي زين العابدين ومنه إلى الإمام الباقر، ومنه إلى الإمام جعفر  
الصادق، عليهم السلام.

الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق (ع):

أما عن الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق حتى ظهور عبید الله  
المهدي، فلم يصرّح القاضي النعمان بأسمائهم مدعيّاً بأن:

ولم يكن يمنعني من ذكرهم إلا احتفاظي بمصون سرهم  
وليس لي بأن أقول جهراً ما كان قد أدّى إليّ سرّاً  
وهم على الجملة كانوا استتروا ولم يكونوا إذا تولّوا ظهوراً

بل دخلوا في جملة السواد      لخوفهم من سطوة الأعادي  
ثم يشير إلى الأئمة الخلفاء من المهدي حتى المعزّ حيث يقول:  
فقام عبد الله وهو الصادق      مهدينا صلى عليه الخالق  
وقام بالأمر على تصعبه      من بعده من لم يزل يقوم به  
ذاك أبو القاسم مهديّ البشر      محمّد أفضل كلّ من غبر  
حتى بلغت القائم المهديّ      أعني إمام عصرنا المرضيّا  
وعندما يرد على صفات الإمامة عند الطوائف الشيعية يذكرها  
كلها ما عدا الطائفة الإمامية الاثني عشرية.

ولم يخرج القاضي النعمان عن أدبيات الفكر الشيعي الإمامي  
الجعفري في أرجوزته. حيث إنه تجاوز الخلاف الاثني عشري  
الإسماعيلي في تسمية الإمام، أو اختصره بشكل ملفت للنظر، فلم  
ينتقد الشيعة الاثني عشرية، رغم انتقاده للزيدية.

### الفلسفة الشيعية المصرية في ديوان داعي الدعاة:

يقول المؤيد في الدين مدافعاً عن ما رماه علماء السنة  
ومؤرّخوهم شيعة مصر بالإلحاد:  
يرموننا بالكفر والإلحاد      والزيغ عن مناهج الرشاد  
قالوا: هم قد عطّلوا الأديانا      وأبطلوا الإسلام والإيماننا  
ياربّ فاحكم بيننا بالحقّ      يا عالمًا مكنون سرّ الخلق  
نقول ما قيل لخاتم الرسل      في الراهبين قلّ تعالوانبتهل  
ليلعن الرحمان منا الكاذبا      كما يُرى من ذائرُ ذائبنا  
فكيف شرع الأنبياء ندفعُ      وما لنا إلا النبيّ مرجعُ



يارب فالعن جاحدي الشرائع وارمهم بأفزع الفجائع  
والعن إلهي من يرى الإباحه بلعنة فاضحة مجتاحه  
والعن إلهي غالياً وقالياً ولا تذر في الأرض منهم باقيا  
يارب إننا منهم براء هُم واليهود عندنا سواء  
فاخزهم واخز من رمانا بريبة ولقنه الهوانا  
نوحدا الله ولا نشبّهه قد انتفت في الدين عنا الشبّه  
بالمصطفى وآله اقتدينا ثم بهم لا جُرم اهتدينا  
هذا هو الفكر الفلسفي الشيعي الإمامي المصري الفاطمي. لم  
يخرج عن حدود الملة الإسلامية. وبرغم هذا التصريح الصريح فلم  
يتعب المشككون وما زالوا حتى اليوم يتابعون تشكيكهم.

### طاعات المسلم الحقيقي:

يرى المؤيد في الدين أن المسلم الحقيقي هو الذي يطيع في دينه  
ودنياه ثلاث:

أقرأ: أطيعوا الله والرسولا ثم أولى الأمر بهم موصولا  
الله - الرسول - أولو الأمر - ثلاث طاعات غدت معلومه  
ويحدّد أولى الأمر فيقول: في آية واحدة منظومه

وإنما الطاعة للأطهار آل النبي الصفوة الأبرار  
آل الرشاد والتقى والعصمه أئمة ما قارنتهم وصمه  
جرى بهم لفظ الكتاب وأتسق يخبر عن عمومها على نسق  
في كل عصر منهم إمام لا يهتدي إلا به الأنام

دعوته قائمة في العالم      عالية ظاهرة المعالم  
وإمام عصره هو:

هاكم منهم بمصر إماماً      هو بالتقي للشكوك كفيلاً  
جَدُّهُ المصطفى أبوه عليٌّ      أمُّهُ صفوة النساء البتولُ

من هم أنبياء وأوصياء داعي الدعاة؟:

يرسل داعي الدعاة سلامه إلى من يعتقد بنبوتهم وإمامتهم ككلِّ  
مسلم مؤمن:

|                          |                          |
|--------------------------|--------------------------|
| سلام على العترة الطاهرة  | وأهلاً بنوارها الزاهره   |
| سلام بدياً على آدم       | أبي الخلق باديه والحاضره |
| سلام على من بطوفانه      | أديرت على من بغى الدائره |
| سلام على من أتاه السلام  | غداة أحفقت به النائره    |
| سلام على قاهر بالعصى     | عصاه فراعنة جائره        |
| سلام على الروح عيسى الذي | بمبعثه شرفت الناصره      |
| سلام على المصطفى أحمد    | ولي الشفاعة في الآخرة    |
| سلام على المرتضى حيدر    | وأبنائه الأنجم الزاهره   |

وداعي الدعاة هبة الله بن موسى الشيرازي كان يلقي محاضرات  
فقهية وفلسفية في «دار العلم» في القاهرة أو ما نسّميه اليوم  
«الجامعة المصرية» نهار كلِّ يوم خميس. وقد تم جمع هذه  
المحاضرات الفلسفية في كتابين أطلق عليهما: المجالس المؤيدية  
الأول يضم مائة مجلس أو محاضرة وهي المائة الأولى والثاني  
يضم أيضاً مائة محاضرة وأطلق عليها المائة الثالثة، مما يعني أن

هناك مائة محاضرة ثانية مفقودة، أولم تطبع حتى الآن. وفي هذه المحاضرات ناقش كل الأمور الفقهية والفكرية والفلسفية التي تخص العقيدة الإسلامية الشيعية الإمامية. وقد ذكر في إحدى قصائده أن أجمل يوم في الأسبوع هو يوم إلقاء هذه المحاضرات، وهو يوم الخميس من كل أسبوع. يقول:

يا صباح الخميس أهلاً وسهلاً زادك الواحد المهيمنُ فضلاً  
أنت عيد للمؤمنين عتيدي جمع الدين منهم فيك شملاً  
نحن نجني ثمار جنات عدن كلما قبل الخميس وولى  
وكان الجمهور المصري يقبل إقبالاً منقطع النظر على هذه  
المحاضرات، وقد أورد المقرئ في اتعاظ الحنفا، أن اثني عشر  
رجلاً ماتوا في الزحام والتدافع لحضور إحدى هذه المحاضرات أيام  
ال خليفة الحاكم بأمر الله.

وكان الشعراء المصريون يضمّنون قصائدهم كل الأفكار  
الفلسفية الدينية، من وجهة نظر الشيعة الإمامية (كنظرية الفاضل  
والمفضول).

يقول الملك الصالح صلاح بن رزيك في إحدى قصائده:

إنّ الخليل إذا تجنّب مذهبي قلت: ابتعد ما أنت لي بخليل  
أليت لا ألقى عادة أئمتي إلا بعضب الشفرتين صقيل  
وأئمتي قوم إذا ظلموا فهم لا يظلمون الناس وزن فتيل  
وهم الأئمة ما عدت فضيلة فيهم فما ميلي إلى المفضول  
آل النبي بهم عرفنا مشكل القرآن والتوراة والإنجيل  
هم أوضحو الآيات حتى بيّنوا الغايات في التحريم والتحليل

عند التباهل ما علمنا سادساً تحت الكسامعهم سوى جبريل  
وقد تأثر الشعر المصري الفاطمي بالقرآن والسنة والفلسفات  
المسيطرة على عقول الناس حتى أضحى الشاعر منهم ينظم القصيدة  
مضمنها الآيات القرآنية في كل بيت من أبياتها.

### قصيدة نصفها آيات قرآنية:

ونظم الملك الصالح طلائع بن رزّيك قصيدة ضمن كل بيت من  
أبياتها آية قرآنية:

|                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| إن الأبرار يشربون بكأس       | كان حقاً ﴿مزاجها كافورا﴾      |
| ولهم أنشأ المهيمن ﴿عيناً     | فجروها عباده تفجيراً﴾         |
| وهدهم وقال: ﴿يوفون بالندر﴾   | فمن مثلهم يوفي النذورا        |
| و﴿يخافون﴾ بعد ذلك ﴿يوماً﴾    | هائلاً ﴿كان شره مستطيراً﴾     |
| «يطعمون الطعام» ذا اليتم     | والمسكين في حبّ ربهم والأسيرا |
| إنما نطعم الطعام لوجه الله   | لا نبتغي لذيكم شكورا          |
| غير ﴿إننا نخاف من ربنا يوماً | عبوساً﴾ عصبصياً قمطيراً       |
| فوقاهم إلههم ذلك اليوم       | يلقون نضرة وسرورا             |
| «وجزاهم» بأنهم «صبروا» في    | السرّ والجهر جنة وحريرا       |

والقصيدة طويلة، يستطيع من أراد الاستزادة منها أن يرجع إليها  
في ديوان الملك الصالح<sup>(١)</sup>.

(١) ديوان الملك الصالح طلائع بن رزّيك، م.س. ص ٧٨.

## الفكر الفلسفي الشيعي المصري في القصيدة الصورية:

هذه القصيدة نظمها داعي دعاة الدولة المصرية الفاطمية من قبل الخليفة المصري المستنصر بالله الفاطمي، في مدينة صور وثغر جبال عاملة، ويقول المؤرخون أنّ هذا الداعي توفي سنة ٤٨٧هـ، أي قبل وفاة الخليفة المستنصر بسنة واحدة أو في نفس السنة. والفلسفة الشيعية المصرية في هذه القصيدة لا تختلف عن طروحات الفلاسفة الشيعة المصريين، كما لا تخرج عن أدبيات الإسلام الشيعي الإمامي الأصيل، من القول بولاية علي (ع) وعصمة الأئمة وحديث الكساء وغدير خم وأدب الطف وإقامة عاشوراء، وكل أدبيات الفكر الطالبي الجعفري.

أما اختلافهم مع الاثني عشرية والزيدية، فهو اختلاف في اسم الإمام وليس اختلاف في الفقه الشيعي الجعفري، فالدولة الإسلامية التي طبّقوا فيها الفكر الإسلامي الشيعي الإمامي، كان قاضي القضاة فيها، إمّا جعفري إسماعيلي، أو جعفري اثني عشري، أو زيدي فلم يكونوا يمنعون أبناء المذاهب الشيعية الأخرى من تسنّم هذا المركز لأنّ الأحكام هي نفسها عند المذاهب الثلاث.

يبدأ داعي الدعاة محمد بن علي بن حسن الصوري قصيدته بقوله<sup>(١)</sup>:

الحمد لله معلّ العِلل ومبدع العقل القديم الأزل  
أبدعه بأمره العَظِيم بلامثال كان في القديم

(١) القصيدة الصورية، محمد بن علي بن حسن الصوري، ط ١، دمشق، طبعة المعهد الفرنسي، سنة ١٩٥٥، ص ٢٣.

سبحانه من ملك ديان  
 جلّ عن الإدراك في الضمائر  
 أحمده حمد مقرر مذعن  
 ومنه الزكاة والصلاة تغتدي  
 وصنوه الحائز فضل رتبة  
 وهو يعني بصنوه «الإمام علي» (ع)، والعترة الهادين من ذريته،  
 الأئمة المعصومين حتى إمام عصره، الخليفة المصري المستنصر  
 بالله الفاطمي.

ويتابع قائلاً:

أبو مولانا إمام عصرنا  
 حائز أنوار المقامات الأولى  
 فنوره فاق على الأنوار  
 ذاك «معدّ»، عدّتي وذخري  
 يشهد لي إذ تنفع الشهادة  
 وإنني ما جدت عن ولايته  
 صلّى عليه ربنا وسلّم

السيد المنصور ولي أمرنا  
 وكل ما خصّ به من العلى  
 وعصره يعلو على الأعصار  
 إذا لقيت الله يوم حشري  
 إنني على الطاعة والعبادة  
 ولا اعتراض الشك في إمامته  
 ملاح بدر في السماء وأنجما

ثم ينظم الداعي ابن الصوري رأي الفلسفة الشيعية المصرية  
 بالتوحيد وفي حدوث العالم، ويردّ على الدهرية والثنوية والنصارى  
 القائلين بالتثليث حيث يقول:

فقل لمن صير شيئاً واحداً  
 للاب أم للابن أم روح القدس

ثلاثة لمن غدوت عابداً  
 بين لنا الحجة حتى نقتبس

ومن هو الفاضل منهم قل لنا لنجعل الفاضل منهم ربنا  
 فإن تقل ما بينهم تفاضل وهم لشيء واحد جاهل  
 ومن ثم يعطى رأيه في الفرق بين المبدع الأول والمخلوق  
 والنفس الكلية، والدهر والنفس والقدر والحدود العلوية والعرش  
 والكرسي، ورأي فلاسفة مصر بالهيولي، والطبيعة، وعلاقة الزمان  
 بالأفلاك وتأثير الأفلاك على النفوس.

### نظرية داروين المصرية:

ويبدو أن أن نظرية داروين أو نظرية تطور الأنواع أو أصل  
 الأنواع التي نادي بها لامارك وداروين، هي نظرية شيعية مصرية،  
 قبل أن تكون نظرية إنكليزية، انظر إلى قول داعي الدعاة ابن  
 الصوري كيف يقول عن تطور الأنواع:

وجاءت الهياكل العجيبة والصورة العجيبة المكتوبه  
 من سائر الوحوش والهوام وما به النفع من الأنعام  
 فأول الأجناس ما تولد في الأرض من خشاشها ثم بدا<sup>(١)</sup>  
 وما غدا من غمسا في مائها أو كل طير طار في سمائها  
 والرابع الهياكل العجيبة والصور الغريبة المكبوبة  
 والخامس الإنسان وهو القاهر له كما قدر فيه القادر  
 يقبل منه الوحي والإلهاما وينثني يهدي به الأناما  
 فإذا، تكونت نظرية أصل الأنواع الشيعية المصرية حسب ما قاله

(١) الخشاش: ما لا دماغ له من دوبيبات الأرض.

الداعي ابن الصوري على الشكل التالي:

- أول الأجناس: خشاش الأرض: أي الزواحف اللافقرية والتي لا دماغ لها ولا مخ.

- ثاني الأجناس: الحيوانات المائية.

- ثالث الأجناس: عالم الطير.

- رابع الأجناس: الحيوانات البرية.

- خامس الأجناس: الإنسان، وهو يتميز عن الحيوانات بالنطق وبتقبل الوحي والإلهام من الذات الإلهية.

**المرجان: نصف صفاته معدن ونصف صفاته نبات:**

ويقول ابن الصوري رابطاً نظريته حسب نظرية النشوء والارتقاء بين المعادن والنبات:

وأخر المعدن بالنبت غداً      مبتدئاً وبأدياً كما بدا  
له فروع وله أغصان      كما يرى في خلقه المرجان

**النخل: له صفات الحيوان:**

ويقول إنَّ النخلة هي أقرب النبات إلى عالم الحيوان حيث أنَّه جرت العادة إذا قلعت الشجرة أو النبتة من جذورها تموت، بينما النخلة إذا قُصَّ رأسها تموت:

وأخر النبت نبات باسق      بالحيوان للصفات لاصق  
والنخل مثل الحيوان إذا قُطع      أعلاه لم يرج له أن يرتجع



## البقاء للأصلح:

ولكن يبقى الإنسان هو الأصلح والأفضل والبقاء للأصلح والأفضل:

وبعد الإنسان وهو الأفضل في العالم الأعلى غدا متصل ثم يروي قصة الإنسانية والأنبياء والرسل والأوصياء منذ نزول آدم على وجه الأرض حتى وصول الخليفة المستنصر بالله إلى سدة الإمامة والخلافة.

أما أسماء الأنبياء وأوصيائهم الذين وردوا في قصيدة الداعي ابن الصوري منهم:

- فأول الرسل الكرام آدم لأنه بكل شيء عالم  
- حتى أتى نوح وكان الثاني للرسول ذو عزم وذو تبيان  
- وقام إبراهيم وهو الثالث من عدد الأباء وهو الوارث  
- وجاء موسى ناطقاً بالقوة لأنه الرابع للنبوّة  
وعندما يتحدث عن النبي موسى (ع) يشير إلى أخيه هارون والنبي يوسف فيصبح الأنبياء المذكورون خمسة أنبياء، فيأتي الحديث عن النبي عيسى المسيح فيكون هو النبي السادس والمهييء للنبي السابع محمد بن عبد الله (ص).

يقول ابن الصوري:

وجاء عيسى وهو ذو اللطافة لأن موسى قام بالكثافة  
لما غدا يحكي شرط شدته محمداً في شرعه وقوته  
هو مسيح المسحا المعظم وأمه زين النساء مريم  
وحجة السابع أسبوعين مرتوي بالعلم من وجهين

فالرقم سبعة مقدّس عند شيعة مصر، فالنبي محمّد هو النبيّ السابع، وإسماعيل بن جعفر الصادق هو الإمام السابع والمعزّ لدين الله هو سابع لأسبوعين والقائم على البيعتين، الأسبوع الأول جدّه النبي محمد (ص) والأسبوع الثاني، جدّه لأبيه، الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق (ع).

وعن ولادة النبي محمد (ص) يقول:

وكان ميلاد النبيّ المصطفى في ذلك العام الذي فيه الوفا  
ثم نشأ فكان خير من نشأ وخير مخلوق على الأرض مشى

وبعد أن يقصّ قصّة الإسلام يصل إلى حديث غدير خم فيقول:  
فأنزل الله على نبيّه أن يظهر النصّ على وصيّه  
فخاف من أصحابه لعلمه بكيدهم وما نوا من ظلمه  
وقيل لا تشرك وإن أشركت ليحبطنّ الله كلّ ما عملت  
فقم وبلّغ ولا تخف فرحمتي تنالك اليوم وكن في عصمتي  
فقام في يوم غدير خمّ وقال حكم الله غير حكمي  
من كنت مولاه فذا مولاه فوالى يا ربّي الذي والاه  
فمن له والى فقد والاك

شمس التشيع تشرق على القاهرة بعد أن حجبها الأمويون:

ويقول الداعي ابن الصوري:

حتى أتته ضربة ابن ملجم لا كان من رجس لثيم مجرم  
فمات واستشهد بالصيام صلّى عليه الله من إمام  
وانتقل القتل إلى الحسين لمارأوه حائز الفضلين

وأنه مجمع علم الدين من ظاهر وباطن مكنون  
والشمس إن رأيته قد كسفت واحتجبت عن العيون واختفت  
فذلك الكسوف لا يضرها لكنه يستر عن أنورها

ويتوجه إلى الخلفاء المصريين حكام القاهرة بقوله:

فيا حدود الدين والحقائق ويا حجج الله على الخلائق  
ولا أرى الشمس التي قد غابت في شرقها من غربها قد آبت  
وأشرقته إن طلعت إشراقاً حتى ملت أنوارها الآفاقا  
وأصبحت ظاهرة في القاهرة بالنصر والعز عليهم قاهره

ويذكر تسلسل الأئمة المعصومين حسب المفهوم الشيعي

المصري فيقول:

وقام زين العابدين بعده قد عزّه الله ونلّ ضده  
ثم تلاه الباقر العليم والصادق المؤيد الكريم  
فاكثر التلويح في كلامه واشتدت المحنة في أيامه  
وكان إسماعيل قد حباه بالنصر والتوفيق واجتباه  
والنص فيه ثابت لا يخرج من عقبه وقت وليس يعرج

ولما كان موسى الكاظم - عليه السلام - شقيق إسماعيل، احتج

ابن الصوري بحديث للنبي محمد (ص)، أن الإمامة لا تجتمع  
بأخوين إلا في الحسن والحسين (ع). ومن هنا لا يجوز أن تنتقل  
الإمامة إلى موسى الكاظم وهو ابن خمس سنين، بل يجب أن تنتقل  
إلى ابن إسماعيل - محمد - وله من العمر ثمانية عشر سنة.

فيقول ابن الصوري:

وَتَمَّ قَوْلُ قَالِهِ مِنْ يَجْحَدُ      بِفَضْلِ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ يَقْصِدُ  
بِأَنَّهُ مَاتَ وَخُلِيَ الْأَمْرُ      وَصِيَّهُ مُوسَى وَهُوَ سُرُّ  
ثُمَّ نَسِيَ مَا قَالَهُ نَبِيِّنَا      مُحَمَّدٌ صَلَّى عَلَيْهِ رَبَّنَا  
أَنَّ الْإِمَامِينَ الْحُسَيْنَ وَالْحَسَنَ      فَضْلَهُمَا بَاقٍ عَلَى طَوْلِ الزَّمَنِ  
وَلَيْسَ بَعْدَهُمَا مَنْ سَمِعَ      إِمَامَةً فِي أَخْوَيْنَ تَجْتَمِعُ  
وَالْمَلْفَتُ لِلنَّظَرِ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ      بِنِ الصُّورِيِّ مِثْلُهُ مِثْلُ كُلِّ  
الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ نَظَمُوا الْأَرَاغِيظَ      وَالْمَطْوَلَاتِ الشُّعْرِيَّةَ فِي تَسْلُسُلِ  
الْخُلَفَاءِ الْمَصْرِيِّينَ، عِنْدَمَا يَذْكُرُونَ      كُلَّهُمْ مُحَمَّدَ ابْنَ إِسْمَاعِيلَ وَهُوَ  
الْإِمَامُ الثَّامِنُ، وَيَنْتَقِلُونَ إِلَى ذِكْرِ      مُحَمَّدِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ، وَهُوَ الثَّانِي  
عَشَرَ، أَمَّا أُمَّةُ السُّتْرِ الثَّلَاثَةِ:      التَّقِيُّ وَالنَّقِيُّ وَالرُّضِيُّ فَلَا يَذْكُرُونَهُمْ،  
مِمَّا يَدُلُّ عَلَى جَهْلِهِمْ بِأَسْمَائِهِمْ.

وهو يقول بعد ذكر الإمام محمد بن إسماعيل:

حَتَّى غَدَا ذَكَرَ عَلِيٌّ قَدَّ عَلَا      وَفَازَ بَعْدَ عَزِّهِمْ أَهْلُ الْوَلَا  
غَيْرَ الْإِمَامِ السَّيِّدِ الْمَهْدِيِّ      مِنْ نَسْلِ إِسْمَاعِيلَ وَالْوَصِيِّ  
أُولَئِكَ الْمَهْدِيِّ وَهُوَ قَدْ ظَهَرَ      وَالْآخِرُ الْقَائِمُ وَهُوَ الْمُنْتَظَرُ

ويذكر الإمام المستنصر وسابع خليفة بين الخلفاء المصريين:

وَالْقَائِمُ الْخَامِسُ بَعْدَ الْمَهْدِيِّ      فَهُوَ اعْتِمَادِي عَلَيْهِ وَقَصْدِي  
وَالسَّادِسُ الْمَنْصُورُ مَنْصُورًا كَمَا      سَمَاعِلِي الْأَعْدَاءِ عَلَوًا وَسَمَا  
وَخَاتَمُ السَّبْعِ الْمِثْنَانِي الْغَرَّ      وَبَدْرُ دِينِ اللَّهِ أَيُّ بَدْرٍ  
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمَعَزُّ الْمُرْتَجَى      بِهِ فَيَرْجُو الْعَارِفِينَ الْفَرَجَا

## وصف الإمام الحاكم بأمر الله:

ويصف الإمام الحاكم بأمر الله ويمدحه على قراراته ويعتبرها إشارات ومقدمات لأمر إلهية:

وقام أمر الله في عالمه  
فخرّب الكنائس المشيّده  
ثم بنى وبيّض المساجدا  
ثم نهى عن شرب كل مسكر  
ثم رأى من أصوب الصواب  
ثم رأى حبس النساء ونادى  
فلم تكن امرأة لهيبته  
وهي إشارات لأمرياتي  
وأظهر الدين الإمام الظاهر  
وقام مولى عصرنا المستنصرُ  
وحكمه العادل في حاكمه  
في أرض مصر وأقام الأعمده  
لما غدا الله فيها عابدا  
وكل ماء فاشر مخمر  
قتل الخنازير مع الكلاب  
وشدّد الأمر به وعادا  
تظهر بين الناس قبل غيبته  
عند تمام الدور والميقات  
وهو بحكم بالله فيه صابر  
وهو الذي للمؤمنين ينصرُ

## الشيعة المصريون يؤمنون بظهور الإمام القائم وينتظرون ظهوره:

يقول داعي الدعاة محمد بن علي بن الصوري:

ذاك الإمام قائم القيامة  
ويقتل الخنزير كلب الروم  
وكل جبّار من الملوك  
ويمحق الأنصاب في أقطارها  
ويغلب النور على الظلام  
ويبطل القول الذي بالسكر  
لا شك في ذلك ولا ملامه  
وتيس بغداد خليف اللوم  
ويجعل المال كالمملوك  
ثم يقيم العدل في أمصارها  
وتُشرّف الأرضون بالإمام  
يفصل بالأرواح فصل الخمر

ويرجع الذين بعلم محض والدين في الحس كغصنٍ غضّ

### نهاية القصيدة الصورية:

ينهى داعي الدعاة ابن الصوري قصيدته بمناجاة وتضرع إلى الله  
وأهل نبيّه أصحاب الكساء لكي يشفعوا له أمام ربّه فيقول:

|                              |                            |
|------------------------------|----------------------------|
| والحمد لله العليّ الفضل      | رب البرايا وإله الكلّ      |
| وسلمّ الله تعالى وحباً       | سيدنا الطهر النبيّ المجتبا |
| ثم عليّ وصيّيه والأهل        | أفضل من خصّهم بالفضل       |
| ثم عليّ الأئمة الكرام        | أعلاهم الله على الأنام     |
| وخصّ مولانا بأبائهم          | بأفضل الصلاة والتسليم      |
| ونجّله مولى الهدى المستنصر   | وهو الذي يقضي وحقاً يأمر   |
| وعبدك «الصوري» يا مولى الورى | كم ليلة حرّم عينيه الكرى   |
| فجدله بالعفو والغفران        | يامالك المنة والإحسان      |
| واغفر له فإنّه مقصّرٌ        | ولم تنزل للمؤمنين تغفر     |
| و«صليّ» ياربّي على المختار   | محمد المخصوص بالأنوار      |
| وأله الأطهار سادات الورى     | من نسل مولانا الإمام حيدرا |
| صلىّ عليه ربنا وسلمّا        | ما غربت شمس وليل أظلما     |

وفي هذه القصيدة، لم يخرج الداعي محمد بن علي الصوري  
عن أدبيات الشيعة الإمامية، وأدبيات الإسلام، ولم يغرق في أسماء  
أنبياء وأوصياء ونطقاء وأضداد لم نسمع بهم إلا في أدبيات  
الإسماعيلية، بعد خروجهم من مصر، وفي أدبيات الشيعة  
الإسماعيليين الدروز.

## القصيدة الشافية:

وسوف نستعرض القصيدة الشافية وسنجد فيها أسماء غريبة عجيبة من أنبياء الإسماعيليين والدروز. وكل ذلك بسبب الشطط والجنوح الذي حل بالفكر الشيعي الإسماعيلي المصري بعد خروجه من مصر. بينما حافظ الشيعة المصريون وخلفاؤهم على الإسلام الأصيل، ولم يخرجوا لا في الفكر ولا في ممارسة السلطة عن أصول الملة الإسلامية.

### الفلسفة الإسلامية الشيعية الإمامية الإسماعيلية في القصيدة الشافية:

يبدو أنّ القصيدة الشافية مجهولة الناظم ويرجح أنّ ناظمها قد نظمها في أواخر القرن الخامس الهجري وليس القرن الرابع<sup>(١)</sup>:

صلى عليكم ربنا وبارك      في سورة الفرقان مع تبارك  
لتغفروا ياسادتي ذنب الولي      ما خان من لاذبكم آل علي  
موازن أقول الأديب الصوري      معترفاً بالعجز والتقصير  
إن قال والقول شبه قولي      بمنّة الله وليّ الحول  
ويشير إلى قول الصوري:

الحمد لله معلّ العلل      ومبدع العقل القديم الأزل  
وقد ذكر محقق قصيدة الشافية أنّ الصوري هو داعي دعاة  
الدولة الفاطمية في صور - جبال عاملة - محمد بن علي بن الحسن  
الصوري المعاصر للخليفة المستنصر والخليفة المستنصر توفي في

(١) القصيدة الشافية، داعي مجهول، ط ١، بيروت، دار المشرق، سنة ١٩٦٧، ص ٩٦.

أواخر القرن الخامس الهجري - سنة ٤٨٧هـ - مما يعني أن ناظم قصيدة الشافية اطلع على القصيدة الصورية ومدحها وتمنى العفو والرضى لناظمها<sup>(١)</sup>:

فجدله يارب بعفو ورضى يا من عن العاصي بصفح قد قضى  
واغفر له ما كان من ذنوب فماله سواك من مجيب  
وتبدأ القصيدة الشافية بوصف الذات الإلهية حيث يقول  
الناظم:

|                                 |                                |
|---------------------------------|--------------------------------|
| الحمده لله القديم الأزلي        | المبدع العالِي مُعِلُّ العِللِ |
| باري البرايا الدائم الفرد الصمد | والجاعل الواحد أصلاً للعدَدُ   |
| أبدعه بأمره المجيد              | فأصبح «الأوّل» في الوجود       |
| نوراً بسيطاً حائطاً بالدار      | من سائر الجهات والأمصاّر       |
| سمّاه عقلاً سابقاً فعّالاً      | فجلّ عن إدراكه تعالَى          |
| روحاً لطيفاً عاقلاً لذاته       | سبحان من قد جلّ عن صفاته       |
| مبرزوة في ذاته الأشياء          | مما حوته الأرض والسماءُ        |
| سبحانه من خالق بديع             | مصور الصورة بالمصنوع           |
| جلّ فلا شبه له بالذات           | حقاً ولا يوصف بالصفات          |
| والحس والمحسوس والحواس          | وكل ما يدرك بالقياس            |
| توحيده يُعرف بالدليل            | من غير تشبيه ولا تعطيل         |

(١) القصيدة الشافية، تأليف داعي مجهول، تحقيق عارف تامر، ط ١، بيروت، دار المشرق، سنة ١٩٦٧، المقدمة هامش صفحة ٢١.



## أهمية العدد سبعة في الفكر الشيعي المصري:

يعتبر شيعة مصر الفاطمية أنّ للكون سبعة أدوار وسبعة أنبياء  
وسبعة أوصياء ولكل دور نبي ولكل نبي وصي وآخر الأنبياء هو  
النبي محمد وآخر الأوصياء هو الإمام علي:

من عرف الإبداع بالبرهان والمبدع الأول ثم الثاني  
وثالث مع جملة الأعداد إلى تمام السبعة الأحاد  
وحين تنتهي الوصاية، تبدأ الإمامة:

وللهداة الخلفاء النُّجُبا آل النبي المصطفى أهل العبا  
ذوي الهوى والنور والإمامة الوارثين في الورى مقامه

## دور الستر يؤدي إلى فقدان الشريعة:

ويرى شيعة مصر أنّ دور الستر الذي مرّ فيه الأئمة أدى إلى  
فقدان الشريعة المحمّدية بسبب تسلّط الغاصبين على مقاليد الخلافة  
من أمويين وعباسيين:

وإنّ دور الستر لا يكون واختلفت في نفسه الظنون  
وانكشفت عورته بين الملا وحاطه في الظنّ همّ وبلا  
ولم تكن في وقته شريعته ولا تكاليف له موضوعه

## الأدوار السبعة:

والأدوار السبعة مرّت كالتالي:

وآدم كان من الرسالة كمثل كون الجسم من سلالة  
ونوح كالنطفة في القرار مرّت بأمر الملك الجبّار

وكان إبراهيم مثل العَلَقَه  
ثم أتى عيسى الرسول الخامس  
وأحمد كالجسم في التركيب  
وعن العقل الفَعَال يقول:

وكان موسى مضغَة مَخْلَقَه  
كأنه العظم الشديد اليابس  
والقائم السابع في الترتيب

أبدعه مبدعه بالجود  
أوجد منه جوهرًا لطيفا  
وعن النفس الكلية يقول:

ومدَّ منه سائر الحدود  
مُسْتَأْهِلًا لنوره شريفا

وفوض العقل إليها الأمر  
أودعها صورة كل شيء  
وعن الهيولى قال:

فصارت المعدن والمقرا  
من ناطق ومثبت وحيي

وأظهرت من فعلها الهيولى  
لأنها وجه لذات النفس  
بها مدار العالم الكبير  
بقاء النوع موجود في الطبيعة:

فكان ما كان بها معلولا  
أصل التراكيب ونشء الحسن  
وهي حياة العالم الصغير

وقال عن الطبيعة، ومنها نظرية أصل النوع وبقاؤه:

طبيعة فاعلة في الخلق  
بها بقاء النوع في الوجود  
أخلط الجسم أربعة خامسها الروح:

يقدره الله ولي الخلق  
إلى تمام الأجل المحدود

أربعة ركب منها الجسد  
أرفعهم الدم والصفراء

والخامس الفرد بها متحد  
ودونهم البلغم والسوداء

## القوى المحركة للجسم سبعة:

وهي إذا سبغ قوى فعّاله  
أولها جاذبة الطعام  
فهي التي تمسكه في المعدة  
ثم التي تدفع بعد الهضم  
وقوة تسري إلى الغذاء  
وقوة في كهفها مقيمته  
وقوة ساكنة في الكبد  
من الأربع الأخطا أضحت حاله  
عند الغدا في معدن الأجسام  
وبعدها الهاضمة المُعَدَّة  
بقوة التبريز ضمن الجسم  
تحفظها عناصر الغذاء  
تخلق الصورة في المشيمه  
بفعلها ينمو كيان الجسد

## شجر النخل صلة الوصل بين النبات والحيوان:

ولم يزل يظهر نوعاً نوعاً  
حتى إذا كان ظهور النخل  
والأرض توليه قواه طوعاً  
أحرز دون القول حدّ الفعل

## اللؤلؤ صلة الوصل بين الجماد والحيوان:

ومنه ما انحط لطلّ أو ندى  
إلى بقاع الأرض لمافسدا  
من الهواء فغدا مُجَرِّداً  
فصار منه لؤلؤاً منعقداً  
في غائص اللّجة في الأصداف  
منعقداً في باطن الأجواف

## تطور الأنواع للأصلح:

منتقل من حالة دنيّة  
في سالف العصور والأزمان  
إلى معالي رتبة سنيّه  
حتى تناهى الفضل للمرجان

## نظرية أصل الأنواع شعراً:

وكانت الجملة في الأجناس  
أربع أجناس سوى الأنواع  
أولها جنس الخشاش الحادة  
من حيوان الأرض ذي الإحساس  
مبثوثة في سائر البقاع  
من عفن الأرض عليها ماده  
١ - (المائيات):

وبعده السابح فوق الماء  
والسائح الطائر في الهواء  
٢ - (البرمائيات):

والحيوانُ الزائحُ المكبوبُ  
مختلفٌ في خلقه عجيب  
٣ - (الحيوانات البرية)، ومنها الإنسان:

ومنه ذونطق له حروفٌ  
ذو بسطة في خلقه ظريف

## الإنسان الوحيد بين المخلوقات الذي اختص بالوحي:

وخصَّ بالوحي من الإله  
وقام في الأرض مقام اللّه

## نعم للوحي لا للرأي والقياس:

ويحكى قصة إبليس عندما تمرد ومما جاء فيها أنه:

وقال بالرأي والقياس  
وقال بالدين بغير صدق  
ثم بنى الأهداف بالوسواس  
وجعل الباطل شبه الحق

وكنا قد أشرنا إلى أنّ الإسلام الشيعي المصري لم يخرج عن  
أصول الملة الإسلامية طيلة الحكم الشيعي لمصر، ولكن بعد خروج  
الشيعية الإسماعيليين من مصر شطّوا عن الإسلام وجنحوا. وبسبب  
شططهم وجنوحهم أفتى ابن تيمية بهم وبنا وأخرجنا من الملة  
الإسلامية ظلماً ونحن أصحاب البيت الإسلامي الأصيل.

وفي القصيدة الشافية يذكر الناظم أسماء أئمة وأولياء ونطقاء  
وأضداد لم نسمع بهم من قبل ولا يعرفهم إلا من شطّ عن الإسلام  
الشيوعي المصري الإمامي.

### أسماء الأنبياء قبل النبي محمد (ص):

وقد ذكر الناظم أسماء الأنبياء وقصة كلّ نبي منذ آدم حتى  
ظهور النبي العربي (ص).

ومن الأسماء التي ذكرها على التوالي:

آدم - هابيل - شيت - أنوش - قينان - مهلائيل - يارد - أخنوخ  
- متوشالغ - لمك - نوح - شيبان - لينون - هميان - إدريس -  
سام - أرفخشذ - عابر - شالخ - سروج - ناحور - تارح - ذو  
القرنين - فالغ - إلياس - اليسع - لوط - صالح - إبراهيم -  
إسماعيل - إسحاق - موسى - عيسى.

### ثم يقوم الإسلام بأربعة أركان:

وقام في الأربعة الأركان أولها موسى وعيسى الثاني  
وثالث الأركان خيرُ الخلق محمد خاتمُ دور النطق  
والرابع الحائز فضل الرسل القائم الآخر من نسل علي  
والإمام القائم من نسل علي وبه يكتمل الدين يقوم على اثني  
عشر نقيباً أو داعياً:

حتى إذا ما أكمل الكتابا ورتّب الدعوة والأبوابا  
أقام اثني عشر مُرتّباً دعواته الغر الكرام النجبا

ثم يعود إلى ذكر الأنبياء والأوصياء بعد إسماعيل وإسحاق:

قيداد - سلامان - أدد - عدنان - يعقوب - يوسف - لاوي -  
يهوذا - أيوب - رازح - يونان أو شعيب - موسى - عيسى -  
الخضر - هرون - يوشع بن نون - الياس - اليسع - صموئيل -  
داود - سليمان - أشعيا - عزيز - زكريا - مَعْدُ - نزار - مضر -  
الياس - مدركة - خزيمة - يحيى - شمعون الصفا.

### رأي مصر الشيعية بالمسيح والمسيحية:

يقول ناظم القصيدة الشافية في المسيح والدين المسيحي<sup>(١)</sup>:

وقام في الدور بحدّ النطق      وحول القبلة نحو الشرق  
وألف التوراة والإنجيلا      وبين التنزيل والتأويلا  
ورتب الدين على سبع رتب      من عندها العلم الشريف يكتسب  
أرفعها البطرک والمطران      ثم يليه الأسقف الديان  
والقسّ والكاهن والشماس      يتلوه في تنظيمه أسداس  
ثم تلاه القارئ المرسوم      وهو الذي في حدّه محروم

وعن مراتب الدخول في الدين المسيحي يقول:

ورتب الموجب أيضاً سبعة      أولها العمدة ثم البيعه  
وبعدها التوبة ثم المسح      فإنه نذر كريم سمح  
وبعدها الكهنوت والزواج      فإنه للمتقي سياج  
وبعدها القربان وهو السابع      لأنه للمكرّمات جامع

(١) القصيدة الشافية، م.س. ص ٨١.

١ - المعمودية. ٢ - البيعة. ٣ - التوبة أو الاعتراف بالخطايا.

٤ - مسح الجبين بالزيت. ٥ - فريضة الكهنوت.

٦ - الزواج. ٧ - القربان المقدس.

ثم يذكر أوصياء عيسى المسيح (ع) ومنهم: متى - يوحنا - مرقس - الرقاس - يحيى - سبأ - شنوخ - طالب - مسلمة - بحيرا الراهب - كنانة - مالك - فهر - غالب - لؤي - كعب ذو الأنعام - مروة - كلاب - قصي - عبد مناف - هاشم - عبد المطلب.

وبعد ذلك انقسم النور الإلهي إلى قسمين:

|                             |                             |
|-----------------------------|-----------------------------|
| وبعده تقسم النور الجلي      | مابين أحمد وصنوه علي        |
| فخصّ عبد الله بالنبوة       | وقام فيها أحمد بالقوة       |
| وخصّ بالنور الإلهي علي      | الأعظم الساري إلى نفس الولي |
| ذو الكفل عمران الكريم الحسب | وهو أبو طالب زين العرب      |
| فسلم الأمر لخير العالم      | حائز فضل الأنبياء الخاتم    |

اجتماع غدير خم:

ثم يروى قصة النبي محمد (ص) من أول مولده حتى حجّه حجة الوداع واجتماع غدير خم فقال<sup>(١)</sup>:

|                        |                        |
|------------------------|------------------------|
| لمأتى من حجّة الوداع   | خاتمة الأعمال والأوضاع |
| وصار في خمّ على الغدير | ونصّ بالأمر على الوزير |
| فقام بالناس على منبره  | واستقبل الأمة في عسكره |

(١) القصيدة الشافية، م.س. ص ٨٩.

وقال للناس الست أوثر منكم بنفسي نفسكم وأصبرُ  
 قالوا بلى أنت ولي أمرنا فقال اللهم اشهد بيننا  
 وقال من كنت أنا مولاه هذا علي المرتضى مولاه  
 فوال يارب الذي والاه وعاد يارب من عاداه  
 ثم يذكر كيف آل الأمر إلى علي بعد لأي وكيف انتزع معاوية  
 الخلافة من الحسن، ويروى مقتل الحسين (ع):

وانتقل الأمر إلى المفادي علي زين العابدين الهادي  
 وبعده الباقر نجل الطاهر وجعفر الصادق نجل الباقر  
 وبعده ذو النسب الجليل مقردين الله إسماعيل  
 وهنا يختلف شيعة مصر مع الشيعة الإمامية الاثني عشرية،  
 فالاثنا عشرية يقولون بإمامة موسى الكاظم شقيق إسماعيل.

فصار نور الله في الإمامة باق مدى الدهر للقيامه  
 في عقب إسماعيل نجل الفرد الولد البر الكريم الجد  
 وانتقل النور إلى محمد القائم الكامل فرع هاشم  
 وبعده المنصور والمعزوز سابع السبوعين والعزیز  
 ومحمد ابن إسماعيل هو في التعداد الثامن وليس السابع ولكن  
 الإسماعيليين يعتبرونه السابع لأن إمامة الإمام الحسن، يعتبرونها  
 إمامة ظل واحتياط وليست إمامة تنفيذ.

ثم يروي قيام دور الستر ويذكر أن عدد أئمة أربعة أئمة ولكن لا  
 يذكر أسماءهم. وبالتأكيد أنه لا يعرفهم وإلا لو عرفهم لما خشي على  
 نفسه، لأنه نظمها في ظل عهد أبناء الخليفة المستنصر الذي حكم الدنيا  
 من مشرقها إلى مغربها عندما أزال حكم الدولة العباسية سنة ٤٥٢هـ.



ويذكر الأئمة الخلفاء بأسمائهم:

وقام مهدي الزمان الهادي فطهر الأرض من الفساد  
وقام من صلب الحسين الفاطمي سابع أسبوعين والعزیز  
والمنصور هو أبو الطاهر إسماعيل ثالث الأئمة الخلفاء  
والمعزوز هو الإمام المعز لدين الله، رابع الأئمة الخلفاء.

والحاكم الغائب عند النقلة متستر عن الوری للقلّة  
ويبدو من هذا البيت أنّ ناظم القصيدة الشافية هو مسلم شيعي  
إسماعيلي موحد درزي، لأنّ الشيعة الإسماعيلية لا يعتقدون باختفاء  
الحاكم ولا باستتاره بل فقط هم المسلمون الشيعة الدرزي، الذين  
يعتقدون باختفاء واستتار الحاكم.

وبعد الظاهر والمستنصر وبعده المولى نزار المجبر  
وهنا يتبين من هذا البيت أنّ الناظم لا يؤمن بإمامة وخلافة  
المستعلي الذي نصبه الوزير الأفضل بن بدر الجمالي بعد أن قتل  
الإمام نزار. ولم يذكر أي اسم بعد الإمام نزار مما يعني أنّ ناظم  
الشافية توفى في عهد الخليفة المستعلي أي بعد وفاة المستنصر  
سنة ٤٨٧هـ.

وقد أنهى أرجوزته بالتضرع التالي:

إيكم يا آل بيت المصطفى ما عبدكم في فضلكم قد ألفا  
يرجوكم عند حلول الأجل أن تغفروا تقصيره في العمل  
لأنكم نخر الولي الصادق مدخر أفي الحشر للخلائق  
صلّى عليكم ربنا وبارك في سورة الفرقان مع تبارك  
لتغفروا يا سادتي ذنب الولي ما خاب من لاذبكم آل علي

فهاكها متقنة البيان ذات فصول سهلة الأوزان  
سميتها عند التمام الشافية إذ هي للمؤمن أضحت كافية

### هجاء علم التنجيم:

يعتبر علم التنجيم أحد العلوم الفلسفية، وهو علم يدخل في معرفة الغيب، أو استباق الأمور قبل وقوعها، وكان أعداء الخلفاء المصريين يتهمونهم بأنهم يدعون معرفة الغيب عن طريقة علم التنجيم. لذلك قام الأمير تميم بن المعز بنظم قصيدة يهاجمهم علم التنجيم، وينفي ادعاء خلفاء مصر معرفة الغيب. وعندما أقدم أخوه عزيز مصر على إظهار رسائل وكتب جدّه التي تبطل علم المنجمين وترد عليهم وتكذبهم نظم قصيدة جاء فيها<sup>(١)</sup>:

ولمّا اختلفنا في النجوم وعلمها  
فمن مؤمن منابها ومكذب  
ومن قائل: تجري بسعد وأنحس  
فعلمتنا أو ييل ذلك كله  
عن الطاهر المنصور جدك ناقلاً  
وأخبرتنا أنّ المنجم كاهن  
وأنّ جميع الكافرين مصيرهم  
فجمعتنا بعد اختلاف ومزية  
وأوضحت فيها قول حق مبرهن  
فعدنا إلى أنّ الكواكب زينة  
وفي أنها بالنفع والضرر قد تجري  
ومن مكثر فيها الجدل ولا يدري  
وتعلم ما يأتي من الخير والشر  
بما فيه من سرٍّ وما فيه من جهر  
وكان بهادون البرية ذا خُبر  
بما قال والكهان من شيعة الكفر  
إلى النار في يوم القيامة والحشر  
والفتنا بعد التنافر والزجر  
يُجلي ظلام الشك من كل ذي فكر  
وفيها رجوم للشياطين إذ تسري

(١) ديوان الأمير تميم بن المعز لدين الله الفاطمي، م.س. ص ٢٠٦.

مسخرّة مضطرة في بروجها      تسير بتدبير الإله على قدر  
وأنّ جميع الغيب لله وحده      تبارك من ربّ ومن صمد وثّر  
وما علمت منه الأئمة إنما      روه عن المختار جدّهم الطهر

الشاعر المصري ابن خيران شيعي ولكنه لا يرى سب السلف:

يقول الشاعر المصري ابن خيران:

أنا شيعي لآل المصطفى      غير أنّي لا أرى سب السلف  
أقصد الإجماع في الدين ومن      قصّد الإجماع لا يخشى التلّف  
لي بنفسي شغل عن كلّ من      لهوى قرظ قوماً أو قذّف

وصف الشهيد السهروردي للروح وهبوطها:

والسهروردي هو شهاب الدين، أبو الفتوح، يحيى بن حبّش  
المشهور بالشيخ المقتول، قتله صلاح الدين الأيوبي بسبب إقدامه  
على إقناع ولده الأفضل علي بن صلاح الدين بأحقية «علي وبنوه»  
بالإمامة والخلافة من الخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين.

يقول السهروردي في صفات الأرواح<sup>(١)</sup>:

خلعت هياكلها بجرعاء الحمى      وصبت لمغناها القديم تشوّقا  
وتلفّت نحو الديار فشاقتها      ربّع عفت أطلاله فتمزّقا  
وقفت تسائله فردّ جوابها      رجع الصدى أن لا سبيل إلا اللقا  
فكان ما برق تألّق بالحمى      ثم انطوى فكأنّه ما أبرقا

(١) هياكل النور، شهاب الدين السهروردي، ط ١، مصر، القاهرة، مطبعة السعادة، سنة

ومن شعره الصوفي أيضاً:

أبدأ تحنّ إليكم الأرواح  
وقلوب أهل وداكم تشتاقكم  
وارحمتا للعاشقين تكلّفوا  
بالسرّ إن باحوا تباح دماؤهم  
وإذا همو كتموا تحدّث عنهم  
وبدت شواهد للسقام عليهم  
خفض الجناح لكم وليس عليكم  
فإلى لقاكم نفسه مرتاحة  
عودوا بنور الوصل من غسق الجفا  
صافاهم فصفوا له فقلوبهم  
وتمتّعوا فالوقف طاب لقربكم  
يا صاح ليس على المحبّ ملامّة  
لا ذنب للعشّاق إن غلب الهوى  
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها  
ودعاهم داعي الحقيقة دعوة  
ركبوا على سفن الوفا ودموعهم  
والله ما طلبوا الوقوف ببابه  
لا يطربون لغير ذكر حبيبهم  
حضروا وقد غابت شواهد ذاتهم

ووصالكم ريحانها والراح  
والى لذيذ لقائكم ترتاح  
ستر المحبة والهوى فضّاح  
وكذا دماء العاشقين تباح  
عند الوشاة المدمع السفاح  
فيها لمشكل أمرهم إيضاح  
للصبّ في خفض الجناح جناح  
والى رضاكم طرفه طمّاح  
فالهجر ليلاً والوصال صباح  
في نورها المشكاة والمصباح  
راق الشراب ورقّت الأقداح  
إن لاح في أفق الوصال مباح  
كتمانهم فنما الغرام فباحوا  
لمادروا أنّ السماح رباح  
فغدوا بها مستأنسين وراحوا  
بحرّ وشدة شوقهم ملاح  
حتى دعوا وأتاهم المفتاح  
أبدأ فكلّ زمانهم أقراح  
فتهتّكوا المارأوه وصاحوا

أفناهم عنهم وقد كشفت لهم      حجب البقا فتلاشت الأرواح  
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم      إن التشبّه بالرجال فلاح  
قُمْ يا نديم إلى المدام فهاتها      في كأسها قد دارت الأقداح  
من كرم أكرام بدت ديانة      لا خمرة قد داسها الفلاح  
والخمرة والكرم والذن والأقداح كلها رموز صوفية تعني خمر  
الحب الإلهي والكرم والذن والأقداح هي، الأحاديث القدسية والآيات  
القرآنية التي يغرف منها الصوفي وَيَعْبُ وَيَنْهَلُ من معانيها حتى  
يسكر بالحب الإلهي.

### وصف آلة مراقبة النجوم «الاسطرلاب»:

قال أبو الصلت الأندلسي المصري يصف آلة الاسطرلاب<sup>(١)</sup>:

جرم إذا ما التمسست قيمته      جلّ على التبر وهو من صفر  
مختصرٌ وهو إذ تفتتتُهُ      عن مَلْحِ العلم غير مختصر  
ذو مقلّةٍ يتسببن مارمقت      عن صادق اللحظ صائب النظر  
تحمله وهو حامل فلكاء      لو لم يُدزّز بالبنان لم يدُر  
مَسْكَنُهُ الأرض وهو ينبئنا      عن جلّ ما في السماء من خبر  
أبدعه ربُّ فكرة بعدت      في اللطف عن أن تقاس بالفكر  
فاستوجب الشكر والثناء له      من كلّ ذي فطنة من البشر  
فهو لذي اللب شاهدٌ عَجَبٌ      على اختلاف العقول والفطر  
وإن هذي الجسوم بائنةً      بقدر ما أُعْطِيَتْ من الصور

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء ابن أبي أصيبعة، الجزء الثالث، ص ٩٧.

## الفكر الشيعي الإسماعيلي بعد خروجه من مصر:

بينما نجد أنّ الدعوة الشيعية الإمامية في مصر بعد الخليفة الأمر، انقسمت هي أيضاً إلى قسمين، بعد أن كانت قد انقسمت بعد الخليفة المستنصر إلى مستعلية ونزارية. ولما مات الخليفة الأمر، قيل إنّ ابنه الطيب أبا القاسم قد خطف وأرسل إلى اليمن، حيث قامت حرّة اليمن، أروى بنت أحمد الصليحي، بالمحافظة عليه وحمل لواء الدعوة الإسماعيلية الطيبية، مما جعل الشعب المصري ثلاثة أحزاب إلى جانب الأحزاب الشيعية الأخرى: مستعلية - نزارية - طيبية - اثنا عشرية - زيدية. وكانت هذه الخصومات والنزاعات ممهدة لسيطرة الأكراد الغز على مصر وخيرات مصر.

نظم داعي الدعاة الإسماعيلي اليمني علي بن حنظلة الوداعي، قصيدة في الفكر الإسماعيلي الفلسفي، بعد خروج التشيع من مصر في كتاب سماه: «سمط الحقائق» شرح فيه الفكر الفلسفي الإسماعيلي خارج مصر جاء فيه<sup>(١)</sup>:

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| نحمده إذ خصّنا من النعم   | بما به فضّلنا على الأمم   |
| جعلنا من أمة الرسول       | محمّد ذي الشرف الأصيل     |
| وقادنا إلى ولا الوصي      | من بعده مولى الوري علي    |
| وفاطم الطهر ومولانا الحسن | مستودع السرّ الزكي المؤمن |
| ثم الحسين صاحب الوديعة    | ومستقرّ الرتبة الرفيعة    |
| ونجله مطارح الشعاع        | أهل الظهور حُجج الإبداع   |

(١) كتاب سمط الحقائق في عقائد الإسماعيلية علي بن حنظلة الوداعي، ط ١، دمشق،

منشورات المعهد الفرنسي، سنة ١٩٥٣، ص ٢٢.

يظهر بالواحد بعد الواحد في ولد مطهر من والد  
إلى إمام العصر والزمان مولى الأنام حجة الرحمان  
هادي البرايا سابع الأشهاد باب الرشاد موئل العباد  
«الطيب» المنتجب المستور نجل الإمام الأمر المنصور  
صلّى عليهم ربنا وسلّم ما لاح ضوء البرق في أفق السما  
وبعد هذه المقدمة يعالج ابن الوداعي كلّ المقولات الفلسفية التي  
عالجها غيره من شعراء مصر والفلاسفة حتى يصل دور النبي  
محمد (ص):

وبعد كلّ ناطق وصيّ يخلفه منتجب مرضي  
مبيناً أو ويل ما أتى به من سنّة الله ومن كتابه  
ثم يقيم بعده أئمّه مطهرين ينشرون الحكمه  
وكما أتى زمان ناطق ازداد نشر العلم في الخلائق  
حتى انتهى الدور إلى مولانا محمد ناطقه فكانا  
أفضل كلّ ناطق تقدّما صلّى عليه ربنا وسلّم  
وشرعه أفضل كلّ شرع ووضع أكمل كلّ وضع  
وآله أشرف كلّ آل وصفوة النساء والرجال

بدء الخروج عن الإسلام: التجلي الإلهي:

لقد أثبتنا أن الإسلام الشيعي المصري لم يخرج عن أساسيات  
الفكر الإسلامي الأصيل ولا خرج عن أدبيات إسلام أهل البيت، ولكن  
بعد خروجهم من مصر شطّوا عن الإسلام وجنحوا، فهذا علي بن  
حنظلة الوداعي يتبنى فكرة التجلي الإلهي، أو فكرة حلول اللاهوت

في الناسوت، تلك الفكرة البدعة، ولا علاقة للإسلام الشيعي المصري بها<sup>(١)</sup>:

حتى إذا ما أتت المباشرة  
واجتمع عند النكاح الأشرف  
فعندهذا بلغ التدبير  
ووقع التسليم والتعيين  
واتحد الناسوت باللاهوت  
وظهر المحجوب بالحجاب  
ثم ارتقى إلى المحلّ الأفضل  
إلى جوار الواحد السميع  
من المقام للبتول الطاهره  
وذاك أمرٌ واجب لا ينتفي  
على المراد واستوى التقدير  
لرتبة الوحدة والتبيين  
في الزمن المقدّر الموقوت  
وذاك أقصى منتهى الطلاب  
هيكل ذلك المقام الأوّل  
مالك أمر العالم الطبيعي

وفكرة التجليّ الإلهي وحلول اللاهوت بالناسوت أو اتحاد  
الناسوت باللاهوت هي من أساسيات الفكر المسيحي، وأخذها  
المسلمون الشيعة الموحّدون «الدروز» وضمّنوها فكرهم الفلسفي  
لتبرير غيبة الحاكم، باعتقادهم حلول الروح الإلهية فيه ومن ثم  
احتجابه عن الناس:

مبايناً للعالم الدنيّ  
مرافقاً لزبد الأعصار  
في البرزخ المقدّس المعظّم  
من بعده ثم ارتقى مفارقاً  
ونازلاً بالمنزل العليّ  
آبائه الأئمّه الأطهار  
منتظرين للمقام الأعظم

(١) سمط الحقائق، م.س. ص ٤٨.



## نظرة أهل السنة لشيعة مصر:

ومن أهم القصائد التي رَدَّت على الشعر الفلسفي الإسلامي الشيعي المصري، قصيدة الإمام ابن قيم الجوزية. وقد نظمها رداً على القصيدتين الكافية والشافية الشيعيتين.

ومما جاء فيها رداً على ابن سينا:

زعموا القرآن عبارة وحكاية      قلنا كما زعموه قرآنان  
والفرقة الأخرى فقالت إنه      لفظاً ومعنى ليس ينفصلان  
وأتى ابن سينا القرمطي مصانعاً      للمسلمين أفك ذي بهتان  
وردّ على نصير الدين الطوسي بقوله:

ومضى على هذي المقالة أمة      خلف ابن سينا فاغتذوا بلبان  
منهم نصير الكفر في أصحابه      الناصرين لملة الشيطان  
فاسأل بهم ذا خبرة تلقاهم      أعداء كل موحد ربّاني  
وأسأل بهم ذا خبرة تلقاهم      أعداء رسل الله والقرآن  
صوفيهم عبّد الوجود المطلق      المعدوم عند العقل في الأعيان  
الله أكبركم على ذا المذهب      الملعون بين الناس من شيخان

ويصف علاقة المصريين بخلفائهم فيقول:

يبغون منهم دعوة ويقبلون      أيدياً منهم رجا الغفران  
ولو أنّهم عرفوا حقيقة أمرهم      رجموهم لاشك بالصوان  
فابدر لهم إن كنت تبغي كشفهم      وافرش لهم كفناً من الأكفان  
ومنها:

فالسب والشتم القبيحُ وقذفهم      للمحصنات وكل نوع أغنان

ويعني بالمحصنات - عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها -

والنوح والتعزيم والسحر المبين وسائر البهتان  
شرد بهم من خلفهم واكسرهم بل نادفي ناديهم بأذان  
أفسدتم المعقول والمنقول والمسموع من لغة بكل لسان  
وهي قصيدة طويلة كما أشرنا وأنها تتجاوز الستة آلاف بيت، لم  
يترك أحداً من فرق الشيعة إلا وهاجمه فيها. ويبدو أنه كان معاصراً  
للخواجه نصير الدين الطوسي، حيث يشير إليه بالقدح والذم كل ما  
حلاله ذلك<sup>(١)</sup>:

وكذا أتى الطوسي بالحرب الصريح بصارم منه وسل لسان  
وأتى إلى الإسلام يهدم أصله من أسه وقواعد البنيان  
عمر المدارس للفلاسفة الألى كفروا بدين الله والقرآن  
وأراد تحويل الإشارات التي هي لابن سينا موضع الفرقان  
وأراد تحويل الشريعة بالنواميس التي كانت لدى اليونان  
لكنه علم اللعين بأن هذا ليس في المقدور والإمكان  
إلا إذا قتل الخليفة والقضاة وسائر الفقهاء في البلدان  
فسعى لذلك وساعداً المقدور بالأمر الذي هو حكمة الرحمان  
فأشار أن يضع التتار سيوفهم في عسكر الإيمان والقرآن  
فشفى اللعين النفس من حزب الرسول وعسكر الإيمان والقرآن  
وبؤده لو كان في أحد وقد شهد الواقعة مع أبي سفيان  
لأقر أعينهم وأوفى نذره أو أن يرى متمزق اللحمان

(١) القصيدة النونية، الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، ابن قيم الجوزية، ط ١،

بيروت، دار المعرفة سنة ١٣٤٥، ص ٤٩.

والخواجه نصير الدين الطوسي هو الذي انتصر على المغول حضارياً، أي بواسطة الفكر الإسلامي، حيث أقنعهم بالدين الإسلامي وأدخلهم فيه. هذا ما نعلمه عن الطوسي ولكن ابن قيم الجوزية يخاف على أبي سفيان منه ويعتبره من الملاحدة الزنادقة العاملين على هدم الإسلام وقتل المسلمين.

تلك هي المشكلة: مسلمان ينهلان من منبع القرآن والسنة وينظران نظرتين مختلفتين لشخص واحد: نحن نعتبره شيخ الطائفة وفقهها ومنزلته منزلة ولي الفقيه، القائم مقام الإمام المعصوم في حال غيبته. وهو يعتبره زنديقاً ملحداً متآمراً على الإسلام والمسلمين. نريد حلاً...

## فن التوشيح

لم يكن هناك سدود حضارية بين إمارات وممالك العالم الإسلامي، فإذا ظهر فنٌ في بغداد، تجد له صدى في كابول والقاهرة وقرطبة، وكذلك إذا ظهرت موجة أو عادة حضارية في شنقيط أو غرناطة، تجد صداها في دمشق أو شيراز أو صنعاء أو زبيد. وفن التوشيح أو الموشحات أول ما ظهر، ظهر في ثغر الأندلس في إسبانيا، ولكنه انتشر ذكره وكثر نظمه عند كل الشعراء العرب المعاصرين لظهوره، لذا، سنجد أنّ بعض الشعراء المصريين، أدلى بدلوه في بئر هذا الفن الشعري الجديد، وغرف منه نظماً جميلاً رائقاً ضاهى فيه أهله، وطرق حزنونه وسهله.

موشح ابن عياد الإسكندري:

قال العماد الأصفهاني أن الخليفة الحافظ سجن ابن عياد لإقدامه على مدح أحمد بن الأفضل المسمى «كتيفات».

والموشحات عادة، كانت تنظم في الخمرة والغزل أكثر الأحيان، ولكن ابن عياد نظم هذه الموشحة في مدح محمد بن أبي أسامة

حيث قال فيها<sup>(١)</sup>:

يامن الوذبظأه في كل أمر مشكل  
لازلت من أصحابه متمسكاً بيد السلامه  
أمناً من كل بأسٍ

في الحوادث والصروفِ

وأعوذ منه لفضله في كل أمر مشكل  
مألاح فجر صوابه كالشمس من خلف الغمامه  
لا تميل إلى شماسٍ

دون موضعها الشريفِ

وأعدّه لي معقلاً أضحى عليه مَعُولِي  
عند المثلول ببابه لما أمنت من الندامه

في السماعِ وفي القياسِ

المحض والنظر الشريفِ

وأجأه عن مثله مثل الحسام الفيصل  
ماض بحد ذبابه في كل جمجمة وهامه

ثابت صعب المراسِ

على مباشرة الحتوفِ

ومهما كان، فإذا لم تكن هذه المقطوعة الشعرية تراعي كل قوانين  
التوشيح، فهي على الأقل، محاولة جديدة للخروج عن العمود الشعري  
من ناحية القافية الواحدة ومن ناحية الانتقال من الغزل ثم المدح.

(١) خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، ص ٤٤.

ومن موشحات شاعر الإسكندرية ظافر الحداد هذه الموشحة<sup>(١)</sup>:

|                                    |                              |
|------------------------------------|------------------------------|
| ثَغْرُ لَاحٍ يَسْتَأْسِرُ الأرواحَ | لما فاح ما الخمر؟ ما التفاح؟ |
| أَلْجَاجِني                        | ذال التائه الجاني            |
| أَنْسَاني                          | نظرة إنساني                  |
| أَفَنَاني                          | طير بأفني                    |
| أَحْيَاني                          | في بعض أحياني                |
| لما صاح ما خلته يا صاح             | للأرواح ذان شوية من راح      |
| قَلْبِبي مال                       | ففيه إلى المال               |
| مَالِبي حال                        | يا قوم لما حال               |
| لولا الخال                         | ما كنت إلا خال               |
| لَمَما غال                         | قلبي فصبري غال               |
| ذال المزاح عاتبته ما زاح           | والإصلاح أن أترك الإصلاح     |
| أَعْمَلي لسي                       | موتي بإعلاسي                 |
| أوصلي لسي                          | نيران أوصالي                 |
| ببل بالسي                          | أولى ببالي                   |
| ييا حال                            | انظر إلى حالي                |
| ما قد ساخ من مقلتي سَخَّاح         | ذو إفصاح بالسر بالإفصاح      |
| بدر بان                            | في مثل خوط البان             |
| وجدة زان                           | قداك مع ويزان                |
| فالإخوان                           | في اللوم لي خوان             |
| والعيران                           | لما جفأ عينان                |

(١) ديوان ظافر الحداد، ص ٢٢٢.

جسْمٌ راح يُذْمِيه لَمَسُ الرّاحِ      لِمَا لاخ لم اُحتفل بالراح  
يَافَا فَا تَتَاكَ      بِالْقَتْلِ مِنْ أَفْتَاكَ  
مَآسِـرَاكَ      لِيَلَا إِلَى أَشْرَاكَ  
مَآأَخْـلَاكَ      سَبْحَانَ مَنْ أَخْلَاكَ  
مَآأَسْـنَاكَ      وَجْهًا، وَمَا أَسْـنَاكَ  
كَالْمَصْبَاحِ نَوْرًا، بِلِ الإصْبَاحِ      كَمَا أَرْتاح لِلقَرَبِ لَو تَرْتاح

ومن نظم الشاعر ابن قلاقس في الموشح قوله<sup>(١)</sup>:

- (١) نَهَيْتُ عَنْ نُضْحِي، مِنْ رَامَ أَنْ يُضْحَى، فَمَا انْتَهَى
- (٢) وَكَيْفَ لِلأَثْمِ، أَنْ يَغْتَدِي الهائِثُ، كَمَا أَشْتَهَى
- (٣) وَابْأَبِي جَوْذَرِ، مِنْ لِحْظِهِ مُخَدَّرِ، لَيْثُ العَرِينِ
- (٤) مِثْلَ الضْحَى مَنظَرِ، يَرُوقُ إِذْ يَنْظُرُ، مِنْ أَلْجَبِينِ
- (٥) قَلْتُ وَقَدْ أَسْكَرَ، لَا قَوْلَ مَنْ أَنْكَرَ، قَمِ يَا خَدِينِ
- (٦) وَهَاتِ فِي الجُنْحِ، شَقِيقَةَ الصُّبْحِ، فَقَالَ هَا
- (٧) وَيَلَاهُ مِنْ نَاعِمِ، كَالرَّشَا البَاغِمِ، قَدْ قَالَ هَا
- (٨) عُلَّقْتُهُ غُضْنَا، كَالْبَدْرِ بِلِ أَسْنَى، بِلِ كَالصَّبَاغِ
- (٩) قَدْ سَاعَدَ الظَّنَّ، وَأَسْعَدَ الضَّنَّ، عَلَى السَّمَاغِ
- (١٠) قَلْتُ وَقَدْ أَجْنَى ..... جَنَّا، ذَاكَ الأَقَاغِ
- (١١) بَيْنَاهُ فِي شُحِّ، قَدْ عَادَ فِي سَحِّ، فَهَا وَهَا
- (١٢) يَا وَاصِلَا صَارِمِ، بِجَفْنِكَ الصَّارِمِ، صَبْرِي وَهَى

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٦١٠.

- (١٣) بِاللَّهِ يَا إِلْفِي، انهض إلى أَلْفِي، وَسَقْنِي  
 (١٤) من قهوة صَرْفٍ، عن مُقْبِلِ الصَّرْفِ، لا تَنْتَنِي  
 (١٥) وهَاتِهَاتِ تَشْفِي، من كَادَ أَنْ يُشْفِي، وَغَنِّي  
 (١٦) في أَبْنِ أَبِي الفَتْحِ، قد انتهَى مَدْحِي، فلا انتهَى  
 (١٧) يَا أَيُّهَا الكَايِمُ، مَا القَمَرُ الغَائِمُ، مثلُ السُّهَى  
 وقال أيضاً:

هم يعذلو ومن يسمع من كلام من عذاله  
 أنا شيطانُ عَشْقِي في المحبَّةِ مارِدُ  
 وَعَذُولِي يَضْرِبُ في حديدِ بارِدِ  
 وليسَ يَزِيدِي زَاهِدُ وليسَ يُزِيدِي عَائِدُ  
 خَلَقَ اللُّهُ الْإِنْسَانَ وَخَلَقَ أَعْمَالَهُ  
 من عذولٍ ليسَ يَسْمَعُ من عذولٍ ليسَ يَعْقِلُ  
 وَعَذُولِي الْمِسْكِينُ في المحبَّةِ جَاهِلُ  
 نَامَ في بَالِهِ أَنِّي بكلامِهِ أَعْمَلُ  
 نَامَ في بَالِهِ أَنِّي بكلامِهِ أَعْمَلُ  
 وَإِنِّي لَيْسَ أَعْمَلُ بِمَا يَقُومُ في بَالِهِ  
 إِنِّي لِأَعَشَقُ من لا يَهْوَى وَيَعَشَقُ  
 الْجَمَلُ حُسَيْنٌ يَسْكُتُ وَالْجِمَارُ حُسَيْنٌ يَنْطِقُ  
 وَاللَّهُ إِنِّي صَادِقٌ وَلَقَدْ قُلْتُ الْحَقُّ  
 وَكَثِيرًا مِنْ قَبْلِي مِثْلُ قَوْلِي قَالُوا



## شعر الألفاظ والأحاجي

شعر الألفاظ والأحاجي هو شعر ينظمه الشاعر للتسلية والأحجية أو اللغز، هو نوع من «الفرزورة» في لغة أهل مصر و «الحرزورة» في لغة أهل بر الشام، يقوم الشاعر على نظمه بمقطوعة شعرية، وفي أكثر الأوقات لا يحسن سبكها، فيبقى حل هذه «الفرزورة» وقفاً عليه، وهو نوع من الشعر الرديء الذي يخرج من باب الشعر ويندرج تحت باب النظم.

ويبدو أنّ هذا النوع من الفنون الشعرية، انتقل من الأندلس إلى مصر، ولا غرو، فحضارة الأندلس هي حضارة وسط بين الحضارة الغربية وحضارة مصر الإسلامية الفاطمية، وليس غريباً على مصر أن تأخذ وتعطي، فهذا دأبها على مر العصور. وأكثر من اشتهر في هذا النوع من الشعر ابن قلاقس وأبو القاسم بن مجير الإسكندراني.

ومن هذه الألفاظ و «الفرزير» قول ابن مجير<sup>(١)</sup>:

---

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٢٢٠.

أحاجيك ما سابق للخيو  
يسيرُ على حافرٍ واحدٍ  
إذا المرءُ أودَّعَهُ عِدَّةً  
ويُطعمُهُ جَهْدَهُ وهو لا  
يخفُّ فتحسبُهُ ريشةً

وقوله في فزورة أخرى:

ما أحرفٌ تقرأ مقلوبه  
صحيحة الشكل ولكنّها  
أظهرتُها جهدي وأخفيتُها

ومنها هذه «الفزورة»:

أحجية شأنها عجيبٌ  
ما ذاتُ خدبٍ به سوادٌ  
وأخرٌ أبيضٌ نقيٌّ  
محبوبةٌ تُشئتُهي ولكن  
وكلُّ من لام في هواها

وقال صالح بن مؤنس ملغزاً<sup>(١)</sup>:

ما اسمٌ إذا صحَّفْتُهُ وعكسته  
وإذا أقام ولم يحل عن حاله

ل لا تُحسِنُ الريحُ تجري معة  
قوائمه فوقه أربعة  
أتاه بأضعاف ما أودَّعَه  
يكاد من الجرص أن يشبعه  
ولا يقدر البغل أن يرفعه

للطير والأنعام منسوبه  
مكسورة الأبعاض مخروبة  
فهي مع الهتكة مخجوبة

يفهمها كل ذي قريحه  
كخدنوبيّة صريحه  
يخال من فضة صريحه  
لكونها طفلة مريحه  
يمخضك الود والنصيحه

ونقصت حرفاً منه كان سلاحاً  
عادي العقول وصالح الأرواحاً

وقد استمر هذا الفن طيلة العصور الفاطمية لا يعدو كونه يشكل  
جزءاً يسيراً من منظومات الشعراء، حتى دخل العرب والمسلمون في

(١) يتيمة الدهر، الجزء الأول، ص ٤٠٣.

النفق الكردي الأيوبي المملوكي العثماني، فضاع الشعر وغرقت اللغة  
بظلام بعد هؤلاء الأغرّاب عن العرب والعروبة، وسقط الشعراء العرب  
في وحل برك الألباز والأحاجي الأسنة والراكدة، حتى أصبح لا هم  
للشاعر إلا أن يكّد ذهنه وجهده حتى ينظم لنا قصيدة أو مقطوعة  
ملغزة، لا طعم لها ولا هدف، تاركاً هموم وآلام الأمة العربية وراء  
ظهره، يتحكّم بها الطغاة البغاة العتاة، ما بين كردي جاهل ومملوكي  
دعيّ خسيس الأصل، مجهول النسب، وتركي تحكمه شهواته  
ونزواته.

## الفهرست

- الكتاب الرابع ..... ٥
- الباب الأول ..... ٧
- حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي بقلم الشعراء والأدباء المصريين ..... ٧
- الخلفاء الشعراء: ..... ١٠
- شعر الخليفة المهدي بالله: ..... ١١
- شعر الخليفة القائم بالله ابن المهدي: ..... ١١
- شعر الخليفة المنصور أبو الطاهر إسماعيل: ..... ١٦
- ومن شعر الخليفة المعزّ قوله: ..... ٢١
- شعر الخليفة العزيز بالله ..... ٢٤
- شعر الخليفة الحاكم: ..... ٢٦
- شعر الخليفة الظاهر: ..... ٢٩
- شعر الخليفة المستنصر: ..... ٣٠
- شعر الخليفة الأمر لاحكام الله: ..... ٣١
- الوزراء الشعراء ..... ٣٤
- شعر الوزير يعقوب بن كلس: ..... ٣٤
- شعر الوزير أبي القاسم المغربي: ..... ٣٧
- في الشعر العلوي: ..... ٣٩

- ٤٣ ..... في الحنين إلى مسقط الرأس:
- ٤٤ ..... في وصف الجار:
- ٤٧ ..... شعر الوزير الملك الصالح طلائع بن رزّيك:
- ٤٩ ..... عمارة اليمنى: يرفض سبّ السلف:
- ٥٠ ..... الملك الصالح بن رزيك يدعو عمارة لترك التسنن والالتحاق بالشيعة:
- ٥٠ ..... شعر الملك الصالح طلائع بن رزّيك أيضاً:
- ٥٥ ..... **الباب الثاني**
- ٥٥ ..... **المجتمع المصري الفاطمي بقلم الشعراء المصريين**
- ٥٧ ..... شعر الوصف:
- ٥٨ ..... وصف الطبيعة:
- ٦٠ ..... وصف المشمش:
- ٦٤ ..... ليس الصيف جنة والشتاء جهنم:
- ٦٥ ..... الغيم يبكي مطراً خوفاً من البرق، والرعد يصيح خوفاً منه:
- ٦٨ ..... وصف نافورة ماء:
- ٦٩ ..... وصف الأهرام:
- ٧٠ ..... وصف أبي الهول:
- ٧٠ ..... وصف منارة الإسكندرية:
- ٧١ ..... وصف باب زويلة:
- ٧٢ ..... وصف النيل والفسطاط:
- ٧٢ ..... وصف الزلزلة:
- ٧٣ ..... وصف كسوف الشمس:
- ٧٤ ..... وصف باشق:
- ٧٤ ..... وصف الاحتفالات بأخذ مقياس النيل أو فتح الخليج:
- ٨٠ ..... وصف عملية إنقاذ طفل من الغرق:
- ٨١ ..... وصف بركة الحبش:

- ٨٢ ..... وصف الزورق: وصف
- ٨٣ ..... وصف الأسطول المصري الفاطمي: وصف
- ٨٤ ..... وصف الدور والقصور: وصف
- ٨٥ ..... وصف منظر العروسين: وصف
- ٩٠ ..... وصف دار المختار محمد بن عبید الله المسبّحي: وصف
- ٩١ ..... وصف السیدلاً: وصف
- ٩٣ ..... وصف الشمسسة: وصف
- ٩٤ ..... وصف النقش على الصواني: وصف
- ٩٥ ..... النحت وسكب المعادن: وصف
- ٩٦ ..... وصف الصور والنقوش: وصف
- ٩٧ ..... وصف خيمة القاتول: وصف
- ١٠٠ ..... وصف مقصّ: وصف
- ١٠٠ ..... وصف القاضي العادل: وصف
- ١٠١ ..... وصف المعركة بين الشمس والظلام: وصف
- ١٠٣ ..... في وصف إضمامة زهور: وصف
- ١٠٣ ..... في وصف شم النسيم: وصف
- ١٠٤ ..... وصف سيف: وصف
- ١٠٤ ..... السيف شيوعي كحامله: وصف
- ١٠٤ ..... الصّحة أفضل كنز: وصف
- ١٠٥ ..... القط المؤدّب: وصف
- ١٠٦ ..... وصف الرمح: وصف
- ١٠٦ ..... وصف مشط للشعر: وصف
- ١٠٧ ..... وصف قلم: وصف
- ١٠٨ ..... وصف دواة: وصف
- ١٠٨ ..... وصف صلاة العيد والخطبة: وصف

- ١٠٩..... وصف قافلة الحج المصرية:
- ١١٠..... وصف فرس:
- ١١٣..... وصف كلاب الصيد:
- ١١٥..... وصف باز:
- ١١٥..... وصف حريق:
- ١١٥..... وصف أطايب المأكولات:
- ١١٦..... وصف اللحم بعجين:
- ١١٧..... وصف دعوة على الطعام:
- ١١٩..... وصف جام (جاط) قطايف:
- ١٢٠..... وصف القطائف:
- ١٢٠..... وصف صدر كثافة:
- ١٢١..... وصف أكلة ملوخية:
- ١٢١..... أجبان والبان:
- ١٢٢..... وصف أكلة سمك بدون حسك:
- ١٢٣..... ووصف أترجة:
- ١٢٣..... العروس فراشة والعريس سراج يحرقها:
- ١٢٤..... وصف عريس وعروس:
- ١٢٥..... وصف الكمثرى:
- ١٢٦..... وصف التمر والبلح الزغلولي:
- ١٢٦..... وصف التين:
- ١٢٧..... هجاء صاحب حمّام قذر:
- ١٢٩..... وصف حمّام نظيف:
- ١٢٩..... وصف رجل أبخر:
- ١٣٠..... وصف أبخر الطرفين:
- ١٣٠..... وصف رجل ثقيل الدم:

- ١٣١..... وصف أعرج: .
- ١٣١..... حلاقّ ماهر وحلاقّ أخرق: .
- ١٣٢..... بيت أقرف من السجن: .
- ١٣٢..... وصف سجين: .
- ١٣٣..... وصف السجن: .
- ١٣٣..... وصف سجن خزانة البنود: .
- ١٣٦..... التجار يبيعون الشاعر عمارة داراً آيلة للسقوط: .
- ١٣٨..... وصف الوزارة: .
- ١٣٨..... لو دامت لغيرك لم تصل إليك: .
- ١٤١..... وصف قوة المال والسلطة عندما تجتمعان في يد الوزير: .
- ١٤٢..... وصف سقوط بغداد بأيدي المستنصر بالله الفاطمي: .
- ١٤٥..... وصف بخيل: .
- ١٤٦..... وصف الفقر: .
- ١٤٧..... كثرة الأولاد: مصيبة وجناية: .
- ١٤٨..... وصف خادمه: «أم كدومة» .
- ١٤٨..... وصف الشيب: .
- ١٤٩..... وصف قلب الإنسان وتقلباته: .
- ١٥٠..... وصف المعاملات والرشوة في الدوائر الحكومية: .
- ١٥٠..... وصف ضيف ثقيل الدم: .
- ١٥٠..... وصف قاضي: .
- ١٥١..... وصف الحالة بعد شرب الدواء: .
- ١٥١..... وصف ملاح: .
- ١٥٢..... وصف القرافة: .
- ١٥٢..... وصف أعور: .
- ١٥٣..... وصف رجل كثير النسيان: .



- ١٥٤ ..... وصف منزل قببج:
- ١٥٤ ..... وصف غرفة ضيقة:
- ١٥٥ ..... وصف كانون الفحم:
- ١٥٦ ..... وصف مدرسة:
- ١٥٧ ..... التهنتة بظهور براءة الصديق «أبو العز» وخروجه من السجن:
- ١٥٨ ..... وصف العود:
- ١٥٩ ..... وصف جوقة تلحين كنسية:
- ١٥٩ ..... وصف جوقة كنسية:
- ١٦٢ ..... أهمية الأمن والأمان في مصر الفاطمية
- ١٦٢ ..... وصف رجل أكول:
- ١٦٥ ..... شعر الحرب أو الشعر العسكري في أدب مصر الفاطمية
- ١٧٠ ..... وصف حملة حباسة بن يوسف الكتامي على مصر:
- ١٧٣ ..... وصف فتح مصر من قبل جوهر الصقلي:
- ١٧٦ ..... وصف فتح مصر:
- ١٧٩ ..... الحرب ضد الروم البيزنطيين
- ١٨٦ ..... وصف الحروب الصليبية شعراً:
- ١٩١ ..... فدع عنك ميلاً للفرنج وهدنة:
- ١٩٢ ..... وصف معركة بحرية قادها الملك الصالح ضد الفرنجة:
- ١٩٦ ..... وصف احتلال مصر من قبل الأكراد شعراً:
- ١٩٨ ..... وصف حرق حارة السودان والأرمن من قبل صلاح الدين:
- ٢٠١ ..... ملوك مصر عبيد والعبيد الأكراد ملوك:
- ٢٠٢ ..... شعر المواكب الاستعراضية والاحتفالات
- ٢٠٢ ..... وصف موكب العيد:
- ٢٠٣ ..... وصف المظلة:
- ٢٠٨ ..... وصف موكب الحج:

- ٢٠٩..... وصف عيد الغطاس:
- ٢١٠..... وصف أخذ مقياس النيل أو احتفالات فتح الخليج:
- ٢١١..... كثرة الأعياد وتدافعها:
- ٢١٢..... شعر الخمرة والمجون
- ٢١٢..... وصف قعدة شرب:
- ٢١٣..... وصف دير:
- ٢١٥..... أهمية شعبان قبل رمضان عند شعراء المجون:
- ٢١٦..... شرب الخمرة في رمضان:
- ٢١٦..... وصف سكران:
- ٢١٧..... وصف أثر الخمرة في الجسم:
- ٢١٨..... الأئمة الأربعة لم تمنع شرب الحشيشة:
- ٢١٩..... وصف تهتك الناس وسكرهم يوم الخليج:
- ٢٢٠..... التهتك أطيّب من التستّر:
- ٢٢٢..... علي بن حبيب الراني يتغزل بيهودي:
- ٢٢٢..... أبو الرقعمق يصف ما يسبب له الشبق الجنسي من مشاكل:
- ٢٢٤..... شعر المباسطات الإخوانية
- ٢٢٥..... جلسة شعر على أكلة دجاج:
- ٢٢٥..... لعبة الصفع:
- ٢٢٧..... وصف ممارسة العادة السرية:
- ٢٢٨..... باب الأمير مغلق:
- ٢٢٨..... خطير الملك يعد الفقيه عمارة بعمامة ملوكية:
- ٢٢٩..... الشاعر الوضيع يحيى بن علي مفتي الديانة النّوّاسية:
- ٢٢٩..... رخاء عراق العباسيين خراء:
- ٢٣٠..... ابن مكنسة على طريقة أبي الرقعمق:
- ٢٣١..... ابن قلاقس يداعب صاحباً له اسمه ابن عدلان:

- ٢٣١..... سرقة ثياب ابن قلاقس وهو يسبح:
- ٢٣٢..... وقال ابن قلاقس يصف لحية صاحبه:
- ٢٣٢..... أبو الرقعمق يتحامق:
- ٢٣٣..... أبو الرقعمق يحدّد مواصفات البنت التي أحبّها:
- ٢٣٨..... الفخر والحماسة
- ٢٣٩..... ✓الامير تميم يفتخر:
- ٢٤٠..... ✓الامير تميم يفتخر بالدولة الفاطمية:
- ٢٤٤..... المهذب بن الزبير: إما العلا وإما الردى:
- ٢٤٥..... عمارة اليمني يتفاخر على توران شاه الأيوبي:
- ٢٤٦..... شعر الغزل عند شعراء مصر الفاطمية
- ٢٤٧..... غزل ومجون وخمرة:
- ٢٤٧..... أبو الفتح منصور بن البيني يعشق جارية سوداء:
- ٢٤٨..... أينظر إلى المسجد أم إلى النهدين:
- ٢٤٨..... ابن مجير الصقلي يهوي هيفاء الخضر راجحة الاكفال:
- ٢٥٠..... جفون الحبيبة تحول شقائق النعمان إلى بنفسج:
- ٢٥١..... التغزل بنساء لابسات ثوب الحداد:
- ٢٥٢..... ✓الامير تميم يعشق الفتيات الشقراوات:
- ٢٥٣..... خبر ابن مياح والبدوية مع الخليفة الأمر:
- ٢٥٤..... لحظ الرشأ يصطاد الأسد:
- ٢٥٤..... الناس طوع يدي الملك الصالح وهو طوع يدي محبوبه:
- ٢٥٦..... شعر الهجاء
- ٢٥٧..... هجاء الخلفاء المصريين:
- ٢٥٩..... هجاء الامير حسن ابن الخليفة الحافظ:
- ٢٦٠..... هجاء ناصر الدولة بن حمدان:
- ٢٦٠..... هجاء الوزير شاور:

- ٢٦١ هجاء وزراء الدولة الفاطمية:
- ٢٦١ هجاء الأفضل بن بدر الجمالي:
- ٢٦٢ هجاء الوزير عباس:
- ٢٦٣ هجاء أعداء الدولة الفاطمية: بني أمية
- ٢٦٤ هجاء النصارى:
- ٢٦٥ هجاء اليهود:
- ٢٦٦ هجاء مَنشَأ ابن إبراهيم القزاز الكاتب اليهودي:
- ٢٦٨ هجاء موظفي الدولة الفاطمية:
- ٢٦٩ هجاء الكاتب المعروف بالجُعَل:
- ٢٧٠ هجاء ابن كازوك لفرضه الخَوَات والجَعالات على أهل الغربية:
- ٢٧٢ هجاء كَتَاب الدواوين المرتشين ومن يحميهم من المسؤولين:
- ٢٧٣ هجاء الطبيب علي بن رضوان طبيب الخليفة المستنصر:
- ٢٧٤ وصف خرفان (خَرْفُ):
- ٢٧٤ وصف رمد العين:
- ٢٧٥ وصف أعور:
- ٢٧٥ هجاء أهل يافا:
- ٢٧٦ هجاء الرشيد بن الزبير:
- ٢٧٦ هجاء إبليس:
- ٢٧٧ هجاء الدولة الفاطمية بعد تدميرها
- ٢٧٧ هجاء ابن أبي حصيبة ورد عمارة عليه وجاهياً:
- ٢٧٩ الأكراد الأيوبيون عيونهم على مصر وخيراتهما:
- ٢٨١ وصف سرقة نهر النيل وجرّه إلى الشام:
- ٢٨٥ شعر المدح
- ٢٨٦ مدح الخلفاء:
- ٢٩٢ مدح الخليفة القائم بأمر الله ابن المهدي بالله:

- ٢٩٢..... مدح الخليفة المنصور بالله ابن القائم: .
- ٢٩٤..... مدح الخليفة المعز لدين الله: .
- ٢٩٧..... صفات الخليفة بنظر الشعراء المصريين: .
- ٢٩٨..... مدائح الخليفة العزيز بالله: .
- ٣٠٢..... قصيدة ذات الدوحة: .
- ٣٠٤..... النوتات الفرعية: .
- ٣٠٥..... مدح الخليفة الحاكم بأمر الله: .
- ٣٠٦..... في مدح الحاكم أيضاً: .
- ٣٠٨..... مدح الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بن الحاكم: .
- ٣١٠..... مدح الخليفة المستنصر: .
- ٣١١..... المستنصر ثامن الخلفاء وثمان الكواكب السبعة: .
- ٣١٢..... الناس آمنون في عهد المستنصر: .
- ٣١٣..... مدح الخليفة المستعلي: .
- ٣١٥..... مدح الخليفة الأمر: .
- ٣١٨..... مدح الخليفة الحافظ لدين الله - أبو الميمون عبد المجيد: .
- ٣٢٠..... مدح الخليفة الفائر: .
- ٣٢٢..... مدح الخليفة العاضد: .
- ٣٢٤..... مدائح الوزراء الفاطميين .
- ٣٢٤..... مدح جواهر الصقلي: .
- ٣٢٨..... مدح الوزير يعقوب بن كلس: .
- ٣٣٢..... مدح الوزير: أبو محمد الحسن بن عمار: .
- ٣٣٢..... مدح الوزير المغربي: .
- ٣٣٤..... مدح الوزير البابلي: .
- ٣٣٥..... مدح الوزير «أبو محمد اليازوري»: .
- ٣٣٨..... مدائح بدر الجمالي وابنه الأفضل وأحمد ابن الأفضل «كتيفات»: .

- ٣٤٨..... مدح الوزير المأمون البطايحي:
- ٣٥٠..... مدائح آل رُزَيْك:
- ٣٥٢..... العرقلة يشرب الخمرة ويبولها في نهر يزيد:
- ٣٥٥..... وصف مقتل الوزير عباس بن تميم الصنهاجي:
- ٣٥٥..... مدح الملك الصالح:
- ٣٦٦..... مدح ضرغام:
- ٣٦٧..... مدح شاور:
- ٣٦٨..... مدح أسد الدين شيركوه:
- عمارة يمدح نجم الدين أيوب ويطلبه بإعادة رواتبه ومستحقّاته المقطوعة
- ٣٦٩..... منذ دخولهم مصر:
- ٣٧٠..... مدح آخر وزير مصري فاطمي: صلاح الدين الأيوبي:
- ٣٧٣..... مدح كبار الموظفين في مصر الفاطمية:
- ٣٧٣..... مدح القاضي المكين أبي المعالي ابن الحباب السعدي:
- ٣٧٤..... مدح أهل البيت:
- ٣٧٥..... مدح نقيب الطالبين:
- ٣٨١..... مدح الدولة الفاطمية
- ٣٨٢..... مدح أقرب إلى الغزل بالدولة الفاطمية:
- ٣٨٦..... شعر العتاب والاعتذار
- ٣٩١..... شعر الحنين
- ٣٩١..... أبو الرقعمق لا ينسى ليالي النيل:
- ٣٩٢..... الحنين إلى عين شمس:
- ٣٩٢..... الجيزة جيزة الدنيا:
- ٣٩٣..... إسنا أسنا البلاد:
- ٣٩٤..... قلب الفقيه عمارة على مصر دائماً:
- ٣٩٤..... المهذب بن الزبير يبيت مقهور الفؤاد خارج مصر:

- أجمل أيام قليبوب: ٣٩٦.....
- من الإسكندرية إلى القسطنطينية: ٣٩٦.....
- طوفان نوح من دموعه على بعد الإسكندرية: ٣٩٧.....
- الإسكندرية أم الدنيا: ٣٩٧.....
- الرثاء ٤٠١.....
- رثاء الأئمة الخلفاء: ٤٠٢.....
- رثاء الخليفة الظاهر: ٤٠٢.....
- رثاء الخليفة المستنصر: ٤٠٣.....
- رثاء الخليفة الظافر: ٤٠٣.....
- رثاء الخليفة الفائز: ٤٠٤.....
- رثاء العاضد: ٤٠٥.....
- رثاء الوزراء الفاطميين المصريين: ٤٠٥.....
- رثاء جعفر بن فلاح الكتامي: ٤٠٦.....
- رثاء عمارة لآل رزيق: ٤٠٦.....
- رثاء الوزير شاور: ٤١٠.....
- وفي وصف مقتل الوزير عباس الصنهاجي: ٤١٠.....
- رثاء أهل الدولة: ٤١٠.....
- رثاء ست الملك ابنة الخليفة العزيز بالله: ٤١١.....
- رثاء جدة العاضد: ٤١٢.....
- الوزير المغربي يرثى صهره الشريف الطالبي: ٤١٣.....
- رثاء أخ الأفضل بن بدر الجمالي: ٤١٣.....
- رثاء الأمير عقيل: ٤١٤.....
- الملك الصالح طلائع بن رزيق يرثى نفسه: ٤١٥.....
- رثاء الأهل والأبناء والأقارب: ٤١٦.....
- أدب الطّف ✓ ٤٢٠.....

- ٤٢٥ ..... مراشي الملك الصالح طلائع بن رزيك لأهل البيت:
- ٤٢٨ ..... من هو الإنسان المصري الفاطمي:
- ٤٢٩ ..... الفقيه عمارة اليميني المسلم السنّي يرثي أهل البيت:
- ٤٣٠ ..... رأي شيعة مصر الفاطمية بالخلاف الشيعي السني:
- ٤٣١ ..... رثاء الدولة الفاطمية:
- ٤٣٢ ..... رثاء عمارة اليميني للدولة الفاطمية:
- ٤٣٣ ..... إذا أردت أن تندب فاندب أهل القصور:
- ٤٣٤ ..... رثاء الدولة الفاطمية ومؤسساتها وحضارة مصر أيام الفاطميين:
- ٤٣٤ ..... في رثاء المؤسسات:
- ٤٣٦ ..... رواتب شهرية للمسلمين وللنصارى واليهود:
- ٤٣٦ ..... مصانع الغزل والنسيج في تنيس توزع على كل أهل الأرض:
- ٤٣٦ ..... عمارة اليميني يعرف أن في هذه القصيدة مقتله:
- ٤٣٧ ..... أسباب مقتل الفقيه عمارة:
- ٤٣٨ ..... وقال العماد الأصفهاني عن سبب قتله:
- ٤٣٩ ..... رأي الحافظ بن كثير بمقتله:
- ٤٤١ ..... رأي الدكتور محمد كامل حسين:
- ٤٤٣ ..... شعر الزهد
- ٤٤٤ ..... تضرع إلى الله:
- ٤٤٦ ..... مناجاة وتضرع:
- ٤٤٧ ..... الزهد في الدنيا واجب:
- ٤٤٨ ..... لذة الدنيا كلذة السمّ في العسل:
- شروط محمد بن سيد الناس اليعمري ستة شروط لكي يطلق على الرجل
- ٤٤٨ ..... الزاهد لقب متصوف وهي:
- ٤٥٠ ..... مناجاة وتضرع:
- ٤٥١ ..... يا الله: استر على عبدك عمارة:



- ٤٥٢..... وصف الشيب: .
- ٤٥٢..... وصف الشيخوخة: .
- ٤٥٣..... في وصف الشيب والصحة: .
- ٤٥٤..... الشعر الحكمي .
- ٤٥٦..... الفضل فضلان: .
- ٤٥٧..... كيمياء القناعة: .
- ٤٥٧..... ليس هناك أحدٌ مرتاحاً: .
- ٤٥٩..... ليس هناك من ينجو من الانتقاد: .
- ٤٦٠..... حذارِ أهل الشر وغوائل الدنيا: .
- ٤٦٢..... الذل على أبواب الحجاب: .
- ٤٦٣..... لا تصحب العلم إلا والغنى معه: .
- ٤٦٣..... لكي تبقى محبوباً من الناس: .
- ٤٦٤..... عسى الرحمان يغني عن فلان وفلان: .
- ٤٦٤..... مرعى الإنسان خبيث: .
- ٤٦٥..... لعن الله المخادع: .
- ٤٦٥..... لا تلمنّ الناس غير طباعهم: .
- ٤٦٧..... الشعر الفلسفي والديني .
- ٤٧٠..... الدنيا خلقت لأجل الخلفاء المصريين: .
- ٤٧١..... مصير الدنيا بأسرها في يد خلفاء مصر: .
- ٤٧١..... الأرجوزة المختارة: .
- ٤٧٣..... آراء القاضي النعمان الفلسفية: في صفات الله: .
- ٤٧٤..... في صفات النبوة: .
- ٤٧٤..... في صفات الإمامة: .
- ٤٧٥..... تملك الفاطميين حلناً من أسر التقية: .
- ٤٧٥..... في الوصيّة: .

- ٤٧٦..... ضرورة وجود الإمام وصلاحياته:
- ٤٧٧..... في التشكيك في حديث غدير خم:
- ٤٧٧..... من سقيفة بني ساعدة حتى وفاة عثمان (رض):
- ٤٧٨..... الإمامة بعد الإمام جعفر الصادق (ع):
- ٤٧٩..... الفلسفة الشيعية المصرية في ديوان داعي الدعاة:
- ٤٨٠..... طاعات المسلم الحقيقي:
- ٤٨١..... من هم أنبياء وأوصياء داعي الدعاة؟:
- ٤٨٣..... قصيدة نصفها آيات قرآنية:
- ٤٨٤..... الفكر الفلسفي الشيعي المصري في القصيدة الصورية:
- ٤٨٦..... نظرية داروين المصرية:
- ٤٨٧..... المرجان: نصف صفاته معدن ونصف صفاته نبات:
- ٤٨٧..... النخل: له صفات الحيوان:
- ٤٨٨..... البقاء للأصلح:
- ٤٨٩..... شمس التشيع تشرق على القاهرة بعد أن حجبها الأمويون:
- ٤٩٢..... وصف الإمام الحاكم بأمر الله:
- ٤٩٢..... الشيعة المصريون يؤمنون بظهور الإمام القائم وينتظرون ظهوره:
- ٤٩٣..... نهاية القصيدة الصورية:
- ٤٩٤..... القصيدة الشافية:
- ٤٩٤..... الفلسفة الإسلامية الشيعية الإمامية الإسماعيلية في القصيدة الشافية:
- ٤٩٦..... أهمية العدد سبعة في الفكر الشيعي المصري:
- ٤٩٦..... دور الستر يؤدي إلى فقدان الشريعة:
- ٤٩٦..... الأدوار السبعة:
- ٤٩٧..... بقاء النوع موجود في الطبيعة:
- ٤٩٧..... أخلاط الجسم أربعة خامسها الروح:
- ٤٩٨..... القوى المحركة للجسم سبعة:

- ٤٩٨..... شجر النخل صلة الوصل بين النبات والحيوان:
- ٤٩٨..... اللؤلؤ صلة الوصل بين الجماد والحيوان:
- ٤٩٨..... تطور الأنواع للأصلح:
- ٤٩٩..... نظرية أصل الأنواع شعراً:
- ٤٩٩..... الإنسان الوحيد بين المخلوقات الذي اختص بالوحي:
- ٤٩٩..... نعم للوحي لا للرأي والقياس:
- ٥٠٠..... أسماء الأنبياء قبل النبي محمد (ص):
- ٥٠٠..... ثم يقوم الإسلام بأربعة أركان:
- ٥٠١..... رأي مصر الشيعية بالمسيح والمسيحية:
- ٥٠٢..... اجتماع غدير خم:
- ٥٠٥..... هجاء علم التنجيم:
- ٥٠٦..... الشاعر المصري ابن خيران شيعي ولكنه لا يرى سب السلف:
- ٥٠٦..... وصف الشهيد السهروردي للروح وهبوطها:
- ٥٠٨..... وصف آلة مراقبة النجوم «الاسطرلاب»:
- ٥٠٩..... الفكر الشيعي الإسماعيلي بعد خروجه من مصر:
- ٥١٠..... بدء الخروج عن الإسلام: التجلي الإلهي:
- ٥١٢..... نظرة أهل السنة لشيعه مصر:
- ٥١٥..... فن التوشيح
- ٥١٥..... موشح ابن عياد الإسكندري:
- ٥٢٠..... شعر الألفاظ والأحاجي

